
الأمثل
في تفسير كتاب الله المنزل
العلامة الفقيه المفسر
الشيخ ناصر مكارم الشيرازي
١٩

بسم الله الرحمن الرحیم

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل

کاتب:

آیت الله ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل المجلد ۱۹

اشاره

سرشناسه : مکارم شیرازی، ناصر، - ۱۳۰۵

عنوان و نام پدیدآور : الامثل فی تفسیر کتاب الله المنزل/ تالیف ناصر مکارم شیرازی؛ [با همکاری جمعی از فضلا]

وضعیت ویراست : [ویرایش]۲

مشخصات نشر : قم: مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)، ۱۴۲۱ق. = ۱۳۷۹.

مشخصات ظاهری : ج ۲۰

شابک : ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۳-X(دوره) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۹-۱(ج.۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۳-۲(ج.۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۸-۳(ج.۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۲-۴(ج.۴) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۷-۵(ج.۵) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۱-۶(ج.۶) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۶-۷(ج.۷) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۰-۸(ج.۸) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۵-۹(ج.۹) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۴۴-۰(ج.۱۰) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۲-۱(ج.۱۱) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۷-۲(ج.۱۲) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۱-۳(ج.۱۳) ؛ ۹۶۴-۶۶۳۲-۵۰-۵(ج.۱۵)

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : کتاب حاضر ترجمه و تلخیص "تفسیر نمونه" است

یادداشت : کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر گردیده است

یادداشت : کتابنامه

موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

شناسه افزوده : مدرسه الامام علی بن ابی طالب(ع)

رده بندی کنگره : BP۹۸/م۷ ت۷۰۴۴۷ ۱۳۷۹

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی : م ۷۹-۱۰۳۹۱

ص: ۱

اشاره

سوره المعارج

اشاره

مكيه و عدد اياتها اربع و أربعون ايه «سوره المعارج»

محتوى السوره:

المعروف بين المفسّرين هو أنّ سوره المعارج من السور المكّيه،و على أساس ما ينقله(فهرست ابن النديم)و(كتاب نظم الدرر)و(تناسق الآيات و السور)المطابق لما نقله(تاريخ القرآن)لأبى عبد اللّه الزنجانى أنّ هذه السوره هى السوره السابعه و السبعون و التى نزلت فى مكّه.

و لكن هذا يتنافى مع كون بعض آياتها مدنيه،و هذا ليس منحصرا فى سوره المعارج،فإنّ كثيرا من سور القرآن الكريم هى مكّيه و لكنّها تحوى على آيه أو آيات مدنيه فى نفس الوقت،و بالعكس بعض السور المدنيه تحوى على آيات مكّيه.

و لقد نقل العلاّمه الأمينى رحمه اللّه نماذج كثيره من هذا الموضوع فى كتابه (الغدير)،و هناك روايات كثيره سوف يأتى ذكرها بعد إن شاء اللّه تدل على أنّ الآيات الأولى من هذه السوره هى آيات مدنيه.

على أيه حال فإنّ خصوصيات السور المكّيه كالبحث حول اصول الدين و خاصّه المعاد و إنذار المشركين و المخالفين،و هذه الخصوصيات واضحه جدّا فى هذه السوره،و على هذا فإنّ لهذه السوره أربعه أقسام:

القسم الأوّل:يتحدث عن العذاب السريع الذى حلّ بأحد الأشخاص ممن أنكر أقوال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قال:لو كان هذا القول حقّا فلينزل عليّ العذاب. فنزل (الآيه ١-٣).

القسم الثّانى:ذكر الكثير من خصوصيات يوم القيامه و مقدماتها و حالات

الکفار فی ذلک الیوم.

القسم الثّالث:توضح هذه السوره بعض الصفات الإنسانیه الحسنه و السیئه و التی تعیّن هذا الشخص من أهل الجنان أم من أهل النّار.

القسم الرّابع:یشمل إنذارات تخصّ المشرکین و المنکرین و تبیان مسأله المعاد و ینهی بذلک السوره.

فضیله هذه السوره:

نقرأ

فی حدیث عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «من قرأ(سأل سائل)أعطاه اللّه ثواب الذین هم لأماناتهم و عهدهم راعون و الذین هم علی صلواتهم یحافظون» و

جاء فی حدیث آخر عن الإمام الباقر علیه السّلام: «من أدمن قراءه(سأل سائل)لم یسأله اللّه یوم القیامه عن ذنب عمله و أسکنه جنّته مع محمّد». و نقل مثله عن الإمام الصّادق علیه السّلام.

من البدیهی أنّ الإنسان یحصل علی مثل هذا الثّواب العظیم إذا کانت قراءته بإیمان و عقیده،و ثمّ یقترن ذلک بالعمل،لا أن یقرأ الآیات و السور من دون أن تؤثر فی روحه و فکره و عمله شیئا.

الآیات [سوره المعارج (۷۰): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ سَأَلَ سٰائِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ (۱) لِلْکٰافِرِینَ لَیْسَ لَهُ دٰافِعٌ (۲) مِنَ اَللّٰهِ ذِی اَلْمَعٰارِجِ (۳)

سبب النّزول

نقل الکثیر من المفسّرین و أصحاب الحدیث أحادیث عن سبب نزول هذه الآیه و حاصلها: أنّه عند ما نصّب رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیّا علیه السّلام

فی یوم(غدیر خم)قال فی حقّه: «من کنت مولاه فعلیّ مولاه»و لم ینقض مدّه حتی انتشر ذلک فی البلاد و المدن،فقدم النعمان بن حارث الفهری علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال:أمرتنا عن اللّه أن نشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّک رسول اللّه،و أمرتنا بالجهاد و الحج و الصّوم و الصّلاه و الزکاه فقبلناها،ثمّ لم ترض حتی نصّبت هذا الغلام فقلت من کنت مولاه فعلیّ مولاه،فهذا شیء منک أو أمر من عند اللّه.

فقال:«و اللّه،و الذی لا إله إلاّ هو إنّ هذا من اللّه»فولی النعمان بن حارث و هو یقول:اللّهم إن کان هذا هو الحقّ من عندک فأمطر علینا حجاره من السماء فرماه اللّه بحجر علی رأسه فقتله و أنزل اللّه تعالی سَأَلَ سٰائِلٌ بِعَذٰابٍ وٰاقِعٍ و ما ذکرناه هو مضمون ما روی عن أبی القاسم الحسکانی فی مجمع البیان بإسناده إلی أبی عبد اللّه الصّادق علیه السّلام (۱) .

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۵۲.

هذا المعنى مروى عن كثير من المفسّرين من العامّه،فقد نقل رواه الحديث هذا المعنى بشىء من الاختلاف البسيط.

و ينقل«العلاّمه الأمينى»ذلك فى كتابه(الغدير)عن ثلاثين عالما مشهورا من أهل السنّه(مع ذكر السند و النّص)و من ذلك:

تفسير غريب القرآن(للحافظ أبى عبيد الهروى).

تفسير شفاء الصدور(لأبى بكر النقاشى الموصلى).

تفسير الكشف و البيان(لأبى إسحاق الثعالبى).

تفسير أبى بكر يحيى(القرطبى).

تذكره أبو إسحاق(الثعلبى).

كتاب فرائد السمطين(للحموينى).

كتاب درر السمطين(للشّيخ محمّد الزرندى).

كتاب السراج المنير(لشمس الدين الشّافعى).

كتاب(سيره الحلبى).

كتاب نور الأبصار(للسّيد مؤمن الشبلنجى).

و كتاب شرح الجامع الصّغير للسيوطى من(شمس الدين الشّافعى و غير ذلك. (١)

و فى كثير من هـذه الكتب علم ورد أنّ هـذه الآيات قـد نزلت بهـذا الشأن، و بالطبع هناك اختلاف بشأن الحارث بن النعمان أو جابر بن نذر أو النعمان بن حارث الفهرى،و من الواضح أنّ هذا الأمر لا يؤثر فى أصل المطلب.

بالطبع أنّ بعض المفسّـرين أو المحدّثين بفضائل الإمام على عليه السّـلام من أهل السنّه يتقبلون ذلك،و لكن على مضض و عدم ارتياح،و تمسكوا بإشكالات

۱- ۱) -الغدير،ج ۱،ص ۲۳۹-۲۴۶.

مختلفه علی سبب نزول الآیه،و سنوضح فی نهایه المطاف بإذن اللّه بحثا تفسیریا عن هذا الموضوع.

***

التّفسیر

اشاره

العذاب العاجل:

من هنا تبدأ سوره المعارج حیث تقول: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ ،هذا السائل کما قلنا فی سبب النزول هو النعمان بن الحارث أو النضر بن الحارث و کان هذا بمجرّد تعیین الإمام علی علیه السّلام خلیفه و ولیّا فی(غدیر خم)و انتشار هذا الخبر فی البلاد،حیث رجع مغتاظا إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قال:هل هذا منک أم من عند اللّه؟

فأجابه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مصرّحا:«من عند اللّه»، فازداد غیظه و قال:اللّهم إن کان هذا هو الحقّ من عندک فأمطر علینا حجاره من السماء،فرماه اللّه بحجاره من السماء فقتله. (۱)

هناک تفسیر آخر أعم من هذا التّفسیر و أعم منه،و هو أنّ سائل سأله لمن هذا العذاب الذی تتحدث عنه؟فیأتی الجواب فی الآیه الاخری: لِلْکافِرینَ لَیْسَ لَهُ دافِعٌ .

و حسب تفسیر ثالث یکون هذا السائل هو النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الذی دعا علی الکافرین بالعذاب فنزل.

و لکن مع أنّ التّفسیر الأوّل أکثر ملاءمه للآیه فإنّه منطبق تماما علی روایات سبب النزول.

ثمّ یضیف بأنّ هذا العذاب خاص بالکفار و لا یستطیع أحد دفعه عنهم:

---

۱ – ۱) -الباء فی(بعذاب واقع)حسب هذا التفسیر باء زائده للتأکید و فی نظر البعض تعنی(عن)،و هذا ممّا یطابق التّفسیر الثّانی (یجب الالتفات إلی أنّ السؤال إذا کان بصیغه الطلب یتعدی بمفعولین و إذا کان بمعنی الاستفسار یکون مفعوله الثّانی مع(عن).

لِلْكافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ

(۱) .

و تصف الآیه الاخری من ینزل العذاب منه،و هو اللّه ذی المعارج فتقول الآیه: مِنَ اللّهِ ذِی الْمَعارِجِ ،أی صاحب السماء التی یعرج إلیها الملائکه.

«المعرج»جمع«معرج»بمعنی المصعد أو المکان الذی منه یصعدون،إذ أنّ اللّه جعل للملائکه مقامات مختلفه یتوجهون بها إلی قربه بالتدریج،و قد وصف اللّه تعالی بذی المعارج.

نعم،الملائکه المأمورون بتعذیب الکفّار و المجرمین،و الذین هبطوا علی إبراهیم علیه السّلام،و أخبروه بأنّهم قد أمروا بإباده قوم لوط،و فعلوا ذلک إذ قلبوا بلاد أولئک القوم الفاسقین رأسا علی عقب.

و هم الذین أمروا کذلک بتعذیب المجرمین الباقین.

و قیل المراد ب-(المعارج)الفضائل و المواهب الإلهیه، و قیل المراد بها (الملائکه)،و لکن المعنی الأوّل هو أنسب،و هو ملائم للمفهوم اللّغوی.

ملاحظه:

اشاره

إشکالات المعاندین الواهیه!

کثیرا ما نری فی مورد الآیات أو الرّوایات التی تذکر فضائل أمیر المؤمنین علیه السّلام إصرار البعض إلی حدّ ما فی أن یغضّ النظر عنها،أو یقوم بتوجیهها توجیها محرّفا و یدقق فی أمرها بوسوسه بالغه،فی حین أنّ هذه الفضائل لو کانت وارده فی الآخرین لقبلوها بسهوله و بساطه.

النموذج الحی الکلام هو الإشکالات السباعیه التی ذکرها ابن تیمیه فی

۱- ۱) -(واقع)صفه للعذاب و(للکافرین)صفه ثانیه و(لیس له دافع)صفه ثالثه و قد احتمل أن(الکافرین)له علاقه ب-(العذاب) و إذا کانت(اللام)تعنی(علی)فإنّها ستتعلق ب-(واقع).

كتابه(منهاج السنّه)فى أحاديث مرويه فى أسباب نزول الآيات المذكوره و هى:

۱-حديث قصّه يوم الغدير بعد رجوع الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من حجّه الوداع أى فى السنه العاشره للهجره،فى حين أنّ السوره المعارج من السور المكّيه و قد نزلت قبل الهجره.

الجواب:كما بيّنا من قبل فإنّ كثيرا من السور تسمّى مكّيه فى حين أنّ بعض آياتها مدنيه كما يقول المفسّرون،و بالعكس فإنّ هناك سورا مدنيه نزلت بعض آياتها فى مكّه.

۲-جاء فى الحديث أنّ(الحارث بن النعمان)حضر عند النّبى فى(الأبطح)، و المعروف أنّ(الأبطح)،واد فى مكّه،و هذا لا يتفق مع نزول الآيه بعد حادثه الغدير.

الجواب:إنّ كلمه الأبطح وردت فى بعض الرّوايات،لا كلّ الرّوايات،كما أنّ الأبطح و البطحاء تعنى كل أرض صحراء رمليه و تجرى فيها السيول،و كذلك هناك مناطق فى المدينه تسمّى بالأبطح و البطحاء،و قد أشار العرب إلى ذلك فى كثير من أقوالهم و أشعارهم.

۳-المشهور أنّ آيه: وَ إِذْ قالُوا اللّهُمَّ إِنْ كانَ هذا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ الجواب:ليس منّا من يقول:إنّ حادثه الغدير هى سبب نزول تلك الآيه،بل الحديث هو فى آيه: سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ و أمّا الآيه(۳۳)من سوره الأنفال فهى أنّ الحارث بن النعمان قد استخدمها فى كلامه،و هذا لا يرتبط بأسباب النزول،و لكن العصبيه المفرطه تجعل الإنسان غافلا عن هذا الموضوع الواضح.

۴-يقول القرآن المجيد: وَ ما كانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ أَنْتَ فِيهِمْ وَ ما كانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ الأنفال الآيه(۳۳)،تقول الآيه:لم ينزل العذاب أبدا ما دام الرسول فيهم.

ص :۱۱

الجواب:المعروف أنّ العذاب العام و الجماعی مرفوع عن الأمّه لأجل الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و أمّا العذاب الخاص و الفردی فقد نزل مرارا علی بعض الأفراد، و التاریخ الإسلامی شاهد علی أنّ أناسا معدودین مثل«أبی زمعه»و«مالک بن طلاله»و«الحکم بن أبی العاص»و غیرهم قد ابتلوا بالعذاب للعن الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلم لهم أو بدون ذلک.

بالإضافه إلی ذلک فإنّ الآیه السالفه لها تفاسیر أخری،و طبقا لذلک فإنّ لا یمکن الاستدلال بها فی المکان(راجع التّفسیر الأمثل ذیل الآیه ۳۳ الأنفال).

۵-إذا کان سبب النزول هذا صحیحا فلا بدّ أن یکون معروفا کقصّه أصحاب الفیل؟ الجواب:إنّ سبب النزول لهذه الآیه معروف و مشهور،کما أشرنا من قبل،إلی حدّ ألّف فیه ثلاثون کتابا من کتب التّفسیر و الحدیث،و العجیب بعدئذ أن نتوقع من حادثه خاصّه أن تعطی انعکاسا و أثرا کقصّه أصحاب الفیل،فی حین أنّ تلک القصّه کانت لها صفه عامّه،و قد استولت علی أنحاء مکّه،و أبیدت فیها جیوش کبیره،و أمّا قصّه الحارث بن النعمان،فإنّها کانت تخصّ فردا واحدا فقط!.

۶-ما یستفاد من هذا الحدیث هو أنّ الحارث بن النعمان کان معتقدا بأسس و اصول الإسلام،فکیف یمکن لمسلم یعاصر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یبتلی بمثل هذا العذاب؟ الجواب:هذا الإحتجاج ناشئ أیضا من التعصب الأعمی،لأنّ الأحادیث المذکوره سلفا تشیر إلی أنّه لم ینکر نبوّه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فحسب،بل أنّه أنکر حتی الشهاده بالوحدانیه،و اعترض علی الأمر الإلهی الذی صدر للرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حقّ علی علیه السّلام و هذا یدل علی أشدّ مراحل الکفر و الارتداد.

۷-لا نجد اسما للحارث بن النعمان فی الکتب المشهوره کالاستیعاب الذی جاء فیه ذکر الصحابه.

ص :۱۲

الجواب:ما جاء فی هذا الکتاب و مثله من ذکر الصحابه یرتبط فقط بقسم من الصحابه،فمثلا فی کتاب(أسد الغابه)الذی یعدّ من أهم الکتب و فیه یذکر أصحاب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قد عدّ منهم فقط سبعه آلاف و خمسمائه و أربعه و خمسین صحابیا،فی حین أننا نعلم أنّ الجمع الذی کان حاضرا عند النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی حجّه الوداع مائه ألف أو یزیدون،و ممّا لا شک فیه أنّ کثیرا من أصحاب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لم یأت ذکرهم فی هذه الکتب.

***

ص :۱۳

الآيات [سوره المعارج (٧٠): الآيات ۴ الی ۷]

اشاره

تَعْرُجُ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ اَلرُّوحُ إِلَیْهِ فِی یَوْمٍ کٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ (۴) فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِیلاً (۵) إِنَّهُمْ یَرَوْنَهُ بَعِیداً (۶) وَ نَرٰاهُ قَرِیباً (۷)

التّفسیر

اشاره

یوم مقداره خمسین ألف سنه:

بعد إیراد قصّه العذاب الدنیوی الذی أصاب من طلب العذاب تبحث الآیات أمر المعاد و العذاب الأخروی للمجرمین فی ذلک الیوم.

فی البدایه یقول تعالی: تَعْرُجُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ الرُّوحُ إِلَیْهِ -أی إلی الله- فِی یَوْمٍ کٰانَ مِقْدٰارُهُ خَمْسِینَ أَلْفَ سَنَهٍ المشهور أنّ المراد من عروج الملائکه هو العروج الروحی،و لیس العروج الجسمی،یعنی أنّهم یسرعون فی التقرب إلی المقام الإلهی و هم مهیّئون لاستلام الأوامر فی ذلک الیوم الذی یراد به یوم القیامه،و کما قلنا سابقا فی تفسیر الآیه(۱۷)من سوره الحاقه من أنّ المراد من الآیه وَ الْمَلَکُ عَلیٰ أَرْجٰائِهٰا هو الیوم الذی یجتمعون فیه فی السماء ینتظرون لتنفیذ ما

يأمرون (۱) .

و المراد بالرّوح هو(الرّوح الأمين)و هو أكبر الملائكه،و هـذا ما أشـير إليه أيضا فى سوره القدر حيث يقول تعالى: تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ و من الطبيعى أنّ الرّوح لها معان مختلفه بحسب تناسب مع القرائن الموجوده،فمن الممكن أن يعطى فى كلّ موضوع معنى خاص،و الرّوح يراد به روح الإنسان،و كذا يراد منه القرآن،و بمعنى روح القدس،و بمعنى ملك الوحى، كلّ ذلك من معانى الرّوح،و هذا ما يشار إليه فى بقيه آيات القرآن.

و أمّا المراد بكون(خمسين ألف سنه)هو ذلـك اليوم الـذى بحيث لو وقع فى الـدنيا كان مقـداره خمسـين ألف سـنه من سـنى الدنيا،و هذا لا ينافى ما جاء فى الآيه(۵)من سوره السجده من إنّ ذلك يوم مقداره ألف سنه،و لأجل ذلك ذكر فى الرّوايات أنّ ليوم القيامه خمسين موقفا،و كلّ موقف منه يطول بمقدار ألف سنه. (۲)

و احتمل البعض أيضا أنّ هذا العدد(خمسين ألف سنه)للكثره لا العدد،أى أنّ ذلك اليوم طويل جدّا.

على أىّ حال فقد كان هذا ما يخصّ المجرمين و الظلمه و الكفار،و لهذا

روى فى حديث عن أبى سـعيد الخدرى أنّه سأل سائل من النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم بعد نزول هذه الآيه عن طول ذلك اليوم؟فقال:«و الذى نفس محمّد بيده إنّه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاه مكتوبه يصليها فى الدنيا» (۳) .

ص: ۱۵

۱- ۱) -وردت تفاسير اخرى لعروج الملائكه لا يمكن الاعتماد على أىّ منها و من ذلك:المراد من الزمان هى الفتره التى بدأت الملائكه بالصـعود و النزول منذ بدايه الدنيا إلى نهايتها تكون مقدار خمسـين ألف سنه،و هذا هو عمر الحياه و لكن الآيات التى. تليها تدلّ على أنّ الحديث يخصّ يوم القيامه و لا يخصّ الدّنيا(فتدبّر).

۲- ۲) -نقـل هـذا الحـديث فى أمالى الشّيخ بإسـناده إلى أمير المؤمنين عليه السّـلام و هو مطابق لما نقله الحويزى فى كتابه نور الثقلين،ج ۵، ص ۴۱۳.

۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۵۳،و القرطبى،ج ۱۰،ص ۶۷۶۱.

ثمّ یخاطب اللّه تعالی رسوله الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الآیه الأخری و یقول: فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِیلاً .

المراد ب(الصبر الجمیل)هو ما لیس فیه شائبه الجزع و التأوه و الشکوی، و فی غیر هذا الحال لا یکون جمیلا. (۱)

ثمّ یضیف: إِنَّهُمْ یَرَوْنَهُ بَعِیداً وَ نَرٰاهُ قَرِیباً إنّهم لا یصدقون بوجود مثل ذلک الیوم الذی یحاسب فیه جمیع الخلائق حتی أصغر حدیث و عمل لهم،و ذلک فی الیوم مقداره خمسون ألف سنه،و لکنّهم فی الواقع ما عرفوا اللّه و فی قلوبهم ریب بقدره اللّه.

إنّهم یقولون:کیف یمکن جمع العظام البالیه و التراب المتناثر فی کل حدب و صوب ثمّ یردّ إلی الحیاه؟(و قد ذکر القرآن کلامهم هذا فی کثیر من آیاته)ثمّ کیف یمکن أن یکون الیوم بمقدار خمسین ألف سنه.

الطریف أنّ العلم الحاضر یقول:إنّ مقدار کلّ یوم فی أی من الأجرام السماویه یختلف عن بعضها الآخر،لأنّ دوران الجرم السماوی حول نفسه مرّه واحده تابع إلی فتره زمنیه معینه،و لهذا فإنّ الیوم فی القمر بمقدار أسبوعین علی ما هو فی الأرض،حتی أنّهم یقولون:یمکن أن تقل سرعه الحرکه الوضعیه للأرض و ذلک بمرور الزمن و یصبح الیوم الواحد فیها کالشهر أو کالسنه أو مئات السنین،و نحن لا نقول،إنّ الزمان فی یوم القیامه کذلک،بل نقول إن الیوم الذی یبلغ مقداره خمسین ألف سنه،لیس عجیبا فی مقاییس عالم الدنیا.

۱- ۱) -بسطنا الکلام فی معنی الصبر الجمیل فی التفسیر الأمل،ج ۷(من الطبعه العربیه)فی قصّه النّبی یعقوب و یوسف علیهما السّلام.

الآیات [سوره المعارج (۷۰): الآیات ۸ الی ۱۸]

اشاره

يَوْمَ تَكُونُ اَلسَّمٰاءُ كَالْمُهْلِ (۸) وَ تَكُونُ اَلْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ (۹) وَ لاٰ يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (۱۰) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ اَلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذٰابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (۱۱) وَ صٰاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ (۱۲) وَ فَصِيلَتِهِ اَلَّتِي تُؤْوِيهِ (۱۳) وَ مَنْ فِي اَلْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ (۱۴) كَلاّٰ إِنَّهٰا لَظىٰ (۱۵) نَزّٰاعَةً لِلشَّوىٰ (۱۶) تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّٰى (۱۷) وَ جَمَعَ فَأَوْعىٰ (۱۸)

التّفسیر

تضیف هذا الآیات علی البحوث السابقه حول القیامه إیضاحات أکثر،حیث یقول اللّه تعالی: يَوْمَ تَكُونُ السَّمٰاءُ كَالْمُهْلِ (۱) ، وَ تَكُونُ الْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ .

«المهل»:علی وزن(قفل)و هو المذاب من المعدن کالنحاس و الذهب و غیرهما،و یراد له أحیانا دردی الزیت المتخلف من زیت الزیتون،و هذا هو ما

۱- ۱) -ل(یوم)احتمالات متعدده فی الإعراب،و لکن الأفضل أن یکون بدلا من(قریبا)فی الآیه السابقه أو متعلقا بفعل محذوف مثل(اذکر).

يناسب المعنى الأوّل،و إن لم يكن هناك اختلاف فى مقام التشبيه.

«العهن»:مطلق الصوف المصبوغ ألوانا.

نعم،فى مثل ذلك اليوم تتلاشى السموات و تذوب،تتدكدك الجبال ثمّ تتناثر فى الهواء كالصوف فى مهب الرّيح،و بما أنّ الجبال ذات ألوان مختلفه فإنّها شبهت بالصوف المصبوغ بالألوان،ثمّ يتحقق عالم جديد و حياه جديده للبشريه بعد كلّ هذا الخراب.

و عند ما يحلّ يوم القيامه فى ذلك العالم الجديد فسيكون فيه الحساب عسيرا و مرعبا بحيث ينشغل كل بنفسه،و لا يفكر بالآخر حتى لو كان من خلّص اصدقائه و أحبائه: وَ لاٰ يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً (۱) .

الكلّ مشغول بنفسه،و يفكر بخلاص نفسه يقول فى سوره عبس(۳۷):

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

(۲)

.

و لا يعنى ذلك أنّ الأصدقاء و الأقرباء ينكر بعضهم بعضا،بل إنّهم يعرفونهم و يقول تعالى: يُبَصَّرُونَهُمْ (۳) ،غايه الأمر هو أنّ هول الموقف و وحشته لا يمكنه من التفكر بغيره.

و إكمالا للحديث و توضيحا لذلك الموقف الموحش،يضيف تعالى: يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذٰابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ .

و ليس ببنيه فحسب بل،يودّ أن يفتدى العذاب بزوجته و أخيه أيضا وَ صٰاحِبَتِهِ وَ أَخِيهِ .

وَ فَصِيلَتِهِ الَّتِى تُؤْوِيهِ

أى عشيرته و أقربائه الذين كان يأوى إليهم فى الدنيا:

۱- ۱) -«الحميم»:تقدم أنه فى الأصل يعنى الماء المغلى و المحرق ثمّ اطلق كذلك على الأصدقاء المخلصين و الحقيقيين.

۲- ۲) -وردت تفاسير اخرى،منها:لا يسأل أحد عن أحوال الآخر لأنّ أحوالهم ظاهره فى وجوههم،و إذا كانت ظاهره فلا مبرر للسؤال،و لا يمكن أحد تحمل المسؤوليه،مسئوليه أعماله عن الآخرين و لكن التّفسير الأوّل هو الأصح.

۳- ۳) -مع أنّ«حميم»قد جاء فى المرحلتين بصوره المفرد،فقد جاء فى«يبصرونهم»ضمير بصوره الجمع لأنّ له معنى جنسى.

وَ مَنْ فِی الْأَرْضِ جَمِیعاً ثُمَّ یُنْجِیهِ

.

نعم،إنّ عذاب اللّه شدید فی ذلک الیوم المهول الی حدّ یودّ الإنسان فیه أن یفدی أعزّته و هم أربع مجامیع:«الأولاد،الزوجات،الإخوان،عشیرته الأقربون الناصرون له»فیضحی بهم لخلاص نفسه،و لیس فقط أولئک بل إنّه مستعد للافتداء بمن فی الأرض جمیعا لینجی نفسه! «یود»:من(الود)علی وزن(حبّ)أی یحب و یتمنی،و یقول الراغب:یمکن استعمال أحد المعنیان(بل الاثنان معا).

«یفتدی»:من(الفداء)أی حفظ النفس من المصائب و المشاکل بوسیله تسدید أو دفع شیء ما.

«الفصیله»:هی العشیره و العائله التی انفصل و تولّد منها الإنسان.

«تؤیه»:من(الإیواء)من الشدائد و اللجوء إلیها و یأوی إلیها فی النسب.

و قال بعض المفسّرین بأنّ(ثمّ)فی ثُمَّ یُنْجِیهِ تدل علی أنّهم یعملون أنّ هذا الافتداء لا ینفع شیئا،و أنّه محال(لأنّ ثمّ تأتی عاده فی المسافه و البعد).

و لکنّه یجیب علی کلّ هذه الأمانی و الآمال فی قوله: کَلاّ أی لا تقبل الفدیه و الافتداء.

إِنَّها لَظی

نار ملتهبه تحرق کلّ من بجانبها و فی مسیرها.

نَزّاعَهً لِلشَّوی

تقلع الید و القدم و جلد الوجه.

«لظی»:تعنی لهیب النّار الخالص،و هی اسم من أسماء جهنم أیضا،یمکن الأخذ بالمعنیین الآیه.

«نزاعه»:أی أنّها تقتلع و تفصل بالتوالی.

و«شوی»:الأطراف کالید و الأرجل،و تأتی أحیانا بمعنی الشواء،و لکن المراد هنا هو المعنی الأوّل،لأنّه عند ما تتصل النّار المحرقه و لیبها بشیء فإنّها تحرق و تفصل أوّلا الأطراف و الجوانب و فروع ذلک.

و یری بعض من المفسّرین أنّ الشوی هو جلد البدن،و البعض یقول أنّه أم الرأس،و البعض الآخر:یفسّره بلحم الساق،و قد أجمع الجمیع علی المعنی الأوّل الذی قلناه،و العجیب أنّه مع هذا الحال فلیس فی الأمر موت! ثمّ یشیر إلی من یکون فریسه لمثل هذه النّار،فیقول: تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَ تَوَلّی وَ جَمَعَ فَأَوْعی .

و بهذا فإنّ هذه النّار المحرقه تدعو أولئک المجرمین إلی نفسها سواء بلسان حالها و جاذبیتها الخاصّه المودعه فیها تجاه المجرمین،أو بلسان مقالها الذی أعطاها اللّه إیّاها:إنّها تدعو أولئک المتصفین:بهاتین الصفتین الإعراض عن الإیمان و عدم طاعه اللّه و رسوله،و من جهه أخری یفکرون دائما بجمع الأموال من الحرام و الحلال و ادخارها من دون أن یلتفتوا إلی حقوق البائسین و المحرومین،أو أنّهم یجهلون فلسفه المال الذی یعتبر من النعم الإلهیه.

ص:۲۰

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۱۹ الی ۲۸]

اشاره

إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعاً (۱۹) إِذٰا مَسَّهُ اَلشَّرُّ جَزُوعاً (۲۰) وَ إِذٰا مَسَّهُ اَلْخَيْرُ مَنُوعاً (۲۱) إِلاَّ اَلْمُصَلِّينَ (۲۲) اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ (۲۳) وَ اَلَّذِينَ فِی أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ (۲۴) لِلسّٰائِلِ وَ اَلْمَحْرُومِ (۲۵) وَ اَلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ اَلدِّينِ (۲۶) وَ اَلَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذٰابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ (۲۷) إِنَّ عَذٰابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (۲۸)

التّفسير

اشاره

أوصاف المؤمنين:

بعد ذكر أوصاف الصالحين و جوانب من أنواع العذاب فی يوم القيامه،يأتی هنا وصف المؤمنين للتعرف عن سبب انقسام النّاس إلی صنفين،و هنا:المعذبون و الناجون،يقول أوّلا: إِنَّ الْإِنْسٰانَ خُلِقَ هَلُوعاً .

إِذٰا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً

.

يراد ب«الهلوع»كما يقول المفسّرون و أصحاب اللغه«الحريص»،و آخرون

فسّروه بالجزع،و بناء على التّفسير الأوّل فإنّه يشار إلى ثلاثه أمور رذيله يتصف بها هؤلاء و هى:الحرص،و الجزع،و البخل،و للتّفسير الثّانى صفتان هما:الجزع، و البخل،لأنّ الثّانيه و الثّالثه هى تفسير لمعنى الهلوع.

و هنا احتمال آخر و هو أنّ المعنيين يجتمعان فى هذه الكلمه،لأنّ هاتين الصفتين متلازمتان مع بعضهما،فالناس الحريصون غالبا ما يكونون بخلاء، و يجزعون عند الشدائد،بالعكس أيضا صحيح.

و هنا يطرح هذا السؤال،و هو كيف أنّ اللّه خلق الإنسان للسعاده و الكمال و جعل فيه الشرّ و السوء؟ و هل يمكن أن يخلق اللّه شيئا ذا متصفا بصفه،ثمّ و بعد يذم خلقه؟بالإضافه إلى ذلك فإنّ القرآن الكريم يصرّح فى سوره التين الآيه(۴): لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

بالتأكيد ليس من أن ظاهر الإنسان حسن و باطنه سيء،بل إنّ الخلقه الكليه للإنسان هى فى صوره«أحسن تقويم».و هناك كذلك آيات أخرى تمدح المقام الرفيع للإنسان،فكيف تتفق هذه الآيات مع الآيه التى نحن بصددها؟ أجوبه هذه الأسئله تتّضح بالالتفات إلى نقطه واحده،و هى أنّ اللّه خلق القوى و الغرائز و الصفات فى الإنسان كوسائل لتكامل الإنسان و بلوغ سعادته، لكن عند ما يستخدمها الإنسان فى الطريق المنحرف و يسيء تدبيرها و الاستفاده منها فستكون العاقبه هى التعاسه و الشرّ و الفساد،فمثلا- الحرص هو الذى لا يتيح فرصه الإنسان للتوقف عن السعى و الحركه و الاكتفاء بما لديه من نعمه و هو العطش المحرق الذى يسيطر على الإنسان،فلو أنّ هذه الصفه وقعت فى الطريق العلم لوجدنا الإنسان حريصا على التعلم،أو بعباره أخرى يتعطش العلم و يعشقه، و بذلك سوف يكون سببا لكماله،و أمّا إذا أخذت مسيرها فى الماديات فإنّها ستكون سببا للتعاسه و البخل،و بتعبير آخر:إنّ هذا الصفه فرع من فروع حبّ

الـذات،و حبّ الذات غريزه توصل الإنسان إلى الكمال،و لكن إذا انحرف فى مسيره فإنّه سوف يجرّه إلى الحسد و البخل و إلى غير ذلك.

و فى هذا الشأن هناك مواهب أخرى أيضا بهذا الشكل:إنّ اللّه أودع قدره عظيمه فى قلب الذره،من المؤكد أنّها نافعه و مفيده،و لكن إذا مـا اسـىء اسـتخدام هـذه القـدره و صـنع من ذلـك القنابل الفتاكه و لم يسـتخدم فى توليـد الطاقه الكهربائيه و الوسائل الصناعيه و السليه الأخرى،فسيكون مدعاه للشرّ و الفساد،و بالتعمق فيما ذكرنا يمكن أن الجمع فى ما ورد فى الإنسان و ذلك من خلال الآيات القرآنيه المبيّنه لحالات الإنسان (۱) .

ثمّ تذكر الآيات الكريمه صـفات الأشـخاص الجيدين على شـكل اسـتثناء، و تبيّن لهم تسع صفات ايجابيه بارزه،فيقول تعالى: إِلاَّ الْمُصَلِّينَ .

اَلَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ

.

هذا هى الخصوصـيه الأولى لهم و أنّهم مرتبطين باللّه بشـكل دائم،و هذه الرابطه تتوثق بالصـلاه،الصلاه التى تنهى عن الفحشاء و المنكر،و الصـلاه التى تربى روح الإنسان و تذكره دائما باللّه تعالى،و السـير بهذا الاتجاه سوف يمنعه من الغفله و الغرور،و الغرق فى بحر الشهوات،و الوقوع فى قبضه الشيطان و هوى النفس.

و من الطبيعى أنّ المراد من الإدامه على الصلاه ليس أن يكون دائما فى حال الصلاه،بل هو المحافظه على أوقات الصلاه المعينه.

من المعروف أنّ كل عمل جيد يقوم به الإنسان إنّما يترك فيه أثرا صالحا فيما لو كان مستديما،و لهذا نقرأ

فى الحديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «إنّ أحبّ الأعمال إلى اللّه ما دام و إنّ قلّ» (۲) .

۱- ۱) -هناك توضيح آخر أوردناه تحت عنوان«الإنسان فى القرآن الكريم»فى ذيل الآيه(۱۳)لسوره يونس من هذا التّفسير.

۲- ۲) -المعجم المفهرس لألفاظ الحديث،ج ۲،ص ۱۶۰.

و نلاحظ

فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال: «إذا فرض على نفسه شيئا من النوافل دام عليه» (۱) .

و

ورد فى حديث عنه عليه السّلام أنّه قال: «هذه الآيه تعنى النافله،آيه وَ الَّذِينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ يُحٰافِظُونَ (و التى تأتى فيما بعد)تعنى صلاه الفريضه». و تجوز هذه المراعاه هنا،إذ أنّ التعبير بالمحافظه هو ما يناسب الصلاه الواجبه و التى يجب المحافظه على أوقاتها المعينه،و أمّا التعبير بالمداومه فهو ما يناسب الصلاه المستحبه و ذلك بأنّ الإنسان يمكنه الإتيان بها أحيانا و تركها أحيانا أخرى.

على كل حال بعد توضيح أهميّه الصلاه و أنّها من أهم الأعمال و من أهم أوصاف المؤمنين تنتقل الآيات إلى ذكر الصفه الثّانيه فيضيف تعالى: وَ الَّذِينَ فِى أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ .

و بهذا سوف يحافظون على ارتباطهم بالخالق من جهه،و علاقتهم بخلق اللّه من جهه اخرى.

و يعتقد بعض المفسّرين أنّ المراد هنا من«حقّ المعلوم»هو الزّكاه المفروضه التى فيها المقدار المعين،و موارد صرف ذلك المقدار هو السائل و المحروم،و لكن هذه السوره مكّيه و حكم الزّكاه لم يكن قد نزل فى مكّه،و لو فرض نزوله لم يكن هناك تعيّن للمقدار،و لذا يعتقد البعض أنّ المراد من حقّ المعلوم هو شىء غير الزّكاه و الذى يجب على الإنسان منحه للمحتاجين،و الشّاهد على هذا ما

نقل عن الإمام الصّادق عليه السّلام عند ما سئل عن تفسير هذه الآيه و هل هذا شىء غير الزّكاه فقال عليه السّلام:«هو الرجل يؤتيه اللّه الثروه من المال،فيخرج منه الألف و الألفين و الثلاثه و آلاف و الأقل و الأكثر،فيصل به رحمه،و يحمل به الكلّ عن قومه» (۲) .

و الفرق بين«السائل»و«المحروم»هو أنّ السائل يفصح عن حاجته و يسأل،

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۱۵.

۲- ۲) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۱۷،حديث ۲۵-۲۷.

و المحروم هو الذى لا يسأل لتعففه و حيائه،و

جاء فى حديث عن الإمام الصّادق عليه السّلام: «المحروم من يجد المشقّه فى كسبه و عمله و هو محارف» (۱) .

هذا الحديث هو أيضا يوافق ذلك التّفسير المذكور سلفا،لأن مثل هؤلاء يكونون متعففين.

فى جاء فى تفسيرنا هذا فى ذيل الآيه(۱۹)من سوره الذرايات بحث حول الحقّ المذكور و تفسير السائل و المحروم.

على كلّ،فإنّ هذا العمل له أثره الاجتماعى فى مجاهده الفقر و الحرمان من جهه،و من جهه أخرى يترك آثارا خلقيه جيده على الذين يؤدّون ذلك العمل، و ينتزع ما فى قلوبهم و أرواحهم من أدران الحرص و البخل و حبّ الدنيا.

الآيه الأخرى أشارت الى الخصوصيه الثّالثه لهم فيضيف: وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ و الخصوصيه الرّابعه هى: وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ .

إِنَّ عَذابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ

.

إنّهم يؤمنون من جهه بيوم الدين،و مع الالتفات الى كلمه«يصدقون»و هو فعل مضارع يدل على الاستمراريه،فهذا يعنى إنّهم باستمرار يدركون أنّ فى الأمر حسابا و جزاء،بعض المفسّرين فسّر ذلك المعنى«بالتصديق العملى»أى الإتيان بالواجبات و ترك المحرمات،و لكن الآيه ظاهرها الإطلاق،أى أنّها تشمل التصديق العلمى و العملى.

و لكن من الممكن أن هناك من يؤمن بيوم الدين و يرى نفسه ممن لا يعاقب، لذا تقول: وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ يعنى أنّهم يدركون أهميه الأمر،فلا يستكثرون حسناتهم و لا يستصغرون سيئاتهم،و لهذا

ورد فى الحديث

۱- ۱) -المصدر السابق.

عن أمير المؤمنين عليه السّلام و هو ينصح ولده:«بنى خف اللّه أنّك لو أتيته بحسنات أهل الأرض لم يقبلها منك،و أرج اللّه رجاء أنّك لو أتيته بسيئات أهل الأرض غفرها لك» (۱) .

و حتى

أنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان يقول: «لن يدخل الجنّه أحدا عمله».

قالوا:و لا أنت يا رسول اللّه؟ قال:«و لا أنا،إلّا أن يتغمدنى اللّه برحمته».

۱- ۱) -جامع الأخبار ص ۱۱۳

الآیات [سوره المعارج (۷۰): الآیات ۲۹ الی ۳۵]

اشاره

وَ اَلَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حٰافِظُونَ (۲۹) إِلاّٰ عَلیٰ أَزْوٰاجِهِمْ أَوْ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ (۳۰) فَمَنِ اِبْتَغیٰ وَرٰاءَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ اَلْعٰادُونَ (۳۱) وَ اَلَّذِینَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ (۳۲) وَ اَلَّذِینَ هُمْ بِشَهٰادٰاتِهِمْ قٰائِمُونَ (۳۳) وَ اَلَّذِینَ هُمْ عَلیٰ صَلاٰتِهِمْ یُحٰافِظُونَ (۳۴) أُولٰئِکَ فِی جَنّٰاتٍ مُکْرَمُونَ (۳۵)

التّفسیر

اشاره

القسم الآخر من صفات أهل الجنّه:

فی الآیات السابقه ذکرت أربعه أوصاف من الأوصاف الخاصّه بالمؤمنین الصادقین من أهل الجنان،و فی هذه الآیات ذکر لخمسه من الأوصاف الأخری فیکون المجموع تسعه أوصاف.

فی الوصف الأوّل یقول اللّه عزّ و جلّ: وَ الَّذِینَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ (۱) حٰافِظُونَ إِلاّٰ عَلیٰ أَزْوٰاجِهِمْ أَوْ مٰا مَلَکَتْ أَیْمٰانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَیْرُ مَلُومِینَ .

۱- ۱) -«فروج»جمع«فرج»و هو کنایه عن الآله التناسلیه.

لاـ شـک فی أنّ الغریزه الجنسـیه من غرائز الإنسان الشدیـده و الطاغیه،و الکثیر من الجرائم الکبیره سـببها هی هـذه الغریزه،و لـذا کانت السیطره علی هذه الغریزه و حفظ حدودها من العلامات المهمّه للتقوی،و بهذا ذکرت أهمیه السیطره علی هذه الغریزه بعد تبیان أهمیه الصلاه و إعانه المحتاجین و الإیمان بیوم القیامه و الإشفاق من عذاب اللّه.

و قـد جاء فی الذیل الآیه اسـتثناء یدلّ علی أنّ منطق الإسـلام یرفض أن یقف الإنسان موقفا سـلبیا تماما من هذه الغریزه و یکون کالرهبـان و القسیسـین یسـیر بخلاـف قـانون الخلقه،و هـذا العمل غالبا ما یکون محالا و علی فرض إمکانه فهو أمر غیر منطقی،و لهـذا نجـد الرهبان من لم یسـتطیعوا أیضا حذف هذه الغریزه من حیاتهم،و إذا لم یکونوا قد تزوجوا بالطریقه الرسـمیه فإنّ الکثیر منهم ینصرف إلی ارتکاب الفحشاء عند الاختلاء.

الفضائح الناتجه من هذا المسلک لیست قلیله،فقد کشف المؤرخون المسیحیون مثل(ول دورانت)و غیره النقاب عن ذلک.

المراد ب-«الأزواج»الزوجات الـدائمه و المؤقته فإنّه یشـمل الإثنین،و قـد ظنّ البعض أنّ هذه الآیه تنهی عن الزواج المؤقت و للم یعلموا أنّ ذلک هو نوع من الزواج.

و فی الآیه الأخری یؤکّـد بشـکل أکثر علی نفس الموضوع فیضـیف: فَمَنِ ابْتَغیٰ وَرٰاءَ ذٰلِکَ فَأُولٰئِکَ هُمُ الْعٰادُونَ و بهـذه الطریقه فـإنّ الإسـلام یخطـط لمجتمع یحافـظ علی غرائزه الفطریه،و لاـ یؤدّی به إلی الغرق بالفحشاء و الفساد الجنسـی و المضارّ الناتجه منه،و بـالطبع أنّ للجواری فی نظر الإسـلام کثیرا من شـرائط الزوجه و الضوابط القانونیه للزوج و إن کان الموضوع منتف أساسـا فی زماننا الحاضر.

عندئذ یشیر إلی الصفات السادسه و السابعه،فیقول: وَ الَّذِینَ هُمْ لِأَمٰانٰاتِهِمْ

وَ عَهْدِهِمْ رٰاعُونَ

من الطبيعى أنّ لأمـانه معنى واسع و ليست هى الأمانـات الماديه المتنوعه للناس فحسب،بل أنّها تشـمل الأمانات الإلهيه و أمانات الأنبياء و كلّ الأئمّه المعصومين عليهم السّلام.

إنّ كـلّ نعمه من النعم الإلهيه هى من أماناته تعالى،منها المقامات الاجتماعيه و بالخصوص المسؤولون فى الـدوله فإنّها تعتبر من أهم الأمانـات،و لهـذا ورد فى الحـديث عن الإمام الباقر و الإمام الصّادق عليهما السّـلام فى تفسـير الآيه إِنَّ اللّٰهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا ،بأنّ المراد من الأمانات هنا«الولايه و الحاكميه» (۱) ،و قرأنا كـذلك فى سوره الأحزاب(۷۲)،إنّ التكليف و المسؤوليه تعنى الأمـانه الإلـهيه الكبيره. إِنّٰا عَرَضْـنَا الْأَمٰانَهَ عَلَى السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ و الأهم من ذلك كله هو الـدين و الشـريعه الإلهيه و كتاب اللّه،و هو من الأمانات الكبيره التى يجب الحفاظ عليها بالسعى.

«العهـد»:و له مفهوم واسع أيضا،يشـمل العهود الإنسانيه و كذلك العهود الإلهيه،لأنّ العهد هو كل ما التزم به الإنسان لغيره،و ممّا لا شك فيه أنّ الإيمان باللّه و برسوله يعنى الالتزام بما كلّف به.

الإسلام أعطى أهميه بالغه لحفظ الأمانات و العهود و الالتزام بها،و قد عرف ذلك بأنّه أهمّ علامات الإيمان.

و لمزيد من الاطلاع راجع تفسيرنا هذا،ذيل الآيه(۵۸)من سوره النساء.

و يضـيف فى الوصف الثامن: وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهٰادٰاتِهِمْ قٰائِمُونَ لأنّ القيام بالشهاده العادله و ترك كتمانها من أهم بنود إقامه العدل فى المجتمع البشرى.

و قد يرفض بعض الناس أداء الشهاده بحجّه إننا لماذا نشترى عداوه هذا

ص: ۲۹

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۱،ص ۳۸۰.

و ذاک،و نسبب المتاعب لأنفسنا بأداء الشهاده،هؤلاء أشخاص لا یبالون بالحقوق الإنسانیه و یفقدون الروح الاجتماعیه،و لا یؤمنون بتطبیق العداله، و لهذا نری القرآن الکریم فی کثیر من آیاته یدعو المسلمین إلی أداء الشهاده و یعدّ کتمانها ذنبا (۱) .

و فی الوصف الأخیر،و هو الوصف التاسع من هذه المجموعه،یعود مرّه أخری إلی موضوع الصلاه،کما کان البدء بالصلاه،یقول تعالی: وَ الَّذِینَ هُمْ عَلیٰ صَلاٰتِهِمْ یُحٰافِظُونَ .

و کما أشرنا سابقا أنّ الصلاه هنا بملاحظه القرائن تشیر إلی الفریضه،و فی الآیه السابقه تشیر إلی النافله.

و من الطبیعی أن الوصف الأوّل کان إشاره إلی المداومه،و لکن الخطاب هنا حول حفظ آداب و شروط الصلاه و خصائصها،و الآداب التی تکمن فی ظاهر الصلاه و التی تنهی عن الفحشاء و المنکر من جهه،و تقوی روح الصلاه بحضور القلب من جهه أخری و تمحو الأخلاق الرذیله التی تکون کحجر عثره أمام قبولها،و لهذا لا یعتبر ذکرها مرّه أخری من قبیل التکرار.

هذه البدایه و النهایه تشیر إلی أنّ الصلاه من بین الصفات الحمیده المذکوره هی الأهم،و لم لا تکون کذلک و الصلاه هی المدرسه العالیه للتربیه،و أهم وسیله لتهذیب النفوس المجتمع.

و فی النهایه تبیّن الآیه الأخیره عاقبه المتّصفین بهذه الأوصاف،کما بیّنت فی الآیات السابقه المسیر النهائی للمجرمین،فیقول تعالی هنا فی جمله مختصره و غنیه بالمعانی: أُولٰئِکَ فِی جَنّٰاتٍ مُکْرَمُونَ . (۲)

ص:۳۰

۱- ۱) -البقره،۲۸۳ و ۱۴۰،المائده،۱۰۶،الطلاق،۲.

۲- ۲) -«فی جنات»خبر ب-«أولئک»و«مکرمون»خبر ثان أو أنّه خبر و«فی جنات»متعلق به«تمعن».

لمـاذا لاـ يكونـون مكرمين؟و هم ضـيوف اللّه،و قـد وفرّ اللّه القـادر الرحمن لهم جميـع وسائـل الضـيافه،و فى الحقيقه أنّ هـذين التعبيرين«جنات»و«مكرمون» إشاره إلى النعم الماديه و المعنويه التى يغرق فيها هؤلاء المكرمين.

ص :31

الآيات [سوره المعارج (۷۰): الآيات ۳۶ الی ۴۱]

اشاره

فَمَا لِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ (۳۶) عَنِ اَلْيَمِينِ وَ عَنِ اَلشِّمَالِ عِزِينَ (۳۷) أَ يَطْمَعُ كُلُّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّهَ نَعِيمٍ (۳۸)
كَلاَّ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ (۳۹) فَلاَ أُقْسِمُ بِرَبِّ اَلْمَشَارِقِ وَ اَلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (۴۰) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ مَا نَحْنُ
بِمَسْبُوقِينَ (۴۱)

التّفسیر

اشاره

الطمع الواهی فی الجنّه:

جـاء البحث فی الآیـات السابقه من هـذه السوره حول علامات المؤمنین و الکفار، و مصـیر کلّ من المجموعتین،فی الآیات یعود لیوضح أحوال الکفار و استهزاءهم بالمقدسات.

قال البعض:إنّ هذه الآیات نزلت فی جماعه من المشـرکین فعند ما کان الرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم یتلو علی المسـلمین آیـات المعاد،کان هؤلاء الکفار یقـدمون من کلّ صوب و حـدب و یقولون:إذا کان هناک معاد فإنّ حالنا فی الآخره أحسن من حال من آمن بک،کما أنّ حالنا فی هذه الدنیا أحسن منهم.

ص :۳۲

يقول القرآن الكريم فى جوابهم: فَمٰا لِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ أى يقبلون نحوك من كل جانب مسرعين.

عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمٰالِ عِزِينَ

أى جماعات متفرقين.

أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ

بأى إيمان و بأى عمل يستحقون ذلك؟! «مهطعين»:جمع مهطع،و تعنى الذى يمدّ عنقه مقبلا على شيء بسرعه للبحث عنه،و أحيانا تأتى-فقط-بمعنى مدّ العنق لاستطلاع الأمر.

«عزين»:جمع عزه،على وزن«هبه»و تعنى جماعات فى متفرقين،و أصلها «عزو»-على وزن جذب-بمعنى النسبه،و بما أنّ كلّ جماعه يرتبط أفرادها بعضهم ببعض بنسبه معينه:أو يهدفون إلى غرض معين أطلقت كلمه«عزه»على الجماعه.

على كل حال فإنّ المشركين المتكبرين كان لهم الكثير من الادعاءات الباطله الواهيه،و كانت الرّفاهيه فى حياتهم الدنيويه و غالبا ما كان يتمّ ذلك بطريق غير مشروع كالإغاره و السلب و غير ذلك ما كان يجعلهم يظنون بأنّهم قد حصلوا على هذه المقامات العاليه و لمكانتهم عند اللّه،فكانوا ينسبون إلى أنفسهم المقامات الرفيعه فى يوم القيامه.

صحيح أنّهم لم يكونوا يعتقدون بالمعاد بتلك الصوره التى يبيّنها القرآن، و لكنّهم كانوا يحتملون وقوعه أحيانا،و يقولون:إذا وقع المعاد فإنّ حالنا فى العالم الآخر سيكون كذا كذا،و لعلهم كانوا يريدون بذلك الاستهزاء.

و هنا يجيبهم القرآن المجيد فيقول: كَلاّٰ ليس الأمر كذلك و ليس لهم حقّ الدخول إلى الجنّه إِنّٰا خَلَقْنٰاهُمْ مِمّٰا يَعْلَمُونَ .

فى الحقيقه أنّ اللّه يريد بهذه الجمله أن يحطم غرورهم،لأنّه يقول:إنّكم تعلمون جيدا مم خلقناكم؟من نطفه قذره،من ماء آسن مهين،فلما ذا كلّ هذا

الغرور؟و يجيب ثانيا على المستهزئين بالمعاد فيقول:إذا كنتم فى شك من المعاد فتمعنوا فى حال هذه النطفه،و انظروا كيف خلقنا موجودا بديعا من قطره ماء قذره يتطور فيها الجنين كلّ يوم يتّخذ شكلا جديدا،أ لم يقدر خالق الإنسان من هذه النطفه أن يعيد إليه الحياه بعد دفنه.

ثالثا:كيف يطمعون فى الجنّه و فى صحائفهم كل هذه الذنوب؟لأنّ الموجود الذى خلق من نطفه لا يمكن أن يكون له قيمه ماديه،و إذا كانت له قيمه و كرامه فإنّ ذلك لإيمانه و عمله الصالح،و أولئك قد فقدوا هذه الصفات،فكيف ينتظرون الدخول إلى الجنّه؟! (١) ثمّ يقول تعالى مؤكّدا ذلك: فَلاٰ أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشٰارِقِ وَ الْمَغٰارِبِ إِنّٰا لَقٰادِرُونَ عَلىٰ أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَ مٰا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ .

لعل هذه الجمله إشاره إلى أنّنا لسنا قادرين على أن نعيد لهم الحياه بعد الموت فحسب،بل إنّنا نستطيع أن نبدله إلى أكمل الموجودات و أفضلها،و لا يمنعنا من ذلك شيء.

و على هذا فإنّ السياق هو إدامه لبحث المعاد،أو هو إشاره إلى أنّنا نهلككم جزاء لأعمالكم و لا يمنعنا من ذلك شيء،و نستبدل بكم مؤمنين و أعين،ليكونوا أنصارا للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لا يضرّنا ذلك شيئا،و لهذا إن كنّا نلح عليكم أن تؤمنوا فليس من باب العجز و الاحتياج،بل من أجل تربيه البشريه و هدايتها.

يمكن أن يكون المراد ب- بِرَبِّ الْمَشٰارِقِ وَ الْمَغٰارِبِ بأن اللّه الذى يقدر على أن يجعل للشمس العظيمه مشرقا و مغربا جديدين فى كل يوم،و يكون بنظام دقيق من دون أيه زياده و نقصان مدى ملايين السنين قادر على أن يعيد الإنسان

١- ١) -هناك احتمالات أخرى فى تفسير هذه الآيه:أنّ المراد من جمله«ممّا يعلمون»هو أنّنا خلقناهم و وهبنا لهم العقل و الشعور لا ـ كالحيوانات و البهائم،و لهذا فإنّهم مسئولون عن أعمالهم،و هناك مراد آخر و هو أنّنا خلقناهم لأهداف هم يعلمونها و هى التكليف و الطاعه،و لكن هذه الاحتمالات بعيده،و لذا فإنّ أكثر المفسّرين ذهبوا إلى المعنى المذكور سابقا.

مرّه أخرى إلى الحياه الجديده و يستبدلهم بقوم أفضل منهم.

ملاحظه

اشاره

ربّ المشارق و المغارب:

قد يأتى تعبير المشرق و المغرب فى أحيانا بصيغه المفرد كالآيه(۱۱۵)من سوره البقره: وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ و أحيانا بصيغه المثنى كما فى الآيه(۱۷) من سوره الرحمن: رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ و أحيانا أخرى بصيغه الجمع اَلْمَشارِقِ وَ الْمَغارِبِ كالآيه التى هو مورد بحثنا.

البعض من ذوى النظرات الضيقه يظنون تضاد هذه التعابير،فى حين أنّها مترابطه،و كل منها يشير إلى بيان خاص،فالشمس فى كلّ يوم تطلع من نقطه جديده،و تغرب من نقطه جديده أخرى،و على هذا الأساس لدينا بعدد أيّام السنه مشارق و مغارب،و من جهه أخرى فإنّ من بين كل هذه المشارق و المغارب هناك مشرقان و مغربان ممتازان،إذ أن أحدهما يظهر فى بدء الصيف أى الحد الأعلى لبلوغ ذروه ارتفاع الشمس فى المدار الشمالى،و الآخر فى بدء الشتاء أى الحد الأدنى لنزول الشمس فى المدار الجنوبى،(و يعبرون عن أحدهما بمدار «رأس السرطان»،و عن الآخر بمدار«رأس الجدى»،)و قد اعتمد على ذلك لأنّهما واضحان تماما،بالإضافه إلى هذين المشرقين و المغربين الآخرين الّذين سمّيا بالمشرق و المغرب و الاعتداليان(و هو أوّل الربيع و أوّل الخريف،عند تساوى ساعات الليل و النهار فى جميع الدنيا)و لذا ذهب البعض إلى هذا المعنى فى تفسير الآيه:«ربّ المشرقين و المغربين»و هو معنى مقبول أيضا.

و أمّا ما جاء بصيغه المفرد فإنّ المراد به ماهيته،لأنّ الملاحظ فيه أصل

ص: ۳۵

المشـرق و المغرب بـدون الالتفات إلى الأفراد،و بهذا الترتيب فإنّ لكلّ من العبارات المختلفه أعلاه مسأله تلفت نظر الإنسان إلى التغييرات المختلفه لطلوع و غروب الشمس،و التغيير المنتظم لمدارات الشمس.

***

ص :٣۶

الآيات [سوره المعارج (٧٠)]: الآيات ۴۲ الى ۴۴]

اشاره

فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتّٰى يُلاٰقُوا يَوْمَهُمُ اَلَّذِي يُوعَدُونَ (۴۲) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ اَلْأَجْدٰاثِ سِرٰاعاً كَأَنَّهُمْ إِلىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (۴۳) خٰاشِعَةً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذٰلِكَ اَلْيَوْمُ اَلَّذِي كٰانُوا يُوعَدُونَ (۴۴)

التّفسير

اشاره

كأنّهم يهرعون إلى الأصنام!!

هذه الآيات و هي آخر آيات سوره المعارج جاءت لتنذر و تهدد الكفار المعاندين و المستهزئين،يقول سبحانه: فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَ يَلْعَبُوا حَتّٰى يُلاٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (۱) .

لا يلزم الاستدلال و الموعظه أكثر من هذا،فإنّهم لا يتعضون و ليس لهم الاستعداد للاستيقاظ،دعهم يخوضون في أباطيلهم و أراجيفهم كما يلعب الأطفال حتى يحين يومهم الموعود،يوم البعث و يرون كل شيء بأعينهم!

۱- ۱) -«يخوضوا»من أصل خوض-على وزن حوض-و تعنى في الأصل الحركه في الماء،ثمّ جاءت بصيغه الكنايه في موارد يغطس فيه الإنسان في الباطل.

هذه الآیه و بهذا التعبیر وردت فی سوره الزخرف(۸۳).

ثمّ تبیّن الآیه التالیه الیوم الموعود،و تذکر بعض علامات ذلک الیوم المرعب فیقول تعالی: یَوْمَ یَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدٰاثِ سِرٰاعاً کَأَنَّهُمْ إِلیٰ نُصُبٍ یُوفِضُونَ .

یا له من تعبیر عجیب،إنّه وصف یوم القیامه فی وقت یتجهون فیه سراعا إلی محکمه العدل الإلهی اتجاها یشبه إسراعهم فی یوم احتفال أو عزاء باتجاه أصنام، و لکن أین ذلک من هذا؟إنّه فی الحقیقه استهزاء بعقائدهم المجونه التی کانوا یعتقدون بها فی الدنیا.

«الأجداث»:جمع جدث-علی وزن(عبث)-و تعنی القبر.

«سراع»:جمع سریع،مثل(ظراف و ظریف)و تعنی الحرکه السریعه للشیء أو الإنسان.

«نصب»:جمع نصیب،و یقول البعض:إنّه جمع نصب-علی وزن(سقف)- المراد منه هو ما ینصب کعلامه،و تطلق علی الأصنام الحجریه إذ کانوا ینصبونها فی مکان ما لیعبدوها و یقدّم لها القرابین ثمّ یلطخون دماءها علیها،و اختلافه مع الصنم هو أنّ الصنم کان علی هیئه صوره و شکل خاص،و أمّا النصب فهو قطعه من الحجر لا شکل له،و کانوا یعبدونه لسبب ما،و نقرأ فی الآیه(۳)من سوره المائده: وَ مٰا ذُبِحَ عَلَی النُّصُبِ أی أنّ من جمله اللحوم المحرّمه هی ما یذبحون من الحیوانات علی النصب.

«یوفضون»:من(إفاضه)و تعنی الحرکه السریعه المشابهه لحرکه الماء المنحدر من العین،و قال البعض:إنّ المراد من النصب فی الآیه التی نحن بصددها هو الأعلام التی ینصبونها فی وسط الجیش أو القوافل،و علی کل منهم أن یوصل نفسه بسرعه إلیها،و لکن التّفسیر الأوّل هو الأنسب.

ثمّ تذکر الآیات حالات أخری لهؤلاء فتضیف: خٰاشِعَةً أَبْصٰارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ

ذِلَّهٌ

(۱)

من شدّه الهول و الوحشه و قد غرقوا فی ذلّه مهینه و فی آخر الآیه یتابع قوله: ذٰلِکَ الْیَوْمُ الَّذِی کٰانُوا یُوعَدُونَ .

نعم هـذا هو الیوم الموعود الـذی کـان یسـخرون منه و یقولون أحیانا:لنفترض أنّ هناک یوما کهـذا،فإنّ حالنا فی ذلک الیوم هو أفضل من حال المؤمنین،و لکنّهم لا یجرؤون أن یرفعوا رؤوسـهم فی ذلک الیوم لشـدّه الخوف و الوحشه،و قد تعفرت وجوههم و رؤوسـهم بغبار الـذلّه،و غرقوا فی کل الهموم الهائله،و من المؤکّد أنّهم یندمون فی ذلک الیوم،و لکن ما الفائده؟ اللّهم:ألبسـنا ثوب رحمتک فی ذلک الیوم المهول.

ربّنـا:إنّ مصائـد الشـیطان و حبـائله قـویه،و هـوی النفس غـالب،و الآمـال الطویله و البعیـده خـداعه،فـترحم علینـا بـالیقظه و عـدم الانحراف عن المسار الصحیح.

اللّهم:اجعلنا ممن آمن و وفی بعهده و بذل عمره فی طاعتک.

آمین ربّ العالمین نهایه سوره المعارج ***

۱- ۱) -«ترهقهم»من أصل(رهق)علی وزن(سقف)و یراد به غشیان الشیء بقهر.

سوره نوح

اشاره

مكيّه و عدد آياتها ثمان و عشرون آيه

ص :۴۱

محتوی سوره:

هـذه السوره،كمـا هو واضـح من اسـمها،تشـير إلى قصّه نوح عليه السّلام،و أشـير إلى قصّه هـذا النّبى العظيم كـذلك فى سوره متعدده فى القرآن المجيد،منها:سوره الشـعراء،و المؤمنون،و الأعراف،و الأنبياء،و بشكل أوسع فى سوره هود، و تحدثت(۲۵)آيه حول هذا النّبى العظيم الذى يعتبر من اولى العزم(من الآيه ۲۵ إلى ۴۹).

و مـا جـاء فى سوره نوح عن قصّـته عليه السّلام هو مقطع خاص من حياته،و هو أقل ممّا ذكر فى بقيه السور،و هـذا القسم يرتبط بدعوته المستمره و المتتابعه إلى التوحيد،و ترتبط بكيفيتها و عناصرها،و التخطيط الدقيق الماهر فى هذا الأمر الهام،و ذلك مقابل قوم معاندين و متكبرين يأنفون من الانقياد إلى الحقّ.

بلحاظ أنّ هذه السوره نزلت فى مكه،و أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المسـلمين القلائل فى ذلك الزمان كانوا يعيشون ظروفـا مشـابهه لظروف عصـر نوح عليه السّلام و أعوانه،فإنّهـا تعلمهم أمور كثيره،و كـانت هـذه واحـده من أهـداف إيراد هـذه القصّه،و منها:

۱-أنّها تذكرهم كيف يبلغون الرساله للمشـركين عن طريق الاسـتدلال المنطقى المقترن بالمحبّه و المودّه،و اسـتخدام كلّ طريقه تكون مفيده و مؤثره فى الدعوه.

۲-أنّها تعلّمهم الثبات و النشاط فى طريق الدعوه إلى اللّه و عدم التكاسل مهما طالت الأعوام،و مهما وضع الأعداء العوائق.

۳-أنّها تعلّمهم كيف يرغبونهم و يشجعونهم تاره،و تكون لديهم عوامل

الإنذار و الرّهبه تاره أخرى و الاستفاده من كلا الطريقين فى الدعوه إلى اللّه جلّ و علا.

۴-الآيات الأخيره من هـذه السوره هى تحذير للمشـركين المعاندين،بأن عاقبتهم وخيمه إذا لم يستسـلموا للحق،و تخلّفوا عن أمر اللّه.

۵-بالاضـافه إلى ذلـك،فـإنّ هـذا السوره جـاءت لتهـدئه مشـاعر النّبى و المؤمنين الأوائل و من يعيش مثل ظروفهم،ليصبروا على الصعوبات،و يطمئنوا فى مسيرهم بلطف من اللّه.

و بعباره أخرى فإنّ هذه السوره ترسم أبعاد الكفاح الدائم بين أصـحاب الحق و أصحاب الباطل،ترسم منهج أصحاب الحق الذى يجب عليهم إتّباعه.

فضيله هذه السوره:

ورد فى حـديث عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم أنّه قال: «من قرأ سوره نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوه نوح». (۱)

و

فى حـديث آخر عن الإمـام الصّـادق عليه السّـلام قال: «من كان يؤمن باللّه و اليوم الآخر و يقرأ كتابه فلا يـدع أن يقرأ سوره: إِنّا أَرْسَـلْنا نُوحاً فأى عبـد قرأها محتسـبا صابر فى فريضه أو نافله،أسـكنه اللّه مساكن الأبرار و أعطاه ثلاث جنان من جنّته كرامه من اللّه». (۲)

و لا يخفى أنّ الهـدف من قراءه السوره هو الاقتباس من منهج و سـلوك هذا النّبى العظيم من صبره و اسـتقامته فى طريق الدعوه إلى اللّه تعالى ليدركوا دعوه النّبى،و ليس المراد القراءه الخاليه من التفكير،و لا التفكر الخالى من العمل.

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۵۹.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره نوح (٧١): الآيات ١ الى ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِنّٰا أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ (١) قٰالَ يٰا قَوْمِ إِنِّی لَکُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اُعْبُدُوا اَللّٰهَ وَ اِتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَکُمْ مِنْ ذُنُوبِکُمْ وَ يُؤَخِّرْکُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اَللّٰهِ إِذٰا جٰاءَ لاٰ يُؤَخَّرُ لَوْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (۴)

التّفسير

اشاره

رساله نوح الأولى:

قلنا:إنّ هذه السوره تبيّن من أحوال نوح عليه السّلام و ما يرتبط بأمر دعوته،و تعلم السائرين فی طريق اللّه تعالى أمورا مهمّه فی إطار الدعوه إلى الحق و بالخصوص فی قابل الأمم المعانده،و تبدأ أوّلا بذكر فی بعثته عليه السّلام فيقول تعالى:

إِنّٰا أَرْسَلْنٰا نُوحاً إِلىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَکَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذٰابٌ أَلِيمٌ

.

من الممكن أن يكون هذا العذاب الأليم هو عذاب الدنيا أو عذاب الآخره، و الأنسب أن يكون الاثنان معا،و إن كانت القرائن فی آخر آيات هذه السوره تشير إلى أن هذا العذاب هو عذاب الدنيا.

التأكيد على الإنذار و الترهيب غالبا ما يؤثر تأثيرا بالغا،مع أنّ الأنبياء كانوا

منذرين تاره و مبشرين تاره أخرى،كما يتمّ الاعتماد فى سائر الدينا على التحذيرات و العقوبات لضمان تطبيق القوانين.

نوح عليه السّلام الذى كان هو من أولى العزم،و صاحب أوّل شريعه إلهيه، و له دعوه عالميه،جاء إلى قومه بعد صدور هذا الأمر إليه قال: قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ .

الهدف هو أن تعبدوا اللّه الذى لا إله إلاّ هو،و تتركوا من دونه،و تتقوا و تطيعوا أمرى الذى هو أمر اللّه: أَنِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ وَ أَطِيعُونِ .

فى الحقيقه أنّ نوحا عليه السّلام قد لخّص مضمون دعوته فى ثلاث جمل:عباده اللّه الواحد،و الحفاظ على التقوى،و طاعه القوانين و الأوامر التى جاء بها من عند اللّه و التى تمثل مجموعه من العقائد و الأخلاق و الأحكام.

ثمّ ذكر النتائج المهمّه المترتبه على استجابتهم الدعوه فى جملتين لترغيبهم فقال: يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ . (١)

فى الحقيقه أنّ القاعده المعروفه«الإسلام يجب ما قبله»هى قانون موجود فى كل الأديان الإلهيه و التوحيديه و ليست منحصره بالإسلام.

ثمّ يضيف: وَ يُؤَخِّرْكُمْ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللّهِ إِذٰا جٰاءَ لاٰ يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ،يستفاد جيدا من هذا الآيه أنّ«الأجل»و موعد عمر الإنسان قسمان،هما:الأجل المسمّى،و الأجل النهائى،أو بعباره أخرى الأجل الأدنى، و الأجل الأقصى أو الأجل المعلق،و الأجل الحتمى،القسم الأوّل للأجل قابل للتغير و التبديل،فقد يتدنى و يقل عمر الفرد كثيرا بسبب الذنوب و الأعمال السيئه

---

١ – ١) –«من»فى هذه الجمله زائده و للتأكيد،لأنّ الإيمان باللّه يبعث على غفران جميع الذنوب السابقه،هذا ما يرتبط بحق الناس،و أمّا من باب الذنوب و حكم الحرمه أيضا يكون مشمولا بالمغفره،و ما احتمل بعض المفسّرين(كالفخر الرازى فى التّفسير الكبير و العلاّمه الطباطبائى قدس سرّه فى الميزان)من أنّ(من)هنا تبعيضيه و هى تخص الذنوب السابقه لا الآتيه يبدو بعيدا، لأنّ الذنوب الآتيه غير مذكوره فى سياق الآيه.

و هـذا نوع من أنواع العـذاب الإلـهي،و بالعكس فإنّ التقوى و حسن العمل و التـدبير يمكن أن تكون سـببا لتأخير الأجل،و لكن الأجل النهائی لا يتغير بأی حال من الأحوال،و يمكن توضيح هذا الموضوع بمثال واحد،و هو أنّه ليس باستطاعه الإنسان أن يبقى خالـدا،و إذا كانت جميع الأجهزه البـدنيه تعمل جيدا ففی النهايه سوف يصل شـيئا فشـيئا إلى زمن ينتهی عمره بعجز فی القلب،و لكن تطبيق الأـوامر الصـحيه و مجـابهه الأـمراض يمكن أن يطيـل فی عمر الإنسـان،و فی حـاله عـدم مراعـاه هـذه الأمور فإنّ من المحتمل أن يقلل ذلک من عمر و ينهی عمره بسرعه. (۱)

***

ملاحظه

اشاره

العوامل المعنويه لزياده و نقصان العمر:

النقطه الأـخرى التی يمكن اسـتفادتها من هـذه الآـيه هو تأثير الـذنوب فی تقصـير العمر،لأنّه يقول:«إنّ كنتم تؤمنون باللّه و تتقوه يهب لكم عمرا طويلا و يؤخر موتكم»و هذا يعنی أنّ الذنوب توجّه ضربات مهوله للجسم و الروح بحيث تساعد فی القضاء عليه.

و فی الرّوايات الإسلاميه أيضا تأكيد كبير على هذا المعنى،منها ما

ورد فی حـديث غنی المحتوى عن الامـام الصادق عليه السّـلام قال: «من يموت بالـذنوب أكثر ممن يموت بالآجال،و من يعيش بالإحسان أكثر ممن يعيش بالأعمار». (۲)

***

ص: ۴۷

۱- ۱) -كان لنا بحث آخر حول الأجل النهائی و الأجل المعلق و ذلک فی ذيل الآيه(۲)من سوره الأنعام.

۲- ۲) -سفينه البحار،ج ۱،ص ۴۸۸،ماده(ذنب).

الآيات [سوره نوح (٧١): الآيات ۵ الی ۹]

اشاره

قَالَ رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلاً وَ نَهاراً (۵) فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلاّ فِراراً (۶) وَ إِنِّی کُلَّما دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصابِعَهُمْ فِی آذانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِیابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَکْبَرُوا اسْتِکْباراً (۷) ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهاراً (۸) ثُمَّ إِنِّی أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْراراً (۹)

التّفسیر

اشاره

استخدام مختلف الوسائل لهدایتهم،و لکن!!!

تتحدث هذا الآیات عن استمرار مهمّه نوح فی دعوته قومه و لکن هذه المرّه جاء الحدیث علی لسانه مخاطبا ربّه و شاکیا إلیه أمره معهم بعباره مأثره بلیغه.

خطاب نوح علیه السّلام فی هذا الإطار یمکن أن یعبّد الطریق لکلّ المبلغین الرسالیین،فیقول: رَبِّ إِنِّی دَعَوْتُ قَوْمِی لَیْلًا وَ نَهاراً .

و إنّنی لم أتوانی لحظه واحده فی إرشادهم و إبلاغ الرساله لهم، ثمّ یقول:

فَلَمْ یَزِدْهُمْ دُعائِی إِلاّ فِراراً

.

و من العجیب أن تکون الدعوه سببا لفرارهم،و لکن بما أنّ کلّ دعوه تحتاج

إلى نوع من الاستعداد و صفاء القلب و التجاذب المتبادل فليس عجيبا أن يكون هنا أثر معاكس فى القلوب الخامله،و بمعنى آخر أنّ أعداء الحق المعاندين عند ما يستمعون لدعوه المؤمنين الرساليين يظهرون لهم المقاومه و الإصرار على العناد،و هذا ما يبعدهم عن اللّه بصوره أكثر،و يقوى عندهم روح الكفر و النفاق.

و هذا ما أشير إليه فى سوره الإسراء(٨٢): وَ نُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لاٰ يَزِيدُ الظّٰالِمِينَ إِلاّٰ خَسٰاراً .

و ما نقرأ كذلك فى آيات هذا الكتاب السماوى أنّه سبب لهدايه المتقين:

...هُدىً لِلْمُتَّقِينَ . (١) و لهذا لا بدّ أن يكون هناك مرحله من التقوى فى وجود الإنسان و إن كانت ضعيفه،حتى يتهيأ لقبول الحقّ،هذه المرحله هى مرحله (الروح الباحثه عن الحقيقه)و الاستعداد لتقبل كلمات الحق.

ثمّ إنّ نوحا عليه السّلام يضيف: وَ إِنِّي كُلَّمٰا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصٰابِعَهُمْ فِي آذٰانِهِمْ وَ اسْتَغْشَوْا ثِيٰابَهُمْ وَ أَصَرُّوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبٰاراً .

و لكى لا يسمعوا صوت الحق كانوا يضعون أصابعهم فى آذانهم،و يلفون ثيابهم حول أنفسهم أو يضعونها على رؤوسهم لئلا تصل أمواج الصوت إلى أدمغتهم!و ربّما كانوا يتقنعون لئلا تقع أعينهم على الهيئه الملكوتيه لهذا النّبى العظيم،و فى الحقيقه كانوا يصرون على أن تتوقف الآذان عن السماع و العيون عن النظر! و هذا فى الواقع أمر مدهش أن يصل الإنسان إلى هذه المرحله من العداوه للحق إلى حدّ لا يعطى لنفسه فرصه النظر و السماع و التفكر.

و قد ورد فى بعض التفاسير أنّ بعض أولئك المعاندين كان يذهب بابنه إلى نوح عليه السّلام فيقول له: إحذر هذا لا يغوينك،فإنّ أبى قد جاء بى إليه و أنا صغير مثلك

ص :۴۹

١- ١) -البقره،٣.

فحذّرنی مثل ما حذّرتک (۱) ،(حتی أکون ممّا وفی بحق الوصیه و حبّ الخیر).

هذا یدل علی أنّ نوحا علیه السّلام کان مستمرا فی دعوته الإلهیه طوال عمره الشریف و لعدّه أجیال و کان لا یعرف التعب أبدا.

و کذلک تتضمّن الآیه الإشاره إلی أحد الأسباب المهمّه لتعاستهم و هو الغرور و التکبر،لأنّهم کانوا یرون أنفسهم أکبر من أن یتنازلوا لإنسان مثلهم،و إن کان ممثلا عن اللّه و تقیّا،و مهما کان قلبه عامرا بالعلم،فکان هذا الغرور و الکبر أحد الموانع المهمّه و الدائمه فی طریق الحق،و نحن نشاهد النتائج المشؤومه لذلک علی طول التاریخ فی حیاه أناس لا إیمان لهم.

و استمر نوح علیه السّلام فی حدیثه عند المقام الإلهی،فیقول: ثُمَّ إِنِّی دَعَوْتُهُمْ جِهٰاراً .

دعوتهم إلی الإیمان فی حلقات عامّه و بصوت جهور،ثمّ لم اکتفی بهذا: ثُمَّ إِنِّی أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرٰاراً قال بعض المفسّرین:إنّ نوحا علیه السّلام اتّبع فی دعوته ثلاثه أسالیب مختلفه حتی یستطیع من النفوذ فی هذا الجمع المعاند و المتکبر:کان یدعو أحیانا فی الخفاء فواجه أربعه أنواع من الرفض(وضع الأصابع فی الآذان،تغطیه الوجوه بالملابس،الإصرار علی الکفر،و الاستکبار).

و کان یدعو أحیانا بالإعلان،و أحیانا أخری یستفید من طریق التعلیم العلنی و السری و لکن أیّا من هذه الأمور لم یکن مؤثرا (۲) .

من المعلوم أنّ الإنسان إذا ما نهج طریق الباطل إلی حدّ تتعمق فی وجوده جذور الفساد و تنفذ فی أعماق وجوده حتی تتحول إلی طبیعه ثانیه فیه،فإنّه سوف لا تؤثر فیه دعوه الصالحین و لا ینفع معه خطابات رسل اللّه.

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۶۱

۲- ۲) -تفسیر الفخر الرازی،ج ۳۰،ص ۱۳۶.

ملاحظتان

اشاره

۱–أسلوب الإبلاغ و منهجه

ما جاء فی هذا الآیات حول دعوه نوح یمثل برنامج عام لجمیع المبلغین فی طریق اللّه،و فی نفس الوقت تسلیه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و أصحابه المؤمنین القلائل الذین کانوا قد التفوا حوله فی مکّه.

إنّه علیه السّلام لم یکن یتوقع أن یستجیب الناس لدعوته،و لم یکونوا یجتمعون فی وسط المدینه لیلقی فیهم خطابه الإلهی بهدوء و اطمئنان،و الناس یصغون إلیه، و یشخصون إلیه أعینهم،بل یستفاد من سیاق الآیات(کما جاء أیضا فی بعض الرّوایات)أنّه کان أحیانا یذهب إلی بیوتهم،أو أنّه یدعوهم فی الأزقه و الأسواق علی انفراد،و یبلغهم المفاهیم و یتحدّث إلیهم بتودد و تحبب و تصبر،و أحیانا کان یخاطبهم بأوامر اللّه تعالی علنا و بصوت عال،و ذلک باغتنامه فرص انعقاد المحافل أو مجالس العزاء، فکان یقابل بالإهانه و الاستهزاء و أحیانا بالضرب المبرح،و لکنّه مع ذلک کان لا ینتهی عن ذلک و یواصل مسیره.

کان صبره عجیبا،و الأعجب ما فیه رأفته،و کانت همته و استقامته الفریده رأس ماله فی السیر فی طریق الدعوه إلی دین الحق.

و الأعجب من ذلک هو أنّ طیله دعوته التی دامت(۹۵۰)عاما لم یؤمن به إلاّ ثمانون شخصا،و لو قسمنا هذه المدّه علی عدد الأنفار یتّضح لنا أنّ مدّه هدایته لکل فرد دامت اثنتی عشره سنه تقریبا!! لو کان المبلّغون یتعاملون بمثل هذه الاستقامه و الهمه لأصبح الإسلام عالمیا غنی المحتوی.

۲–لماذا الفرا من الحقیقه؟

یتعجب الإنسان أحیانا و یتساءل هل یمکن أن یکون هناک أناس یعیشون

تحت هذه السماء ليس لديهم الاستعداد لسماع كلمه الحق بل يفرون منه؟ و السؤال عن السماع فقط و ليس عن قبول الكلمه.

و لكن التاريخ يتحدّث عن كثره أمثال هؤلاء،ليس فقط قوم نوح هم الذين وضعوا أصابعهم فى آذانهم و غشوا رؤوسهم و وجوههم بثيابهم عند دعوته لهم،بل هناك فئه فى عصر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلم و بصريح القرآن كانوا يستعينون بالصفير و التهريج و الصراخ العالى ليحولوا بين صوت النّبى و هو يتلو آيات اللّه و بين الناس: وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاٰ تَسْمَعُوا لِهٰذَا الْقُرْآنِ وَ الْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ (١) .

و جاء فى تاريخ كربلاء الداميه كذلك أنّه عند ما كان سيّد الشّهداء الإمام الحسين عليه السّلام يدعو الأعداء المنحرفين إلى الرشاد و يوقظهم كانوا يستخدمون هذا الأسلوب من الصراخ و التهريج حتى لا يسمع الناس تصوته (٢) ،و هذه الخطه مستمره إلى يومنا هذا،و لكن بأشكال و صور أخرى،فلقد وفّر أصحاب الباطل جوا من المسليات المفسده كالموسيقى الراقصه و المواد المخدره و غير ذلك يبغون بذلك الفصل بين الناس-بالخصوص الشباب-و بين سماع أصوات أهل اللّه تعليماتهم.

***

۱- ۱) -فصلت،۲۶

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج،۴۵،ص ۸.

الآيات [سوره نوح (٧١): الآیات ١٠ الی ١۴]

اشاره

فَقُلْتُ اِسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ إِنَّهُ کٰانَ غَفّاراً (١٠) یُرْسِلِ اَلسَّمٰاءَ عَلَیْکُمْ مِدْرٰاراً (١١) وَ یُمْدِدْکُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِینَ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ جَنّٰاتٍ وَ یَجْعَلْ لَکُمْ أَنْهٰاراً (١٢) مٰا لَکُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰاراً (١٣) وَ قَدْ خَلَقَکُمْ أَطْوٰاراً (١۴)

التّفسیر

اشاره

ثمره الإیمان فی الدنیا:

یستمر نوح علیه السّلام فی تبلیغه المؤثر لقومه المعاندین العصاه،و یعتمد هذه المرّه علی عامل الترغیب و التشجیع،و یوعدهم بانفتاح أبواب الرحمه الإلهیه من کل جهه إذا ما تابوا من الشرک و الخطایا،فیقول: فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّکُمْ إِنَّهُ کٰانَ غَفّاراً .

و لا یطهرکم من الذنوب فحسب بل: یُرْسِلِ السَّمٰاءَ عَلَیْکُمْ مِدْرٰاراً (١) .

و الخلاصه:إنّ اللّه تعالی یفیض علیکم بأمطار الرحمه المعنویه،و کذلک

١- ١) -«مدرارا»:من أصل(درّ)علی وزن(جرّ)و تعنی فی الأصل انسکاب الحلیب من ثدیی الام و یعطی معنی هطول الأمطار، و مدرارا صیغه للمبالغه.

بالامطار الماديه المباركه.

و من الملاحظ فی سیاق هذه الآیه أنّه یقول«یرسل السماء»فالسماء تكاد أن یهبط من شدّه هطول الأمطار!و بما أنّها أمطار رحمه و لیست نقمه،فلذا لا تسبب خرابا و أضرارا،بل تبعث علی الإعمار و البركه و الحیاه.

ثمّ یضیف: وَ یُمْدِدْكُمْ بِأَمْوٰالٍ وَ بَنِینَ وَ یَجْعَلْ لَكُمْ جَنّٰاتٍ وَ یَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهٰاراً و بهذا فإنّه وعدهم بنعمه معنویه كبیره،و بخمس نعم أخری مادیه كبیره،و النعمه المعنویه الكبیره هی غفران الذنوب و التطهیر من درن الكفر و العصیان،و أمّا النعم المادیه فهی هطول الأمطار المفیده و المباركه فی حینها،كثره الأموال،كثره الأولاد(الثروات الإنسانیه)،الحدائق المباركه و الأنهار الجاریه.

نعم،إنّ الإیمان و التقوی یبعثان علی عمران الدنیا و الآخره بشهاده القرآن المجید،و ورد فی بعض الرّوایات انّ قوم نوح المعاندین لما امتنعوا من قبول دعوته حلّ علیهم القحط و هلك كثیر من أولادهم،و تلفت أموالهم،و أصاب نساءهم العقم،و قلّ عندهنّ الإنجاب،فقال لهم:نوح علیه السّلام:إن تؤمنوا فسیدفع عنكم كل هذه البلایا و المصائب،و لكنّهم ما اتعظوا بذلك و استمروا فی غیّهم و طغیانهم حتی حلّ العذاب النهائی.

و یعود نوح علیه السّلام مرّه أخری لینذرهم،فیقول: مٰا لَكُمْ لاٰ تَرْجُونَ لِلّٰهِ وَقٰاراً (۱) ،و لا تخافون عقابه و قد خلقكم فی مراحل مختلفه:و یقول أیضا: وَ قَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوٰاراً .

كنتم فی البدایه نطفه لا قیمه لها،ثمّ صوركم علقه ثمّ مضغه،ثمّ وهبكم الشكل الإنسانی، ثمّ ألبسكم لباس الحیاه،فوهب لكم الروح و الحواس و الحركه،و هكذا طویتم المراحل الحنینیه المختلفه الواحده بعد أخری،حتی

۱- ۱) -«الوقار»:الثقل و العظمه،و«ترجون»من أصل رجاء بمعنی الأمل و هو ملازم للخوف،و معنی الآیه لماذا لا تخضعون لعظمه اللّه تعالی.

ولدتكم أمهاتكم بهيئه الإنسان الكامل،و هكذا تستمر المراحل الأخرى و المختلفه للمعيشه فى الحياه،و أنتم خاضعون دائما لربوبيته تعالى،و تتجددون دائما،و تخلقون خلقا جديدا،فكيف لا تطأطئوا رؤوسكم أمام خالقكم؟ و لستم تتخذون أشكالا مختلفه من جهه الجسم،بل أنّ الروح هى أيضا فى تغيّر مستمر،و لكلّ منكم استعداده الخاص،ففى كل رأس ذوق خاصّ،و فى كل قلب جحّ خاصّ،و كلكم تتغيرون باستمرار،فتنتقل مشاعر و أحاسيس الطفوله إلى أحاسيس الشبيبه،و هذه بدورها إلى الكهوله و الشيخوخه،و على هذا فإنّه معكم فى كلّ مكان هو يهديكم فى كل خطوه و يشملكم بلطفه و عنايته،فلم كل هذا الكفران و الاستهانه؟! ***

ملاحظه

اشاره

الرّابطه بين التقوى و العمران:

نستفيد من الآيات المختلفه فى القرآن،و منها الآيات التى هى محل بحثنا، أنّ الإيمان و العداله سبب لعمران المجتمعات،و الكفر و الظلم و الخطايا سبب للدمار،نقرأ فى الآيه(٩۶)من سوره الأعراف: وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنٰا عَلَيْهِمْ بَرَكٰاتٍ مِنَ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ . و فى الآيه(۴١)من سوره الروم نقرأ:

ظَهَرَ الْفَسٰادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِي النّٰاسِ و فى الآيه(٣٠)من سوره الشورى: وَ مٰا أَصٰابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ و فى الآيه(۶۶)من سوره المائده: وَ لَوْ أَنَّهُمْ أَقٰامُوا التَّوْرٰاةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ .

و آيات أخرى من هذا القبيل.

هذه الرابطه ليست رابطه معنويه،بل هناك رابطه ماديه واضحه فى هذا

المجال أيضا.

الكفر و عدم الإيمان هو عين الإحساس بالمسؤوليه،و هو الخروج عن القانون،و تجاهل القيم الأخلاقيه،و هذه الأمور هى التى تسبب فقدان وحده المجتمعات،و تزلزل أعمده الاعتماد و الطمأنينه،و هدر الطاقات البشريه و الاقتصاديه،و اضطراب العداله الاجتماعيه.

و من البديهى أنّ المجتمع الذى تسيطر عليه هذه الأمور سوف يتراجع بسرعه،و يتخذ طريقه إلى السقوط و الفناء.

و إذا كنّا نرى أنّ هناك مجتمعات تحظى بتقدم نسبى فى الأمور الماديه مع كفرهم و انعدام التّقوى فيهم،فإنّ علينا أن نعرف أيضا أنّه لا بدّ أن يكون ذلك مرهونا بالمحافظه النسبيه لبعض الأصول الأخلاقيه،و هذا هو حصيله ميراث الأنبياء و السابقين،و نتيجه أتعاب القاده الإلهيين و العلماء على طول القرون، و بالإضافه إلى الآيات السالفه هناك روايات كثيره أيضا اعتمدت هذا المعنى، و هو أنّ الاستغفار و ترك المعاصى يبعث على إصلاح المعيشه و ازدياد الرّزق.

ففى حديث ورد عن الإمام على عليه السّلام: «أكثر الاستغفار تجلب الرّزق» (۱) .

و نقل

فى حديث آخر عن الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من أنعم اللّه عليه نعمه فليحمد اللّه تعالى و من استبطأ الرّزق فليستغفر اللّه،و من حزنه أمر فيقل:لا حول و لا قوّه إلاّ باللّه» (۲) .

و نقرأ

فى نهج البلاغه أيضا (۳) : «و قد جعل اللّه سبحانه الاستغفار سببا على الرّزق و رحمه الخلق،فقال سبحانه: اِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كٰانَ غَفّٰاراً يُرْسِلِ السَّمٰاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرٰاراً .

ص :۵۶

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۲۴.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۴۳.

و الحقیقه أنّ الحرمان فی هـذا العالم سـببه العقوبات علی الـذنوب،و فی الوقت الـذی یتوب فیه الإنسان و یتخـذ طریق الطهاره و التقوی یصرف اللّه تعالی عنه هذه العقوبات (۱) .

***

۱- ۱) -لنا شـرح آخر فی هذا الباب تحت عنوان«الذنوب و هدم المجتمعات»فی تفسـیرنا هذا،ذیل الآیه(۵۲)من سوره هود علیه السّلام.

الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۱۵ الی ۲۰]

اشاره

أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اَللّٰهُ سَبْعَ سَمٰاوٰاتٍ طِبٰاقاً (۱۵) وَ جَعَلَ اَلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ اَلشَّمْسَ سِرٰاجاً (۱۶) وَ اَللّٰهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ اَلْأَرْضِ نَبٰاتاً (۱۷) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهٰا وَ يُخْرِجُكُمْ إِخْرٰاجاً (۱۸) وَ اَللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ اَلْأَرْضَ بِسٰاطاً (۱۹) لِتَسْلُكُوا مِنْهٰا سُبُلاً فِجٰاجاً (۲۰)

التّفسير

اشاره

خلقكم اللّه من الأرض كالنبات:

كان نوح عليه السّلام يبيّن للمشركين المعاندين حقائق عميقه و مستدله، إذ كان يأخذ بهم إلى أعماق وجودهم ليرون حقائق هذه الآيات(كما مرّ فى الآيات السابقه) و دعاهم إلى ما خلق اللّه من علامات فى هذا العالم الكبير،فكان يسير بهم إلى تلك الآفاق (۱) .

ص: ۵۸

۱- ۱) -هذا الخطاب تابع لكلام نوح عليه السّلام،أو أنّها جمل مستقله و معترضه من اللّه تعالى إلى المسلمين،و هو محل بحث بين المفسّرين،و الكثير منهم يرجح أن يكون ذلك تابعا لكلام نوح عليه السّلام،و سياق الآيات يشير أيضا إلى ذلك،و إذا ما وردت جمله: (و قال نوح)بعد هذه الآيات فإنّها تشير إلى أنّ نوح عليه السّلام قد انتهى من كلامه مع الناس و توجه بعد ذلك إلى اللّه تعالى ليشكو من قومه.

يبدأ أوّلا بالسماء فيقول: أَ لَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللّهُ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقاً (۱) «طباقا»:مصدر من باب(مفاعله)بمعنى«مطابقه»،و أحيانا تأتى بمعنى وضع الشىء فوق شىء آخر،و تأتى أحيانا أخرى بمعنى مطابقه و مماثله شيئين أحدهما مع الآخر،و المعنيان يصدقان هنا.

و ما طبق للمعنى الأوّل أنّ السماوات بعضها فوق بعض،و كما قلنا فى سابقا حسب تفسير السموات السبع فإنّ كل ما نراه من الكواكب المتحركه و الثابته بالعين المجرّده أو غيرها هى من السماء الاولى،ثمّ تليها السموات الست الأخرى متطابقه بعضها فوق الأخرى،و لم يصل علم الإنسان إلى هذه المرتبه فعلا،و لكن يمكن فى المستقبل أن يتطور علم الإنسان فيكشف ما فى السموات من عجائب الواحده بعد الأخرى (۲) .

و على الاحتمال الثّانى فإنّ القرآن يشير إلى مطابقه و تناسق السماوات السبع فى النظم و العظمه و الجمال.

ثمّ يضيف: وَ جَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَ جَعَلَ الشَّمْسَ سِراجاً (۳) .

صحيح أنّ فى السماوات السبع مليارات من الكواكب المضيئه و التى هى أكثر ضياء من الشمس،و لكن ما يهمنا و ما يؤثر فى حياتنا هى هذه الشمس و كذلك القمر،هذه المنظومه الشمسيه التى تضىء الشمس فيها بالنهار و القمر بدوره ينير الليل.

التعبير بالسراج للشمس و بالنور للقمر هو أنّ نور الشمس ينشأ من ذاتها كالسراج،و أمّا نور القمر فإنّه ليس من باطنه بل انعكاس لنور الشمس،و لهذا فإنّ

۱- ۱) -«طباقا»:يحتمل أن يكون مفعول مطلق أو حال.

۲- ۲) -أوضحنا الكلام فى التفاسير المختلفه للسماوات السبع فى ذيل الآيه(۲۹)من سوره البقره.

۳- ۳) -من هنا أنّ ضمير«فيهنّ»و الذى يرجع فى الظاهر إلى«السماوات السبع»لا يثير مشكله لأنّ الخطاب فى النور و الضياء هو لنا،لأجل هذا لا يلزم أن نجعل«فى»بمعنى«مع»أو نجعل الضمير«هن»بمعنى«السماء الدنيا»(فتدبّر).

کلمه نور ذات المفهوم العام هی المستخدمه فی هذا المورد، و یشاهد اختلاف التعابیر فی آیات القرآن أیضا،و قد أوردنا شرحا مفصلا فی هذا الباب فی ذیل الآیه(۵)من سوره یونس علیه السّلام.

ثمّ یعود ذلک إلی الإنسان فیقول: وَ اللّٰهُ أَنْبَتَکُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبٰاتاً (۱) .

التعبیر ب«الإنبات»،فی شأن الإنسان لأسباب،أوّلا:خلق الإنسان الأوّل من التراب.

ثانیا:إنّ المواد الغذائیه التی یتناولها الإنسان و بها ینمو و یحیی هی من الأرض،فهو إمّا یتناول الخضار و الحبوب الغذائیه أو الفواکه مباشره،أو بطریق غیر مباشر کلحوم الحیوانات.

ثالثا:هناک تشابه کثیر بین الإنسان و النبات،و هناک کثیر من القوانین التی یسری حکمها علی نمو و تغذیه النباتات هی ساریه أیضا علی الإنسان.

و هذا التعبیر فی شأن الإنسان غنی بالمعانی،و یدل علی أنّ التدبیر الإلهی فی مسأله الهدایه لیس فقط کتدبیر و عمل المعلم و حسب،بل هو کعمل الزارع الذی ینثر البذور فی محیط جید یساعدها علی النمو،و فی الآیه(۳۷)من سوره آل عمران یقول اللّٰه تعالی بشأن مریم علیها السّلام: وَ أَنْبَتَهٰا نَبٰاتاً حَسَناً و کلّ هذا إشاره إلی ذلک المضمون اللطیف.

ثمّ یمضی إلی مسأله المعاد و التی کانت من المسائل المعقده عند المشرکین فیقول: ثُمَّ یُعِیدُکُمْ فِیهٰا وَ یُخْرِجُکُمْ إِخْرٰاجاً .

کنتم فی البدء ترابا،ثمّ تعودون إلی التراب ثانیه،و من کانت له القدره علی أن یخلقکم من التراب هو قادر علی أن یحییکم بعد الموت.

هذا الانتقال من التوحید إلی المعاد الذی جاء فی سیاق هذه الآیات بصوره

۱- ۱) -یجب أن تلفظ هذه الکلمه حسب القاعده«إنباتا»لکن لهذه الآیه تقدیر هو:«أنبتکم من الأرض فنبتم نباتا»تفسیر(الفخر الرازی و أبو الفتوح الرازی).

لطيفه يشير إلى العلاقه القريبه بينهما،و هكذا كان نوح عليه السّلام يوضح لمخالفيه أمر التوحيد بالاستدلال عن طريق نظام الخلقه و يستدل كذلك بها على المعاد.

ثمّ يعود مرّه أخرى إلى آيات الآفاق و علامات التوحيد فى هذا العالم الكبير،و يتحدث عن نعم وجود الأرض فيقول: وَ اللّٰهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسٰاطاً (1) .

ليست هى بتلك الخشونه بحيث لا يمكنكم الانتقال و الاستراحه عليها، و ليست بتلك النعومه بحيث تغطسون فيها،و تفقدون القدره على الحركه،ليست حارقه و ساخنه بحيث تلقون مشقّه من حرّها،و ليست بارده بحيث تتعسر حياتكم فيها،مضافا إلى ذلك فهى كالبساط الواسع الجاهز المتوفر فيه جميع متطلباتكم المعيشيه.

و ليست الأراضى المسطحه كالبساط الواسع فحسب،بل بما فيها من الجبال و الوديان و الشقوق المتداخله بعضها فوق البعض و التى يمكن العبور من خلالها.

لِتَسْلُكُوا مِنْهٰا سُبُلاً فِجٰاجاً

.

«فجاج»على وزن(مزاج)،و هو جمع فج،و بمعنى الوادى الفسيح بين الجبلين،و قيل الطريق الواسعه (2) .

و بهذا فإنّ نوح عليه السّلام يشير فى خطابه تاره إلى العلامات الإلهيه فى السماوات و الكواكب و السماويه،و تاره أخرى إلى النعم الإلهيه الموجوده فى البسيطه، و ثالثه الى وجود الإنسان الذى يعتبر بحدّ ذاته دليل على معرفه اللّه تعالى و إثبات المعاد،و لكن لم تؤثر أى من هذه الإنذارات و البشائر و الرغائب و الاستدلالات المنطقيه فى قلوب هؤلاء القوم المعاندين الذين استمروا

۱- ۱) -بساط من أصل بسط بمعنى و بسط الشىء،و لهذا فإنّ كلمه«بساط»تطلق على كل شىء واسع و أحد مصاديقها «البساط».

۲- ۲) -مفردات الراغب،ماده(فج).

مخالفتهم و کفرهم،و أخذتهم الأنفه عن الانقیاد لحمید العاقبه،و سنری عاقبه هذا العناد فی الآیات القادمه.

***

ص :۶۲

الآيات [سوره نوح (۷۱): الآيات ۲۱ الی ۲۵]

اشاره

قٰالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِی وَ اِتَّبَعُوا مَنْ لَمْ یَزِدْهُ مٰالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاّٰ خَسٰاراً (۲۱) وَ مَکَرُوا مَکْراً کُبّٰاراً (۲۲) وَ قٰالُوا لاٰ تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ وَ لاٰ تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لاٰ سُوٰاعاً وَ لاٰ یَغُوثَ وَ یَعُوقَ وَ نَسْراً (۲۳) وَ قَدْ أَضَلُّوا کَثِیراً وَ لاٰ تَزِدِ اَلظّٰالِمِینَ إِلاّٰ ضَلاٰلاً (۲۴) مِمّٰا خَطِیئٰاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نٰاراً فَلَمْ یَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اَللّٰهِ أَنْصٰاراً (۲۵)

التّفسیر

اشاره

لطف اللّه معک:

عنـد ما رأی نوح علیه السّـلام عناد قومه و قـد بذل فی سبیل هدایتهم منتهی مساعیه التی طالت مئات السـنین،و ما کانوا یزدادون فیها إلاّ فسادا و ضلالا،یئس منهم و توجّه إلی ربّه لیناجیه و یطلب منه أن یعاقب قومه،کما نقرأ فی هذه الآیات محل البحث، قٰالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِی وَ اتَّبَعُوا مَنْ لَمْ یَزِدْهُ مٰالُهُ وَ وَلَدُهُ إِلاّٰ خَسٰاراً .

ص: ۶۳

تشیر هذه الآیه إلى أنّ رؤساء هؤلاء القوم یمتازون بکثره الأموال و الأولاد، و لکنّها لا تستخدم لخدمه الناس بل للفساد و العدوان،و لا یخضعون للّه تعالى، و هذه الامتیازات الکثیره سببت فی طغیانهم و غیهم.

و إذا ما نظرنا إلى تاریخ الإنسان لوجدنا أنّ الکثیر من رؤساء القبائل هم من هذا القبیل،من الذین یجمعون المال الحرام،و لهم ذرّیه فاسده،و یفرضون فی النهایه أفکارهم على المجتمعات المستضعفه،و یکبّلونهم بقیود الظلم.

ثمّ یضیف فی قوله تعالى: وَ مَکَرُوا مَکْراً کُبّاراً .

«کبّار»صیغه مبالغه من الکبر،و ذکر بصیغه النکره،و یشیر إلى أنّهم کانوا یضعون خططا شیطانیه واسعه لتضلیل الناس،و رفض دعوه نوح علیه السّلام،و من المحتمل أن یکون عباده الأصنام واحده من هذه الخطط و الأسالیب،و ذلک طبقا للرّوایات التی تشیر إلى عدم وجود عباده الأصنام قبل عصر نوح علیه السّلام و أن قوم نوح هم الذین أوجدوها،و ذکر أنّ فی المدّه الزمنیه بین آدم و نوح علیهما السّلام کان هناک أناس صالحون أحبّهم الناس،و لکن الشیطان«أو الأشخاص الشیطانیین»عمد إلى استغلال هذه العلاقه،و ترغّبهم فی صنع تماثیل أولئک الصالحین بحجّه تقدیسهم و إجلالهم،و بعد مضی الزمن نسیت الأجیال هذه العلاقه التاریخیه، و تصورت أنّ هذه التماثل هی موجودات محترمه و نافعه یجب عبادتها،و هکذا شغلوا بعباده الأصنام،و عمد الظالمون و المستکبرون إلى إغفال الناس و تکبیلهم بحبائل الغفله،و هکذا تحقق المکر الکبیر.

و تدل الآیه الأخرى على هذا الأمر،إذ أنّها تضیف بعد الإشاره إلى خفاء هذا المکر فی قوله تعالى: وَ قالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ .

و لا تقبلوا دعوه نوح إلى اللّه الواحد،و غیر المحسوس، و أکدوا بالخصوص على خمسه أصنام،و قالوا: وَ لا تَذَرُنَّ وَدًّا وَ لا سُواعاً وَ لا یَغُوثَ وَ یَعُوقَ وَ نَسْراً .

و يستفاد من القرائن أنّ لهذه الأصنام الخمسه مميزات و خصائص،و أنّها لقيت عنايه بالغه من القوم الظالمين،و لهذا كان رؤسائهم المستغلون لهم يعتمدون على عبادتهم لها.

و هناك روايات متعدده تشير إلى وجود و ابتداع هذه الأصنام،و هي:

۱-قال البعض:إنّها أسماء خمسه من الصالحين كانوا قبل نوح عليه السّلام و عند ما رحلوا من الدنيا اتّخذوا لهم تماثيل لتبقى ذكرى،و ذلك بتحريك و إيحاء من إبليس،فوقّروها حتى عبدت تدريجيا بمرّ العصور.

۲-قيل أنّها أسماء خمسه أولاد لآدم عليه السّلام كان كلّما يموت أحدهم يضعون له تمثالا و ذلك لتخليد ذكراه،و بمرور الزمن نسى ذلك الغرض و أخذوا يروجون عبادتها بكثره في زمن نوح عليه السّلام.

۳-البعض الآخر يعتقد أنّها أسماء لأصنام في زمن نوح عليه السّلام،و ذلك لأنّ نوحا عليه السّلام كان يمنع الناس من الطواف حول قبر آدم عليه السّلام فاتخذوا مكانه تماثيل بإيعاز من إبليس و شغلوا بعبادتها (۱) .

و هكذا انتقلت هذه الأصنام الخمسه إلى الجاهليه العربيه،و انتخبت كل قبيله واحده من هذه الأصنام لها،و من المستبعد أن تكون الأصنام قد انتقلت إليهم،بل إنّ الظاهر هو انتقال الأسماء إليهم ثمّ صنعهم التماثيل لها،و لكن بعض المفسّرين نقلوا عن اين عباس أنّ هذه الأصنام الخمسه قد دفنت في طوفان نوح عليه السّلام،ثمّ أخرجها الشيطان في عهد الجاهليه و دعا الناس إلى عبادتها (۲) .

و في كيفيه تقسيم هذه الأصنام على القبائل العربيه في الجاهليه،قال البعض:إنّ الصنم(ود)قد اتّخذته قبيله بني كلب في أراضي دومه الجندل،و هي مدينه قريبه من تبوك تدعى اليوم بالجوف،و اتّخذت قبيله هديل(سواعا)و كانت

۱- ۱) -مجمع البيان،تفسير علي بن ابراهيم،تفسير أبو الفتوح الرازي،و تفاسير اخرى ذيل الآيات التي هي مورد البحث.

۲- ۲) -تفسير القرطبي،ج ۱۰،ص ۶۷۸۷.

فی بقاع رهاط،و اتّخذت قبیله بنی قطیف أو قبیله بنی مذحج(یغوث)،و أمّا همدان فاتّخذت(یعوق)،و اتّخذت قبیله ذی الکلاع(نسرا)،و هی قبائل حمیر (۱) .

و علی کل حال،فإنّ ثلاثه منها أی(یغوث و یعوق و نسر)و کانت فی الیمن و لکنّها اندثرت عند ما سیطر ذو نؤاس علی الیمن،و اعتنق أهلها الیهودیه (۲) .

یقول المؤرخ الشهیر الواقدی:کان الصنم(ود)علی صوره رجل،و(سواع) علی صوره امرأه و(یغوث)علی صوره أسد و(یعوق)علی صوره فرس و(نسر) علی صوره نسر(الطائر المعروف). (۳)

و بالطبع أنّ هناک أصنام أخری کانت لعرب الجاهلیه،منها«هبل»الذی کان من أکبر أصنامها التی وضعوها داخل الکعبه،و کان طوله ۱۸ ذراعا،و الصنم (أساف)المقابل للحجر الأسود،و الصنم(نائله)الذی کان مقابل الرکن الیمانی (الزاویه الجنوبیه للکعبه)و کذلک کانت(اللات)و(العزی). (۴)

ثمّ یضیف عن لسان نوح علیه السّلام: وَ قَدْ أَضَلُّوا (۵) کَثِیراً وَ لاٰ تَزِدِ الظّٰالِمِینَ إِلاّٰ ضَلاٰلاً المراد من زیاده الضلال للظالمین هو الدعاء بسلب التوفیق الإلهی منهم:لیکون سببا فی تعاستهم،أو أنّه دعاء منه أن یجازیهم اللّه بکفرهم و ظلمهم و یسلبهم نور الإیمان،و لتحلّ محله ظلمه الکفر.

أو أنّ هذه هی خصوصیه أعمالهم التی تنسب إلی اللّه تعالی،و ذلک لأنّ کل

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۶۴،و أعلام القرآن،ص ۱۳۱.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۶۴.

۴- ۴) -المصدر السابق.

۵- ۵) -الضمیر فی«أضلوا»یعود إلی أکابر قوم نوح علیه السّلام بقرینه الآیه السابقه: وَ قٰالُوا لاٰ تَذَرُنَّ آلِهَتَکُمْ و احتمل بعض المفسّرین أنّ الضمیر یعود إلی(الآلهه)لأنّها سببت فی ضلالهم و جاء ما یشابه ذلک فی الآیه(۳۶)من سوره ابراهیم علیه السّلام و بصوره ضمیر جمع المؤنث لا ضمیر جمع المذکر،و هذا الاحتمال بعید.

موجود يؤثر أى تأثير فهو بأمر من اللّه تعالى،و ليس هناك ما ينافى الحكمه الإلهيه فى مسأله الإيمان و الكفر و الهدايه و الضلاله و لا يسبب سلب الإختيار.

و بالتالى فإنّ الآيه الأخيره فى البحث،يقول اللّه تعالى فيها:

مِمّا خَطِيئٰاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نٰاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ أَنْصٰاراً

(۱) .

تشير الآيه إلى ورودهم النّار بعد الطوفان،و ممّا يثير العجب هو دخولهم النّار بعد الدخول فى الماء!و هذه النّار هى نار البرزخ،لأنّ بعض الناس يعاقبون بعد الموت،و ذلك فى عالم البرزخ كما هو ظاهر فى سياق بعض الآيات القرآنيه، و كذا ذكرت الرّوايات أنّ القبر إمّا روضه من رياض الجنّه،أو حفره من حفر النيران.

و قيل من المحتمل أن يكون المراد بالنّار هو يوم القيامه،و لكن بما أنّ وقوع يوم القيامه أمر حتمى و هو غير بعيد،فإنّها ذكرت بصوره الفعل الماضى. (۲)

و احتمل البعض أنّ المراد هى النّار فى الدنيا،حيث يقولون أنّ نارا قد ظهرت بين تلك الأمواج بأمر من اللّه تعالى و ابتلعتهم. (۳)

***

۱- ۱) -«من»فى خَطِيئٰاتِهِمْ بمعنى باء السببيه أو(لام التعليل)و(ما)زائده للتأكيد.

۲- ۲) -الفخر الرازى ينقل ذلك فى تفسيره بعنوان قول من الأقوال فى ج ۳۰،ص ۱۴۵.

۳- ۳) -تفسير أبو الفتوح الرازى،ج ۱۱،ص ۳۸۰.

الآیات [سوره نوح (۷۱): الآیات ۲۶ الی ۲۸]

اشاره

وَ قٰالَ نُوحٌ رَبِّ لاٰ تَذَرْ عَلَى اَلْأَرْضِ مِنَ اَلْكٰافِرِينَ دَيّٰاراً (۲۶) إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبٰادَكَ وَ لاٰ يَلِدُوا إِلاّٰ فٰاجِراً كَفّٰاراً (۲۷) رَبِّ اِغْفِرْ لِي وَ لِوٰالِدَيَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ اَلْمُؤْمِنٰاتِ وَ لاٰ تَزِدِ اَلظّٰالِمِينَ إِلاّٰ تَبٰاراً (۲۸)

التّفسیر

اشاره

علی الفاسدین و المفسدین أن یرحلوا:

هـذه الآیـات تشـیر إلی اسـتمرار نوح علیه السّـلام فی حـدیثه و دعـائه علیهم فیقول تبارک و تعالی: وَ قٰالَ نُوحٌ رَبِّ لاٰ تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكٰافِرِينَ دَيّٰاراً .

دعا نوح علیه السّلام بهذا الدعاء عند ما یئس من هدایتهم بعد المشقّه و العناء فی دعوته إیّاهم،فلم یؤمن إلاّ قلیل منهم.

و التّعبیر ب«علی الأرض»یشیر إلی أنّ دعوه نوح علیه السّلام کانت تشمل العالم، و کذا مجیء الطوفان و العذاب بعده.

«دیار»:علی وزن سـیار،من أصل دار،و تعنی من سـکن الـدّار،و هـذه اللفظه تأتی عاده فی موارد النفی المطلق کقول:ما فی الـدار دیّار،أی لیس فی الدار أحد. (۱)

ص:۶۸

۱- ۱) -قال البعض أنّ الأصل کان(دیوار)علی وزن حیوان ثمّ بدلت الواو ب(یاء)و أدغمت فی الباء الاولی و صارت دیار(البیان

ثمّ یستدل نوح علیه السّلام للعنه القوم فیقول: إِنَّکَ إِنْ تَذَرْهُمْ یُضِلُّوا عِبٰادَکَ وَ لاٰ یَلِدُوا إِلاّٰ فٰاجِراً کَفّاراً ،و هذا یشیر إلی أنّ دعاء الأنبیاء و من بینهم نوح علیه السّلام لم یکن ناتجا عن الغضب و الانتقام و الحقد،بل إنّه علی أساس منطقی،و أنّ نوحا علیه السّلام لیس ممن یتضجر و یضیق صدره لأوهن الأمور فیفتح فمه بالدعاء علیهم.بل إنّ دعا علیهم بعد تسعمائه و خمسین عاما من الصبر و التألم و الدعوه و العمل المضنی.

و لکن کیف عرف نوح علیه السّلام أنّهم لن یؤمنوا أبدا و أنّهم کانوا یضللون من کان علی البسیطه و یلدون أولادا فجره و کفّارا.

قال البعض:إنّ ذلک ممّا أعطاه اللّه تعالی من الغیب،و احتمل أنّه أخذ ذلک عن طریق الوحی الإلهی حیث یقول اللّه تعالی: وَ أُوحِیَ إِلیٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ یُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِکَ إِلاّٰ مَنْ قَدْ آمَنَ . (۱) (۲)

و یمکن أن یکون نوح قد توصل إلی هذه الحقیقه بالطریق الطبیعی و الحسابات المتعارفه،لأنّ القوم الذین بلّغ فیهم نوح علیه السّلام تسعمائه و خمسین عاما بأفصح الخطب و المواعظ لا أمل فی هدایتهم،ثمّ إنّ الغالبیه منهم کانوا من الکفار و الأثریاء و هذا ممّا کان یساعدهم علی إغواء و تضلیل الناس،مثل أولئک لا یلدون إلاّ فاجرا کفّارا و یمکن الجمع بین هذه الاحتمالات الثّلاثه.

«الفاجر»:یراد به من یرتکب ذنبا قبیحا و شنیعا.

«کفّار»:المبالغ فی الکفر.

(۱)

فی غرائب القران،ج ۲،ص ۴۶۵،تفسیر الفخر الرازی،ذیل هذه الآیات).

ص:۶۹

۱- ۱) -هود،۳۶.

۲- ۲) -ورد هذا المعنی أیضا فی الرّوایات کما فی تفسیر الثقلین،ج ۵،ص ۴۲۸.

و الاختلاف بين هذين اللفظين هو أن أحدهما يتعلق بالجوانب العمليه، و الآخر بالجوانب العقائديه.

و يستفاد من هـذه الآيات أنّ العذاب الإلهى إنّما ينزل بمقتضى الحكمه،فمن يكن فاسدا و مضللا و لأولاده و نسله لا يستحق الحياه بمقتضى الحكمه الإلهيه، فينزل عليهم البلاء كالطوفان أو الصّاعقه و الزلازل ليمحو ذكرهم كما غسل طوفان نوح عليه السّلام تلك الأرض التى تلوثت بأفعال و معتقدات تلك الأمه الشريره، و بما أنّ هـذا القانون الإلهى لا يختصّ بزمان و مكان معينين، فإنّ العذاب الإلهى لا بدّ أن ينزل إذا ما كان فى هذا العصر مفسدون و لهم أولاد فجره كفّار،لأنّها سنّه إلهيه و ليس فيها من تبعيض.

و يمكن أن يكون المراد ب يُضِلُّوا عِبٰادَکَ الجماعه القليله المؤمنه التى كانت مع نوح عليه السّلام،و لعل المراد منها عموم الناس المستضعفين الذين يتأثرون بالطواغيت.

ثمّ يدعو نوح عليه السّلام،لنفسه و لمن آمن به فيقول: رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِوٰالِدَیَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَیْتِیَ مُؤْمِناً وَ لِلْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِنٰاتِ وَ لاٰ تَزِدِ الظّٰالِمِینَ إِلاّٰ تَبٰاراً . (۱)

طلب المغفره هـذا من نوح عليه السّلام كأنّه يريد أن يقول إننى و إن دعوه قومى مئات السنين و لقيت ما لقيت من العذاب و الإهانه،و لكن يمكن أن يكون قد صدر منّى الترك الأولى،فلذا أطلب العفو و المغفره لا أبرئ نفسى أمام اللّه تعالى.

هـذا هو حال أولياء اللّه،فإنّهم يجدون أنفسهم مقصرين مع كلّ ما يلاقونه من محن و مصاعب،و لهذا تجدهم غير مبتلين بآفات الغرور و التكبر، و ليس كالذين يتداخلهم الغرور عند إتمامهم لعمل صغير ما يمنون به على اللّه تعالى،و يطلب نوح عليه السّلام المغفره لعدّه أشخاص و هم:

۱- ۱) -«تبار»:تعنى الهلاك،و قيل الضرر و الخساره.

الأوّل:لنفسه،لئلا یکون قد مرّ علی بعض الأمور المهمّه مرورا سریعا،و لم یعتن بها.

الثّانی:لوالدیه،و ذلک تقدیرا لما تحمّلاه من متاعب و مشقّه.

الثّالث:لمن آمن به،و إن کانوا قلائل،الذین اصطحبوه فی سفینته التی کانت بمثابه الدار له علیه السّلام.

الرّابع:للمؤمنین و المؤمنات علی مرّ العصور،و من هنا یوثق نوح علیه السّلام العلاقه بینه و بین عموم المؤمنین فی العالم،و یؤکّد فی النهایه علی هلاک الظالمین،و أنّهم یستحقون هذا العذاب لما ارتکبوه من ظلم.

***

بحث

اشاره

نوح علیه السّلام أوّل أنبیاء أولی العزم

ذکر نوح علیه السّلام فی کثیر من الآیات القرآنیه،و مجموع السور التی ذکر فیها علیه السّلام (۲۹)سوره،و أمّا اسمه علیه السّلام فقد فقد ورد ۴۳ مرّه.

و قد شرح القرآن المجید أقساما مختلفه من حیاته علیه السّلام شرحا مفصلا، و تتعلق أکثرها بالجوانب التعلیمیه و التربویه و المواعظ،و ذکر المؤرخون أنّ اسمه کان«عبد الغفار»أو«عبد الملک»أو«عبد الأعلی»،و لقب ب«نوح»لأنّه کان کثیر النیاحه علی نفسه أو علی قومه،و کان اسم أبیه«لمک»أو«لامک»، و فی مدّه عمره علیه السّلام اختلاف،فقال البعض:۱۴۹۰ عاما،و جاء فی بعض الرّوایات أنّ عمره ۲۵۰۰ عام،و أمّا عن أعمار قومه الطویله فقد قالوا ۳۰۰ عام، و المشهور هو أن عمره کان طویلا،و صرح القرآن بمدّه مکثه فی قومه و هی ۹۵۰ عاما،و هی مدّه التبلیغ فی قومه،کان لنوح علیه السّلام ثلاثه أولاد،و هم(حام)(سام)(یافث)و یعتقد المؤرخون بأنّ انتساب البشر یرجع إلی هؤلاء الثلاثه،فمن

ينتسب إلى حام يقطن فى القاره الإفريقيه،و المنتسبون لسام يقطنون الأوسط و الأقصى،و أمّا المنتسبون إلى يافث فهم يقطنون الصين،و قيل أنّ المدّه التى عاشها بعد الطوفان ۵۰ عاما،و قيل ۶۰ عاما.

و ورد بحث مفصل عن حياه نوح عليه السّلام فى التوراه المتواجد حاليا،إلّا أنّ هناك اختلافا كبيرا بينه و بين القرآن المجيد،و هذا الاختلاف يدل على تحريف التوراه، و قد ذكرت هذه البحوث فى الفصول ۶،۷،۸،۹،۱۰ من سفر التكوين للتوراه.

و كان لنوح عليه السّلام ابن آخر يدعى(كنعان)و كان مخالفا لأبيه،إذ رفض الالتحاق به فى السفينه ففقد بقعوده هذا الشرف الانتساب إلى بيت النبوّه،و كانت عاقبته الغرق فى الطوفان كبقيه الكفّار،و أمّا عن عدد المؤمنين الذين آمنوا به و ركبوا السفينه معه فقد قيل ۷۰ نفرا،و قيل ۷ أنفار،و لقد انعكست آثار كثيره من قصّه نوح عليه السّلام فى لأدب العربى و أكثرها قد حكت عن الطوفان و سفينه النجاه. (۱)

كان نوح عليه السّلام اسطوره للصبر و المقاومه،و قيل هو أوّل من استعان بالعقل و الاستدلال المنطقى فى هدايه البشر،بالإضافه الى منطق الوحى(كما هو واضح من آيات هذه السوره)و بهذا الدليل يستحق التعظيم من قبل جميع الناس.

و ننهى ما وضحناه عن نوح عليه السّلام

بحديث عن الإمام الباقر عليه السّلام إذ قال: «كان نوح عليه السّلام يدعو حين يمسى و يصح بهذا الدعاء:«أمسيت أشهد أنّه ما أمسى بى من نعمه فى دين أو دنيا فإنّها من اللّه لا شريك له،له الحمد بها علىّ و الشكر كثيرا، فأنزل اللّه: إِنَّهُ كانَ عَبْداً شَكُوراً فهذا كان شكره». (۲)

فى قوله تعالى: رَبِّ اغْفِرْ لِی وَ لِوٰالِدَیَّ وَ لِمَنْ دَخَلَ بَیْتِیَ مُؤْمِناً... قيل فى معنى البيت هنا هو بيته الخاص،و قيل المسجد،و قيل سفينه نوح،و قيل هو دينه و شريعته.

ص: ۷۲

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۱۱.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۱۱،ص ۲۹۱،ح ۳.

و

ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام أنّه قال: «من دخل فی الولایه دخل فی بیت الأنبیاء». (۱)

اللّهمّ ارحمنا بقبول ولایه أهل البیت علیه السّلام حتی ندخل بیت الأنبیاء.

ربّنا،منّ علینا بالاستقامه کما مننت علی الأنبیاء کنوح علیه السّلام لنبقی دعاه إلی دینک بلا تقاعس.

اللّهم،نجّنا بسفینه نجاه لطفک و رحمتک عند نزول الطوفان غضبک و سخطک.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره نوح علیه السّلام ***

۱- ۱) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۲۹.

سوره الجنّ

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ثمان و عشرون آیه

ص: ۷۵

محتوى السوره:

تتحدث هذه السوره حول نوع من الخلائق المستورين عن حواسنا،و هم الجن،كما سمّيت السوره باسمهم،و أنّهم يؤمنون بنبيّنا الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و عن خضوعهم للقرآن و إيمانهم بالمعاد،و أنّ فيهم المؤمن و الكافر و غير ذلك،و في هذا القسم من السوره(١٩)آيه من(٢٨)آيه تصحح ما حرّف من معتقدات حول الجن،و هناك قسم آخر من السوره يشير إلى التوحيد و المعاد،و القسم الأخير يتحدث عن علم الذى لا يعلمه إلاّ ما شاء اللّه.

فضيله سوره الجن:

ورد في حديث عن الرّسول الأكرم: «من قرأ سوره الجن اعطى بعدد كلّ جنى و شيطان صدق بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كذّب به عتق رقبه». (١)

و

في حديث آخر عن الإمام الصّادق عليه السّلام: «من أكثر قراءه قُلْ أُوحِيَ لم يصبه في الحياه الدنيا شيء من أعين الجن و لا نفثهم و لا سحرهم،و لا كيدهم، و كان مع محمّد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيقول:يا ربّ،لا أريد منه بدلا،و لا أبغي عنه حولا».

و طبعا التلاوه مقدّمه و تمهيد لمعرفه محتوى السوره و التدبّر بها،ثمّ العمل بما فيها.

***

١- ١) -مجمع البيان،ج ١٠،ص ٣٦٥.

الآيات [سوره الجن (۷۲): الآيات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اِسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ اَلْجِنِّ فَقٰالُوا إِنّٰا سَمِعْنٰا قُرْآناً عَجَباً (۱) يَهْدِي إِلَى اَلرُّشْدِ فَآمَنّٰا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنٰا أَحَداً (۲) وَ أَنَّهُ تَعٰالىٰ جَدُّ رَبِّنٰا مَا اِتَّخَذَ صٰاحِبَةً وَ لاٰ وَلَداً (۳) وَ أَنَّهُ كٰانَ يَقُولُ سَفِيهُنٰا عَلَى اَللّٰهِ شَطَطاً (۴) وَ أَنّٰا ظَنَنّٰا أَنْ لَنْ تَقُولَ اَلْإِنْسُ وَ اَلْجِنُّ عَلَى اَللّٰهِ كَذِباً (۵) وَ أَنَّهُ كٰانَ رِجٰالٌ مِنَ اَلْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجٰالٍ مِنَ اَلْجِنِّ فَزٰادُوهُمْ رَهَقاً (۶)

سبب النّزول

ما جاء فی سبب نزول سوره الأحقاف فی تفسير الآيات(۲۹-۳۲)مطابق لسبب نزول هذه السوره،و يدل على أنّ السورتين يتعلقان بحادثه واحده، و توضح سبب النّزول باختصار كما يلی:

۱-انطلق الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى سوق عكاظ فی الطائف بعد قدومه من مكّه ليدعو الناس إلى الإسلام،فرجع بعد رفض الناس لدعوته إلى واد يدعى وادی الجن،و بقی فيه ليلا و هو يقرأ القرآن،فاستمع إليه نفر من الجن فآمنوا به ثمّ راحوا

يدعون قومهم إليه. (۱)

۲-عن ابن عباس قال:كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم منشغلا بصلاه الصبح،و كان يقرأ فيها القرآن،فاستمع إليه الجن و هم يبحثون عن علّه انقطاع الأخبار من السماء، فقالوا:هذه الذى حال بيننا و بين خبر السماء،فرجعوا إلى قومهم ليبلغوا ما سمعوا. (۲)

۳-بعد وفاه أبى طالب عليه السّلام اشتدّ الأمر برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فعزم على الذهاب إلى الطائف ليبحث عن أنصار له،و كان أعيان الطائف يكذبونه و يؤذونه،و يرمونه بالحجاره حتى أدميت قدماه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فالتجأ متعبا إلى ضيعه من الضياع،فرآه غلام صاحب الضيعه و كان اسمه«عداس»،فآمن بالنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ثمّ رجع إلى مكّه ليلا و صلّى صلاه الصبح و هو بنخله،فاستمع إليه نفر من الجن من أهل نصيبين أو اليمن،و كانوا قد مرّوا بذلك الطريق فآمنوا به . (۳)

و قد نقل بعض المفسّرين ما يشابه هذا المعنى فى أوّل السوره،و لكن جاء فى سبب نزول هذه السوره ما يخالف هذا المعنى،و هو أنّ علقمه بن قيس قال:

قلت لعبد اللّه بن المسعود:من كان منكم مع النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ليله الجن؟فقال:ما كان منّا معه أحد،فقدناه ذات ليله و نحن بمكّه فقلنا:اغتيل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أو استطير،فانطلقنا نطلبه من الشعاب فلقيناه مقبلا من نحو حراء،فقلنا:يا رسول اللّه،اين كنت؟لقد أشفقنا عليك،و قلنا له:بتنا الليله بشرّ ليله بات بها قوم حين فقدناك،

فقال: «إنّه أتانى الجن فذهبت أقرئهم القرآن» (۴) .

***

۱- ۱) -تفسير على بن ابراهيم على ما نقله تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۱۹(مع الاختصار).

۲- ۲) -صحيح البخارى،مسلم،و مسند طبقا لما نقله صاحب(فى ظلال القرآن)ج ۷،ص ۴۲۹(باختصار).

۳- ۳) -مجمع البيان،ج ۹،ص ۹۲،و سيره ابن هشام،ج ۲،ص ۶۲-۶۳(باختصار).

۴- ۴) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۶۸.

التّفسير

اشاره

القرآن العجيب!!

نرجع إلى تفسير الآيات بعد ذكر ما قيل فى سبب النّزول يقول اللّه تعالى: قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقالُوا إِنّا سَمِعْنا قُرْآناً عَجَباً (١) .

التعبير ب أُوحِيَ إِلَيَّ يشير إلى أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يشاهد الجنّ بنفسه بل علم باستماعهم للقرآن عن طريق الوحى،و كذلك يعلم من مفهوم الآيه أنّ للجن عقلا و شعورا و فهما و إدراكا،و أنّهم مكلّفون و مسئولون،و لهم المعرفه باللغات و يفرقون بين الكلام الخارق للعاده بين الكلام العادى،و بين المعجز و غير و المعجز،و يجدون أنفسهم مكلّفين بإيصال الدعوه إلى قومهم،و أنّهم هم المخاطبون فى القرآن المجيد،هذه بعض الخصوصيات لهذا الموجود المستور الحى الذى يمكن الاستفاده منها فى هذه الآيه،و لهم خصوصيات اخرى سوف نبيّنها فى نهايه هذا البحث،و إنّ شاء اللّه تعالى.

إنّ لهم الحقّ فى أن يحسبوا هذا القرآن عجبا،للحنه العجيب،و لجاذبيه محتواه،و لتأثيره العجيب،و لمن جاء به و الذى لم يكن قد درس شيئا و قد ظهر من بين الأميين،و كلام عجيب فى ظاهره و باطنه و يختلف عن أىّ حديث آخر و لهذا اعترفوا بإعجاز القرآن.

لقد تحدثوا لقومهم بحديث آخر تبيّنه السوره فى(١٢)آيه،و كل منها تبدأ ب(أن)و هى دلاله على التأكيد (٢) .

ص:٨٠

١- ١) -نفر:على قول أصحاب اللغه و التّفسير:الجماعه من ٣ الى ٩.

٢- ٢) -المشهور بين علماء النحو أنّ(إن)فى مقول القول يجب أن تقرأ بالكسر كما هى فى الآيات الاولى،و أمّا فى الآيات الأخرى المعطوفه عليها فإنّها بالفتح،و لهذا اضطر الكثير من المفسّرين أن يجعلوا لهذه الآيات تقديرات أو مبررات أخرى، و لكن ما الذى يمنعنا من القول أنّ لهذا القاعده أيضا شواذ،و هى جواز القراءه بالفتحه فى موارد يكون العطف فيه على مقول القول،و ما يدل على ذلك آيات هذه السوره.

فیقول أوّلا ـ بأنّهم قالوا: يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنّٰا بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنٰا أَحَداً التعبیر ب«الرّشد»تعبیر واسع و جامع،و یمکن أن یستوعب کل امتیاز،فهو الطریق المستقیم من دون اعوجاج،و هو الضیاء و الوضوح الذی یوصل المتعلقین به إلی محل السعاده و الکمال.

و بعد إظهار الإیمان و نفی الشرک باللّه تعالی ینتقل کلامهم إلی تبیان صفات اللّه تعالی: وَ أَنَّهُ تَعٰالىٰ جَدُّ رَبِّنٰا مَا اتَّخَذَ صٰاحِبَةً وَ لاٰ وَلَداً .

«جد»:لها معان کثیره فی اللغه،منها:العظمه،و الشدّه،و الجد،و القسمه، و النصیب،و غیر ذلک،و أمّا المعنی الحقیقی لها کما یقول الراغب فی المفردات فهو«القطع»،و تأتی بمعنی«العظمه»إذا کان هناک کائن عظیم منفصل بذاته عن بقیه الکائنات،و کذلک یمکن الأخذ بما یناسب بقیه المعانی التابعه لها،و إذا ما أطلقنا لفظه«الجد»علی والدی لأبوین فإنّما یعود ذلک إلی کبر مقامهما أو عمرهما،و ذکر آخرون معانی محدوده لهذه الکلمه فقد فسّروها بالصفات، و القدره،و الملک،و الحاکمیه،و النعمه،و الاسم،و تجتمع کل هذه المعانی فی معنی العظمه،و هناک ادعاء فی أنّ المقصود هنا هو الأب الأکبر«الجد»و تشیر الرّوایات إلی أنّ الجنّ و لقلّه معرفتهم اختاروا هذا التعبیر غیر المناسب،هذا إشاره إلی نهیهم عن ذکر هذه التعابیر (۱) .

و یمکن أن یکون هذا الحدیث ناظرا إلی الموارد التی یتداعی فیها هذا المفهوم،و إلاّ فإنّ القرآن یذکر هذا التعبیر بلحن الموافق فی هذه الآیات،و إلاّ لم و قد ذکر هذا التعبیر أیضا

فی نهج البلاغه،کما فی الخطبه(۱۹۱): «الحمد للّه الفاشی فی الخلق حمده،و الغالب جنده،و المتعالی جدّه».

و ورد فی بعض الرّوایات أنّ أنس بن مالک قد قال:کان الرجل إذا قرأ سوره

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۶۸،و نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۳۵،و ذکر هذا المعنی فی تفسیر علی بن إبراهیم.

البقره جد فی أعیننا (۱) .

علی کـل حـال فـإنّ اسـتعمال هـذه اللفظه فی المجـد و العظمه مطـابق لمـا ورد فی نصوص اللغه،و من الملاحظ أنّ خطباء الجن معتقدون بأنّ اللّه لیس له صاحبه و لا ولد،و یحتمل أن یکون هذا التعبیر نفی للخرافه المتداوله بین العرب حیث قالوا:إنّ للّه بنات لزوجه من الجن قد اتّخذها لنفسه،و ورد هذا الاحتمال فی تفسیر الآیه(۱۵۸)من سوره الصافات: وَ جَعَلُوا بَیْنَهُ وَ بَیْنَ الْجِنَّهِ نَسَباً .

ثمّ قالوا: وَ أَنَّهُ کانَ یَقُولُ سَفِیهُنا عَلَی اللّٰهِ شَطَطاً .

و یحتمـل أنّ التعبیر ب«السـفیه»هنـا بمعنی الجنس و الجمع،أی أنّ سـفهاءنا قـالوا:إنّ للّه زوجه و أطفالاـو اتّخـذ لنفسه شـریکا و شبیهـا،و إنّه قـد انحرف عن الطریق،و کان یقول شـططا،و احتمل بعض المفسّـرین أنّ«السـفیه»هنا له معنی انفرادی،و المقصود به هو«إبلیس»الـذی نسب إلی اللّه نسب رکیکه،و ذلک بعد مخالفته لأمر اللّه،و اعتراضه علی اللّه فی السـجود لآدم علیه السّـلام ظنّا منه أنّ له الفضل علی آدم،و أنّ سجوده لآدم بعید عن الحکمه.

و لمّـا کان إبلیس من الجن،و کان قـد بـدا منه ذلک،اشـمأز منه المؤمنون من الجن و اعتبروا ذلک منه شـططا،و إن کان عالما و عابدا،و لأن العالم بلا عمل، و العابد المغرور من المصادیق الواضحه للسفیه.

«شـطط»علی وزن وسـط،و تعنی الخروج و الابتعـاد عن قول الحقّ،و لهـذا تسـمّی الأنهـار الکـبیره التی ترتفع سواحلهـا عن المـاء ب«الشط».

ثمّ قالوا: وَ أَنّٰا ظَنَنّٰا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَی اللّٰهِ کَذِباً .

لعل هـذا الکلام اشاره إلی التقلیـد الأعمی للغیر،حیث کانوا یشـرکون باللّه و ینسـبون إلیه الزوجه و الأولاد،و فهنا یقولوا:لقد کنّا نصدقهم بحسن ظننا بهم

ص: ۸۲

۱- ۱) -تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۶۸۰۱.

و نقول بمقالتهم الخاطئه،و ما كنّا نظنهم يتجرءون على اللّه بهـذه الأكاذيب،و لكننا الآن نخطّئ هـذا التقليد المزيف لما عرفنا من الحق و الإيمان بالقرآن،و نقر بما التبس علينا،بانحراف المشركين من الجنّ.

ثمّ ذكروا احدى الانحرافات للجن و الإنس و قالوا: وَ أَنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزادُوهُمْ رَهَقاً .

«رهق»على وزن(شفق)و يعنى غشيان الشىء بالقهر و الغلبه،و فسّر بالضلال و الذنب و الطغيان و الخوف الذى يسيطر على روح الإنسان و قلبه و يغشيه،و قيل إنّ هذه الآيه تشير إلى إحدى الخرافات المتداوله فى الجاهليه، و هى أنّ الرجل من العرب كان إذا نزل الوادى فى سفره ليلا قال:أعوذ بعزيز هذا الوادى من شرّ سفهاء قومه (۱) .

و بما أنّ الخرافات كانت منشأ لازدياد الانحطاط الفكرى و الخوف و الضلال فقد جاء ذكر هذه الجمله فى آخر الآيه و هى: فَزادُوهُمْ رَهَقاً .

و ذكر فى الآيه بِرِجالٍ مِنَ الْجِنِّ ممّا يستفاد منه أنّ فيهم إناثا و ذكورا (۲) .

على كل حال فإنّ للآيه مفهوما واسعا،يشمل جميع أنواع الالتجاء إلى الجنّ، و الخرافه المذكوره هى مصداق من مصاديقها،و كان فى أوساط العرب كهنه كثيرون يعتقدون أنّ الجن باستطاعتهم حلّ الكثير من المشاكل و إخبارهم بالمستقبل.

***

ص :۸۳

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۶۹،و روح المعانى،ج ۲۸،ص ۸۵.

۲- ۲) -نقل عن بعضهم فى تفسير الآيه أعلاه أنّ لجوء جماعه من الإنس بالجن ادّى إلى أن يتمادى الجن فى طغيانهم و ظنوا أن بيدهم زمام الأمور المهمّه،و التّفسير الأوّل أوجه(و الضمير حسب التّفسير الأوّل فى(زادوا)يرجع إلى الجن،و الضمير«هم» يرجع إلى الإنس،بعكس التّفسير الأوّل).

الآیات [سوره الجن (۷۲): الآیات ۷ الی ۱۰]

اشاره

وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اَللّٰهُ أَحَداً (۷) وَ أَنّٰا لَمَسْنَا اَلسَّمٰاءَ فَوَجَدْنٰاهٰا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً (۸) وَ أَنّٰا كُنّٰا نَقْعُدُ مِنْهٰا مَقٰاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ اَلْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهٰاباً رَصَداً (۹) وَ أَنّٰا لاٰ نَدْرِی أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِی اَلْأَرْضِ أَمْ أَرٰادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً (۱۰)

التّفسیر

اشاره

کنّا من قبل نسترق السمع و لکن...

یشیر سیاق الآیه إلی استمرار حدیث المؤمنین من الجن،و تبیان الدعوه لقومهم،و دعوتهم إلی الإسلام بالطرق المختلفه،و فیقولون: وَ أَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمٰا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّٰهُ أَحَداً .

لذا تبادروا لإنکار القرآن و تکذیب نبوّه الرسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و کنا عند سماعنا لآیات القرآن أدرکنا الحقائق،فلا تکونوا کالإنس و تتخذوا طریق الکفر فتبتلوا بما ابتلوا به.

و هذا تحذیر للمشرکین لیفیقوا عند سماعهم لکلام الجن و تحکیمهم

ص: ۸۴

و ليتمسكوا بالقرآن و بالنّبى الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و قال البعض:إنّ الآيه أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللّهُ أَحَداً تشير إلى إنكار البعث لا إلى إنكار بعثه الأنبياء،و قال آخرون:إنّ هذه الآيه و التى قبلها هى من كلام اللّه تعالى و ليست من كلام مؤمنى الجنّ،و إنّها آيات عرضيه جاءت فى وسط حديثهم،و المخاطبون هم مشركو العرب،و طبقا لهذا التّفسير يكون المعنى هكذا،يا مشركى العرب،إنّهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث اللّه أحدا،و لمّا سمعوا الذكر أدركوا خطأهم،و قد حان لكم أن تفيقوا، و لكن هذا القول يبدو بعيدا،بل الظاهر أن الخطاب هو لمؤمنى الجن و المخاطبون هم الكفار منهم.

ثمّ يشيرون إلى علامه صدق قولهم و هو ما يدركه الجن فى عالم الطبيعه، فيقولون: وَ أَنّا لَمَسْنَا السَّماءَ فَوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَ شُهُباً (۱) (۲) .

و كنّا فى السابق نسترق السمع من السماء و نحصل على أخبار الغيب و نوصلها إلى أصدقائنا من الإنس و لكننا منعنا من ذلك الآن: وَ أَنّا كُنّا نَقْعُدُ مِنْها مَقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهاباً رَصَداً أليس هذا الوضع الجديد دليل على حقيقه التغيير العظيم الحاصل فى العالم عند ظهور الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كتاب اللّه السماوى،لماذا كانت لكم القدره على استراق السمع و الآن سلبت منكم هذه القدره؟أليس معنى هذا انتهاء عصر الشيطنه و الكهانه و الخداع،و انتهاء ظلمه الجهل بشروق شمس الوحى و النّبوه؟ «شهاب»لهب من النار،و يطلق أيضا على الأنوار النّاريه الممتده فى السماء،و هى قطع حجريه صغيره متحركه فى الفضاء الخارجى للكره الأرضيه، كما يقول علماء الفلك،و تتأثر بجاذبيه الأرض عند وصولها إلى مقربه منها فتسقط على شكل شعله ناريه حارقه،لأنّها عند ما تصل إلى طبقات الهواء

ص: ۸۵

۱- ۱) -«لمسنا»من لمس،و تعنى هنا الطلب و البحث.

۲- ۲) -«حرس»على وزن قفص،جمع حارس،و قيل اسم جمع لحارس،و تعنى الشديد الحفاظ.

الكثيفه و تصطدم لها تتحول إلى شعله ناريه،ثمّ تصل إلى الأرض بصوره رماد، و قد ذكرت الشهب كرارا فی القرآن المجيد،و أنّها كالسهام ترمى صوب الشياطين الذين يريدون أن يسترقوا السمع من السماء،و قد أوردنا بحوثا مفصّله حول كيفيه إخراج الشياطين من السماء بالشهب،و ما يراد من استراق السمع، و ذلك فی ذيل الآيه(١٨)من سوره الحجر و ما يليها،و فی ذيل الآيه(١٠)من سوره الصافات و ما يليها.

«رصد»على وزن حسد،و هو التهيؤ لانتظار شیء و يعبّر عنه ب(الكمين) و تعنی أحيانا اسم فاعل بمعنى الشخص أو الشّیء الذی يمكن،و هذا ما أريد به فی هذه الآيات.

ثمّ قالوا: وَ أَنّٰا لاٰ نَدْرِی أَ شَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِی الْأَرْضِ أَمْ أَرٰادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً .

أی مع كل هذا فإنّنا لا ندری أ كان هذا المنع من استراق السمع دليل على مكيده تراد بأهل الأرض،أم أراد اللّه بذلك المنع أن يهديهم،و بعباره أخرى أنّنا لا ندری هل هذه هو مقدمه لنزول البلاء و العذاب من اللّه،أم مقدمه لهدايتهم، و لكن لا يخفى على مؤمنی الجن أنّ المنع من استراق السمع الذی تزامن مع ظهور نبيّنا الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو مقدمه لهدايه البشريه،و انحلال جهاز الكهانه و الخرافات الأخرى،و ليس هذا إلاّ انتهاء لعصر الظلام،و ابتداء عصر النّور.

و مع هذا،فإنّ الجن و لعلاقتهم الخاصّه بمسأله استراق السمع لم يكونوا يصدقون بما فی ذلك المنع من خير و بركه،و إلاّ فمن الواضح أن الكهنه فی العصر الجاهلی كانوا يستغلون هذا العمل فی تضليل الناس.

و الجدير بالذكر أنّ مؤمنی الجنّ صرّحوا بالفاعل لإراده الهديه فنسبوه إلى اللّه،و جعلوا فاعل الشّر مجهولا،و هذا إشاره إلى أنّ ما يأتی من اللّه فهو خير، و ما يصدر من الناس فهو الشرّ و فساد إذا ما أساءوا التصرف بالنعم الإلهيه،ثمّ إنّ

المفروض أن يذكر لفظ«الخير»فى مقابل«الشرّ»،و لكن بما أنّ الخير هنا تعنى الرّشد و الهدايه،لذا اكتفى بذكر المصداق فقط.

ص :٨٧

الآيات [سوره الجن (٧٢): الآيات ١١ الى ١٥]

اشاره

وَ أَنّٰا مِنَّا اَلصّٰالِحُونَ وَ مِنّٰا دُونَ ذٰلِكَ كُنّٰا طَرٰائِقَ قِدَداً (١١) وَ أَنّٰا ظَنَنّٰا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اَللّٰهَ فِي اَلْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً (١٢) وَ أَنّٰا لَمّٰا سَمِعْنَا اَلْهُدىٰ آمَنّٰا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاٰ يَخٰافُ بَخْساً وَ لاٰ رَهَقاً (١٣) وَ أَنّٰا مِنَّا اَلْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا اَلْقٰاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً (١۴) وَ أَمَّا اَلْقٰاسِطُونَ فَكٰانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً (١۵)

التّفسير

اشاره

إنّ سمعنا الحقّ فأطعناه:

فى هـذه الآيـات يسـتمر مؤمنو الجن فى حـديثهم و هـم يبلغون قومهم الضـالّين فيقولون: وَ أَنّٰا مِنَّا الصّٰالِحُونَ وَ مِنّٰا دُونَ ذٰلِكَ كُنّٰا طَرٰائِقَ قِدَداً .

و يحتمـل أن يكون المراد من قولهم هـذا هو أن وجود إبليس فيما بينهم قـد أوجـد شـبهه لبعضـهم،بأنّ الجن متطبّع على الشـرّ و الفساد و الشيطنه،و محال أن يشرق نور الهدايه فى قلوبهم.

ص: ٨٨

و لكن مؤمنى الجن يوضحون فى قولهم هذا أنّهم يملكون الإختيار و الحريه، و فيهم الصالح و الطالح،و هذا يوفرّ لهم الأرضيه للهدايه،و أساسا فإنّ أحد العوامل المؤثره فى التبليغ هو إعطاء الشخصيه للطرف المقابل،و توجيهه إلى وجود عوامل الهدايه و الكمال فى نفسه.

و احتمل أيضا أنّ الجن قالوا ذلك لتبرئه ساحتهم من موضوع الإساءه فى مسأله استراق السمع أى:و إن كان منّا من يحصل على الأخبار عن طريق استراق السمع و وضعها بأيدى الأشرار لتضليل الناس،و لكن لا يعنى ذلك أنّ الجن كلهم كانوا كذلك،و لهذه الآيه تأثير فى إصلاح ما اشتبه علينا نحن البشر فى عقائدنا حول الجن،لأنّ كثير من الناس يتصورون أنّ لفظه الجن تعنى الشيطنه و الفساد و الضلال و الانحراف،و سياق هذا الآيه يشير إلى أنّ الجن فصائل مختلفه، صالحون و طالحون.

«قدد»على وزن(ولد)و هو جمع قد،على وزن(ضد)و تعنى المقطوع، و تطلق على الجماعات المختلفه،لأنّها تكون على شكل قطع منفصله عن بعضها.

و فى إدامه حديثهم يحذرون الآخرين فيقولون: وَ أَنّا ظَنَنّا أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللّٰهَ فِی الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَباً و إذا كنتم تتصورون أنّكم تستطيعون الفرار من جزاء و تلتجئون إلى زاويه من زوايا الأرض أو نقطه من نقاط السماوات فإنّكم فى غايه الخطأ.

و على هذا الأساس،فإنّ الجمله الأولى إشاره إلى الفرار من قبضه القدره الإلهيه فى الأرض،و الجمله الثّانيه إشاره إلى الفرار المطلق،الأرض و السماء.

و يحتمل أن يكون تفسير الآيه هو أنّه الجمله الأولى إشاره إلى أنّه لا يمكن الغلبه على اللّه،و الجمله الثّانيه إشاره إلى أنّه لا يمكن الفرار من قبضه العداله، فإذا لم يكن هناك طريق للغلبه و لا للفرار،فلا علاج إلاّ التسليم لأمر اللّه تعالى و عدالته.

ص :89

و أضاف مؤمنو الجن فی حدیثهم قائلین: وَ أَنّٰا لَمّٰا سَمِعْنَا الْهُدیٰ آمَنّٰا بِهِ و إذ ندعوکم لهدی القرآن فإنّنا ممّن عمل بذلک أوّلا،و لذا نحن لا ندعو الآخرین إلی أمر لم نکن فاعلیه.

ثمّ بیّنوا عاقبه الإیمان فی جمله قصیره واحده فقالوا: فَمَنْ یُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلاٰ یَخٰافُ بَخْساً وَ لاٰ رَهَقاً .

«بخس»:علی وزن(شخص)و یراد به النقص علی سبیل الظلم.

«رهق»:علی وزن(سقف)یراد به-و کما أشرنا من قبل-غشیان السیء بالقهر،و قال البعض:إنّ البخس هو عدم نقصان شیء من حسناتهم،و الرهق:هو عدم إضافه شیء إلی سیئاتهم،قیل البخس:هو نقص الحسنات،و الرهق:

التکالیف الشاقه،علی کل حال فالمراد هو أن المؤمنین مهما یعملوا من عمل کبیرا کان أو صغیرا فإنّهم یستوفون أجور ذلک بلا نقص أو قلّه،و صحیح أنّ العداله الإلهیه غیر منحصره بالمؤمنین،لکنّ الطالحین لیس لهم عمل صالح، فلیس هناک ذکر لأجورهم.

و فی الآیه الأخری توضیح أکثر حول عاقبه المؤمنین و الکافرین فیقولون:

وَ أَنّٰا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَ مِنَّا الْقٰاسِطُونَ (۱) فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولٰئِکَ تَحَرَّوْا رَشَداً

. (۲)

وَ أَمَّا الْقٰاسِطُونَ فَکٰانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً

.

الملاحظ فی الآیات أن کلمه«المسلم»جاءت مقابل کلمه«الظالم»، و إشاره إلی أن ما یقی الإنسان من الظلم هو الإیمان،و إذا لم یکن الفرد مؤمنا فإنّه سوف یظلم بأی شکل من الأشکال،و کذا تشیر إلی أنّ المؤمن الحقیقی هو

---

۱ - ۱) -«القاسط»من أصل(قسط)و تعنی التقسیم العادل،فإن أتت علی وزن(أفعال)،(أقساط)فإنّها تعنی إجراء العداله،و إذا استعملت بصوره الثّلاثی المجرّد کما فی هذه الآیه فإنّها تعطی معنی الظلم و الانحراف عن سبیل الحقّ.

۲- ۲) -«تحروا»:من أصل تحری و تعنی توخیه و قصده.

المؤمن الذی لا یظلم،کما

فی حدیث النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «المؤمن من آمنه الناس علی أنفسهم و أموالهم». (۱)

و

جاء فی حدیث آخر عنه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و یده». (۲)

و التعبیر ب تَحَرَّوْا رَشَداً یشیر إلی أنّ المؤمنین إنّما یتوجهون إلی الهدی بالتحقیق و التوجه الصادق،و لیس بالغفله و الأغماض،و جزاءهم الأوفی هو نیلهم الحقائق التی بظلها ینالون النعم الإلهیه،و الظالمون هم فی أسوأ حال،حیث إنّهم حطب لجهنم،أی أنّ النار تلتهب فی أعماق وجودهم.

۱- ۱) -تفسیر روح البیان،ج ۱۰،ص ۱۹۵.

۲- ۲) -أصول الکافی،ج ۲،باب المؤمن و علاماته و صفاته.

الآيات [سوره الجن (٧٢): الآيات ١۶ الی ١٩]

اشاره

وَ أَنْ لَوِ اِسْتَقٰامُوا عَلَى اَلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنٰاهُمْ مٰاءً غَدَقاً (١۶) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذٰاباً صَعَداً (١٧) وَ أَنَّ اَلْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اَللّٰهِ أَحَداً (١٨) وَ أَنَّهُ لَمّٰا قٰامَ عَبْدُ اَللّٰهِ يَدْعُوهُ كٰادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (١٩)

التّفسير

اشاره

الفتنه باغدق النعمه:

هذه الآيات تشير ظاهرا إلى استمرار الجن فی حديثهم مع قومهم:(و إن كان بعض المفسّرين يعتبرون هذه الآيه معترضه بين كلام الجن)و لكن اعتراضها خلاف الظاهر،و سياق هذه الآيات يشابه السابقه و الذی كان من كلام الجن،و لذا يستبعد أن يكون هذا الكلام هو لغير الجن. (١)

ص: ٩٢

١- ١) -من الملاحظ أنّ السبب الوحيد الذی دعا المفسّرين إلى أن يعتبروا هذا الكلام من كلام اللّه تعالى و أنّها جمله اعتراضيه هو ضمائر(المتكلم مع الغير)ففی موضع يقول:لأسقيناهم ماء غدقا،و فی موضع آخر يقول:لنفتنهم فيه،و لكن لا ضمير عند ما نعتبر هذه التعابير من باب النقل،كما لو تحدث شخص عن صاحبه فيقول:إنّ فلانا يعتقد بأنّی شخص حسن،(بالطبع هو لم يستعمل كلمه(أنا)و إنّما استعمل كلمه(هو)و لكن القائل يختار مثل هذا التعبير).

على كل حال فإنّ سياق الآيات السابقه يشير إلى ثواب المؤمنين فى يوم القيامه،و فى هذه الآيات يتحدث عن ثوابهم الدّنيوى فيقول: وَ أَنْ لَوِ اسْتَقامُوا عَلَى الطَّرِيقَهِ لَأَسْقَيْناهُمْ ماءً غَدَقاً نتزل عليهم مطر رحمتنا،و نذلل لهم منابع و عيون الماء الذى يهب الحياه و بوجود الماء يوجد كل شىء و على هذا فإنّنا نشملهم بأنواع النعم.

«غدق»على وزن شفق،و تعنى الماء الكثير القرآن المجيد اكّد و لعدّه مرات على أنّ الإيمان و التقوى ليست فقط منبعا للبركات المعنويه،بل تؤدّى إلى زياده الأرزاق و النعم و العمران،أى(البركه و الماديه).

(لنا بحث مفصل فى هذا الباب فى نفس المجلد فى تفسير سوره نوح عليه السّلام ذيل الآيه ١٢ تحت عنوان الرابطه بين الإيمان و التقوى و بين العمران).

الملاحظ حسب هذا البيان أنّ سبب زياده النعمه هو الاستقامه على الإيمان،و ليس أصل الإيمان،لأنّ الإيمان المؤقت لا يستطيع أن يظهر هذه البركات،فالمهم هو الاستقامه و الاستمرار على الإيمان و التقوى،و لكن هناك الكثير ممن تزل أقدامهم فى هذا الطريق.

و الآيه الأخرى إشاره إلى حقيقه أخرى بنفس الشأن،فيضيف: لِنَفْتِنَهُمْ هل أنّ كثره النعم تتسبب فى غرورهم و غفلتهم؟أم أنّها تجعلهم يفيقون و يشكرون و يتوجهون أكثر من ذى قبل إلى اللّه؟ و من هنا يتّضح أن وفور النعمه من إحدى الأسباب المهمّه فى الامتحان الإلهى،و ما يتفق عليه هو أنّ الاختبار بالنعمه أكثر صعوبه و تعقيدا من الاختبار بالعذاب،لأنّ طبيعه ازدياد النعم هو الانحلال و الكسل و الغفله،و الغرق فى الملذات و الشهوات،و هذا ما يبعد الإنسان عن اللّه تعالى و يهىء الأجواء لمكائد الشيطان،و الذين يستطيعون أن يتخلصوا من شراك النعم الوافره هو الذاكرون للّه

على كلّ حال،غير الناسين له تعالى،حيث يحفظون قلوبهم بالذكر من نفوذ الشياطين (1) .

و لذا يضيف تعقيبا على ذلك: وَ مَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذاباً صَعَداً .

«صعد»:على وزن(سفر)و تعنى الصعود إلى الأعلى،و أحيانا الشعب المتعرجه فى الجبل،و بما أنّ الصعود من الشعاب المتعرجه عمل شاق،فإنّ هذه اللفظه تستعمل بمعنى الأمور الشّاقه،و فسّرها الكثير بمعنى العذاب الشّاق،و هو مماثل لما جاء فى الآيه(١٧)من سوره المدّثر حول بعض المشركين: سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً .

و لكن،أنّه مع أنّ التعبير أعلاه يبيّن كون هذا العذاب شاقّا شديدا فإنّه يحتمل أن يشير إلى اليوم الطويل،و على هذا الأساس فإنّه يبيّن فى الآيات أعلاه رابطه الإيمان و التقوى بكثره النعم من جهه،رابطه كثره النعم بالاختبارات الإلهيه من جهه أخرى و رابطه الإعراض عن ذكر اللّه تعالى بالعذاب الشاق الطويل من جهه ثالثه،و هذه حقائق أشير إليها فى الآيات القرآنيه الأخرى كما نقرأ فى الآيه (١٢۴)من سوره طه: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً .

و كذا فى الآيه(۴٠)من سوره النمل عن لسان سليمان عليه السّلام: هٰذا مِنْ فَضْلِ رَبِّی لِيَبْلُوَنِی أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ،و ما جاء فى الآيه(٢٨)من سوره الأنفال:

وَ اعْلَمُوا أَنَّمٰا أَمْوٰالُكُمْ وَ أَوْلاٰدُكُمْ فِتْنَةٌ .

و قال مؤمنو الجن فى الآيه الأخرى و هم يدعون إلى التوحيد: وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً و للمساجد فى هذه الآيه تفاسير عديده منها:

---

١ - ١) -احتمل بعض المفسّرين أن يكون المراد من«الطريقه»هو سبيل الكفر و زياده النعم الحاصله نتيجه للاستقامه فى هذه الطريقه فى الحقيقه هى مقدمه العقوبات و مصداق الاستدراج فى النعم،و لكن هذا التّفسير لا يتناسب أبدا مع سياق الآيات السابقه و اللاحقه.

أولا:قيل هی المواطن التی يسجد فيها للّه تعالی کالمسجد الحرام و بقيه المساجد،و بشکل أعم هی الأرض التی يصلّی فيها و يسجد عليها،و هو مصداق

القول الرّسول الأکرم صلّی اللّه عليه و آله و سلّم: «جعلت لی الأرض مسجدا و طهورا». (۱)

و هذا ردّ لمن اتّخذ الأصنام و الأوثان للعباده فأشرک باللّه،و من اتّخذ الکعبه معبدا للأصنام،أو انصرف إلی إحياء الطقوس المسيحيه حيث(التثليث)أو عبد الأرباب الثّلاثه فی الکنائس و اللّه تعالی يقول: أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً ثانيا:المراد بالمساجد السبعه الأعضاء السبعه،فيجب أن يکون وضعها علی الأرض خالصا للّه،و لا يجوز أن يکون لغيره،کما ورد فی الحديث عن الإمام محمّد بن علی الجواد عليهما السّلام و هو يجيب المعتصم فی مجلسه الذی کان قد جمع فيه العلماء من أهل السنه حيث سأله عن يد السارق من أی موضع يجب أن تقطع؟فقال بعض الجالسين تقطع من الساعد و استدلوا فی ذلک بآيه التيمم،و قال آخرون من المرفق و استدلوا فی ذلک بآيه الوضوء،فأراد المعتصم جواب ذلک من الإمام الجواد عليه السّلام فرفض و

قال: «أعفنی عن ذلک» فأصرّ عليه المعتصم.

فقال الإمام الجواد عليه السّلام: «ما قيل فی ذلک خطأ،و إنّ القطع يجب أن يکون من مفصل أصول الأصابع فتترک الکف».فقال:و ما الحجّه فی ذلک؟ قال الإمام عليه السّلام:«قول رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم:السجود علی سبعه أجزاء،الوجه،و اليدين،و الرکبتين،و الرجلين،فإذا قطع من الکرسوع أو المرفق لم يدع له يد يسجد عليه،و قال اللّه تعالی شأنه: وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ... أی إنّ هذه الأعضاء السبعه خاصّه للّه،فما کان للّه لا يقطع» (۲) .

ص: ۹۵

۱- ۱) -وسائل الشيعه،ج ۲،ص ۹۷۰،الحديث ۳.

۲- ۲) -وسائل الشيعه،ج ۱۸،ص ۴۹۰(أبواب حدّ السرقه الباب الرّابع الحديث ۵).

فتعجب المعتصم لجواب الإمام عليه السّلام و أمر أن تقطع يد السارق من مفصل اصول الأصابع،كما قال الإمام عليه السّلام و ذكرت فى ذلك أحاديث كثيره. (١)

و لكن الأحاديث المنقوله بها الشأن هى مرسله غالبا،أو أنّ سندها ضعيف، و هناك نقائض لها ليس من السهل الإجابه عليها،فمثلا ما هو مشهور فى أوساط الفقهاء أنّ السارق إذا ما سرق للمرّه الثّانيه تقطع الأقسام الأماميه لقدمه، و يتركون كعب القدم سالما(هذا بعد إقامه الحدّ عليه جزاء السرقه الاولى) و الواضح أنّ الأصبع الكبير للقدم يعتبر من المساجد السبعه،و كذا فى شأن المحارب فإنّ إحدى عقوباته هو مقطع قسم من اليد و القدم.

ثالثا:قيل إنّ المراد بالمساجد هو السّجود،أى أنّ السجود يجب أن يكون دائما للّه تعالى و لا يكون لغيره،و هذا خلاف ظاهر الآيه حيث لا دليل عليه.

و يستفاد من مجموع ما قيل أنّ ما يناسب ظاهر الآيه هو التّفسير الأوّل،و كذا يناسب ظاهر الآيات السابقه و اللاحقه فى شأن التوحيد،و تخصيص العباده للّه، و التّفسير الثّانى يمكن أن يكون موسعا لمعنى الآيه،و أمّا الثّالث فلا دليل عليه.

و يضيف فى إدامه الآيه بيانا عن التأثير غير العادى للقرآن المجيد و قيام الرّسول للدّعاء فيقول: وَ أَنَّهُ لَمّا قامَ عَبْدُ اللّهِ يَدْعُوهُ كادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً (٢) ،أى عند ما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلم يقوم للصلاه،فإنّ طائفه من الجن كانوا يجتمعون عليه بشكل متزاحم.

«لبد»:على وزن(فعل)و تعنى الأشياء المجتمعه المتراكمه،و هذا التّعبير بيان لتعجب الجنّ ممّا يشاهدونه من عبادته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و قراءته قرآنا لم يسمعوا كلاما يماثله،و قيل فى ذلك قولان آخران:

١- ١) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۳۹ و ۴۴٠

٢- ٢) -ما يطابق هذا التّفسير و كون هذه الآيه من حديث مؤمنى الجنّ فإنّ إتيان الضمير الغائب بدل المتكلم هو من باب الالتفات، أو من باب أنّ بعضهم يبيّن حال البعض الآخر.

الأوّل:أنّهم-أی الجن-یبیّنون حال أصحاب الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و المجتمعین علیه المقتدین به فی صلاته إذا صلّی و المنصتین لما یتلوه کلام اللّه،و المراد من ذلک هو الاقتداء الجنّ بهم و الإیمان فی ذلک.

الثّانی:لبیان حال المشرکین،أی لمّا قام النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یعبد اللّه بالصلاه کاد المشرکون بازدحامهم أن یکونوا علیه لبدا مجتمعین متراکمین لیستهزئوا به.

و الوجه الأخیر لا یلائم هدف مبلغی الجن الذین أرادوا ترغیب الآخرین فی الإیمان و المناسب هو أحد القولین السابقین.

ملاحظه

اشاره

التّحریف فی تفسیر الآیه: وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ

إنّ مسأله التوسل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و بأولیاء دین اللّه علیهم السّلام تعنی اتّخاذهم وسیله و ذریعه الی اللّه تعالی،و هذا ممّا لا یتنافی مع حقیقه التوحید و لا مع آیات القرآن، بل هی تأکید علی التوحید و علی أنّ کلّ شیء هو من عند اللّه،و أشیر إلی الشفاعه و طلب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم المغفره للمؤمنین فی کثیر من آیات القرآن (۱) و بهذا یصرّ بعض المبتعدین عن التعالیم الإسلامیه و القرآن الکریم علی إنکار شیء من قبیل التوسل و الشفاعه.

و قد تذرعوا بعده ذرائع لإثبات مقاصدهم،منها ما یقولهم:إنّ الآیه: وَ أَنَّ الْمَسٰاجِدَ لِلّٰهِ فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً تعنی أنّ اللّه یأمر ألاّ تدعوا معه أحدا،و لا ندعوا غیره أو نطلب الشفاعه من غیره!و الإنصاف أنّ ما قالوه لا یناسب سیاق الآیه و لا یرتبط هذا المعنی بالآیه،بل الهدف من الآیه نفی الشرک،أی جعل

۱- ۱) -بحثنا مسأله(الشفاعه فی نظر القرآن و الحدیث)بحثا مفصلا فی ذیل الآیه(۴۸)من سوره البقره و حول حقیقه(التوسل) فی ذیل الآیه(۳۵)من سوره المائده.

الشیء مع اللّه فی مرتبه واحده فی العباده أو طلب الحاجه،و بعباره أخری أنّ المشرک هو من یبتغی الحوائج من غیر اللّه تعالی و یجعل له الخیره و یظن أنّ قضاء حوائجه منه.

کما أنّ کلمه(مع)فی الآیه: فَلاٰ تَدْعُوا مَعَ اللّٰهِ أَحَداً تشیر إلی هذا المعنی،و هو ألاّ یجعل مع اللّه أحدا،و یکون ذلک مبدءا للتأثیر المستقل،و لیست نفیا لتشفع الأنبیاء أو جعلهم وسطاء عند اللّه تعالی،بل إنّ القرآن الکریم یطلب أحیانا ذلک من النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم نفسه و أحیانا أخری یأمر بطلب الشفاعه من النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کما نقرأ فی الآیه(۱۰۳)من سوره التوبه: خُذْ مِنْ أَمْوٰالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَکِّیهِمْ بِهٰا وَ صَلِّ عَلَیْهِمْ إِنَّ صَلاٰتَکَ سَکَنٌ لَهُمْ .

و کذا الآیه(۹۷)من سوره یوسف عن لسان إخوته و هم یخاطبونه أباهم:

یٰا أَبٰانَا اسْتَغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا إِنّٰا کُنّٰا خٰاطِئِینَ فلم یرفض النّبی یعقوب علیه السّلام ذلک الطلب،بل وعدهم فی ذلک و قال: سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَکُمْ رَبِّی .

و لهذا فإنّ مسأله التوسل و طلب الشّفاعه کما تقدم هی من المفاهیم الصریحه فی القرآن.

الآيات [سوره الجن (٧٢): الآيات ٢٠ الى ٢۴]

اشاره

قُلْ إِنَّمٰا أَدْعُوا رَبِّی وَ لاٰ أُشْرِکُ بِهِ أَحَداً (٢٠) قُلْ إِنِّی لاٰ أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لاٰ رَشَداً (٢١) قُلْ إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اَللّٰهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (٢٢) إِلاّٰ بَلاٰغاً مِنَ اَللّٰهِ وَ رِسٰالاٰتِهِ وَ مَنْ یَعْصِ اَللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نٰارَ جَهَنَّمَ خٰالِدِینَ فِیهٰا أَبَداً (٢٣) حَتّٰی إِذٰا رَأَوْا مٰا یُوعَدُونَ فَسَیَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نٰاصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً (٢۴)

التّفسیر

اشاره

الأمور کلّها بید اللّه لا بیدی:

فی هذا الآیات یأمر اللّه تعالی نبیّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یقول: قُلْ إِنَّمٰا أَدْعُوا رَبِّی وَ لاٰ أُشْرِکُ بِهِ أَحَداً و ذلک لتقویه قواعد التوحید،و نفی کلّ أنواع الشرک،کما مرّ فی الآیات السابقه،ثمّ یأمره أن: قُلْ إِنِّی لاٰ أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لاٰ رَشَداً .

ثمّ یضیف:قل لهم بأنّی لو خالفت أمر اللّه تعالی فسوف یحیق بی العذاب

ص :٩٩

أیضا و لن یستطیع أحد أن ینصرنی أو یدفع عنّی عذابه: قُلْ إِنِّی لَنْ یُجِیرَنِی مِنَ اللّهِ أَحَدٌ وَ لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً (١) و علی هذا الأساس لا یستطیع أحد أن یجیرنی منه تعالی و لا شیء یمکنه أن یکون لی ملجأ و هذا الخطاب یشیر من جهه إلی الإقرار الکامل بالعبودیه للّه تعالی،و إلی نفی کلّ أنواع الغلو فی شأن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم من جهه أخری،و یشیر من جهه ثالثه إلی أنّه الأصنام لیس فقط لا تنفع و لا تحمی،بل إنّ نفس الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أیضا مع ماله من العظمه لا یمکنه أن یکون ملجأ من عذاب اللّه،و ینهی من جهه الذرائع و الآمال للمعاندین الذین کانوا یطلبون من النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أن یریهم المعاجز الإلهیه،و یثبت أن التوسل و الشفاعه أیضا لا یتحققان إلاّ بإذنه تعالی.

«ملتحدا»:هو المکان الآمن و هو من أصل(لحد)،و تعنی الحفره المتطرفه، کالذی یتّخذ للأموات فی عمق القبر حتی لا ینهال التراب علی وجه المیت و یطلق علی کل مکان یلجأ و یطمأن إلیه.

و من الملاحظ أنّ الآیه: قُلْ إِنِّی لاٰ أَمْلِکُ لَکُمْ ضَرًّا وَ لاٰ رَشَداً و قد جعلت الضرّ فی قابل الرشد،لأنّ النفع الحقیقی یمکن فی الهدایه،کما فی حدیث الجن فی الآیات السابقه إذ اتّخذ الشرّ فی قبال الرشد،و الاثنان متماثلان معا.

و یضیف فی الآیه الأخری: إِلاّٰ بَلاٰغاً مِنَ اللّهِ وَ رِسٰالاٰتِهِ (٢) ،و قد مرّ ما یشابه هذا التعبیر مرارا فی آیات القرآن الکریم، کما فی الآیه(٩٢)من سوره المائده: أَنَّمٰا عَلیٰ رَسُولِنَا الْبَلاٰغُ الْمُبِینُ .

و کذا فی الآیه(١٨٨)من سوره لأعراف:

١- ١) -قیل فی سبب نزول هذا الآیه:إن کفار قریش قالوا للنبی صلی الله علیه و آله و سلم عد إلی دیننا لنجیرک فنزلت الآیه جوابا علی قولهم (تفسیر أبو الفتوح الرازی،ج ١١،ص ٢٩٣).

٢- ٢) -بما أن البلاغ یتعدی ب(عن)فقد قال البعض:إن(من)بمعنی(عن)و یتعلق بمحذوف تقدیره(کائنا)فیکون المعنی(إلا بلاغا کائنا من الله).

قُلْ لاّٰ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَ لاّٰ ضَرًّا إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اللّٰهُ وَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَ مٰا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاّٰ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ .

و قيل أيضا فى تفسير هذه الآيه:إنّ المعنى:قل لن يجيرنى من اللّه أحد إلاّ تبليغا منه و من رسالاته،أى إلاّ أن أمتثل ما أمرنى به من التبليغ منه تعالى. (۱)

و أمّا عن الفرق بين«البلاغ»و«الرسالات»فقد قيل:إنّ البلاغ يخص اصول الدين،و الرسالات تخصّ بيان فروع الدين.

و قيل المراد من إبلاغ الأوامر الإلهيه،و الرسالات بمعنى تنفيذ تلك الأوامر، و لكن الملاحظ أنّ الإثنين يرجعان إلى معنى واحد،بقرينه الآيات القرآنيه المتعدده:و كقوله تعالى فى الآيه(۶۲)سوره الأعراف فيقول: أُبَلِّغُكُمْ رِسٰالاٰتِ رَبِّي و غيرها من الآيات،و يحذر فى نهايه الآيه فيقول: وَ مَنْ يَعْصِ اللّٰهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نٰارَ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً .

الواضح أنّ المراد فيها ليس كلّ العصاه،بل المشركون و الكافرون لأنّ مطلق العصاه لا يخلدون فى النّار.

ثمّ يضيف: حَتّٰى إِذٰا رَأَوْا مٰا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نٰاصِراً وَ أَقَلُّ عَدَداً . (۲)

و فى المراد من العذاب فى: مٰا يُوعَدُونَ هل هو العذاب الدنيوى أم الاخروى أم الاثنان معا؟ورد فى ذلك أقوال،و الأوجه هو أن يكون المعنى عامّا، و فيما يخصّ الكثره و القلّه و الضعف و القوّه للأنصار فإنّه متعلق بالدنيا،و لذا فسّره البعض بأنّه يتعلق بواقعه بدر التى كانت قوّه و قدره المسلمين فيها ظاهره

ص:۱۰۱

۱- ۱) -هذه الجمله مستثناه من الجمله السابقه لَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً حسب هذا التّفسير و مستثناه من الآيه السابقه حسب التّفسير الأوّل.

۲- ۲) -«متى»:تأتى عاده لبيان الغايه و النهايه للشىء و قيل فى ذلك وجهان: الأوّل:إنّ الغايه جمله محذوفه و تقديرها(و لا يزالون يستهزؤن و يستضعفون المؤمنين حتى إذا رأوا ما يوعدون...). الثّانى:إنّ الغايه هى للآيه يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً و التى مرّت سابقا،و الأوّل أوجه.

و واضحه و قيل حسب الرّوايات المتعدده أنّها تخصّ الإمام المهدى(أرواحنا فده)و إذا أردنا تفسير الآيه بمعانيها فإنّها تشمل كلّ ذلك.

إضافه إلى ما جاء فى الآيه(۷۵)من سوره مريم عليها السّلام: حَتّى إِذا رَأَوْا ما يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذابَ وَ إِمَّا السّاعَهَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً و على كل حال فإنّ سياق هذه الآيه يشير إلى أنّ أعداء الإسلام كانوا يتبجّجون قدرات جيوشهم و كثره جنودهم أمام المسلمين يستضعفونهم،الأنصار لهذا كان القرآن يواسيهم و يبشرهم بأنّ العاقبه ستكون بانتصارهم و خسران عدوهم.

***

ملاحظتات

اشاره

۱-صفاء القاده الإلهيين

إحدى خصوصيات القاده الإلهيين هى أنّهم بعكس العاده الشيطانيين، ليسوا بمغرورين و لا متكبرين و لا ممن يدّعون ما ليس فيهم.

فإذا كان فرعون ينادى لحماقته:أنّا ربّكم الأعلى!و هذه الأنهار تجرى من تحتى،فإنّ الإلهيون يرون أنفسهم من أصغر عباد اللّه لشدّه تواضعهم للّه،و ما كانوا يحسبون لأنفسهم قدره أمام إراده اللّه تعالى،كما نقرأ فى الآيه(۱۱۰)من سوره الكهف: قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحى إِلَيَّ و ورد فى موضع آخر: وَ ما أَدْرِى ما يُفْعَلُ بِى وَ لا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاّ ما يُوحى إِلَيَّ وَ ما أَنَا إِلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ .

و نقرأ فى آيه اخرى: قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِى خَزائِنُ اللّهِ وَ لا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَ لا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ . (۱)

حتى لو وصلوا إلى ذروه القدره الماديه فإنّهم لا يغترون بها و لا يتيهون فيها

ص:۱۰۲

۱- ۱) -الأنعام،۵۰.

كما قال سليمان عليه السّلام: هٰذٰا مِنْ فَضْلِ رَبِّی . (۱)

و من الطریف أنّ کثیرا من الآیات القرآنیه توجّه خطابات حاده إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و تعاتبه لیکون فی أمره علی حذر.

إنّ مجموع هذه الآیات و الآیات السابقه هی وثیقه حیّه علی أحقّیه هذا النّبی العظیم،و إلاّ فما هو المانع من أن یدعی لنفسه المنازل العظیمه فوق ما یدرکه البشر و هو یعیش فی فئه تتقبل منه ما یدّعیه و من دون احتجاج و تساؤل من الناس کما أشار التاریخ إلی ذلک فی شأن الظالمین.

نعم،إنّ هذا التعابیر فی مثل هذه الآیات تکون شواهد حیّه لأحقّیه دعوه الرّسول الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

۲-لیس المهم الکم بل الکیف!

أخذ هذا الموضوع بنظر الإعتبار فی کثیر من آیات القرآن،و هو أنّ طاغوت کل زمان یتظاهر بکثره أعوانه،کما فی شأن فرعون عند ما کان یستهین بمن مع موسی علیه السّلام فقال: إِنَّ هٰؤُلاٰءِ لَشِرْذِمَهٌ قَلِیلُونَ (۲) ،و قال مشرکو العرب: نَحْنُ أَکْثَرُ أَمْوٰالاً وَ أَوْلاٰداً وَ مٰا نَحْنُ بِمُعَذَّبِینَ و کان المعاند یتظاهر بأمواله و أعوانه، و یفتخر بذلک لیغیظ به المؤمنین،و یقول: أَنَا أَکْثَرُ مِنْکَ مٰالاً وَ أَعَزُّ نَفَراً . (۳)

و لم یکن المؤمنون السائرون علی خط الأنبیاء یتأثرون بمظاهر الثروه و غیرها،بل کان قولهم هو: کَمْ مِنْ فِئَهٍ قَلِیلَهٍ غَلَبَتْ فِئَهً کَثِیرَهً بِإِذْنِ اللّهِ . (۴)

و

یقول أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أیّها الناس لا تستوحشوا فی طریق الهدی لقلّه

۱- ۱) -النمل،۴۰.

۲- ۲) -الشعراء،۵۴.

۳- ۳) -الکهف،۳۴.

۴- ۴) -البقره،۲۴۹.

أهله» (۱) إنّ تاريخ الأنبياء،و بالخصوص تاريخ حياه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،يشير كيف أن المعاندين على كثرتهم و امتلاكهم لجميع القدرات انكسروا و عجزوا أمام القلّه القليله من المؤمنين،و تعكس الآيات القرآنيه هذا المعنى جيدا و هی تروی قصص بنی إسرائيل و فرعون و طالوت و جالوت،و كذلك ما فی واقعه بدر و الأحزاب.

***

ص :۱۰۴

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۰۱.

الآيات [سوره الجن (٧٢): الآيات ٢٥ الى ٢٨]

اشاره

قُلْ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ مٰا تُوعَدُونَ أَمْ یَجْعَلُ لَهُ رَبِّی أَمَداً (٢٥) عٰالِمُ اَلْغَیْبِ فَلاٰ یُظْهِرُ عَلیٰ غَیْبِهِ أَحَداً (٢٦) إِلاّٰ مَنِ اِرْتَضیٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ یَسْلُکُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً (٢٧) لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسٰالاٰتِ رَبِّهِمْ وَ أَحٰاطَ بِمٰا لَدَیْهِمْ وَ أَحْصیٰ کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً (٢٨)

التّفسیر

اشاره

اللّه عالم الغیب:

لقد تبیّن فی الآیات السابقه حقیقه أنّ العصاه یبقون علی عنادهم و استهزائهم حتی یأتی وعد اللّه بالعذاب،و هنا یطرح السؤال،و هو:متی یتحقق وعد اللّه؟و قد بیّن المفسّرون سبب نزول الآیه،و ذکروا أنّ بعض المشرکین کالنضر بن الحارث سألوا عن وعد اللّه بعد نزول هذه الآیات أیضا،و قد أجاب القرآن علی ذلک فقال: قُلْ إِنْ أَدْرِی أَ قَرِیبٌ مٰا تُوعَدُونَ أَمْ یَجْعَلُ لَهُ رَبِّی أَمَداً .

هذا العلم یخص ذاته المقدسه تعالی شأنه،و أراد أن یبقی مکتوما حتی عن

عباده المؤمنين،ليتحقق الاختبار الإلهی للبشريه،و إلاّ فلم يؤثر الاختبار.

«أمد»:علی وزن(صمد)و تعنی الزمان،و علی ما يقوله الراغب فی مفرداته:

إنّ هناک اختلافا بين الزمان و الأمد،فالزمان يشمل الابتداء و الانتهاء،و أمّا الأمد فإنّها الغايه التی ينتهی إليها.

و قيل أيضا بتقارب المعنی فی الأمد و الأبد مع اختلاف،و هو أنّ الأبد يراد به المدّه غير المحدوده،و أمّا الأمد فهی المدّه المحدوده و إن طالت.

و علی كل حال،فإنّنا كثيرا ما نواجه مثل هذه المعانی فی آيات القرآن، و عند ما يسأل الرّسول صلّی اللّه عليه و آله و سلّم عن يوم القيامه يجيب بأنّه ليس لهم علم بذلک، و أن علمه عند اللّه،و

ورد فی حديث أنّ جبرئيل عليه السّلام ظهر عند النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم علی هيئه أعرابی،فسأله عن الساعه،فقال النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم:«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل»فأعاد عليه السؤال رافعا صوته:يا محمّد متی الساعه؟فقال النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم:

«ويحک،إنّها كائنه فما أعددت لها؟»فقال الأعرابی:لم أعد كثيرا من الصلاه و الصيام،و لكن أحبّ اللّه و رسوله،فقال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم:«فأنت مع من أحببت»، فقال أنس(و هو أحد الصحابه):فما فرح المسلمون بشیء كفرحهم بهذا الحديث. (1)

ثمّ يبيّن فی هذا الحديث قاعده كليه بشأن علم الغيب فيقول: عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَداً . (2)

ثمّ يضيف مستثنيا: إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ .

أی يبلغه ما يشاء عن طريق الوحی الإلهی: فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَداً .

١- ١) -تفسير المراغی،ج ٢٩،ص ١٠۵.

٢- ٢) -عالم الغيب خبر لمبتدأ محذوف،و التقدير:هو عالم الغيب،و قيل:صفه أو بدل لربّی فی الآيه السابقه.

«رصد»:فی الأصل مصدر،و یراد به الاستعداد للمراقبه من شیء،و یطلق علی الاسم الفاعل و المفعول،و یستعمل فی المفرد و الجمع،أی یطلق علی المراقب و الحارس أو علی المراقبین و الحرّس.

و یراد به هنا الملائکه الذین یبعثهم اللّه مع الوحی إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیحیطوه من کل جانب،و یحفظوا الوحی من شرّ شیاطین الجنّ و الإنس و وساوسهم:و من کل شیء یخدش أصاله الوحی،لیوصلوا الرسالات إلی العباد من دون خدش أو زیاده أو نقصان،و هذا هو دلیل من الأدله علی عصمه الأنبیاء علیهم السّلام المحفوظین من الزّلات و الخطایا بالإمداد الإلهی و القوه الغیبیه، و الملائکه.

فی بحثنا للآیه الأخیره التی تنهی السوره تبیان لدلیل وجود الحراس و المراقبین فیقول: لِیَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالاتِ رَبِّهِمْ وَ أَحاطَ بِما لَدَیْهِمْ وَ أَحْصیٰ کُلَّ شَیْءٍ عَدَداً (۱) .

المراد من العلم هنا هو العلم الفعلی،و بعباره أخری لیس معنی الآیه أنّ اللّه ما کان یعلم عن أنبیائه شیئا ثمّ علم،لأنّ العلم الإلهی أزلی و أبدی و غیر متناه،بل إنّ المراد هو تحقق العلم الإلهی فی الخارج،و یتخذ لنفسه صوره عینیه واضحه، أی لیتحقق إبلاغ الأنبیاء و رسالات ربّهم و یتمموا الحجّه بذلک.

***

۱- ۱) -أرجع بعض المفسّرین ضمیر(لیعلم)إلی الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قالوا:المراد من ذلک هو أنّ اللّه قد جعل لأسرار الوحی و الرساله حفظه و حراسا،و لیعلم الرّسول أنّ الملائکه قد أبلغوا إلیه الوحی الإلهی فتطمئن نفسه و لا یتردد فی أصاله الوحی، و لکن هذا القول فی غایه البعد،و ذلک لأنّ حمل الرساله من عمل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا من عمل الملائکه و عباره الرّسول فی الآیه السابقه و الرسالات فی الآیات التی مضت تخصّ شخص الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لذا فإنّ التّفسیر الأوّل هو الأوجه.

اشاره

۱-تحقیق موسّع حول علم الغیب

من خلال التمعن فی الآیات المختلفه للقرآن الکریم یتّضح لنا أنّ الآیات المتعلقه بعلم الغیب قسمان:

القسم الأوّل:ما یتعلق بـذاته جلّ شأنه و لا یعلمه إلاّ هو،کما فی الآیه(۵۹) من سوره الأنعام: وَ عِنْدَهُ مَفٰاتِحُ الْغَیْبِ لاٰ یَعْلَمُهٰا إِلاّٰ هُوَ و الآیه(۶۵)من سوره النمل: قُلْ لاٰ یَعْلَمُ مَنْ فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ الْغَیْبَ إِلاَّ اللّٰهُ و کما ورد فی شأن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی الآیه(۵۰)من سوره الأنعام: قُلْ لاٰ أَقُولُ لَکُمْ عِنْدِی خَزٰائِنُ اللّٰهِ وَ لاٰ أَعْلَمُ الْغَیْبَ .

و نقرأ فی الآیه(۱۸۸)من سوره الأعراف: وَ لَوْ کُنْتُ أَعْلَمُ الْغَیْبَ لاَسْتَکْثَرْتُ مِنَ الْخَیْرِ و أخیرا نقرأ فی الآیه(۲۰)من سوره یونس: فَقُلْ إِنَّمَا الْغَیْبُ لِلّٰهِ و غیرها من الآیات.

القسم الثّانی:یطرح بوضوح اطلاع أولیاء اللّه علی الغیب،کما نقرأ فی الآیه (۱۷۹)من سوره آل عمران: مٰا کٰانَ اللّٰهُ لِیُطْلِعَکُمْ عَلَی الْغَیْبِ وَ لٰکِنَّ اللّٰهَ یَجْتَبِی مِنْ رُسُلِهِ مَنْ یَشٰاءُ و نقرأ فی معاجز المسیح صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: وَ أُنَبِّئُکُمْ بِمٰا تَأْکُلُونَ وَ مٰا تَدَّخِرُونَ فِی بُیُوتِکُمْ (۱) و الآیه السابقه مورد البحث أیضا تشیر إلی أنّ اللّه تعالی یهب العلم لمن یرتضیه من رسله:(و ذلک لأنّ استثناء النفی إثبات)، و من جهه أخری فإنّ الآیات التی تشمل الأخبار الغیبیه لیست بقلیله.کالآیه الثّانیه حتی الرّابعه من سوره الروم: غُلِبَتِ الرُّومُ فِی أَدْنَی الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَیَغْلِبُونَ فِی بِضْعِ سِنِینَ ،و تقول الآیه(۸۵)من سوره القصص: إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْآنَ لَرٰادُّکَ إِلیٰ مَعٰادٍ

۱- ۱) -آل عمران،۴۹.

و تقول الآیه(۲۷)من سوره الفتح: لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِینَ .

و من المعروف أنّ الوحی السماوی الذی یهبط علی الرسل هو نوع من الغیب الذی أطلعهم اللّه علیه،فکیف یمکن أن ننفی اطلاعهم بالغیب فی الوقت الذی یهبط علیهم الوحی.

بالإضافه إلی ذلک کلّه فإنّ هناک روایات کثیره تدل علی أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمّه المعصومین علیهم السّلام مطّلعون علی الغیب،و یخبرون به أحیانا،فمثلا نجد ذلک فی قصّه«فتح مکّه»و حادث حاطب بن أبی بلتعه الذی کتب کتابا لأهل مکّه و سلمه لامرأه تدعی«ساره»لتوصله إلی مشرکی مکّه،و أطلعهم فیه علی نیّه الرّسول فی الهجوم علی مکّه،فأخفت تلک المرأه الکتاب فی ضفائرها،قصدت الذّهاب إلی مکّه،فأرسل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إلیها أمیر المؤمنین علیه السّلام و معه بعض أصحابه و

قال لهم: «ستجدون امرأه عندها کتاب من حاطب إلی المشرکی قریش فی منزل یسمّی(خاخ)» فلمّا وجدوها أنکرت علیهم الکتاب، و لکنّها سرعان ما اعترفت و أخذوا منها الکتاب (۱) .

و کذلک إخبارهم بحوادث معرکه مؤته،و استشهاد جعفر الطیار علیه السّلام و بعض القاده المسلمین،فی الوقت الذی کان الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یطلع الناس علی ذلک فی المدینه (۲) ،و الأمثله علی ذلک لیست قلیله فی حیاه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و ورد فی نهج البلاغه أیضا أخبار کثیره سابقه لأوانها تشیر إلی حوادث مستقبلیه،أخبر عنها أمیر المؤمنین علیه السّلام،ممّا یدل علی اطلاعه علیه السّلام بأسرار الغیب، کما

جاء فی الخطبه(۱۳)فی ذمّه أهل البصره حیث یقول: «کأنّی بمسجدکم کجؤجؤ لسفینه قد بعث اللّه علیها العذاب من فوقها و من تحتها و غرق من فی ضمنها».

ص:۱۰۹

۱- ۱) -شرح هذه الحادثه و دلیله فی هذا المجلد فی تفسیر سوره الممتحنه.

۲- ۲) -کامل ابن الأثیر،ج ۲،ص ۲۳۷،(حادثه غزوه مؤته).

و وردت فی روایات أخری عن طریق الخاصّه و العامّه أخبار متعدده عنه علیه السّلام و هی سابقه لأوانها،

کقوله لحجر بن قیس: «إنّک من بعدی تجبر علی لعنی» (۱) .

و ما

قاله فی مروان: «إنّه یحمل رایه الضلال بعد الکبر علی أکتافه» (۲) .

و ما

قاله کمیل بن زیاد للحجاج أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام قد أخبرنی بأنّک قاتلی. (۳)

و ما

قاله علیه السّلام فی خوارج النهروان: «إنّه لا یقتل منّا فی حربهم عشره و لا ینجو منهم إلّا عشره» (۴) و قد حدث ما قال علیه السّلام.

و ما قاله حول موضع قبر الإمام الحسین علیه السّلام عند مروره بکربلاء للأصبغ بن نباته (۵) ،و فی کتاب فضائل الخمسه وردت روایات کثیره عن کتب أبناء العامّه حول علم الإمام الخارق للعاده،و ذکرها یطول فی هذا المقام (۶) .

و ذکرت أیضا روایات عدیده فی هذا الباب عن لسان الأئمّه المعصومین علیهم السّلام؛منها ما ذکر فی کتاب الکافی المجلد الأوّل من تصاریح و إشارات متعدده فی أبواب عدیده منه.

و قد أورد المرحوم العلّامه المجلسی فی کتابه بحار الأنوار المجلد(۲۶) أحادیث کثیره فی هذا الإطار تبلغ ۲۲ حدیثا.

و مضافا إلی ذلک فإنّ روایات فی باب علم الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الائمّه

۱- ۱) -مستدرک الصحیحین،ج ۲،ص ۳۵۸.

۲- ۲) -طبقات ابن سعد،ج ۵،ص ۳۰.

۳- ۳) -الإصابه لابن حجر،ج ۵،القسم ۳،ص ۳۲۵.

۴- ۴) -الهیثمی فی المجمع،ج ۶،ص ۲۴۱.

۵- ۵) -الریاض النضره،ج ۳،ص ۲۲۲.

۶- ۶) -فضائل الخمسه،ج ۲،ص ۲۳۱ الی ۲۵۳.

المعصومين عليهم السّلام بأسرار الغيب هى على حدّ التواتر،أمّا كيف نجمع بين هذه الآيات و الرّوايات التى ينفى بعضها علم الغيب لغير اللّه و إثبات البعض الآخر لغيره تعالى؟هناك طرق مختلفه للجمع بينها:

۱-أشهر طرق الجمع هو أنّ المراد من اختصاص علم الغيب باللّه تعالى هو العلم الذاتى و الاستقلالى،و لهذا لا يعلم الغيب إلاّ هو،و ما يعلمونه فهو من اللّه، و ذلك بلطفه و عنايته،و الدليل على هذا الجمع هو تلك الآيه التى بحثت من قبل و التى تقول: عٰالِمُ الْغَيْبِ فَلاٰ يُظْهِرُ عَلىٰ غَيْبِهِ أَحَداً إِلاّٰ مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ .

و قد أشير إلى هذا المعنى

فى نهج البلاغه عند ما كان أمير المؤمنين عليه السّلام يخبر عن الحوادث المقبله(و هو يتصور هجوم المغول على البلاد الإسلاميه)فقال أحد أصحابه:يا أمير المؤمنين،هل عندك علم الغيب؟فتبسّم أمير المؤمنين عليه السّلام و قال:«ليس هو بعلم غيب،إنّما هو تعلم من ذى علم». (۱)

و قد وافق على هذا الجمع كثير من العلماء المحققين.

۲-أسرار الغيب قسمان:قسم خاص باللّه عزّ و جلّ لا يعلمه إلاّ هو كقيام الساعه،و غيرها ممّا يشابه ذلك،و القسم الآخر علّمه الأنبياء و الأولياء،كما

يقول على عليه السّلام فى نهج البلاغه فى ذيل تلك الخطبه المشار إليها: «و إنّما علم الغيب علم الساعه،و ما عدده اللّه سبحانه بقوله: إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّٰاعَهِ وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَ يَعْلَمُ مٰا فِى الْأَرْحٰامِ،وَ مٰا تَدْرِى نَفْسٌ مٰا ذٰا تَكْسِبُ غَداً وَ مٰا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ (۲) .

ثمّ أضاف الإمام عليه السّلام فى شرح هذا المعنى.

يمكن لبعض الناس أن يعلموا بزمان وضع الحمل أو نزول المطر و مثل ذلك علما إجماليا،و أمّا العلم التفصيلى و التعرف على هذه الأمور فهو خاص بذات

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۲۸.

۲- ۲) -المصدر السّابق.

اللّه تعالی المقدسه و إنّ علمنا بشأن یوم القیامه هو علم إجمالی و نجهل جزئیات و خصوصیات یوم القیامه.

و إذا کـان النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم أو الأئمّه المعصومون علیهم السّـلام قـد أخبروا البعض فی أحادیثهم عمّن یولـد أو عمن ینقضی عمره،فذلک یتعلق بالعلم الإجمالی.

۳-الطریـق الآـخر للجمـع بین القسـمین من الآیـات و الرّوایـات هـو ثبـوت أسـرار الغیب فی مکـانین:فی اللوح المحفوظ(الخزانه الخاصّه لعلم اللّه و هو غیر قابل للتغییر و لا یمکن لأحد أن یعلم عنه شیئا).

و لوح المحو و الإثبات الـذی هو علم المقتضـیات و لیس العلّه التامه،و لهـذا فهو قابل للتغییر،و ما لا یـدرکه الآخرون یرتبط بهذا القسم.

لذا نقرأ

فی حـدیث عن الإمـام الصّـادق علیه السّـلام: «إنّ للّه علمـا لاـ یعلمه إلاّـ هو، و علمـا أعلمه ملائکته و رسـله،فما أعلمه ملائکته و أنبیاءه و رسله فنحن نعلمه» (۱) .

و

نقل عن علی بن الحسـین علیه السّـلام أیضا أنّه قال: «لولا آیه فی کتاب اللّه لحـدثتکم بما کان و ما یکون إلی یوم القیامه»فقلت له:أیّه آیه؟ فقال:«قول اللّه:

یَمْحُوا اللّٰهُ مٰا یَشٰاءُ وَ یُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْکِتٰابِ

(۲)

.

و طبقا لهذا الجمع یکون تقسیم العلوم علی أساس حتمیته أو عدمه،و فی الجمع السابق یکون علی أساس مقدار المعلومات.

۴-و الطریق الآـخر هو أنّ اللّه تعـالی یعلم بکـل أسـرار الغیب،و أمّا الأنبیاء و الأولیاء فإنّهم لا یعلمونها کلّها،و لکنّهم إذا ما شاءوا ذلک أعلمهم اللّه تعالی بها، و بالطبع هذه الإراده لا تتمّ إلاّ بإذن اللّه تعالی.

و محصـله ذلـک أنّ الآیـات و الرّوایـات التی تقول إنّهم لا یعلمون بالغیب هی إشاره إلی عـدم المعرفه الفعلیه،و التی تقول إنّهم یعلمون تشیر إلی

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۲۶،ص ۱۶۰،الحدیث ۵،هناک روایات متعدده فی هذا الإطار قد نقلت من هذا المصدر.

۲- ۲) -تفسیر نور الثقلین،ج ۲،ص ۵۱۲،الحدیث ۱۶.

إمکان معرفتهم لها.

و هذا فی الحقیقه کمن یسلم رساله بید شخص ما لیوصلها إلی آخر،و یمکن القول هنا:إنّ الشخص الموصل لها لا یعلم بمحتوی الرساله،و لکن یمکنه فتحها و التعرف علی ما فیها إذا ما حصل علی الموافقه علی قراءتها،ففی هذه الصوره یمکن القول علی أنّه عالم بمحتوی الرساله،و ربّما لا یسمح له ذلک.

و الدلیل علی هذا الجمع هو ما نقرأه فی الرّوایات المنقوله فی کتاب الکافی للکلینی رحمه اللّه فی باب(أنّ الأئمّه إذا شاءوا أن یعلموا اعلموا)و منها

فی حدیث ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام قال: «إذا أراد الإمام أن یعلم شیئا أعلمه اللّه ذلک». (۱)

و هذا الوجه من الجمع یمکن أن یحلّ الکثیر من المشاکل المتعلقه بعلم النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمّه علیهم السّلام،منها أنّهم کانوا یتناولون مثلا الغذاء المسموم فی حین أن تناول ما یؤدی بالإنسان إلی الهلاک غیر جائز،فکیف یکون ذلک؟فلهذا یجب القول:إنّ فی مثل هذه الموارد ما کان یسمح لهم معرفه أسرار الغیب.

و هکذا تقتضی المصلحه أحیانا فی ألاّ یتعرّف النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو الإمام علی أمر من الأمور،أو یعرض إلی اختبار لیتکامل بتجاوزه مرحله الاختبار،کما جاء فی قصّه لیله المبیت عند ما بات الإمام علی علیه السّلام فی فراش النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو لا یعلم هل أنّ الإمام علیه السّلام سوف ینجو من المشرکین عند ما یهجمون علی أم یستشهد، فالمصلحه هنا تقتضی ألاّ یعلم الإمام عاقبه هذا الأمر لیتحقق الاختبار الإلهی، و إذا کان الإمام بنجاته عند هجوم القوم علیه لم یکن له حینئذ أیّ،و لم یکن ما ذکر فی الآیات الکریمه و الرّوایات فی أهمیه هذا الإیثار محل من الاعراب.

نعم،إنّ مسأله العلم الإرادی هی جواب لکلّ هذه الإشکالات.

۵-هناک طریق آخر أیضا لجمع الرّوایات المختلفه فی علم الغیب(و إن کان

---

۱ – ۱) -کتاب الکافی باب(أنّ الأئمّه إذا شاءوا أن یعلموا أعلموا)الحدیث ۳،و نقلت روایات عدیده فی هذا الباب بنفس المضمون.

هـذا الطريق صادقا فی بعض هـذه الرّوايات)و ذلک هو أنّ المخاطبين فی هـذه الرّوايات هم علی مسـتويات مختلفه،فمن کان له الاسـتعداد الکامـل و التهيؤ لقبول مسأله علم الغيب للأئمّه عليهم السّـلام کانت تسـتوفی لهم المطاليب بتمامها،و أمّا المخالفون و الضعفاء فقد کان الحديث معهم علی قدر عقولهم.

فنقرأ مثلا فی حديث أنّ أبا بصـير و عدّه من أصـحاب الإمام الصادق عليه السّـلام کانوا ذات يوم فی مجلس فدخل عليهم الإمام عليه السّلام غضبان،و عند ما جلس قال:

«يـا عجبا لأقوام يزعمون أنّا نعلم الغيب!ما يعلم الغيب إلاّ اللّه عزّ و جلّ لقـد هممت بضـرب جاريتی فلانه،فهربت منّی فما علمت فی أی بيوت الدار هی». (1)

يقول الراوی:فلمّـا قـام الإمام و دخل الـدّار قمنا خلفه،و قلنا له:فـدتک نفوسـنا قلت هـذا عن جاريتک،و نحن نعلم أنّ لکم علوما کثيره،و لا نسمّی ذلک بعلم الغيب؟عندئذ

قال الإمام: «إنّ ما أردته کان العلم بأسرار الغيب».

يتّضح من ذلک أنّ الجالسين کانوا لا يملکون الاستعداد و التهيؤ لإدراک مثل هذه المعانی و يجهلون مقام الإمام عليه السّلام.

و يجب الالتفات إلی أنّ هذه الطريق الخمسه لا تتنافی مع بعضها،و يمکن أن تکون کلّها صادقه.

٢-الطريق الآخر لإثبات علم الغيب للأئمّه عليهم السّلام

يوجـد هنـا طريقان لإثبات حقيقه أنّ النّبی صـلّی اللّه عليه و آله و سـلّم و الأئمّه عليهم السّـلام المعصومين يعلمون الغيب بصوره إجماليه:

الأوّل:هو أنّنا نعلم أنّ مهمتهم لم تجدّد بمکان و زمان خاص،بل أنّ رساله النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و إمامه الأئمّه عليهم السّلام هی عالميه و خالده،فکيف يمکن لمن يملک هذه

١- ١) -اصول الکافی،ج ١،باب نادر فيه ذکر الغيب الحديث ٣.

المهمّه ألّا یعلم شیئا سوی ما یحیط به و بزمانه؟هل یمکن لمن یتسلم مهمّه الإمره علی إماره،و المحافظه علی قسم عظیم من بلاد ما و هو لا یعلم منها شیئا، و فی نفس الوقت یطلب منه أن ینفذ المهمّه علی أحسن وجه؟! و بعباره أخری،أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو الإمام علیه أن یبیّن الأحکام الإلهیه و یطبقها فی فتره حیاته بحیث یلبّی احتیاجات البشریه فی کلّ زمان و مکان، و هذا لا یمکن إلّا بمعرفته علی الأقل لقسم من أسرار الغیب.

ثمّ هناک ثلاث آیات فی القرآن المجید إذا وضعت إلی جانب بعضها البعض فسرعان ما یتّضح لنا ما یتعلق بعلم الغیب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الأئمّه علیهم السّلام فالأوّل ما یذکره القرآن حول من أحضر عرش ملکه سبأ فی طرفه عین(و هو آصف بن برخیا) فیقول تعالی فی کتابه: قٰالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتٰابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ فَلَمّٰا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قٰالَ هٰذٰا مِنْ فَضْلِ رَبِّی (۱) ، و نقرأ فی آیه أخری: قُلْ کَفیٰ بِاللّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتٰابِ (۲) .

و من جهه أخری

نقل فی أحادیث مختلفه فی کتب الخاصّه و العامّه أنّ أبا سعید الخدری قال سألت النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن معنی الآیه: اَلَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتٰابِ فقال:«هو وصی أخی سلیمان بن داود»قلت و من المراد فی: وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتٰابِ ؟فقال:«ذاک أخی علی بن أبی طالب» (۳) .

فالملاحظ فیما یقوله إنّ(علم من الکتاب)الذی جاء فیما یخص«آصف» هو علم جزئی،و أمّا حینما یقول فی(علم الکتاب)الذی ورد فیما یخص علیا علیه السّلام هو علم کلی،و هذا ما یوضح الاختلاف بین المقام العلمی لآصف و بین المقام العلمی لعلی علیه السّلام.

۱- ۱) -النّمل،۴۰.

۲- ۲) -الرّعد،۴۳.

۳- ۳) -راجع الجزء الثالث من(إحقاق الحقّ)ص ۲۸۰-۲۸۱،و نور الثقلین،ج ۲،ص ۵۲۳.

و من جهه ثالثه:نقرأ فی الآیه(٨٩)من سوره النحل: وَ نَزَّلْنٰا عَلَیْکَ الْکِتٰابَ تِبْیٰاناً لِکُلِّ شَیْءٍ فمن الواضح أنّ من یعلم بأسرار مثل هذا الکتاب،لا بدّ أن یکون مطّلعا علی أسرار الغیب،و هذا دلیل واضح علی إمکان الاطلاع و المعرفه علی أسرار الغیب بأمر من اللّه لإنسان هو من أولیاء اللّه.

و کانت لنا بحوث ح علم الغیب فی ذیل الآیه(٥٠)و(٥٩)من سوره الأنعام و الآیه(١٨٨)من سوره الأعراف.

٣-تحقیق حول خلق الجن

الجن کما جاء فی المفهوم اللغوی هو نوع من الخلق المستور،و قد ذکرت له مواصفات کثیره فی القرآن منها:

١-إنّهم مخلوقون من النار،بعکس الإنسان المخلوق من التراب: وَ خَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مٰارِجٍ مِنْ نٰارٍ . (١)

٢-إنّهم یمتلکون الإدراک و العلم و التمییز بین الحق و الباطل و القدره علی المنطق و الاستدلال،(کما هو واضح من آیات سوره الجن).

٣-إنّهم مکلّفون و مسئولون(کما فی آیات سوره الجن و الرحمن).

٤-و فیهم المؤمنون و الصالحون و الطالحون: وَ أَنّٰا مِنّٰا الصّٰالِحُونَ وَ مِنّٰا دُونَ ذٰلِکَ . (٢)

٥-إنّهم یحشرون و ینشرون: وَ أَمَّا الْقٰاسِطُونَ فَکٰانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً . (٣)

٦-لهم القدره علی النفوذ فی السماوات و أخذ الأخبار و استراق السمع، و لکنّهم منعوا من ذلک فیما بعد:

١- ١) -الرحمن،١٥.

٢- ٢) -الجن،١١.

٣- ٣) -الجن،١٥.

وَ أَنّٰا كُنّٰا نَقْعُدُ مِنْهٰا مَقٰاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهٰاباً رَصَداً . (١)

٧-كانوا يوجـدون ارتباطا مع بعض الناس لإغوائهم بما لـديهم من العلوم المحدوده التابعه إلى بعض الأسـرار الروحيه: وَ أَنَّهُ كٰانَ رِجٰالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجٰالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزٰادُوهُمْ رَهَقاً . (٢)

٨-و يوجد فيهم من يتمتع بالقدره الفائقه كما وجود فى أوساط الإنس:

قٰالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقٰامِکَ . (٣)

٩-لهم القـدره على قضاء بعض الحوائـج التى يحتاجها الإنسان وَ مِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ... يَعْمَلُونَ لَهُ مٰا يَشٰاءُ مِنْ مَحٰارِيبَ وَ تَمٰاثِيلَ وَ جِفٰانٍ كَالْجَوٰابِ (۴) .

١٠-إنّ خلقهم كان قبل خلق الإنسان: وَ الْجَانَّ خَلَقْنٰاهُ مِنْ قَبْلُ (۵) و لهم خصائص أخرى.

بالإضافه إلى ذلك فإنّه يستفاد من الآيات القرآنيه أنّ الإنسان هو نوع أفضل من الجن،و بخلاف ما هو مشهور على الألسن لأنّهم أفضـل منّا،و دليـل اختيـار الأنبيـاء من الإنس،و إنّهم آمنوا بنبى الإسـلام الـذى هو من الإنس و اتبعوه،و هكـذا وجوب سـجود الشـيطان لآدم عليه السّلام كما صرّح القرآن بذلك،و كون الشيطان من أكابر طائفه الجن(الكهف ۵٠)هو دليل على أفضليه بنى الإنسان على الجنّ.

إلى هنا كان الحـديث عن أمور تسـتفاد من القرآن المجيـد حول هـذا الخلق المسـتور و الخاليه من كل الخرافات و المسائل غير العلميه،و لكنّنا نعلم أن السذج و الجهلاء ابتدعوا خرافات كثيره فيما يخص هذا الكائن بما يتنافى مع العقل

١- ١) -الجن،٩.

٢- ٢) -الجن،۶.

٣- ٣) -النمل،٣٩.

۴- ۴) -سبأ،١٢-١٣.

۵- ۵) -الحجر،٢٧.

و المنطق،منهـا مـا نسب إليهم الأشـكال الغريبه و العجيبه و المرعبه،و أنّهم موجودات سامه و ذوات أذناب!مؤذيه،و مبغضه،سـيئه التصـرف و السـلوك إذ يمكن أن تحرق دورا بمجرّد أن يسكب إناء ماء مغلى فى بالوعه مثلا،و أوهام أخرى من هذا القبيل،فى حين أنّ أصل الموضوع إذا تمّ تطهيره من هذه الخرافات قابلا للقبول،لأننا لا نملك دليلا على حصـر الموجودات الحيه بما نحن نراه،بـل يقول علمـاء العلوم الطـبيعيه:إنّ الكائنـات الـتى يسـتطيع الإنسـان أن يـدركها بحواسه ضـئيله بالنسـبه للموجودات التى لا تدرك بالحواس.

و فى الفتره الأـخيره و قبـل أن يكشف المجهر هـذه الكائنـات الحيه،لم يصـدق أحـد أنّ هنـاك الآلاف المؤلفه من الموجودات الجيه المتواجـده فى قطره الماء أو الدم لا يمكن للإنسان أن يراها و يقول أيضا:إنّ أعيننا ترى ألوانا محدوده،و كذا آذاننا تسـمع أمواجـا صوتيه محـدوده،و الأـلوان و الأصوات التى لا نـدركها بآذاننا و أعيننا أكثر بكثير من تلك التى تـدرك،و عنـد ما تكون الـدنيا بهـذا الشـكل لاـ يبقى موضع للتعجب من وجود هـذه الكائنـات الحيه،و التى لاـ يمكن لنا إدراكها بالحواس،و لم لا نتقبل ذلك عند ما يخبرنا انسان صادق كالنّبى العظيم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

على أى حال فإنّ القرآن المجيـد قـد أخبرنا من جهه بوجود الجن و خصوصـياته المـذكوره سـلفا،و من جهه أخرى ليس هناك دليل عقلى على عدم وجود الجن،و لهذا لا بدّ من الإعتقاد بهم،و تجنب الأقوال التى لا تليق بهم كما فى خرافات العوام.

و ممّـا يلاحـظ أيضـا أنّ لفـظ الجن يطلق أحيانا على مفهوم أوسع يشـمل أنواعا من الكائنات المسـتوره أعم من الكائنات ذوات العقل و الإدراك و لفاقده لهما،و حتى مجاميع الحيوانات التى ترى بالعين و المختفيه فى الأوكار أيضا، و الدليل على ذلك

روايات وردت عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال: «خلق اللّه الجن خمسه أصناف:صنف كالريح فى الهواء،و صنف حيات،و صنف عقارب،و صنف

حشرات الأرض،و صنف كنبى آدم عليهم الحساب و العقاب» (۱) .

و بالتوجه إلى هذه الرّوايات و مفهومها فسوف تحلّ الكثير من المشاكل التى تطرح فى الرّوايات و القصص الخاصّه بالجن.

ففى روايه وردت عن أمير المؤمنين عليه السّلام حيث قال: «لا تشرب الماء من ثلمه الإناء و لا عروته،فإنّ الشيطان يقعد على العروه و الثلمه». (۲) لأنّ الشيطان هو من الجن،و لأنّ ثلمه الإناء و عروته محل لاجتماع المكروبات المتنوعه،فلا يستبعد أن يكون الجن و الشيطان بمفهومه العام شاملا لمثل هذه الكائنات،و إن كان المعنى الخاص له هو الكائن ذو فهم و شعور و إنّه مكلّف و مسئول،و الرّوايات كثيره فى هذا الباب.

ربّنا!ألطف بنا يوم يحضر الجن و الإنس فى محكمه عدلك،و يوم يندم المسيؤون على ما عملوا.

اللّهم!إنّ أركان ملكك واسعه و معرفتنا و معلوماتنا محدوده فاحفظنا و صنّا من المزالق و الخطايا و الحكم بغير الحقّ.

إلهنا!إنّ مقام رسولك الكريم من العظمه و السمو أن آمن به الجن مضافا إلى الإنس،فاجعلنا من المؤمنين بدعوته...

آمين ربّ العالمين انتهاء سوره الجن ***

۱- ۱) -سفينه البحار،ج ۱،ص ۱۸۶(ماده الجن).

۲- ۲) -الكافى،ج ۶،ص ۳۸۵،كتاب الأشربه،باب الأوانى،الحديث ۵.

سوره المزّمّل

اشاره

مكيّه و عدد آياتها عشرون آيه

ص :۱۲۱

محتوى السوره:

يدل سياق السوره على وجود تشابه بينها و بين المكيه الأخرى،و لهذا يستبعد ما قاله البعض من أنّها مدنيه،و اختلاف سياق الآيات الأولى و الأخيره منها يشير إلى نزوله فى فترات متعدده و طويله،فقد ذكر البعض:إنّه نزلت فى ثمانيه أشهر و قيل:سنه،و قيل:عشر سنوات. (۱)

إنّ الكثير من آيات هذه السوره تشير إلى أنّها نزلت عند بدء الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لدعوته العلنيه،و اعتراض المخالفين و تكذيبهم له،و لكن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان قد أمر بالمسالمه و المجازاه لهم،و لذا يبعد احتمال نزولها جميعا فى أوّل دعوته صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و يمكن احتمال ذلك فى شأن الآيات الأولى لها،و أمّا البقيه فليست كذلك،لأنّ آياتها تشير إلى سعه الإسلام و الدعوه،و ذلك على نطاق مكّه على الأقل،و بروز مخالفه المخالفين و صراعهم مع الحق،و هذا ما لم يحصل فى السنوات الثلاث الأولى للدعوه.

و وردت روايات مختلفه و متفاوته فى سبب نزول السوره أو بعض الآيات منها،

ففى بعض الرّوايات أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند ما استلم البلاغ الإلهى الأوّل رجع إلى خديجه و فؤاده يرتجف فقال:«زملونى»فنزل جبرائيل عليه السّلام ب أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ .

۱- ۱) -راجع تفسير الدر المنثور،ج ۶،ص ۲۷۶،و مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۷۷.

فی حین أنّه جاء فی بعض الرّوایات أن شأن نزول هذه السوره یتعلق بإعلان النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم دعوته،فکان أن اجتمع مشرکو قریش فی دار الندوه لیفکروا فی أمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لیختاروا لمواجهته شعارا أو عنوانا خاصّیا،فقال بعضهم:إنّه (کاهن)لکن بعضهم لم یوافق علی هذه التسمیه،فقال آخرون:إنّه(مجنون)إلاّ جمعا آخر منهم لم یوافق علیه أیضا،و رجّح بعضهم أن یسمّی ب(الساحر)فلم یوافق الآخرون علی ذلک أیضا.

أخیرا قالوا:إنّه یفرق بین الأحباب،فبناء علی ذلک فهو ساحر ثمّ تفرق المشرکون،فبلغ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ما قاله المشرکون،فدثّر نفسه تزّمل بأثوابه و رکن إلی الرّاحه...فجاءه الوحی فی ذلک الحین بسورتی،یا أیّها المزّمل،و یا أیّها المدثر. (۱)

و الحاصل هو ما أشرنا إلیه فی أنّ ظاهر السوره مکّیه،و نزول قسم منها بعد الدعوه العلنیه و نفوذ الإسلام النسبی فی مکّه أمر حتمی،و إن کان یحتمل نزول آیات من أوّل السوره فی أوّل البعثه.

و یتلخص محتوی السوره فی خمسه أقسام:

القسم الأوّل:الآیات الأولی للسوره و التی تأمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بقیام اللیل و الصلاه فیه،لیستعد بذلک لنقل ما سیلقی علیه من القول الثقیل.

القسم الثّانی:یأمره صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالصبر و المقاومه و مداراه المخالفین.

القسم الثّالث:بحوث حول المعاد،و إرسال موسی بن عمران إلی فرعون و ذکر عذابه الألیم.

القسم الرّابع:فیه تخفیف لما ورد فی الآیات الأولی من الأوامر الشدیده عن قیام اللیل،و ذلک بسبب محنه المسلمین و الشدائد المحیطه بهم.

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۶،ص ۲۷۶.

القسم الخامس:هو القسم الأخير من السوره يعود ليدعو إلى تلاوه القرآن و إقامه الصلاه و إيتاء الزّكاه،و الإنفاق فی سبیل اللّه و الاستغفار.

فضیله السّوره:

ورد فی حدیث عن النّبی الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «من قرأ سوره المزمل رفع عنه العسر فی الدنیا و الآخره» (1) .

و

فی حدیث آخر ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام: «من قرأ سوره المزّمل فی العشاء الآخره،أو فی آخر اللیل کان له اللیل و النهار شاهدین مع السوره،و أحیاه اللّه حیاه طیبه و أماته میته طیبه» (2) .

و من الطبیعی أنّ هذه الفضائل لا بدّ أن تکون ملازمه مع قیام اللیل و قراءه القرآن و الصبر و الاستقامه و الإیثار و الإنفاق و العملی،و لیس بالتلاوه الخالیه من العمل.

***

1- 1) -مجمع البیان،ج 10،ص 375.

2- 2) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره المزمل (٧٣): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ يٰا أَيُّهَا اَلْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اَللَّيْلَ إِلاّٰ قَلِيلاً (٢) نِصْفَهُ أَوِ اُنْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ اَلْقُرْآنَ تَرْتِيلاً (۴) إِنّٰا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً (۵)

التّفسير

يشير سياق الآيات كما بيّنا إلى دعوه الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم للاستقامه و الاستعداد لقبول مهمّه كبيره و ثقيله،و هذا لا يتمّ إلاّ بالبناء المسبق للذات، فيقول: يٰا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) ، قُمِ اللَّيْلَ إِلاّٰ قَلِيلاً، نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً، أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً .

الطريف فى هذه الآيات أنّ المخاطب هو الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لكن لا بعنوان يا أيّها الرّسول،أو يا أيّها النّبى،بل بعنوان يا أيّها المزمل،إشاره إلى إنّ هذا ليس زمان التزمل و الانزواء، بل زمان القيام و البناء الذاتى و الاستعداد لأداء الرساله العظيمه،و اختيار الليل لهذا العمل أوّلا:لأنّ أعين الأعداء نائمه،و ثانيا:تتعطل الأعمال المكاسب،و لهذا فإنّ الإنسان يستعد للتفكر و لتربيه النفس.

ص: ١٢۶

١- ١) -«مزّمل»:أصلها متزمل،و هى من التزمل،و تعنى لف الثوب على نفسه،و لهذا جاء لفظ الزميل،أى المصاحب و الرفيق.

و كذلك إختيار القرآن لأنّ يكون الماده الأولى فى البرنامج العبادى فى الليل إنّما هو لاقتباس الدروس اللازمه فى هذا الباب،و هو يعدّ من أفضل الوسائل لتقويه الإيمان و الاستقامه و التقوى و تربيه النفوس،و التعبير بالترتيل الذى يراد به التنظيم و الترتيب الموزون هنا هو القراءه بالتأنى و الانتظام اللازم،و الأداء الصحيح للحروف،و تبيّن الحروف،و الدقّه و التأمل فى مفاهيم الآيات،و التفكر فى نتائجها.

و بديهى أنّ مثل هذه القراءه تعطى الإنسان الرّشد و النمو المعنوى السريع و الشهامه الخلقيه و تهب التقوى،و إذا فسّره البعض بالصلاه فذلك لأنّ أحد أجزاء الصلاه المهمّه هى قراءه القرآن.

عباره«قم الليل»تعنى النهوض فى مقابل النوم،و ليس الوقوف فحسب، و أمّا ما جاء من العبارات المختلفه فى هذه الآيات حول مقدار إحياء الليل فهو فى الحقيقه لتبيان التخيير،و أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مخيّر فى الاستيقاظ فى نصف الليل أو أقل من ذلك أو أكثر لقراءه القرآن،ففى المرحله الأولى يذكر الليل كلّه إلاّ قليلا منه،ثمّ يخففه ليوصله إلى النصف،و بعدئذ إلى أقل من النصف.

و قيل:المراد هو التخيير بين الثلث الثّانى و النصف و الثلث الأوّل،بقرينه الآيه التى فى آخر السوره: إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنىٰ مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ و يستفاد من هذه الآيه أيضا أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن وحده الذى يقوم الليل، بل معه عدّه من المؤمنين كانوا ملتزمين أيضا بهذا النظام للبناء الذاتى و التربيه و الاستعداد متخذين النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أسوه لهم.

و قال البعض:إنّ المراد من«قم الليل إلاّ قليلا»،هو القيام فى الليالى كلّها إلاّ بعض الليالى،و ليس الاستثناء فى أجزاء الليل،و لكن هذا القول بعيد عن الصواب حيث أنّ الليل جاء بصيغه مفرد«ليل»،و جاء التعبير بالنصف أو أقل النصف.

ثمّ يبيّن الهدف النهائى لهذا الأمر المهم و الشاق فيقول: إِنّٰا سَنُلْقِي عَلَيْكَ

قَوْلاً ثَقِيلاً.

ذكر المفسّرين فى القول الثقيل أقوالا مختلفه،لكن الملاحظ أن ثقل القول يراد به القرآن المجيد بأبعاده المختلفه...ثقيل بلحاظ المحتوى و مفاهيم الآيات.

ثقيل بلحاظ حمل على القلوب له لما يقوله القرآن: لَوْ أَنْزَلْنا هٰذَا الْقُرْآنَ عَلىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَهِ اللّهِ (۱) .ثقيل بلحاظ الوعد و الوعيد و بيان المسؤوليات.

ثقيل بلحاظ التبليغ و مشاكل طريق الدعوه.

و ثقيل فى ميزان العمل و فى عرصه القيامه،و بالتالى ثقيل بلحاظ تخطيطه و تنفيذه بشكل تام.

نعم،و إن قراءه القرآن و أن كانت سهله و جميله و مؤثره،و لكن تحقق مفاده ليس بأسهل اليسير بالخصوص فى أوائل الدعوه النّبويه فى مكّه حيث الظلام و الجهل و عباده الأصنام و الخرافات،إذ أنّ الأعداء المتعصبين القساه كانوا قد تكاتفوا ضد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لكن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه القلائل استطاعوا أن يتغلبوا على كل تلك هذه المشاكل باستمدادهم من تربيه القرآن،و الاستعانه بصلاه الليل،و بالاستفاده من قربهم من ذات اللّه المقدسه،و استطاعوا بذلك حمل هذا القول الثقيل و الوصول إلى مرادهم.

***

بحوث

اشاره

۱-قيام الليل بتلاوه القرآن و الدعاء

قلنا إنّ الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و إن كان هو المخاطب فى هذه الآيات،و لكن آخر السوره يشير إلى وجود مؤمنين كانوا معه فى هذا العمل،و السؤال هو هل أنّ

۱- ۱) -سوره الحشر،۲۱.

إحياء الليل كان واجبا على الجميع فى أوائل دعوته أم لا؟قال البعض:إنّ هذا الأمر كان واجبا فى البدء ثمّ نسخ بالآيه الأخيره للسوره و مدّه ذلك حوالى السنه،حتى و أنّ البعض ذهب إلى أنّ هذا الحكم كان قبل تشريع الصلوات الخمس،ثمّ نسخ هذا الحكم بعد تشريعها، و لكن المرحوم الطبرسى رحمه اللّه كما ذكر فى تفسيره«مجمع البيان»أنّ ظاهر آيات هذه السوره لا يشير إلى النسخ، الأفضل هو القول بأنّ هذه العباده مستحبه و سنّه مؤكّده،و لم يكن لها طابع الوجوب إلاّ لشخص النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كما فى بعض الآيات الأخرى للقرآن،و لا مانع ذلك من وجوبها على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و استحبابها على المؤمنين،و مضافا إلى أنّ الآيات المذكوره لا تنحصر بصلاه الليل،لأنّها لم تشغل نصف ممن الليل أو ثلثى الليل بل و حتى ثلثه،و ما ذكر فى الآيه هو النهوض لترتيل القرآن.

فعلى هذا كان الحكم فى البدء مستحبّا مؤكّدا ثمّ خفف،و بما أنّ بدايه كلّ عمل بالخصوص بدايه الثوره العظيمه،يحتاج إلى قدره و قوّه أكثر من أى وقت، فلا عجب فى أن يصدر مثل الأمر العظيم للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه،و ذلك أن يقوموا لقسط وافر من الليل ليتعرفوا و يتفهموا محتوى هذا العمل الجديد و على تعاليمه الثوريه،و لتطبيق ذلك لا بدّ أن يروضوا أرواحهم بالعلم و المعرفه.

٢-معنى التّرتيل

إنّ ما أكّدت على الآيات المذكوره هو الترتيل و ليس قراءه القرآن،و وردت روايات عن الأئمّه المعصومين عليهم السّلام فى معنى الترتيل كلّ منها يشير إلى بعد من أبعاد هذه الكلمه الواسعه.

فقد ورد فى حديث عن أمير المؤمنين عليه السّلام: «بينه بيانا و لا تهذّه هذّ الشعر و لا تنثره نثر الرمل،و لكن اقرع به القلوب القاسيه،و لا يكوننّ همّ أحدكم آخر

السوره» (۱) .

و نقرأ

فی حدیث آخر ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام: «إذا مررت بآیه فیها ذکر الجنّه فأسأل اللّه الجنّه،و إذا مررت بآیه فیها ذکر النّار فتعوذ باللّه من النار» (۲) .

و

فی روایه اخری عنه علیه السّلام: «هو أن تتمکث فیه و تحسن به صوتک» (۳) ، و

عنه أیضا: «أنّ القرآن لا یقرأ هذرمه،و لکن یرتل ترتیلا و إذا مررت بآیه فیها ذکر النّار وقفت عندها و تعوذت باللّه من النّار» (۴) .

و قد نقل عن حالات النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه کان یقطع قراءته آیه آیه،و یمد صوته مدّا (۵) ،هذه الرّوایات و الرّوایات الأخری المنقوله بنفس المضمون فی کتاب الکافی و نور الثقلین و الدر المنثور و بقیه الکتب الأخری من کتب الحدیث و التّفسیر تشیر إلی ضروره التمعن فی کلمات القرآن،و التدبّر فیها و تذکر بأنّ القرآن هو خطاب اللّه تعالی للإنسان.

و لکن و للأسف إنّ الکثیر من المسلمین ابتعدوا عن هذا الواقع،و اکتفوا بالتلفظ و غدا همّهم ختمه،من دون الاهتمام بمعرفه سبب نزوله و محتواه!صحیح أنّ ألفاظ القرآن عظیمه و لقراءتها فضیله،و لکن لا ینبغی أن ننسی أنّ هذه الألفاظ و تلاوتها هی مقدمه لبیان المحتوی.

۳-فضیله صلاه اللیل

هذه الآیات تبیّن أهمّیه إحیاء اللیل بالعباده و قراءه القرآن عند ما یکون

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۷۸،ذکر ذلک فی کتاب الکافی،ج ۲،باب(ترتیل القرآن بالصوت الحسن)و کذا فی کتب اخری مع الاختصار.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -المصدر السّابق.

۴- ۴) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۴۷.

۵- ۵) -مجمع البیان،ذیل الآیات التی بصدد البحث.

الغافلون نياما،و كما أشرنا من قبل فإنّ العباده فی اللیل و بالخصوص عند السحر لها الأثر البالغ فی تصفیه الروح و تهذیب النفوس و التربیه المعنویه للإنسان و طهاره القلب و إیقاظه،و كذا فی تقویه الإیمان و الإراده،و توكید اركان التقوی فی الروح و القلب،و یمكن لمس ذلك بمجرّد الإختیار مرّه واحده،و قد أكّدت الرّوایات علی ذلك بالإضافه إلی ما ذكرته الآیات القرآنیه.

منها

ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام: «إنّ من روح اللّه تعالی ثلاثه،التهجد باللیل،و إفطار الصّائم،و لقاء الإخوان» (1) .

و

عنه أیضا علیه السّلام فی تفسیر: إِنَّ الْحَسَنٰاتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئٰاتِ قال:«صلاه اللیل تذهب بذنوب النهار» (2) .

و لنا بحث مفصل فی هذا الباب فی ذیل الآیه(79)من سوره الإسراء،و قد نقلنا بهذا الشأن عشره أحادیث رائعه فی أهمیه صلاه اللیل.

***

1- 1) -بحار الأنوار،ج 87،ص 143.

2- 2) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره المزمل (٧٣): الآيات ۶ الی ١٠]

اشاره

إِنَّ نٰاشِئَةَ اَللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً (۶) إِنَّ لَكَ فِي اَلنَّهٰارِ سَبْحاً طَوِيلاً (٧) وَ اُذْكُرِ اِسْمَ رَبِّكَ وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً (٨) رَبُّ اَلْمَشْرِقِ وَ اَلْمَغْرِبِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً (٩) وَ اِصْبِرْ عَلىٰ مٰا يَقُولُونَ وَ اُهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً (١٠)

التّفسير

اشاره

تأثير الدعاء و المناجاه فی أعماق الليل:

تستمر هـذه الآيات فی البحث حول عباده الليل و التعاليم المعنويه الموجوده قراءه القرآن فی الليل،و هی بمنزله بيان الدليل على ما جاء فی الآيات السالفه، فيقول تعالى: إِنَّ نٰاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئاً وَ أَقْوَمُ قِيلاً (١) .

«الناشئه»:من ماده(نشأ)،على وزن نثر،و تعنی الحادثه،و قد ذكر هنا ثلاثه تفاسير لما يراد منها.

الأوّل:المراد به ساعات الليل الحادثه بالتوالی،أو أنّها تخصّ الساعات

١- ١) -«الناشئه»:اسم فاعل و احتمل كونها مصدرا كالعاقبه.

الأخیره للیل و السحر.

و الآخر:إنّ المراد هو إحیاء اللیل بالصلاه و العباده و قراءه القرآن کما

ورد فی حدیث عن الإمامین الصادق و الباقر علیهما السّلام حیث قالا: «هی القیام فی آخر اللیل إلی صلاه اللیل» (۱) .

و

فی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر هذه الآیه،قال: «قیامه عن فراشه لا یرید إلاّ اللّه». (۲)

و الثّالث:الحالات المعنویه و الروحیه و النشاط و الجذوه الملکوتیه التی تحصل فی القلب الإنسان و روحه فی هذه الساعات الخاصّه باللیل،و التی تکون آثارها فی روح الإنسان أعمق و استمرارها أکثر،و التّفسیران الثّانی و الثّالث متلازمان،و یمکن جمعها فی ما یراد بمعنی الآیه.

«وطأ»:تعنی فی الأصل وضع القدم،و تعنی کذلک الموافقه.

و التعبیر ب أَشَدُّ وَطْئاً :العناء و المشقّه الحاصله فی عباده اللیل،أو أنّه یعنی التّأثیرات الثابته و الراسخه الحاصله من شعاع هذه العبادات فی روح الإنسان، و المعنی الثّانی أوجه.

و یحتمل أن یراد له التوافق الحاصل بین قلب الإنسان و عینه و أذنه و بالتالی تعبئتها فی طریق العباده.

«أقوم»:من القیام،و یراد بکونها أثبت للقول و أصوب لحضور القلب.

«قیلا»:تعنی القول،و تشیر هنا إلی ذکر اللّه و قراءه القرآن.

و محصله ذلک أنّ هذه الآیه من الآیات التی تحتوی علی أبلغ الأحادیث حول العباده اللیله،و رمز إظهار المحبّه مع المحبوب فی ساعات یختلی فیها الحبیب بحبیبه و أکثر من غیرها.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۷۸.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۴۸،الحدیث،۱۶.

و يضيف فى الآيه الأخرى: إِنَّ لَکَ فِی النَّهٰارِ سَبْحاً طَوِیلاً .

أى إنّک مشغول بهدايه الخلق و إبلاغ الرساله و حلّ المشاكل المتنوعه،و لا مجال لک بالتوجه التام إلى ربّک و الانقطاع إليه بالذكر،فعليک بالليل و العباده فيه.

و هناک معنى أدق و تفسير يناسب الآيات السابقه أيضا هو:أنّک تتحمل فى النهار مشاغل ثقيله و مساعى كثيره،فعليک بعباده الليل لتقوى بها روحک و تستعد للفعاليات و النشاطات الكثيره فى النهار.

«سبح»:على وزن مدح،و تعنى فى الأصل الحركه و الذهاب و الإيّاب، و يطلق على السباحه لما فيها من الحركه المستمره،و كأنّه يشبه المجتمع الإنسانى بالمحيط اللامتناهى الذى يغرق فيه الكثير من الناس،و أمواجه المتلاطمه تتحرک فى كل الجهات،و فيها من السفن المضطربه التى تبحث عن الملجأ الأمين،و الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هو المنجى الوحيد للغريق،و قرآنه سفينه النجاه الوحيده فى هذا المحيط،فعلى هذا السباح العظيم أن يهیء نفسه يوميا بالعباده الليله لإتمام هذه المهمّه و الرساله العظيمه.

و بعد الإشاره إلى العباده الليليه،و الإشاره الإجماليه إلى آثارها العميقه يذكّر القرآن بخمسه أوامر اخرى مكمله لتلک فيقول: وَ اذْکُرِ اسْمَ رَبِّکَ .

و الطبيعى أنّ المراد ليس ذكر الاسم فحسب،بل التوجه إلى المعنى،لأنّ الذكر اللفظى مقدمه للذكر القلبى،و الذكر القلبى يبعث على صفاء القلب و الروح و يروى منهل المعرفه و التقوى فى القلب.

المراد ب«الربّ»هو الإشاره إلى التوجه إلى النعم اللامتناهيه و ذلک عند الإتيان بذكره المقدس،و أن يكون ذكره ملازما مع التوجه إلى تربيته تعالى شأنه لنا،و يبيّن بعض المفسّرين مراحل لذكر الربّ تعالى.

المرحله الاولى:ذكره تعالى كما أشير إلى ذلک.

المرحله الثّانيه:الذكر القلبى لذاته المقدسه،كما هو فى الآيه(۲۰۵)من

سوره الأعراف: وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَ خِيفَةً .

ثمّ تبدأ المرحله الثّالثه،و فيها يتعدى الذكر مقام الرّبوبيه ليصل إلى مقام مجموعه الصفات الجماليه و الجلاليه المجتمعه فى اللّه تعالى،كما هو فى الآيه (۴۱)من سوره الأحزاب حيث يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً و على هذا الأساس يستمر هذا الذكر ليتكامل فى مراحله ليوصل الذاكر نفسه إلى أوج الكمال. (۱)

و يقول فى الأمر الثّانى: وَ تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً . (۲)

«التبتل»:من(البتل)على وزن(حتم)،و تعنى فى الأصل الانقطاع،و لهذا سمّيت«مريم العذراء»عليها السّلام بالبتول،لأنّها لم تتخذ لنفسها زوجا و سمّيت الزّهراء عليها السّلام بالبتول لأنّها كانت أفضل نساء عصرها فى السيره و السلوك، و كانت بالغه درجه الانقطاع إلى اللّه تعالى.

فالتبتل هو التوجه القلبى التام إلى اللّه تعالى،و الانقطاع عن غيره إليه تعالى، و الإتيان بالأعمال الخالصه للّه،و كذا الخلوص له تعالى.

و ما

روى عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله: «لا رهبانيه،و لا تبتل فى الإسلام» (۳) ،فهو اشاره لما هو حاصل فى أوساط المسيحيين فى تركهم للدنيا،إذ أنّهم اعتزلوا الزواج لاعتزالهم الدنيا،و اعتزلوا بذلك الوظائف الاجتماعيه،و هذا ما لم يكن حاصلا عند المسلمين،إذ أن أحدهم يعيش فى أوساط المجتمع الإنسانى و هو فى نفس الوقت متوجّه إلى اللّه تعالى.

ص: ۱۳۵

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى،ج ۳۰،ص ۱۷۷(مع الاقتباس).

۲- ۲) -«التبتل»:يجب أن يكون التبتل هنا حسب القاعده مفعول مطلق و هو مصدر من باب(تفعل)و لكنّه جاء على وزن تفعيل، لحفظ توافق أواخر الآيات،و يمكن أن يكون مصدر إشاره إلى أن الانقطاع إلى اللّه لا يكون كلّه اكتسابيا،و لا يكون هبه بتمامه أيضا،بل يكون ذلك بشروط السعى و العمل الجاد للعبد المتقى من جهه،و بلطف اللّه و عنايته من جهه اخرى.

۳- ۳) -المفردات،و مجمع البحرين باب البتل.

و ممّا روی عن أئمّه أهل البیت علیهم السّلام

«التبتل رفع الید إلی اللّه حال الصّلاه» (۱) و الواضح أنّ هذا هو مظهر من مظاهر الإخلاص و الانقطاع إلی اللّه.

علی أیّ حال فإنّ ذلک الذکر للّه تعالی و هذا الإخلاص هما الثّروه العظیمه لأهل اللّه فی مهامهم الثقیله لهدایه الخلق.

ثمّ ینتهی إلی الأمر الثّالث فیقول: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لاٰ إِلٰهَ إِلاّٰ هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَکِیلاً و هنا تأتی مسأله إیداع الأمور إلی اللّه،و ذلک بعد مرحله ذکر اللّه و الإخلاص، إیداع الأمور للربّ الذی بیده الحاکمیه و الرّبوبیه علی المشرق و المغرب و المعبود الوحید المستحق للعباده،و هذا التعبیر فی الحقیقه هو بمنزله الدلیل علی موضوع التوکل علی اللّه،فکیف لا یتوکل الإنسان علیه،و لا یودعه أعماله،و لیس فی العالم الواسع من حاکم و آمر و منعم و مولی و معبود غیره؟ و بالتالی یقول فی الأمر الرّابع و الخمس: وَ اصْبِرْ عَلیٰ مٰا یَقُولُونَ وَ اهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِیلاً .

و یأتی هنا مقام الصبر و الهجران،لکثره اتهامات الأعداء و إیذاءهم له فی طریق الدعوه إلی اللّه،فالفلاح إذا أراد قطف الورود،علیه أن یصبر و یتحمل أذی الأشواک،مضافا إلی ذلک یلزم الابتعاد عنهم و هجرانهم أحیانا،و لیبقی فی مأمن من شرّهم،و یعطیهم بذلک درسا بالغا،و لا یعنی ذلک قطع سبل التربیه و التبلیغ و الدعوه إلی اللّه.

و علی هذا فإنّ الآیات المذکوره آنفا تعتبر وثیقه من الأوامر تعطی للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لمن یحذو حذوه هذا المفهوم،و هو أن یستمد العون من عباده اللیل و الدعاء و التضرع إلی اللّه تعالی و یسقی هذه الشجره بماء الذکر اللّه تعالی، و الإخلاص و التوکل و الصبر و الهجران الجمیل،یا لها من صحیفه جامعه و جمیله!

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۵۰،ح ۲۷.

التعبير ب«ربّ المشرق و المغرب»إشاره إلى الحاكميه و الرّبوبيه على العالم المشهور كلّه.

«الهجر الجميل»:كما أشرنا من قبل،يعنى الهجران الملازم للشفقه و الاستمرار بالدعوه إلى اللّه الذى يعتبر أحد طرق التربيه فى مراحل خاصّه،و لا يتنافى ذلك مع الجهاد فى المراحل الاخرى،فلكل أمر مقام.

و بعباره اخرى أنّ ذلك لا يعتبر من الابتعاد عنهم و عدم الاكتراث بهم،بل هو اكتراث بحدّ ذاته،و ما قيل من أنّ الجهاد نسخ هذه الآيات فليس صحيحا.

يقول المرحوم الطّبرسى فى مجمع البيان فى ذيل الآيه:و فى هذا دلاله على وجوب الصبر على الأذى لمن يدعو إلى الدين و المعاشره بأحس الأخلاق، و استعمال الرفق ليكونوا أقرب إلى الإجابه (۱) .

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۷۹.

الآیات [سوره المزمل (۷۳): الآیات ۱۱ الی ۱۹]

اشاره

وَ ذَرْنِی وَ اَلْمُکَذِّبِینَ أُولِی اَلنَّعْمَهِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِیلاً (۱۱) إِنَّ لَدَیْنٰا أَنْکٰالاً وَ جَحِیماً (۱۲) وَ طَعٰاماً ذٰا غُصَّهٍ وَ عَذٰاباً أَلِیماً (۱۳) یَوْمَ تَرْجُفُ اَلْأَرْضُ وَ اَلْجِبٰالُ وَ کٰانَتِ اَلْجِبٰالُ کَثِیباً مَهِیلاً (۱۴) إِنّٰا أَرْسَلْنٰا إِلَیْکُمْ رَسُولاً شٰاهِداً عَلَیْکُمْ کَمٰا أَرْسَلْنٰا إِلیٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً (۱۵) فَعَصیٰ فِرْعَوْنُ اَلرَّسُولَ فَأَخَذْنٰاهُ أَخْذاً وَبِیلاً (۱۶) فَکَیْفَ تَتَّقُونَ إِنْ کَفَرْتُمْ یَوْماً یَجْعَلُ اَلْوِلْدٰانَ شِیباً (۱۷) اَلسَّمٰاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ کٰانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً (۱۸) إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اِتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً (۱۹)

التّفسیر

اشاره

ذرنی و المکذبین المستکبرین:

أشارت فی الآیه الأخیره من الآیات السابقه إلی أقوال المشرکین البذیئه، و عدائهم و إیذائهم للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،أمّا فی هذه الآیات فإنّ اللّه تعالی یهددهم بالعذاب الألیم،و یدعوهم إلی ترک ما هم علیه،و یواسی المؤمنین الأوائل،فیقول تعالی

ص :۱۳۸

شأنه: وَ ذَرْنِی وَ الْمُکَذِّبِینَ أُولِی النَّعْمَهِ وَ مَهِّلْهُمْ قَلِیلاً .

أی دعنی و ایّاهم،و اترک عقابهم لی و مهلهم قلیلا-لتتمّ الحجّه علیهم و لتظهر ماهیتهم الحقیقیه، و یثقلوا ظهورهم بالخطایا فعندها یحلّ علیهم غضبی.

و لم یمض کثیر حتی ازدادت شوکه المسلمین،و وجهوا ضرباتهم القویه لأعداء الرساله،و ذلک فی معارک بدر و حنین و الأحزاب،و بالتالی کان العذاب الإلهی ینتظرهم فی البرزخ،حتی یخلدوا بعد ذلک فی النّار فی یوم القیامه.

و التعبیر ب«أولی النعمه»إشاره الغرور و الغفله الناجمه من کثره الأموال و الثروه المادیه،و لهذا یذکرهم القران فی النصف الأوّل من المخالفین علی طول تاریخ الأنبیاء،و فی الحقیقه أنّ هذه الآیه مشابهه للآیه(۳۴)من سوره سبأ حیث یقول تعالی: وَ مٰا أَرْسَلْنٰا فِی قَرْیَهٍ مِنْ نَذِیرٍ إِلاّٰ قٰالَ مُتْرَفُوهٰا إِنّٰا بِمٰا أُرْسِلْتُمْ بِهِ کٰافِرُونَ فی حین أنّ هؤلاء لا بدّ أن یلبوا دعوه الحق قبل غیرهم لیشکروا اللّه علی ما أنعم علیهم بهذا الوسیله.

ثمّ یقول مصرّحا: إِنَّ لَدَیْنٰا أَنْکٰالاً وَ جَحِیماً .

«الأنکال»:جمع(نکل)،علی وزن(فکر)و هی السلاسل الثقال،و أصلها من نکول الضعف و العجز،أی أنّ الإنسان یفقد الحرکه بتقیید أعضائه بالسلاسل.

نعم،لقد تنعموا فی الدنیا و أخذوا حریتهم المطلقه،و لهذا لا بدّ لهم من القیود و النّار.

و کذا یضیف: وَ طَعٰاماً ذٰا غُصَّهٍ وَ عَذٰاباً أَلِیماً .

هذا مصیر من کان یتلذذ بالطعام بعکس ما کان طعامهم فی الدنیا الحرام، حیث العذاب الألیم،و لمّا تمتع به المغرورون و المستکبرون من الراحه غیر المشروعه فی هذه الدنیا،و الطعام الموصوف بالغصّه هو بحدّ ذاته عذاب ألیم،ثمّ یتبع ذلک بذکر العذاب الألیم علی انفراد،و هذا یشیر إلی أنّ أبعاد العذاب الاخروی الذی لا یعلم شدّته و عظمته إلاّ اللّه تعالی،و لهذا ورد فی حدیث أنّ

النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم سمع قارئا یقرأ هذه فصعق. (۱)

و جاء فی حدیث آخر أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هو الذی کان یتلو الآیه فصعق (۲) ، و کیف لا یکون هذا الطعام ذا غصّه فی حین الآیه(۶)من سوره الغاشیه تقول:

لَیْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِیعٍ .

و کذا نقرأ فی الآیه(۴۳)و(۴۴)من سوره الدخان: إِنَّ شَجَرَهَ الزَّقُّومِ طَعٰامُ الْأَثِیمِ .

ثمّ یشرح ما یجری فی ذلک الیوم الذی یظهر فیه هذا العذاب فیقول: یَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ وَ کٰانَتِ الْجِبٰالُ کَثِیباً مَهِیلاً .

«الکثیب»:یراد به الرمل المتراکم،و«المهیل»من هیل-علی وزن کیل-هو صبّ شیء ناعم کالرمل علی شیء،و یراد بالمعنی هنا الرمل الناعم و ما لا یستقر، و المعنی أنّ الجبال تتلاشی بحیث تظهر بهیئه الرمل الناعم،و إذا ما دیست بالأقدام فإنّها تطمس فیها.

و للقرآن المجید تعابیر مختلفه عن مصیر الجبال فی یوم القیامه،و تحکی عن انعدامها و تبدیلها بالأتربه الناعمه(أوردنا شرحا مفصلا حول المراحل المختلفه لانعدام الجبال و التعابیر المختلفه للقرآن فی هذا الباب فی ذیل الآیه ۱۰۵ من سوره طه).

ثمّ یقارن بین بعثه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و مخالفه الأشداء العرب،و بین نهوض موسی بن عمران بوجه الفراعنه فیقول تعالی: إِنّٰا أَرْسَلْنٰا إِلَیْکُمْ رَسُولاً شٰاهِداً عَلَیْکُمْ کَمٰا أَرْسَلْنٰا إِلیٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً .

إنّ هدف النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم هدایتکم و الإشراف علی أعمالکم کما کان هدف موسی علیه السّلام هدایه فرعون و أتباعه و الإشراف علی أعمالهم.

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۸۰.

۲- ۲) -روح المعانی،ج ۲۹،ص ۱۰۷.

لم يكن جيش فرعون مانعا من العذاب الإلهی،و لم تكن سعه مملكتهم و أموالهم و ثراؤهم سببا لرفع هذا العذاب،ففی النهایه أغرقوا فی أمواج النیل المتلاطمه إذ أنّهم كانوا یتباهون بالنیل،فبماذا تفكرون لأنفسكم و أنتم أقل عدّه و عددا من فرعون و أتباعه و أضعف؟!و كیف تغترون بأموالكم و أعدادكم القلیله؟! «الوبیل»:من(الوبل)و یراد به المطر الشدید و الثقیل،و كذا یطلق علی كل ما هو شدید و ثقیل بالخصوص فی العقوبات،و الآیه تشیر إلی شدّه العذاب النازل كالمطر.

ثمّ وجه الحدیث إلی كفّار عصر نبیّ الإسلام صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و یحذرهم بقوله: فَكَیْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ یَوْماً یَجْعَلُ الْوِلْدٰانَ شِیباً (۱) (۲) .

بلی إنّ عذاب ذلك الیوم من الشدّه و الثقیل بحیث یجعل الولدان شیبا،و هذه كنایه عن شدّه ذلك الیوم.

هذا بالنسبه لعذاب الآخره،و هناك من یقول:إنّ الإنسان یقع أحیانا فی شدائد العذاب فی الدنیا بحیث یشیب منها الرأس فی لحظه واحده.

علی أی حال فإنّ الآیه تشیر إلی أنّكم علی فرض أنّ العذاب الدنیوی لا ینزل علیكم كما حدث للفراعنه؟فكیف بكم و عذاب یوم القیامه؟ فی الآیه الاخری یبیّن و صفا أدقّ لذلك الیوم المهول فیضیف: اَلسَّمٰاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كٰانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً .

إنّ الكثیر من الآیات الخاصّه بالقیامه و أشراط الساعه تتحدث عن

---

۱ – ۱) -یوما مفعول به لتتقون،و«تتقون»ذلك الیوم یراد به تتقون عذاب ذلك الیوم،و قیل(یوم)ظرف ل(تتقون)أو مفعول به ل(كفرتم)و الاثنان بعیدان.

۲ – ۲) -«شیب»جمع(أشیب)و یراد به المسن،و هی من أصل ماده شیب-علی وزن عیب-و المشیب یعنی تغیر لون الشعر إلی البیاض.

انفجارات عظیمه و زلازل شدیده و متغیرات سریعه،و الآیه أعلاه تشیر إلی جانب منها.

فما حیله الإنسان الضعیف العاجز عند ما یری تفطر السموات بعظمتها لشدّه ذلک الیوم؟! (۱) و فی النّهایه یشیر القرآن إلی جمیع التحذیرات و الإنذارات السابقه فیقول تعالی: إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ .

إنّکم مخیرون فی اختیار السبیل،فمن شاء اتّخذ إلی ربّه سبیلا،و لا فضیله فی اتّخاذ الطریق إلی اللّه بالإجبار و الإکراه،بل الفضیله أن یختار الإنسان السبیل بنفسه و بمحض إرادته.

و الخلاصه أنّ اللّه تعالی هدی الإنسان إلی النجدین،و جعلهما واضحین کالشمس المضیئه فی وضح النهار،و ترک الإختیار للإنسان نفسه حتی یدخل فی طاعته سبحانه بمحض إرادته،و قد احتملت احتمالات متعدده فی سبب الإشاره إلی التذکره،فقد قیل أنّها إشاره إلی المواعظ التی وردت فی الآیات السابقه، و قیل هی إشاره إلی السوره بکاملها،أو إشاره إلی القرآن المجید.

و لعلها إشاره إلی إقامه الصلاه و قیام اللیل کما جاء فی الآیات من السوره، و المخاطب هو النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الآیه تدل علی توسعه الخطاب و تعمیمه لسائر المسلمین،و لهذا فإنّ المراد من«السبیل»فی الآیه هو صلاه اللیل،و التی تعتبر سبیل خاصّ و مهمّ تهدی إلی اللّه تعالی،کما ذکرت فی الآیه(۲۶)من سوره الدهر بعد أن أشیر إلی صلاه اللیل بقوله تعالی: وَ مِنَ اللَّیْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَیْلاً طَوِیلاً .

و یقول بعد فاصله قصیره: إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً

۱- ۱) -«المنفطر»:من الانفطار بمعنی الإنشقاق،و الضمیر(به)یعود للیوم،و المعنی السماء منشقه بسبب ذلک الیوم و السماء جائزه للوجهین أی أنّه تذکر و تؤنث.

و هی بعینها الآیه التی نحن بصدد البحث فیها (۱) .

و بالطبع هذا التّفسیر مناسب،و الأنسب منه أن تکون الآیه ذات مفهوم أوسع حیث تستوعب هذه السوره جمیع مناهج صنع الإنسان و تربیته کما أشرنا إلی ذلک سابقا.

***

ملاحظه

اشاره

المراحل الأربع للعذاب الإلهی

الآیات السابقه تهدد المکذبین المغرورین بأربعه أنواع من العذاب الألیم:

النکال،الجحیم،الطعام ذو الغصّه،و العذاب الألیم،هذه العقوبات فی الحقیقه هی تقع فی مقابل أحوالهم فی هذه الحیاه الدنیا.

فمن جهه کانوا یتمتعون بالحریه المطلقه.

الحیاه المرفهه ثانیا.

لما لهم من الأطعمه السائغه من جهه ثالثه.

و الجهه الرابعه لما لهم من وسائل الراحه،و هکذا سوف یجزون بهذه العقوبات لما قابلوا هذه النعم بالظلم و سلب الحقوق و الکبر و الغرور و الغفله عن اللّه تعالی.

***

۱- ۱) -تفسیر المیزان،ج ۲۰،ص ۱۴۷.

الآیه [سوره المزمل (۷۳): آیه ۲۰]

اشاره

إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنیٰ مِنْ ثُلُثَیِ اَللَّیْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طٰائِفَهٌ مِنَ اَلَّذِینَ مَعَکَ وَ اَللّٰهُ یُقَدِّرُ اَللَّیْلَ وَ اَلنَّهٰارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتٰابَ عَلَیْکُمْ فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنَ اَلْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَیَکُونُ مِنْکُمْ مَرْضیٰ وَ آخَرُونَ یَضْرِبُونَ فِی اَلْأَرْضِ یَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اَللّٰهِ وَ آخَرُونَ یُقٰاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اَللّٰهِ فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنْهُ وَ أَقِیمُوا اَلصَّلاٰهَ وَ آتُوا اَلزَّکٰاهَ وَ أَقْرِضُوا اَللّٰهَ قَرْضاً حَسَناً وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِکُمْ مِنْ خَیْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اَللّٰهِ هُوَ خَیْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اِسْتَغْفِرُوا اَللّٰهَ إِنَّ اَللّٰهَ غَفُورٌ رَحِیمٌ (۲۰)

التّفسیر

اشاره

فاقرؤوا ما تیسر من القرآن:

هذه الآیه هی من أطول آیات هذه السوره و تشتمل علی مسائل کثیره،و هی مکمله لمحتوی الآیات السابقه،و هناک أقوال کثیره للمفسّرین حول ما إذا کانت

هذه الآیه ناسخه لحکم صدر السوره أم لا،و کذلک فی مکّیتها أو مدنیتها،و یتّضح لنا جواب هذه الأسئله بعد تفسیر الآیه.

فیقول تعالی: إِنَّ رَبَّکَ یَعْلَمُ أَنَّکَ تَقُومُ أَدْنیٰ مِنْ ثُلُثَیِ اللَّیْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طٰائِفَهٌ مِنَ الَّذِینَ مَعَکَ وَ اللّٰهُ یُقَدِّرُ اللَّیْلَ وَ النَّهٰارَ (۱)

.

الآیه تشیر إلی نفس الحکم الـذی أمر به الرّسول صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم فی صدر السوره من قیام اللیل و الصـلاه فیه، و ما أضـیف فی هذه الآیه هو اشتراک المؤمنین فی العباده مع النّبی صـلّی اللّه علیه و آله و سـلّم(بصـیغه حکم اسـتحبابی أو باحتمال حکم وجوبی لأـنّ ظروف صـدر الإسـلام کـانت تتجـاوب مع بناء ذواتهم و الاسـتعداد للتبلیغ و الـدفاع عنه بالـدروس العقائـدیه المقتبسه من القرآن المجیـد،و کـذا بالعمل و الأخلاق و قیام اللیل،و لکن یسـتفاد من بعض الرّوایات أنّ المؤمنین کانوا قد وقعوا فی إشـکالات ضـبط الوقت للمـده المـذکوره(الثلث و النصف و الثلثین)و لـذا کـانوا یحتـاطون فی ذلک،و کان ذلک یسـتدعی استیقـاظهم طول اللیـل و القیام حتی تتورم أقـدامهم،و لـذا بنی هـذا الحکم علی التخفیف،فقال: عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتٰابَ عَلَیْکُمْ فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ .

«لن تحصوه»:من(الإحصاء)و هو عد الشیء،أی علم أنّکم لا تستطیعون إحصاء مقدار اللیل الذی أمرتم بقیامه و الإحاطه بالمقادیر الثلاثه.

و قـال البعض:إنّ معنی الآـیه أنّکم لاـ تتمکنون من المـداومه علی هـذا العمل طیله أیّام السـنه،و لا یتیسـر لعامّه المکلّفین إحصاء ذلک لاختلاف اللیالی طولا و قصرا،مع وجود الوسائل التی توقظ الإنسان.

و المراد ب فَتٰابَ عَلَیْکُمْ خفف علیکم التکـالیف، و لیس التوبه من الـذنب، و یحتمل أنّه فی حال رفع الحکم الوجوبی لا یوجد ذنب من الأساس،و النتیجه

۱- ۱) -یجب الالتفات إلی أنّ(نصفه)و(ثلثه)معطوف علی أدنی و لیس علی(ثلثی اللیل)فیکون المعنی أنّه یعلم أنّک تقوم بعض اللیـالی أدنی مـن ثلـثی اللیـل أو نصـفه أو ثلثه،.کـذا الالتفـات إلی أن أدنی تقـال لمـا یقرب من الشـیء،و هنـا إشـاره إلی الزمن التقریبی.

تكون مثل المغفره الإلهيه.

و أمّا عن معنى الآيه: فَاقْرَؤُا مٰا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ فقد قيل فى تفسيرها أقوال،فقال بعضهم:إنّها تعنى صلاه الليل التى تتخللها قراءه الآيات القرآنيه، و قال الآخرون:إنّ المراد منها قراءه القرآن،و إن لم تكن فى أثناء الصلاه،و فسّرها البعض بخمسين آيه،و قيل مائه آيه،و قيل مائتان،و لا دليل على ذلك،بل إنّ مفهوم الآيه هو قراءه ما يتمكن عليه الإنسان.

و بديهى أنّ المراد من قراءه القرآن هو تعلم الدروس لبناء الذات و تقويه الإيمان و التقوى.

ثمّ يبيّن دليلا آخرا للتخفيف فيضيف تعالى: عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضىٰ وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ وَ آخَرُونَ يُقٰاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ ،و هذا تخفيف آخر كما قلنا فى الحكم،و لذا يكرر قوله«فاقرؤوا ما تيسر منه»، و الواضح أنّ المرض و الأسفار و الجهاد فى سبيل اللّه ذكرت بعنوان ثلاثه أمثله للأعذار الموجهه و لا تعنى الحصر،و المعنى هو أنّ اللّه يعلم أنّكم سوف تلاقون،كثيرا من المحن و المشاكل الحياتيه،و بالتالى تؤدى إلى قطع المنهج الذى أمرتم به،فلذا خفف عليكم الحكم.

و هنا يطرح هذا السؤال،و هو:هل أنّ هذا الحكم ناسخ للحكم الذى ورد فى صدر السوره،أم هو حكم استثنائى؟ظاهر الآيات يدل على النسخ،و فى الحقيقه أنّ الغرض من الحكم الأوّل فى صدر السوره هو إقامه المنهج العبادى،و هذا ما حصل لمدّه معينه ثمّ نسخ بعد ذلك بهذه الآيه،و أصبح أخف من ذى قبل،لأنّ ظاهر الآيه يدل على وجود معذورين،فلذا حفف الحكم على الجميع،و ليس للمعذورين فحسب،و لذا لا يمكن أن يكون حكما استثنائيا بل هو حكم ناسخ.

و يرد سؤال آخر،هو:هل أنّ الحكم المذكور بقراءه ما تيسّر من القرآن واجب أم مستحب؟إنّه مستحب،و احتمل البعض الآخر الوجوب،لأنّ قراءه القرآن تبعث على معرفه دلائل التوحيد،و إرسال الرسل،و واجبات الدين،و على

هذا الأساس تكون القراءه واجبه.

و لكن يجب الالتفات إلى أنّ الإنسان لا يلزم بقراءه القرآن ليلا أثناء صلاه الليل،بل يجب على المكلّف أن يقرأ بمقدار ما يحتاجه للتعليم و التربيه لمعرفه اصول و فروع الإسلام و حفظه و إيصاله إلى الأجيال المقبله،و لا يختص ذلك بزمان و مكان معينين، و الحقّ هو وجوب القراءه لما في ظاهر الأمر(فاقرؤا كما هو مبيّن في اصول الفقه)إلّا أن يقال بقيام الإجماع على عدم الوجوب،فيكون حينها مستحبا،و النتيجه هي وجوب القراءه في صدر الإسلام لوجود الظروف الخاصّه لذلك،و اعطى التخفيف بالنسبه للمقدار و الحكم،و ظهر الاستحباب بالنسبه للمقدار الميسّر،و لكن صلاه الليل بقيت واجبه على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم طيله حياته(بقرينه سائر الآيات و الرّوايات).

و نقرأ

في حديث ورد عن الإمام الباقر عليه السّلام حيث يقول: «...متى يكون النصف و الثلث نسخت هذه الآيه فَاقْرَؤُا مٰا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ... و اعلموا أنّه لم يأت نبيّ قط إلّا خلا بصلاه الليل،و لا جاء نبي قط صلاه الليل في أوّل الليل» (۱) .

و الملاحظ في الآيه ذكر ثلاثه نماذج من الأعذار،أحدها يتعلق بالجسم (المرض)،و الآخر بالمال(السفر)،و الثالث بالدين(الجهاد في سبيل اللّه)،و لذا قال البعض:إنّ المستفاد من الآيه هو السعي للعيش بمثابه الجهاد في سبيل اللّه! و قالوا:إنّ هذه الآيه مدنيّه بدليل سياقها في وجوب الجهاد،إلّا أنّ الجهاد لم يكن في مكّه،و لكن بالالتفات إلى قوله: سَيَكُونُ يمكن أن تكون الآيه مخبره على تشريع الجهاد في المستقبل،أي بسبب ما لديكم من الأعذار و ما سيكون من الأعذار،لم يكن هذا الحكم دائميا،و بهذا الصوره يمكن أن تكون الآيه مكّيه و لا منافاه في ذلك.

ثمّ يشير إلى أربعه أحكام اخرى،و بهذه الطريقه يكمل البناء الروحي للإنسان فيقول:

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،۴۵۱.

وَ أَقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ آتُوا الزَّكٰاةَ وَ أَقْرِضُوا اللّهَ قَرْضاً حَسَناً وَ مٰا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللّهِ هُوَ خَيْراً وَ أَعْظَمَ أَجْراً وَ اسْتَغْفِرُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ

.

هذه الأوامر الأربعه(الصلاه،الزكاه،القروض المستحبه،الاستغفار)مع الأمر بالقراءه و التدبر فى القران الذى ورد من قبل تشكّل بمجموعها منهجا للبناء الروحى،و هذا مهم للغايه بالخصوص لمن كان فى عصر صدر الإسلام.

و المراد من«الصلاه»هنا الصلوات الخمس المفروضه،و المراد من«الزكاه» الزكاه المفروضه و من إقراض اللّه تعالى هو إقراض الناس،و هذه من أعظم العبارات المتصوره فى هذا الباب،فإنّ مالك الملك يستقرض بمن لا يملك لنفسه شيئا،ليرغبهم بهذه الطريقه للإنفاق و الإيثار و اكتساب الفضائل منها و ليتربى و يتكامل بهذه الطريقه.

و ذكر«الاستغفار»فى آخر هذه الأوامر يمكن أن يكون إشاره إلى هذا المعنى و إيّاكم و الغرور إذا ما أنجزتم هذه الطاعات،و بأنّ تتصوروا بأنّ لكم حقّا على اللّه،بل اعتبروا أنفسكم مقصرين على الدوام و اعتذروا للّه.

و يرى البعض أنّ التأكيد على هذه الأوامر هو لئلا يتصور المسلّم أنّ التخفيف سار على جميع المناهج و الأوامر الدينيه كما هو الحال فى التخفيف الذى امر به النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أصحابه فى قيام و قراءه القرآن،بل إنّ المناهج و الأوامر الدينيه باقيه على متانتها و قوّتها (۱) .

و قيل إنّ ذكر الزكاه المفروضه فى هذه الآيه هو دليل آخر على مدنيّه هذه الآيه،لأنّ حكم الزكاه نزل بالمدينه و ليس فى مكّه،و لكن البعض قال:إنّ حكم الزكاه نزل فى مكّه من غير تعيين نصاب و مقدار لها،و الذى فرض بالمدينه تعيين الأنصاب و المقادير.

***

ص:۱۴۸

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۱۵۶.

ملاحظات

اشاره

۱-ضروره الاستعداد العقائدی و الثقافی

لغرض إیجاد ثوره واسعه فی جمیع الشؤون الحیاتیه أو إنجاز عمل اجتماعی ذی أهمیه لا بدّ من وجود قوّه عزم بشریه قبل کل شیء،و ذلک مع الإعتقاد الراسخ،و المعرفه الکامله،و التوجیه و الفکری و الثقافی الضروری و التربوی،و التربیه الأخلاقیه،و هذا ما قام به النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی مکّه فی السنوات الاولی للبعثه،بل فی مدّه حیاته صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لوجود هذا الأساس المتین للبناء أخذ الإسلام بالنمو السریع و الرشد الواسع من جمیع الجهات.

و ما جاء فی هذه السوره هو نموذج حی و منطقی لهذا المنهج المدروس،فقد خلّف القیام لثلثی اللیل أو ثلثه و قراءه القرآن و التمعن فیه أثرا بالغا فی أرواح المؤمنین،و هیأهم لقبول القول الثقیل و السبح الطویل،و تطبیق هذه الأوامر التی هی أشدّ وطأ و أقوم قیلا کما یعبّر عنه القرآن،هی التی أعطتهم هذه الموفقیه، و جهزت هذه المجموعه المؤمنه القلیله،و المستضعفه و المحرومه بحیث أهلتهم لإداره مناطق واسعه من العالم،و إذا ما أردنا نحن المسلمین إعاده هذه العظمه و القدره القدیمه علینا أن نسلک هذا الطریق و هذا المنهج،و لا یجب علینا إزاله حکومه الصهاینه بالاعتماد علی أناس عاجزین و ضعفاء لم یحصلوا علی ثقافه أخلاقیه.

۲-قراءه القرآن و التفکر

یستفاد من الرّوایات الإسلامیه أنّ فضائل قراءه القرآن لیس بکثره القراءه، بل فی حسن القراءه و التدبر و التفکر فیها،و من الطریف أنّ هناک روایه

وردت عن الإمام الرضا علیه السّلام فی تفسیر ذیل الآیه: فَاقْرَؤُا مٰا تَیَسَّرَ مِنْهُ رواها عن

ص: ۱۴۹

جدّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«ما تيسّر منه لكم فيه خشوع القلب و صفاء السر» (۱) ، لم لا يكون كذلك و الهدف الأساس للقراءه هو التعليم و التربيه.

و الرّوايات فى هذا المعنى كثيره.

۳-السعى للعيش كالجهاد فى سبيل اللّه

كما عرفنا من الآيه السابقه فإنّ السعى لطلب الرزق جعل مرادفا للجهاد فى سبيل اللّه،و هذا يشير إلى أنّ الإسلام يعير أهميه بالغه لهذا الأمر،و لم لا يكون كذلك فلأمّه الفقيره و الجائعه المحتاجه للأجنبى لا يمكن لها أن تحصل على الاستقلال و الرفاه،و المعروف أنّ الجهاد الاقتصادى هو قسم من الجهاد مع الأعداء،و قد نقل فى هذا الصدد قول عن الصحابى المشهور عبد اللّه بن مسعود:

«أيما رجل جلب شيئا إلى مدينه من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند اللّه بمنزله الشهداء»ثمّ قرأ: وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ (۲) .

اللّهم!وفقنا للجهاد بكلّ أبعاده.

ربّنا!وفقنا لقيام الليل و قراءه القرآن الكريم و تهذيب أنفسنا بواسطه هذا النور السماوى.

ربّنا!منّ على مجتمعنا الإسلامى بمقام الرفعه و العظمه بالإلهام من هذه السوره العظيمه.

آمين ربّ العالمين نهايه سوره المزّمل ***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۸۲.

۲- ۲) -مجمع البيان،و تفسير أبى الفتوح،و تفسير القرطبى،ذيل الآيه مورد البحث و قد نقل القرطبى حديثا عن الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يشابه هذه الحديث،فيستفاد من ذلك أنّ عبد اللّه بن مسعود قد ذكر الحديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و ليس هو من قوله.

سوره المدّثّر

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها ستّ و خمسون آیه

ص :۱۵۱

محتوى السوره:

لا ـ شك أنّ هـذه السوره هى من السور المكّيه و لكن هناك تساؤل عن أنّ هـذه السوره هل هى الاولى النازله على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أم نزلت بعـد سوره العلق؟ يتّضح من التمعن فى محتوى سوره العلق و المدثر أنّ سوره العلق نزلت فى بدء الـدعوه،و أنّ سـوره المـدثر نزلـت فى زمـن قـد امر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فيه بالـدعوه العلنيه،و انتهـاء فـتره الـدعوه السرّيه،لـذا قال البعض أنّ سوره العلق هى أوّل سوره نزلت فى صـدر البعثه،و المـدثر هى السوره الاولى التى نزلت بعـد الـدعوه العلنيه، و هذا الجمع هو الصحيح.

و مهمـا يكن فـإنّ سـياق السور المكّيه الـتى تشـير إلى الـدعوه و إلى المبـدأ و المعـاد و مقـارعه الشـرك و تهديـد المخـالفين و إنذارهم بالعذاب الإلهى واضح الوضوح فى هذه السوره.

يدور البحث فى هذه السوره حول سبعه محاور و هى:

۱-يـأمر اللّه تعـالى رسـوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بإعلاـن الـدعوه العلنيه،و يـأمر أن ينـذر المشـركين،و تمسـك بـالصبر و الاستقامه فى هذا الطريق و الاستعداد الكامل لخوض هذا الطريق.

۲-تشير إلى المعاد و أوصاف أهل النّار الذين واجهوا القرآن بالتكذيب و الإعراض عنه.

۳-الإشاره إلی بعض خصوصیات النّار مع إنذار الکافرین.

۴-التأکید علی المعاد بالأقسام المکرره.

۵-ارتباط عاقبه الإنسان بعمله،و نفی کل أنواع التفکر غیر المنطقی فی هذا الإطار.

۶-الإشاره إلی قسم من خصوصیات أهل النّار و أهل الجنّه و عواقبهما.

۷-کیفیه فرار الجهله و المغرورین من الحقّ.

فضیله السوره:

ورد فی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من قرأ سوره المدثر اعطی من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق بمحمّد و کذب به بمکّه» (۱) .

و

ورد فی حدیث آخر عن الإمام الباقر علیه السّلام قال: «من قرأ فی الفریضه سوره المدثر کان حقّا علی اللّه أن یجعله مع محمّد فی درجته،و لا یدرکه فی حیاه الدنیا شقاء أبدا» (۲) و بدیهی أنّ هذه النتائج العظیمه لا تتحقق بمجرّد قراءه الألفاظ فحسب،بل لا بدّ من التمعن فی معانیها و تطبیقها حرفیا.

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۸۳.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره المدثر (٧۴): الآيات ١ الى ١٠]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ يٰا أَيُّهَا اَلْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَ رَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَ ثِيٰابَكَ فَطَهِّرْ (۴) وَ اَلرُّجْزَ فَاهْجُرْ (۵) وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (۶) وَ لِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧) فَإِذٰا نُقِرَ فِي اَلنّٰاقُورِ (٨) فَذٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى اَلْكٰافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)

التّفسير

اشاره

قم و انذر النّاس:

لا شک من أنّ المخاطب فی هذه الآيات هو النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و إن لم يصرح باسمه، و لکن القرائن تشير إلی ذلک،فيقول أوّلا: يٰا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ فلقد ولی زمن النوم الاستراحه،و حان زمن النهوض و التبليغ،و ورد التصريح هنا بالإنذار مع أنّ النّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم مبشر و نذير،لأنّ الإنذار له أثره العميق فی إيقاظ الأرواح النائمه خصوصا فی بدايه العمل.

و أورد المفسّرون احتمالات کثيره عن سبب تدثره صلّی اللّه عليه و آله و سلّم و دعوته إلی القيام و النهوض.

١-اجتمع المشرکون من قريش فی موسم الحج و تشاور الرؤساء منهم

كأبى جهل و أبى سفيان و الوليد بن المغيره و النضر بن الحارث و غيرهم فى ما يجيبون به عن أسئله القادمين من خارج مكّه و هم يناقشون أمر النّبى الذى قد ظهر بمكّه،و فكروا فى و أن يسمّى كلّ واحد منهم النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باسم،ليصدوا الناس عنه،لكنّهم رأوا فى ذلك فساد الأمر لتشتت أقوالهم،فاتفقوا فى أن يسمّوه ساحرا،لأنّ أحد آثار السحره الظاهره هى التفريق بين الحبيب و حبيبه،و كانت دعوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد أثّرت هذا الأثر بين الناس!فبلغ ذلك النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فتأثر و اغتم لذلك،فأمر بالدثار و تدثر،فأتاه جبرئيل بهذه الآيات و دعاه إلى النهوض و مقابله الأعداء.

۲-إنّ هذه الآيات هى الآيات الأولى التى نزلت على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لما

نقله جابر بن عبد اللّه قال: جاوزت بحراء فلمّا قضيت جوارى نوديت يا محمّد،أنت رسول اللّه،فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا،و نظرت عن شمالى فلم أر شيئا، و نظرت خلفى فلم أر شيئا،فرفعت رأسى فإذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء و الأرض،فملئت منه رعبا،فرجعت إلى خديجه و قلت:

«دثرونى دثرونى،و اسكبوا علىّ الماء البارد»،فنزل جبرئيل بسوره: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ .

و لكن بلحاظ أن آيات هذه السوره نظرت للدعوه العلنيه،فمن المؤكّد أنّها نزلت بعد ثلاث سنوات من الدعوه الخفيه،و هذا لا ينسجم و الرويه المذكوره،إلاّ أن يقال بأنّ بعض الآيات التى فى صدر السوره قد نزلت فى بدء الدعوه،و الآيات الأخرى مرتبطه بالسنوات التى تلت الدعوه.

۳-إنّ النّبى كان نائما و هو متدثر بثيابه فنزل عليه جبرائيل عليه السّلام موقظا إيّاه، ثمّ قرأ عليه الآيات أن قم و اترك النوم و استعد لإبلاغ الرساله.

۴-ليس المراد بالتدثر التدثر بالثياب الظاهريه،بل تلبسه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالنبوّه و الرساله كما قيل فى لباس التقوى.

۵-المراد به اعتزاله صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و انزواؤه و استعد لإنذار الخلق و هدایه العباد (۱) و المعنی الأوّل هو الأنسب ظاهرا.

و من الملاحظ أنّ جمله(فانذر)لم یتعین فیها الموضوع الذی ینذر فیه، و هذا یدل علی العمومیه،یعنی إنذار الناس من الشرک و عباده الأصنام و الکفر و الظلم و الفساد،و حول العذاب الإلهی و الحساب المحشر...إلخ(و یصطلح علی ذلک بأن حذف المتعلق یدل علی العموم).و یشمل ضمن ذلک العذاب الدنیوی و العذاب الاخروی و النتائج السیئه لأعمال الإنسان التی سیبتلی بها فی المستقبل.

ثم یعطی للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خمسه أوامر مهمّه بعد الدعوه إلی القیام و الإنذار،تعتبر منهاجا یحتذی به الآخرون،و الأمر الأوّل هو فی التوحید،فیقول: وَ رَبَّکَ فَکَبِّرْ (۲) .

ذلک الربّ الذی هو مالکک مربیک،و جمیع ما عندک فمنه تعالی،فعلیک أن تضع غیره فی زاویه النسیان و تشجب علی کلّ الآلهه المصطنعه،و امح کلّ آثار الشرک و عباده الأصنام.

ذکر کلمه(ربّ)و تقدیمها علی(کبّر)الذی هو یدل علی الحصر،فلیس المراد من جمله«فکبر»هو(اللّه أکبر)فقط،مع أنّ هذا القول هو من مصادیق التکبیر کما ورد من الرّوایات،بل المراد منه أنسب ربّک إلی الکبریاء و العظمه اعتقادا و عملا،قولا فعلا و هو تنزیهه تعالی من کلّ نقص و عیب،و وصفه

۱- ۱) -أورد الفخر الرازی هذه التفاسیر الخمسه بالإضافه إلی احتمالات أخری فی تفسیره الکبیر،و اقتبس منه البعض الآخر من المفسّرین(تفسیر الفخر الرازی،ج ۳۰،ص ۱۸۹-۱۹۰).

۲- ۲) -الفاء من(فکبر)زائده للتأکید بقول البعض،و قیل لمعنی الشرط،و المعنی هو:لا تدع التکبیر عند کلّ حادثه تقع،(یتعلق هذا القول بالآیات الاخری الآتیه أیضا).

بأوصاف الجمال،بل هو أكبر من أن يوصف،و لذا ورد فی الرّوایات عن أئمّه أهل البیت علیهم السّلام فی معنی اللّه أکبر:

«اللّه أکبر من أن یوصف»، و لذا فإنّ التکبیر له مفهوم أوسع من التسبیح الذی هو تنزیهه من کل عیب و نقص.

ثمّ صدر الأمر الثّانی بعد مسأله التوحید،و یدور حول الطهاره من الدنس فیضیف: وَ ثِیابَکَ فَطَهِّرْ ،التعبیر بالثوب قد یکون کنایه عن عمل الإنسان،لأنّ عمل الإنسان بمنزله لباسه،و ظاهره مبین لباطنه،و قیل المراد منه القلب و الروح، أی طهر قلبک و روحک من کلّ الأدران،فإذا وجب تطهیر الثوب فصاحبه اولی بالتطهیر.

و قیل هو اللباس الظاهر،لأنّ نظافه اللباس دلیل علی حسن التربیه و الثقافه، خصوصا فی عصر الجاهلیه حیث کان الاجتناب من النجاسه قلیلا و إن ملابسهم وسخه غالبا،و کان الشائع عندهم تطویل أطراف الملابس(کما هو شائع فی هذا العصر أیضا)بحیث کان یسحل علی الأرض،و ما

ورد عن الإمام الصّادق علیه السّلام فی معنی أنّه: «ثیابک فقصر» (۱) ، ناظر إلی هذا المعنی.

و قیل المراد بها الأزواج لقوله تعالی: هُنَّ لِبٰاسٌ لَکُمْ وَ أَنْتُمْ لِبٰاسٌ لَهُنَّ (۲) ، و الجمع بین هذه المعانی ممکن،و الحقیقه أنّ الآیه تشیر إلی أنّ القاده الإلهیین یمکنهم إبلاغ الرساله عند طهاره جوانبهم من الأدران و سلامه تقواهم،و لذا یستتبع أمر إبلاغ الرساله و لقیام بها أمر آخر،هو النقاء و الطهاره.

و یبیّن تعالی الأمر الثّالث بقوله: وَ الرُّجْزَ فَاهْجُرْ المفهوم الواسع للرجز کان سببا لأن تذکر فی تفسیره أقوال مختلفه،فقیل:هو الأصنام،و قیل:المعاصی، و قیل:الأخلاق الرّذیله الذمیمه،و قیل:حبّ الدنیا الذی هو رأس کلّ خطیئه، و قیل هو العذاب الإلهی النازل بسبب الترک و المعصیه،و قیل:کل ما یلهی

ص: ۱۵۸

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۸۵.
۲- ۲) -البقره،۱۸۷.

عن ذكر اللّه.

و الأصل أنّ معنى«الرجز»يطلق على الاضطراب و التزلزل (1) ثمّ اطلق على كل أنواع الشرك،عباده الأصنام،و الوساوس الشيطانيه و الأخلاق الذميمه و العذاب الإلهى التى تسبب اضطراب الإنسان،فسّره البعض بالعذاب (2) ،و قد اطلق على الشرك و المعصيه و الأخلاق السيئه و حبّ الدّنيا تجلبه من العذاب.

و ما تجدر الإشاره إليه أنّ القرآن الكريم غالبا ما استعمل لفظ«الرجز» بمعنى العذاب (3) ،و يعتقد البعض أنّ كلمتى الرجز و الرجس مرادفان (4) .

و هذه المعانى الثلاثه،و إن كانت متفاوته،و لكنّها مرتبطه بعضها بالآخر، و بالتالى فإنّ للآيه مفهوما جامعا،و هو الانحراف و العمل السيء،و تشمل الأعمال التى لا ترضى اللّه عزّ و جلّ،و الباعثه على سخر اللّه فى الدنيا و الآخره، و من المؤكّد أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد هجر و اتقى ذلك حتى قبل البعثه،و تاريخه الذى يعترف به العدو و الصديق شاهد على ذلك،و قد جاء هذا الأمر هنا ليكون العنوان الأساس فى مسير الدعوه إلى اللّه،و ليكون للناس أسوه حسنه.

و يقول تعالى فى الأمر الرّابع: وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ .

هنا التعلق محذوف أيضا، و يدل على سعه المفهوم كليته،و يشمل المنّه على اللّه و الخلائق،أى فلا تمنن على اللّه بسعيك و اجتهادك،لأنّ اللّه تعالى هو الذى منّ عليك بهذا المقام المنيع.

و لا تستكثر عبادتك و طاعتك و أعمالك الصالحه،بل عليك أن تعتبر نفسك مقصرا و قاصرا،و استعظم ما وفقت إليه من العباده.

1- 1) -مفردات الراغب.

2- 2) -الميزان،فى ظلال القرآن.

3- 3) -راجع الآيات،134-135 من سوره الأعراف،و الآيه 5 من سوره سبأ،و الآيه 11 من سوره الجاثيه،و الآيه 59 من سوره البقره،و الآيه 162 من سوره الأعراف،و الآيه 34 من سوره العنكبوت.

4- 4) -و ذكر ذلك فى تفسير الفخر الرازى بصوره احتمال،ج 30،ص 193.

و بعباره أخری:لا تمنن علی اللّه بقیامک بالإنذار و دعوتک إلی التوحید و تعظیمک للّه و تطهیرک ثیابک و هجرک الرجز،و لا تستعظم کل ذلک،بل أعلم أنّه لو قدمت خدمه للناس سواء فی الجوانب المعنویه کالإرشاد و الهدایه،أم فی الجوانب المادیه کالإنفاق و العطاء فلا ینبغی أن تقدمها مقابل منّه،أو توقع عوض أکبر ممّا أعطیت،لأنّ المنّه تحبط الأعمال الصالحه: یٰا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا لاٰ تُبْطِلُوا صَدَقٰاتِکُمْ بِالْمَنِّ وَ الْأَذیٰ (۱) .

«لا تمنن»من ماده«المنّه»و تعنی فی هذه الموارد الحدیث عن تبیان أهمیه النعم المعطاه للغیر،و هنا یتّضح لنا العلاقه بینه و بین الاستکثار،لأنّ من یستصغر عمله لا ینتظر المکافأه،فکیف إذن بالاستکثار،فإنّ الامتنان یؤدی دائما إلی الاستکثار،و هذا ممّا یزیل قیمه النعم، و ما جاء من الرّوایات یشیر لهذا المعنی:

«لا تعط تلتمس أکثر منها» (۲) کما

جاء فی حدیث آخر عن الإمام الصادق علیه السّلام فی تفسیر الآیه: «لا تستکثر ما عملت من خیر للّه» (۳) و هذا فرع من ذلک المفهوم.

و یشیر فی الآیه الأخری إلی الأمر الأخیر فی هذا المجال فیقول: وَ لِرَبِّکَ فَاصْبِرْ ،و نواجه هنا مفهوما واسعا عن الصبر الذی یشمل کلّ شیء،أی اصبر فی طریق أداء الرساله،و اصبر علی أذی المشرکین الجهلاء،و استقم فی طریق عبودیه اللّه و طاعته،و اصبر فی جهاد النفس و میدان الحرب مع الأعداء.

و من المؤکّد أنّ الصبر هو ضمان لإجراء المناهج السابقه،و المعروف أنّ الصبر هو الثروه الحقیقیه لطریق الإبلاغ و الهدایه،و هذا ما اعتمده القرآن الکریم

۱- ۱) -البقره،۲۶۴.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۵۴،و تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۰۰.

۳- ۳) -المصدر السابق.

کرارا،و لهذا نقرأ

فی حدیث أمیر المؤمنین علیه السّلام: «اصبر من الإیمان کالرأس من الجسد» (۱) ، و لقد کان الصبر و الاعتدال أحد الأصول المهمّه لمناهج الأنبیاء و المؤمنین. و کلما ازدادت علیهم المحن ازداد صبرهم.

ورد فی حدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال حول أجر الصابرین: «قال اللّه تعالی:

إذا وجهت إلی عبد من عبیدی مصیبه فی بدنه أو ماله أو ولده،ثمّ استقبل ذلک بصبر جمیل استحییت منه یوم القیامه أن أنصب له میزانا أو أنشر له دیوانا».

ثمّ أنّ الآیات الشریفه و فی تعقیب لأمر ورد فی الآیات السابقه فی إطار القیام و إنذار المشرکین،توکّد مرّه اخری علی الإنذار و التحذیر،فیقول تعالی:

فَإِذٰا نُقِرَ فِی النّٰاقُورِ فَذٰلِکَ یَوْمَئِذٍ یَوْمٌ عَسِیرٌ عَلَی الْکٰافِرِینَ غَیْرُ یَسِیرٍ

.

وردت احتمالات متعدده فی ترکیب هذه الجمله،أفضلها ما جاء فی کتاب (البیان فی غریب إعراب القرآن)و الذی یقول:(ذلک مبتدأ و یومئذ بدل و یوم عسیر خبره)،و الملاحظ أنّ(ناقور)هی فی الأصل من نقر،و یعنی الدق المؤدی إلی الإثقاب و منها سمّی المنقار،و هو ما تمتلکه الطیور لدق الأشیاء و ثقبها، و لذلک یطلق اسم النّاقور علی مزمار الذی یخرق صوته اذن الإنسان و ینفذ إلی دماغه.

و یستفاد من الآیات القرآنیه أنّ فی نهایه الدنیا و بدء المعاد بنفخ فی الصور مرّتین،أی أن له صوتین موحشین و مرعبین یملآن مسامع العالم بأسره،أوّلهما صوت الموت،و الثّانی صوت الیقظه و الحیاه،و یعبر عنهما(نفخه الصور الاولی) و(نفخه الصور الثّانیه)و هذا الآیه تشیر إلی نفخه الصور الثّانیه،و التی یکون معها

۱- ۱) -نهج البلاغه،الکلمات القصار،۸۲.

يوم البعث و هو يوم صعب و ثقيل على الكفّار،و لقد كان لنا بحث مفصل حول الصور و نفخه الصور فى ذيل الآيه(۶۸)من سوره الزمر.

على كل حال فإنّ الآيات المذكوره أعلاه تشير إلى حقيقه أنّ مشاكل الكفّار تظهر الواحده بعد الأخرى فى يوم نفخه البعث،و هو يوم أليم و مفجع،و يركّع أقوى الناس.

***

ص :۱۶۲

الآيات [سوره المدثر (٧۴): الآيات ١١ الی ١٧]

اشاره

ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً (١١) وَ جَعَلْتُ لَهُ مٰالاً مَمْدُوداً (١٢) وَ بَنِینَ شُهُوداً (١٣) وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِیداً (١۴) ثُمَّ یَطْمَعُ أَنْ أَزِیدَ (١۵) کَلاّٰ إِنَّهُ کٰانَ لِآیٰاتِنٰا عَنِیداً (١۶) سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً (١٧)

سبب النّزول

اشاره

ذکر سببان هذه الآیات،هما:

١-اجتمعت قریش فی دار النـدوه فالتفت الولیـد بن المغیره إلیهم،و کان الولیـد شـیخا کبیرا مجربا من دهاه العرب،و قال:وحـدوا قولکم،فإنّ العرب یـأتونکم من کـل صوب و یسـألونکم عمّا خفی عنهم لما عنـدکم من المنزله السامیه،ثمّ قال:ماذا تقولون فی الرجل-و کان یعنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-قالوا:

شاعر.فقبض الولید وجهه،و قال إنّنا سمعنا الشعر و ما هو شعر،قالوا:کاهن،قال:

هل یصدر منه کلام الکهنه عند استماعکم إلیه؟هل یتحدث عن الغیب؟قالوا:

مجنون.قـال:لا یظهر علیه أثر الجنون.قـالوا:ساحر.قال:کیف؟قالوا:یفرق بین الحبیب و حبیبه،فقال:بلی-لافتراق من کان یسلّم عن جماعته،فتفرّقوا و صاروا یمرون برسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و ینادونه یا ساحر یا ساحر، فسمع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم ذلک

و اغتم لهذا الأمر،فنزلت بالآيات المذكوره فی صدر السوره حتی الآیه(۲۵) لمواساه الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

و قیل:لما نزلت علیه: حم تَنْزِیلُ الْکِتابِ مِنَ اللّهِ الْعَزِیزِ الْعَلِیمِ غافِرِ الذَّنْبِ وَ قابِلِ التَّوْبِ شَدِیدِ الْعِقابِ قام إلی المسجد و الولید بن المغیره قریب منه یسمع قراءته،فلما فطن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لاستماعه لقراءته أعاد قراءه الآیه، فانطلق الولید حتی أتی مجلس قومه مخزوم،فقال:و اللّه،لقد سمعت من محمّد آنفا کلاما ما هو من کلام الإنس،و لا من کلام الجن،و إنّ له لحلاوه و إنّ علیه لطلاوه،و إنّ أعلاه لمثمر و أنّ أسفله لمغدق،و إنّه لیعلو و ما یعلی،ثمّ انصرف إلی منزله.

فقالت قریش:صبا-و اللّه-الولید،و اللّه لتصبأنّ قریش کلّها،و کان یقال للولید ریحانه قریش،فقال أبو جهل:أنا أکفیکموه،فانطلق فقعد إلی جانب الولید حزینا،فقال له الولید:ما أراک حزینا یا ابن أخی،قال:هذه قریش یعیبونک علی کبر سنّک،و یزعمون أنّک مدحت کلام محمّد فقام مع أبی جهل حتی أتی مجلس قومه،فقال:أ تزعمون أنّ محمّدا مجنون،فهل رأیتموه یخنق قط؟فقالوا:اللّهمّ لا.

قال:أ تزعمون أنّه کاهن،فهل رأیتم علیه شیئا من ذلک؟قالوا:اللّهم لا.

قال:أ تزعمون أنّه شاعر،فهل رأیتموه أنّه ینطق بشعر قط؟قالوا:اللّهمّ لا.

قال:أ تزعمون أنّه کذّاب،فهل جربتم علی شیئا من الکذب؟قالوا:اللّهمّ لا- و کان یسمی الصادق الأمین قبل النبوّه من صدقه،فقالت قریش للولید:فما هو؟! فتفکر فی نفسه،ثمّ نظر و عبس،فقال:ما هو إلاّ ساحر،ما رأیتموه یفرق بین الرجل و أهله و ولده و موالیه فهو ساحر و ما یقوله سحر یؤثر (۱) .

***

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۸۶؛نقل المفسّرون سبب النزول هذا مع الاختلاف البسیط کالقرطبی و المراغی و الفخر الرازی فی ظلال القرآن و المیزان و غیر ذلک.

التّفسير

اشاره

الوليد بن المغيره...الثرى المغرور:

تواصل هذه الآيات إنذار الكفّار و المشركين كما فى الآيات السابقه مع فارق،و هو أنّ الآيات السابقه كانت تنذر الكافرين بشكل عام،و هذه تنذر أفرادا معينين بتعابير قويه و بليغه بأشدّ الإنذارات، فيقول تعالى: ذَرْنِی وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِیداً و الآيات الآتيه نزلت فى الوليد بن المغيره كما قلنا،و هو من أقطاب قريش المشهورين و(وحيدا)يمكن أن يكون وصفا للخالق جلّ شأنه،و يمكن أن يكون للمخلوق،و هناك احتمالان للمعنى الأوّل للوحيد.

الأوّل:ذرنى وحيدا مع هذا الكافر لاعذّبه عذابا شديدا.

و الآخر:دعنى و من خلقته حال كونى وحيدا لا يشاركنى فى خلقه أحد،ثمّ دبّرت أمره أحسن التدبير،و لا تحلّ بينى و بينه لكونه منكرا لنعمائى.

و أمّا المعنى الثّانى فهناك احتمالات أيضا،فقد يكون المعنى:دعنى و من خلقته حال كونه وحيدا فى بطن امّه و عند ولادته لا أموال عنده و لا أولاد،ثمّ وهبته من نعمائى.

أو أنّه سمّى نفسه بذلك كما فى المقوله المشهوره:«أنا الوحيد ابن الوحيد، ليس لى فى العرب نظير،و لا لأبى نظير (۱) »!و ذكر المعنى فى الآيه استهزاء بقوله و أحسن الوجوه الأربعه أوّلها.

ثمّ يضيف تعالى: وَ جَعَلْتُ لَهُ مٰالاً مَمْدُوداً .

«الممدود»:يعنى فى الأصل المبسوط،و يشير إلى كثره أمواله و حجمها.

و قيل:إنّ أمواله بلغت حدّا من الكثره بحيث ملك الإبل و الخيول و الأراضى الشاسعه ما بين مكّه و الطائف،و قيل إنّه يملك ضياع و مزارع دائمه الحصاد،و له

۱- ۱) -تفسير ذيل الآيات المذكوره للفخر الرازى،و الكشاف و المراغى و القرطبى،و يستفاد من بين الرّوايات الوارده فى معنى الوحيد أنّه ولد الزنا الذى ليس له أب،و لا قرينه للرّوايه فى تفسير الآيه و ليس لمعنى الروايه تناسب مع الآيه.

مائه ألف دينار ذهب،و كل هذه المعانى تجتمع فى كلمه«الممدود».

ثمّ أشار تعالى إلى قوته فى قوله: وَ بَنِينَ شُهُوداً .

إذا كانوا يعينونه على حياته،و حضورهم إنس و راحه له،و ما كانوا مضطرين لأن يضربوا فى الأرض طلبا للعيش،و يتركوا أباهم وحيدا،إذ كان له عشره بنين كما فى الرّوايات.

ثمّ يستطرد بذكر النعم التى وهبها له،يقول تعالى: وَ مَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً و لم يهبه ما ينفع من المال و الأولاد فحسب،بل أغدق عليه ما يريد من جاء و قوّه.

«التمهيد»:من(المهد)و هو ما يستخدم لنوم الطفل، و يطلق على ما يتهيأ من وسائل الراحه و المقام و انتظام الأمور.و فى المجموع له معان واسعه تشمل المواهب الحياتيه و الوسائل الحديثه و التوفيق.

و لكنّه كفر بما أنعم اللّه عليه و هو بذلك يريد المزيد: ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ، و ليس هذا منحصرا بالوليد،بل إنّ عبيد الدنيا على هذه الشاكله أيضا،فلن يروى عطشهم مطلقا،و لو أعطوا الأقاليم السبعه لما اكتفوا بذلك.

و الآيه الأخرى تردع الوليد بشدّه،يقول تعالى: كَلاّ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً و مع أنّه كان يعلم أنّ هذا القرآن ليس من كلام الجن أو الإنس،بل متجذر فى الفطره،و له جاذبيه خاصّه و أغصان مثمره.فكان يعاند و يعتبر ذلك سحرا و مظهره ساحرا.

«العنيد»:من(العناد)و قيل هو المخالفه و العناد مع المعرفه،أى أنّه يعلم بأحقّيه الشىء ثمّ يخالفه عنادا،و الوليد مصداق واضح لهذا المعنى.

و التعبير ب(كان)يشير إلى مخالفته المستمره و الدائمه.

و أشار فى آخر آيه إلى مصيره المؤلم بعبارات قصيره و غنيه فى المعنى، فيقول تعالى: سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً .

«سأرهقه»:من(الإرهاف)و هو غشيان الشىء بالعنف،و تعنى أيضا فرض

ص :١۶۶

العقوبـات الصـعبه،جـاء بمعنى الابتلاء بـأنواع العـذاب،و الصـعود،إشـاره إلى مـا سـيناله من سـوء العـذاب،و يسـتعمل فى العمل الشاق،إذا يشق صـعود الجبل،و لـذا فسّـر البعض ذلك بالعذاب الإلهى،و قيل هو جبل فى النار يصـعد فيه الكافر عنفا ثمّ يهوى،و هو كذلك فيه أبدا.

و يحتمل أن يراد به العـذاب الـدنيوى للوليـد بن المغيره،فقـد ذكر التاريـخ عنه أنّه بلغ ذروه الجاه و الرفاه فى حياته،ثمّ عاقبه اللّه تعالى بنقصان ماله و ولده حتى هلك (۱) .

***

۱- ۱) -تفسير المراغى،ج ۲۹،ص ۱۳۱.

الآيات [سوره المدثر (٧۴): الآيات ١٨ الی ٢۵]

اشاره

إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اِسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقالَ إِنْ هٰذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢۴) إِنْ هٰذا إِلاّ قَوْلُ اَلْبَشَرِ (٢۵)

التّفسير

فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ

فی هذه الآيات توضيحات كثيره عمّن أعطاه اللّه المال و البنين و خالف بذلك رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،أی الوليد بن المغيره،يقول تعالی: إِنَّهُ فَكَّرَ وَ قَدَّرَ .

لا بأس بالتفكير،و هو حسن،و لكن يشترط أن يكون فی طريق الحق، و تفكر ساعه أفضل من عباده أو عمر بكامله،لما يمكن أن يتغير مصير الإنسان فيها،و أمّا إذا كان التفكر فی طريق الكفر و الفساد فهو مذموم،و تفكر«الوليد»كان من هذه النوع.

«قدّر»:من التقدير،و هو التهيؤ لنظم أمر فی الذهن و التصميم علی تطبيقه، ثمّ يضيف فی مذمته: فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ بعدئذ يؤكّد ذلك فيضيف: ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ و هذا إشاره لما قيل فی سبب النّزول حيث كان يری توحيد الأقوال فيما

يقـذف به الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و عنـد مـا سـمّوه بالشـاعر لـم يقبـل بـذلك،فقـالوا:كـاهن فلم يقبـل،قـالوا:مجنون فرفض،فقـالوا:ساحر،قال:بلى،و ذلك لمخالفتهم فكره السـحر الـذى كان يفرق بين المرء و أهله،أو يجمع الواحـد و الآخر،و إنّما ظهر ذلـك فى عصـر الإسـلام،قـد عبّر القرآن عن هـذه الحـاله التى حـدثت عنـد الوليـد بتعبير مختصـر و بليغ لمطـالعته للأمر و تفكره،ثمّ تقـديره لذلك و إن كان أصل الاقتراح من قريش،و على كل حال فإنّ تكرار المعنى فى الآيتين دليل على دهاء الوليد فى تفكره الشيطانى،و لذا كانت شدّه تفكره سببا للتعجب.

بعدئـذ يضـيف اللّه تعالى: ثُمَّ نَظَرَ ،أى نظر بعـد التفكر و التقـدير نظره من يريـد أن يقضـى فى أمر مهمّ ليطمئن من اسـتحكامه و انسـجامه: ثُمَّ عَبَسَ وَ بَسَـرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَ اسْتَكْبَرَ، فَقالَ إِنْ هٰذا إِلاّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ، إِنْ هٰذا إِلاّ قَوْلُ الْبَشَرِ ،بهذه الأقوال يظهره عداءه للقرآن المجيد،و ذلك بعد تفكره الشـيطانى،و بقوله هذا صار يمدح القرآن من حيث لا يدرى،و إذا أشار إلى جاذبيه القرآن الخارقه و تسـخيره للقلوب،و سحر القرآن الذى يسحر القلوب كما فى قولته،و ما كان للقرآن من شبه بسحر الساحرين،بل إنّه كلام منطقى و مـوزون،و هـذا هـو دليـل على نزول الـوحى بـه،و ليس هـو بكلام البشـر،بـل صـدر مـن عـالم مـا وراء الطـبيعه مـن علـم اللّه اللامتناهى،الذى جمع فى انسجامه و استحكامه كلّ المحاسن.

«عبس»:يعبس عبوسا،و العبوس الذى يقبض وجهه.

«بسـر»:من(البسور)و تعنى أحيانـا العجله فى إتمـام العمـل الـذى لو يحن حـان وقته،و أحيانـا بمعنى قبض الوجه و تغيره،و المعنى الثّانى يناسب العبس، و على المعنى الأوّل يكون إشاره إلى اتّخاذ القرار العاجل فى الصاق ما لا يليق بالقرآن المجيد.

«يؤثر»:من(الأثر)،و هو ما يروى عن الماضين ممّا بقى من الآثار،و قيل من «الإيثار»بمعنى الترجيح و التقديم.

و ممّا يؤيد المعنى الأوّل أنّ الوليد يقول:إنّه سحر يروى و يتعلم من السحره.

و على المعنى الثّانى فإنّه يقول:سحر تؤثر حلاوته فى قلوب الناس و بالتالى فإنّ الناس يرجحونه على غيره.

على كلّ حال هو إقرار ضـمنى بإعجاز القرآن.و ليس للقرآن أى علاقه و تشبيه بأعمال السحره،فهو كلام رصين عميق المعانى و جـذاب لاـ نظير له كما يقول الوليـد،فإنّه ليس من كلام البشـر،و إن كان كـذلك لكانوا قـد أتوا بمثله،و هـذا ما دعا إليه القرآن كرارا،فلم يستطع أحد من بلغاء العرب أن يأتى بمثله،بل سوره من مثله،و هذه هى معجزه.

***

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۲۶ الی ۳۰]

اشاره

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (۲۶) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سَقَرُ (۲۷) لاٰ تُبْقِی وَ لاٰ تَذَرُ (۲۸) لَوّٰاحَهٌ لِلْبَشَرِ (۲۹) عَلَیْهٰا تِسْعَهَ عَشَرَ (۳۰)

التّفسیر

اشاره

المصیر المشؤوم:

فی هذه الآیات بیان للعقوبات المؤلمه لمن أنکر القرآن و الرساله،و کذب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو ما أشارت إلیه الآیات السابقه فیقول اللّه تعالی: سَأُصْلِیهِ سَقَرَ .

«سقر»:فی الأصل من«سقر»علی وزن فقر،بمعنی التغیر و الذوبان من أثر حراره الشمس،هو من أحد أسماء جهنم،کثیر ما ذکر فی القرآن،و اختیار هذا الاسم یشیر إلی العذاب المهول لجهنّم الذی یلتهم أهلها،و قیل هی درک من درکاتها المهوله،ثمّ یبیّن عظمه و شدّه عذاب النّار فیقول: وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا سَقَرُ .

أی إنّ العذاب یکون شدیدا إلی حدّ یخرج عن دائره التصور،و لا یخطر علی بال أحد،کما هو الحال فی عدم إدراک عظمه النعم الإلهیه فی الجنان.

لاٰ تُبْقِی وَ لاٰ تَذَرُ

.

قد تکون هذه الآیه إشاره إلی أنّ نار جهنّم بخلاف نار الدنیا التی ربّما ترکت

بعض ما ألقى فيها و لم تحرقه،و إذا نالت إنسانا مثلا نالت جسمه و صفاته الجسميه و تبقى روحه و صفاته الروحيه فى أمان منها،و أمّا«سقر»فلا تدع أحدا ممن ألقى فيها إلاّ نالته و احتوته بجميع وجوده،فهى نار شامله تستوعب جميع من القى فيها،و قيل:إنّ المعنى لا يموتون فيها و لا يحيون،أى يبقون بين الموت و الحياه،كما جاء فى الآيه(١٣)من سوره الأعلى: لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ .

أو أنّها لا تبقى على جسد شيئا من العظام أو اللحم،فيتّضح أنّ مفهوم الآيه أنّها لا تحرقهم تماما،لأنّ هذا المعنى لا يتفق و الآيه(۵۶)من سوره النساء حيث يقول تعالى: كُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهٰا لِيَذُوقُوا الْعَذٰابَ ثمّ ينتقل إلى بيان وصف آخر للنّار المحرقه فيضيف: لَوّٰاحَةٌ لِلْبَشَرِ (١) .

إنّها تجعل الوجه مظلما أسود أشدّ سوادا من الليل.

«بشر»:جمع بشره،و تعنى الجلد الظاهر للجسد.

«لوّاحه»:من ماده(لوح)و تعنى أحيانا الظاهر،و أحيانا بمعنى التغيير، و يكون المعنى بمقتضى التّفسير الأوّل:(أنّ جهنم ظاهره للعيان).

كما جاء فى الآيه(٣۶)من سوره النّازعات: وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ و بمقتضى التّفسير الثّانى يكون المعنى:أنّها تغير لون الجلود.

و فى آخر آيه من آيات مورد البحث يقول تعالى: عَلَيْهٰا تِسْعَةَ عَشَرَ . (٢)

إنّهم ليسوا مأمورين بالرحم و الشفقه،بل إنّهم مأمورين بالعذاب و الغلظه، و أمّا الآيه الأخرى التى تليها فإنّها تشير إلى أنّ هذا العدد هم ملائكه العذاب، و قيل إنّها تشير إلى تسع عشره مجموعه من الملائكه،و ليس تسعه عشر نفرا، و دليل ذلك قوله تعالى: وَ مٰا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاّٰ هُوَ .

ص:١٧٢

١- ١) -لواحه:خبر مبتدأ محذوفه تقديره(هى لواحه).

٢- ٢) -(عليها)خبر مقدم،و تسعه عشر مبتدأ مؤخر،و هى مبنيه على الفتح،و لذا لم ترفع فى الظاهر،و قيل إنّ سببه يتضمّن معنى واو العاطفه.

و أمّا عن سبب اختيار هذا العدد من ملائكه العذاب،فلا يدرى أحد عن ذلك شيئا،و لكن احتمل البعض أنّ المراد من ذلك هو لكون أكبر عدد للأحاد و أقل عدد للعشرات،و قيل لكون اصول الأخلاق الرذيله ترجع إلى ١٩ أصل ظاهره و باطنه، فلذا تكون كلّ رذيله من الرّذائل عاملا للعذاب الإلهى،و إنّ طبقات جهنّم هى تسع عشره طبقه أى بعددها،و لكل طبقه ملك أو مجموعه من الملائكه مأمورين بالعذاب.

و من المؤكّد أنّ الأمور المرابطه بالقيامه و الجنان و الجحيم،و جزئياتها و خصوصياتها غير واضحه لدنيا تمام الوضوح،و نحن نعيش فى هذا المحيط المحدود،و الذى نعرفه إنّما يتعلق بكلياتها،لذا نجد فى الرّوايات أنّ لهذه الملائكه قدرات عظيمه بحيث يمكن لكل ملك أت يقذف قبيله كبيره فى جهنّم بسهوله،و من هنا يتّضح ضعف و عجز أفكار أناس من قبيل أبى جهل،إذ أنّه لما سمع بالآيه جاء مستهزئا إلى قريش،و قال:ثكلتكم أمهاتكم ألم تسمعوا ما يقوله ابن أبى كبشه(يعنى بذلك النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم) (۱) يقول إنّ خزنه النّار تسعه عشر و أنتم الدّهم أ يعجز كل عشره منكم أن يبطشوا برجل منهم؟! فقال أبو الأسد الجمحى و كان شديد البطش:أنا أكفيكم سبعه شعر فاكفونى أنتم اثنين (۲) لقد أراد السفهاء أن يطفئوا بهذه السخريه نور الحق،و أن يتخلصوا بذلك من الفناء المحتم.

***.

۱- ۱) -قال البعض فى علّه تسميه قريش النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بهذا الاسم،فقد قيل لوجود رجل يدعى أبو كبشه،و هو من خزاعه قد تنحى عن عباده الأصنام فى عصر الجاهليه،و كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حينئذ يعارض عباده الأصنام بشدّه فنسبوا الرّسول الأكرم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أبى كبشه،و قيل إنّ أبى كبشه أحد أجداد امّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و لكن على كلّ حال لا شك فى أنّهم أرادوا بذلك السخريه لأنّ الكبش فى لغه العرب تستخدم فى المدح و يسمّى بذلك الأبطال و القواد.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۸۸،و تفاسير اخرى.

ملاحظه

اشاره

ملائكه العذاب تسعه عشر:

هذه الآيه تشير بوضوح إلى عدد خزنه جهنم بأنّهم تسعه عشر نفرا أو تسعه عشره مجموعه،و الآيات التى تليها تعتمد على هذا المعنى،و لكن العجب من أنّ بعض الفرق المنحرفه تصر على قدسيه هذا العدد،و تسعى إلى أن تجعل من عدد شهور السنه و أيّام نظاما يدور حول محور هذا العدد،بخلاف جميع الموازين الطبيعيه و الفلكيه!و جعلوا أحكامهم العمليه مطابقا لذلك النظام،و الأعجب من ذلك أنّ كاتبا من الكتاب يمكن أن تكون له علاقه بتنظيماتهم يصرّ إصرارا عجيبا و مضحكا على أن يجعل كل ما فى القرآن موجّه على أساس هذا العدد،و فى الموارد الكثيره فى القرآن التى لا تتفق مع هذا العدد المرغوب عنده يعمد إلى إضافه أو حذف ما يرغب فيه ليتفق مع ذلك العدد أو مع مضاربه،و إيراد مطاليبها و الإجابه عليها يمكن أن تعتبر إتلافا للوقت.

نعم فالمذهب الجهنمى يجب أن يدور حول عدد جهنمى،و جماعه جهنميون يجب أن يتوافقوا مع عدد ملائكه العذاب.

***

الآیه [سوره المدثر (۷۴): آیه ۳۱]

اشاره

وَ مٰا جَعَلْنٰا أَصْحٰابَ اَلنّٰارِ إِلاّٰ مَلاٰئِکَهً وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلاّٰ فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا لِیَسْتَیْقِنَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ وَ یَزْدٰادَ اَلَّذِینَ آمَنُوا إِیمٰاناً وَ لاٰ یَرْتٰابَ اَلَّذِینَ أُوتُوا اَلْکِتٰابَ وَ اَلْمُؤْمِنُونَ وَ لِیَقُولَ اَلَّذِینَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَ اَلْکٰافِرُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اَللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً کَذٰلِکَ یُضِلُّ اَللّٰهُ مَنْ یَشٰاءُ وَ یَهْدِی مَنْ یَشٰاءُ وَ مٰا یَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلاّٰ هُوَ وَ مٰا هِیَ إِلاّٰ ذِکْریٰ لِلْبَشَرِ (۳۱)

التّفسیر

اشاره

لم هذا العدد من أصحاب النّار؟

ذکر اللّه سبحانه و تعالی کما قرأنا فی الآیات السابقه عدد خزنه جهنم و مأموریها و هم تسعه عشر نفرا(أو مجموعه)،و کذا قرأنا أنّ ذکر هذا العدد صار سببا للحدیث بین أوساط المشرکین و الکفّار،و اتّخذ بعضهم ذلک سخریه،و ظنّ القلیل منهم أنّ الغلبه علی أولئک لیس أمرا صعبا،الآیه أعلاه و التی هی أطول آیات هذه السوره تجیب علیهم و توضح حقائق کثیره فی هذا الصدد.

فیقول تعالی أوّلا: وَ مٰا جَعَلْنٰا أَصْحٰابَ النّٰارِ إِلاّ مَلاٰئِکَهً (۱) .

ملائکه أقویاء مقتدرون و کما یعبّر القرآن غلاظ شداد قساه،فی مقابل المذنبین بجمعهم الغفیر و هم ضعفاء عاجزون.

ثمّ یضیف تعالی: وَ مٰا جَعَلْنٰا عِدَّتَهُمْ إِلاّٰ فِتْنَهً لِلَّذِینَ کَفَرُوا .

و هذا الاختبار من وجهین:

أوّلا:لأنّهم کانوا یستهزئون بالعدد تسعه عشر،و یتساءلون عن سبب اختیار هذا العدد،فی حین لو وضع عدد آخر لکانوا قد سألوا السؤال نفسه.

و الوجه الثّانی:أنّهم کانوا یستقلون هذا العدد و یسخرون من ذلک بقولهم:

لکل واحد منهم عشره منّا،لتکسر شوکتهم.

فی حین أنّ ملائکه اللّه وصفوا فی القرآن بأنّ نفرا منهم یؤمرون بإهلاک قوم لوط علیه السّلام و یقلبون علیهم مدینتهم،مضافا إلی ما أشیر إلیه سابقا حول اختیار عدد تسعه عشر لأصحاب النّار.

ثمّ یضیف تعالی أیضا: لِیَسْتَیْقِنَ الَّذِینَ أُوتُوا الْکِتٰابَ .

ورد فی روایه أنّ جماعه من الیهود سألوا أحد أصحاب النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن عدد خزنه النّار فقال:«اللّه و رسوله أعلم»فهبط جبرائیل علیه السّلام علی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بالآیه عَلَیْهٰا تِسْعَهَ عَشَرَ . (۲)

و سکوت هؤلاء الیهود و عدم اعتراضهم علی هذا الجواب یدلّ علی أنّه موافقا لما هو مذکور فی کتبهم،و هذا مدعاه لازدیاد یقینهم بنبوه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و صار قبولهم هذا سببا فی تمسک المؤمنین بإیمانهم و عقائدهم.

لذا تضیف الآیه فی الفقره الأخری: وَ یَزْدٰادَ الَّذِینَ آمَنُوا إِیمٰاناً .

---

۱ – ۱) -أصحاب النّار:ذکرت هذه العباره فی کثیر من آیات القرآن و کلّها تعنی الجهنمیین،إلاّ فی هذا الموضع فإنّها بمعنی خزنه جهنم،و ذکر هذه العباره یشیر إلی أنّ کلمه«سقر»فی الآیات السابقه تعنی جهنّم بکاملها و لیس قسما خاصّا منها.

۲ – ۲) -نقل هذا الحدیث البیهقی،و ابن أبی حاتم،و ابن مردویه عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم(تفسیر المراغی،ج ۲۹،ص ۱۳۴).

ثمّ تعود مباشره بعد ذكر هذه الآيه إلى التأكيد على تلك الأهداف الثلاثه،إذ يعتمد مجددا على إيمان أهل الكتاب،ثمّ المؤمنين، ثـمّ على اختبـار الكفّـار و المشـركين،فيقـول: وَ لاـ يَرْتٰابَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتٰابَ وَ الْمُؤْمِنُـونَ وَ لِيَقُـولَ الَّذِينَ فِی قُلُـوبِهِمْ مَرَضٌ وَ الْكٰافِرُونَ مٰا ذٰا أَرٰادَ اللّٰهُ بِهٰذٰا مَثَلاً (١) .

و أمّـا من يقصـد به فی قوله: اَلَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فقيـل المراد منهم المنـافقون،لأـنّ هـذا التعبير كثيرا مـا ورد فيهم فی آيـات القرآن كمـا هو فی الآيه (١٠)من سوره البقره التی تتحـدث حول المنـافقين بقرينه الآيـات السـابقه لها و اللاحقه حيث نقرأ: فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزٰادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضاً و بهذا الدليل تمسـكوا بمدنيه الآيه السابقه،لأنّ المنافقين نشؤوا فی المدينه عند اقتدار الإسـلام و ليس بمكه،و لكن تحقيق موارد ذكر هذه العباره فی القرآن الكريم يشـير إلی أنّ هذه العباره غير منحصـره بالمنافقين،بل أطلقت على جميع الكفّـار و المعانـدين و المحـاربين لآيـات الحـقّ،و عطفـت أحيانـا على المنـافقين حيـث يمكن أن يكـون دليلاـ على ثنائيتهم،فمثلا نقرأ فی الآيه(۴٩)من سوره الأنفال:

إِذْ يَقُولُ الْمُنٰافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هٰؤُلاٰـءِ دِينُهُمْ و كـذا فی الآيـات الأـخرى، لـذا ليس هناک دليل على نفی مكيه الآيه،خصوصا لما من توافق و ارتباط كامل من الآيات السابقه لها و التی تشير بوضوح إلی مكيّتها.

ثمّ يضيف حول كيفيه استفاده المؤمنين و الكفّار الذين فی قلوبهم مرض من كلام اللّه تعالی:فيقول تعالی: كَذٰلِكَ يُضِلُّ اللّٰهُ مَنْ يَشٰاءُ وَ يَهْدِی مَنْ يَشٰاءُ .

إنّ الجمـل السـابقه تشـير بوضـوح إلى أنّ المشـيئه و الإـراده الإـلهيه لهـدايه البعض و إضـلال البعض الأـخر ليس اعتباطـا،فـإنّ المعاندين و الذين فی قلوبهم

ص: ١٧٧

١- ١) -يجب الالتفات إلی أنّ اللام فی(ليستيقن)هی لام التعليل و فی(ليقول)لام العاقبه و يمكن أن يكون قـد تكرر لهذا الدليل فی حين لو كـان بمعنی واحـد لمـا كان هناک ضـروره للتكرار،و بعباره اخرى أن تيقن المؤمنين هو لإراده و أمره،و أمّا حـديث الكفّار فليس من إرادته و أمره تعالی شأنه،بل هو عاقبه هذا الأمر.

مرض لا يستحقون إلّا الضلال،و المؤمنون و المسلّمون لأمر اللّه هم المستحقون للهدى.

و يقول فی نهایه الآیه: وَ مٰا یَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلاّٰ هُوَ وَ مٰا هِیَ إِلاّٰ ذِکْریٰ لِلْبَشَرِ .

فالحدیث عن التسعه عشر من خزنه النّار،لیس لتحدید ملائکه اللّه تعالی، بل إنّهم کثیرون جدّا أنّ الرّوایات تصفهم أنّهم یملؤون السموات و الأرض،و لیس هناک موضع قدم فی العالم إلاّ و فیه ملک یسبح للّه! و احتمل المفسّرون احتمالات عدیده فی من یعود الضمیر«هی»، فقیل:

یعود علی الجنود و منهم خزنه النّار،و قیل:علی سقر،و قیل:علی آیات القرآن (السوره)،و القول الأوّل أنسب و أوجه،و إن کانت بقیه الأقوال مدعاه للتذکر و الإیقاظ و المعرفه،و لأنّ الأوّل یبیّن حقیقه أنّ اللّه تعالی إنّما اختار لنفسه ملائکه و أخبر عن عددهم لیکون ذکری لمن یتعظ بها،لا لکونه غیر قادر علی معاقبه کل المذنبین و المعاندین.

***

ملاحظه:

اشاره

عدد جنود الرّب!

حضور اللّه تعالی فی کلّ مکان و اتساع قدرته فی العالم یفهمنا أنّ ذاته المقدّسه غیر محتاجه لأی ناصر أو معین،لکنّه،لإظهار عظمته للخلائق و لتکون ذکری لمن یتعظ اختار ملائکه و جنودا کثیرین مطیعین لأمره تعالی.

و قد ذکرت الرّوایات عبارات عجیبه حول کثره و عظمه و قدره جنود اللّه و السماع لهذه الأخبار یثیر العجب و الدهشه و لا تتفق مع مقاییسنا المتعارفه، و لذا نقنع بقراءه أوّل.

خطبه فی نهج البلاغه للإمام علی علیه السّلام حول هذا الموضوع حیث یقول علیه السّلام:

«ثمّ فتق ما بین السموات العلا،فملأهن أطوارا من ملائکته،فهم سجود لا یرکعون، و رکوع لا ینتصبون،صافون لا یتزایلون،و مسبحون لا یسأمون،لا یغشاهم نوم العیون،و لا سهو العقول،و لا فتره الأبدان،و لا غفله النسیان،و منهم أمناء علی وحیه،و ألسنه إلی رسله،و مختلفون بقضائه و أمره،و منهم الحفظه لعباده و السدنه لأبواب جنانه،و منهم الثابته فی الأرضین السفلی أقدامهم،و المارقه من السماء العلیا أعناقهم،و الخارجه من الأقطار أرکانهم،و المناسبه لقوائم العرش أکتافهم، ناکسه دونه أبصارهم،متلفعون تحته بأجنحتهم،مضروبه بینهم و بین من دونهم حجب العزه،و أستار القدره،لا یتوهمون ربّهم بالتصویر و لا یجرون علیه صفات المصنوعین،و لا یحدونه بالأماکن،و لا یشیرون إلیه بالنظائر» و کما قلنا سابقا إنّ لکلمه(ملک)مفهوما واسعا حیث یشمل الملائکه الذین یملکون العقل و الشعور و الطاعه و التسلیم،و کذلک کثیر من عناصر و قوی عالم الوجود.

و لنا شرح مفصل حول هذا الموضوع فی تفسیر الآیات الأولی لسوره فاطر و ما یلیها.

***

الآيات [سوره المدثر (۷۴): الآيات ۳۲ الی ۳۷]

اشاره

کَلاّ وَ اَلْقَمَرِ (۳۲) وَ اَللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (۳۳) وَ اَلصُّبْحِ إِذا أَسْفَرَ (۳۴) إِنَّها لَإِحْدَى اَلْكُبَرِ (۳۵) نَذِيراً لِلْبَشَرِ (۳۶) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (۳۷)

التّفسير

استمرارا للبحث مع المنكرين لنبوه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و اليوم الآخر تؤكّد الآيات التاليه فى أقسام عديده على مسأله القيامه و الجحيم و عذابها،فيقول تعالى: كَلاّ وَ الْقَمَرِ .

«كلاّ»:حرف ردع و إنكار لما تقدم أو ردع لما سيأتى،و يعنى هنا نفى تصور المشركين و المنكرين بجهنّم و عذابها،و الساخرين بخزنه جهنّم بقرينه الآيات السابقه.

و أقسم بالقمر لأنّه إحدى الآيات الإلهيه الكبرى،لما فيه من الخلقه و الدوران المعظم و النور و الجمال و التغييرات التدريجيه الحاصله فيه لتعيين الأيّام باعتباره تقويما حيّا كذلك.

ص: ۱۸۰

ثمّ يضيف: وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ، وَ الصُّبْحِ إِذٰا أَسْفَرَ . (١)

فى الحقيقه أنّ هـذه الأقسـام الثلاـثه مرتبطه بعضـها بالآـخر و مكمله للآخر، و كـذلك لأنّنا كما نعلم أنّ القمر يتجلى فى الليل،و يختفى نوره فى النهـار لتأثير الشـمس عليه، و الليـل و إن كان باعثا على الهـدوء و الظلام و عنـده سرّ عشاق الليل، و لكن الليل المظلم يكون جميلا عند ما يدبر و يتجه العالم نحو الصبح المضيء و آخر السحر،و طلوع الصبح المنهى الليل المظلم أصفى و أجمل من كل شيء حيث يثير فى الإنسان إلى النشاط و يجعله غارقا فى النور الصفاء.

هـذه الأقسـام الثلاـثه تتناسب ضـمنيا مع نـور الهـدايه(القرآن)و اسـتدبار الظلمـات(الشـرك)و عبـاده(الأصـنام)و طلـوع بيـاض الصباح(التوحيد)، ثمّ ينتهى إلى تبيان ما أقسم من أجله فيقول تعالى: إِنَّهٰا لَإِحْدَى الْكُبَرِ . (٢)

إنّ الضمير فى(إنّها)إمّا يرجع إلى«سقر»و إمّا يرجع إلى الجنود،أو إلى مجموعه الحوادث فى يوم القيامه،و أيّا كانت فإنّ عظمتها واضحه.

ثمّ يضيف تعالى: نَذِيراً لِلْبَشَرِ . (٣)

لينذر الجميع و يحذرهم من العذاب الموحش الذى ينتظر الكفّار و المذنبين و أعداء الحق.

و فى النهايه يؤكّد مضيفا أنّ هذا العذاب لا يخص جماعه دون جماعه،بل:

لِمَنْ شٰاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ

فهنيئا لمن يتقدم،و تعسا و ترحا لمن يتأخر.

و احتمل البعض كون التقدم إلى الجحيم و التأخر عنه،و قيل هو تقدم النفس

---

١ - ١) -«أسـفر»مـن مـاده(سـفر)على وزن(قفر)و يعنى انجلاـء الملاـبس و انكشـاف الحجـاب،و لـذا يقـال للنسـاء المتبرجـات (سافرات)و هذا التعبير يشمل تشبيها جميلا لطلوع الشمس.

٢ - ٢) -«كبر»:جمع كبرى و هى كبيره،و قيل المراد بكون سـقر إحـدى الطبقات الكبيره لجهنّم،هـذا المعنى لا يتفق مع ما أشـرنا إليه من قبل و كذا مع الآيات.

٣ - ٣) -«نـذيرا»:حال للضـمير فى«أنّها»الـذى يرجع إلى سـقر،و قيل هو تمييز،و لكنه يصح فيما لو كان النذير مصدرا يأتى بمعنى (الإنذار)،و المعنى الأوّل أوجه.

الإنسانيه و تكاملها أو تأخرها و انحطاطها،و المعنى الأوّل و الثّالث هما المناسبان،دون الثّاني.

***

ص :۱۸۲

الآیات [سوره المدثر (۷۴): الآیات ۳۸ الی ۴۸]

اشاره

کُلُّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ رَهِینَهٌ (۳۸) إِلاّٰ أَصْحٰابَ اَلْیَمِینِ (۳۹) فِی جَنّٰاتٍ یَتَسٰاءَلُونَ (۴۰) عَنِ اَلْمُجْرِمِینَ (۴۱) مٰا سَلَکَکُمْ فِی سَقَرَ
(۴۲) قٰالُوا لَمْ نَکُ مِنَ اَلْمُصَلِّینَ (۴۳) وَ لَمْ نَکُ نُطْعِمُ اَلْمِسْکِینَ (۴۴) وَ کُنّٰا نَخُوضُ مَعَ اَلْخٰائِضِینَ (۴۵) وَ کُنّٰا نُکَذِّبُ بِیَوْمِ اَلدِّینِ
(۴۶) حَتّٰی أَتٰانَا اَلْیَقِینُ (۴۷) فَمٰا تَنْفَعُهُمْ شَفٰاعَهُ اَلشّٰافِعِینَ (۴۸)

التّفسیر

اشاره

لم صرتم من أصحاب الجحیم؟

إکمالا للبحث الذی ورد حول النّار و أهلها فی الآیات السابقه،یضیف تعالی فی هذه الآیات: کُلُّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ رَهِینَهٌ .

«رهینه»:من ماده(رهن)و هی وثیقه تعطی عاده مقابل القرض،و کأن نفس الإنسان محبوسه حتی تؤدی وظائفها و تکالیفها،فإن أدت ما علیها فکت و أطلقت،و إلاّ فهی باقیه رهینه و محبوسه دائما،و نقل عن أهل اللغه أنّ أحد

ص: ۱۸۳

معانيها الملازمه و المصاحبه (۱) ،فيكون المعنى:الكلّ مقترنون بمعيه أعمالهم سواء الصالحون أم المسيئون.

لذا يضيف مباشره: إِلاّ أَصْحٰابَ الْيَمِينِ .

إنّهم حطموا أغلال و سلاسل الحبس بشعاع الإيمان و العمل الصالح و يدخلون الجنّه بدون حساب. (۲)

و هناک أقوال کثيره حول المقصود من أصحاب اليمين:

فقيل هم الذين يحملون کتبهم بيمينهم،و قيل هم المؤمنون الذين لم يرتکبوا ذنبا أبدا،و قيل هم الملائکه،و قيل غير ذلک و المعنى الأوّل يطابق ظاهر الآيات القرآنيه المختلفه،و ما له شواهد قرآنيه،فهم ذو و إيمان و عمل صالح،و إذا کانت لهم ذنوب صغيره فإنّها تمحى بالحسنات و ذلک بحکم إِنَّ الْحَسَنٰاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئٰاتِ (۳) .

فحينئذ تغطّى حسناتهم سيئاتهم أو يدخلون الجنّه بلا حساب،و إذا وقفوا للحساب فسيخفف عليهم ذلک و يسهل،کما جاء في سوره الإنشقاق آيه(۷):

فَأَمّٰا مَنْ أُوتِيَ کِتٰابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحٰاسَبُ حِسٰاباً يَسِيراً .

و نقل المفسّر المشهور«القرطبي»و هو من أهل السنه تفسير هذه الآيه

عن الإمام الباقر عليه السّلام فقال: «نحن و شيعتنا أصحاب اليمين و کل من أبغضنا أهل البيت فهم مرتهنون». (۴)

و أورد هذا الحديث مفسّرون آخرون منهم صاحب مجمع البيان و نور

ص :۱۸۴

۱- ۱) -لسان العرب ماده:رهن.

۲- ۲) -قال الشّيخ الطوسي في التبيان أن الاستثناء هنا هو منقطع و قال آخرون کصاحب(روح البيان)أنّه متصل،و هذا الاختلاف يرتبط کما ذکرنا بالتفسيرات المختلفه لمعنى الرهينه،و ما يطابق ما اخترناه من التّفسير هو أن الاستثناء هنا منقطع و على التفسير الثّاني يکون متصلا.

۳- ۳) -سوره هود،الآيه ۱۱۴.

۴- ۴) -تفسير القرطبي،ج ۱۰،ص ۶۸۷۸.

الثقلين و البعض الآخر أورده تذييلا لهذه الآيات.

ثمّ يضيف مبيّنا جانبا من أصحاب اليمين و الجماعه المقابله لهم:

فِی جَنّٰاتٍ یَتَسٰاءَلُونَ (۱) عَنِ الْمُجْرِمِینَ مٰا سَلَکَکُمْ فِی سَقَرَ

.

یستفاد من هذه الآیات أن الرابطه غیر منقطعه بین أهل الجنان و أهل النّار، فیمکنهم مشاهده أحوال أهل النّار و التحدث معهم،و لکن ماذا سیجیب المجرمون عن سؤال أصحاب الیمین؟إنّهم یعترفون بأربع خطایا کبیره کانوا قد ارتکبوها:

الاولی: قٰالُوا لَمْ نَکُ مِنَ الْمُصَلِّینَ .

لو کنّا مصلّین لذکّرتنا الصلاه باللّه تعالی،و نهتنا عن الفحشاء و المنکر و دعتنا إلی صراط اللّه المستقیم.

و الأخری: وَ لَمْ نَکُ نُطْعِمُ الْمِسْکِینَ .

و هذه الجمله و إن کانت تعطی معنی إطعام المحتاجین،و لکن الظاهر أنه یراد بها المساعده و الإعانه الضروریه للمحتاجین عموما بما ترتفع بها حوائجهم کالمأکل و الملبس و المسکن و غیر ذلک.

و صرّح المفسّرون أنّ المراد بها الزکاه المفروضه،لأنّ ترک الإنفاق المستحب لا یکون سببا فی دخول النّار،و هذه الآیه تؤکّد مرّه أخری علی أنّ الزّکاه کانت قد فرضت بمکّه بصوره إجمالیه،و إن کان التشریع بجزئیاتها و تعیین خصوصیاتها و تمرکزها فی بیت المال کان فی المدینه.

و الثّالثه: وَ کُنّٰا نَخُوضُ مَعَ الْخٰائِضِینَ .

کنّا نؤید ما یصدر ضدّ الحقّ فی مجالس الباطل.نقوم بالترویج لها،و کنّا معهم

---

۱ – ۱) -«یتساءلون»:و هو و إن کان من باب(تفاعل)الذی یأتی عاده فی الأعمال المشترکه بین اثنین أو أکثر،و لکنه فقد هذا المعنی هنا کما فی بعض الموارد الأخری،و لمعنی یسألون،و تنکیر الجنات هو لتبیان عظمتها و(فی جنات)خبر لمبتدأ محذوف تقدیره:هو فی جنات.

أين ما كانوا،و كيف ما كانوا،و كنّا نصدق أقوالهم،و نضفى الصحه على ما ينكرون و يكذبون و نلتذ باستهزائهم الحقّ.

«نخوض»:من ماده(خوض)على وزن(حوض)،و تعنى فى الأصل الغور و الحركه فى الماء،و يطلق على الدخول و التلوث بالأمور،و القرآن غالبا ما يستعمل هذه اللفظه فى الإشتغال بالباطل و الغور فيه.

(الخوض فى الباطل)له معان واسعه فهو يشمل الدخول فى المجالس التى تتعرض فيها آيات اللّه للاستهزاء أو ما تروج فيها البدع،أو المزاح الواقح،أو التحدث عن المحارم المرتكبه بعنوان الافتخار و التلذذ بذكرها،و كذلك المشاركه فى مجالس الغيبه و الاتهام و اللهو و اللعب و أمثال ذلك،و لكن المعنى الذى انصرفت إليه الآيه هو الخوض فى مجالس الاستهزاء بالدين و المقدسات و تضعيفها و ترويج الكفر و الشرك.

و أخيرا يضيف: وَ كُنّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتّى أَتانَا الْيَقِينُ .

من الواضح أنّ إنكار المعاد و يوم الحساب و الجزاء يزلزل جميع القيم الإلهيه و الأخلاقيه،و يشجع الإنسان على ارتكاب المحارم،و يرفع كلّ مانع هذا الطريق، خصوصا إذا استمر إلى آخر العمر،على كل حال فإنّ ما يستفاد من هذه الآيات أنّ الكفار هم مكلّفون بفروع الدين،كما هم مكلّفون بالأصول،و كذلك تشير إلى أن الأركان الاربعه،أى الصلاه و الزّكاه و ترك مجالس أهل الباطل،و الإيمان بالقيامه لها الأثر البالغ فى تربيه و هدايه الإنسان،و بهذا لا يمكن أن يكون الجحيم مكانا للمصلين الواقعيين،و المؤتين الزّكاه،و التاركين الباطل و المؤمنين بالقيامه.

بالطبع فإنّ الصلاه هى عباده اللّه،و لكنّها لا تنفع إذا لم يمتلك الإنسان الإيمان به تعالى،و لهذا فإنّ أداءها رمز للإيمان و الإعتقاد باللّه و التسليم لأوامره، و يمكن القول إنّ هذه الأمور الأربعه تبدأ بالتوحيد ينتهى بالمعاد،و تحقق العلاقه و الرابطه بين الإنسان و الخالق،و كذا بين المخلوقين أنفسهم.

ص: ۱۸۶

و المشهور بين المفسّرين أنّ المراد من(اليقين)هنا هو الموت،لأنّه يعتبر أمر يقينى للمؤمن و الكافر،و إذا شك الإنسان فى شىء ما فلا يستطيع أن يشك بالموت و نقرأ أيضا فى الآيه(۹۹)من سوره الحجر: وَ اعْبُدْ رَبَّکَ حَتّٰی یَأْتِیَکَ الْیَقِینُ .

و لكن ذهب البعض إلى أنّ اليقين هنا يعنى المعرفه الحاصله بعد موت الإنسان و هى التى تختص بمسائل البرزخ و القيامه،و هذا ما يتفق نوعا ما مع التّفسير الأوّل.

و فى الآيه الأخيره محل البحث إشاره إلى العاقبه السيئه لهذه الجماعه فيقول تعالى: فَمٰا تَنْفَعُهُمْ شَفٰاعَهُ الشّٰافِعِینَ .

فلا تنفعهم شفاعه الأنبياء و رسل اللّه و الائمّه،و لا الملائكه و الصديقين و الشهداء و الصالحين،و لأنّها تحتاج إلى عوامل مساعده و هؤلاء أبادوا كل هذه العوامل،فالشفاعه كالماء الزلال الذى تسقى به النبته الفتيه،و بديهى إذا ماتت النبته الفتيه،لا يكن للماء الزلال أن يحييها،و بعباره أخرى كما قلنا فى بحث الشفاعه،فإنّ الشفاعه من(الشفع)و تعنى ضم الشىء إلى آخر،و معنى هذا الحديث هو أنّ المشفّع له يكون قد قطع قسطا من الطريق و هو متأخر عن الركب فى مآزق المسير،فتضم إليه شفاعه الشافع لتعينه على قطع بقيه الطريق (۱) .

و هذه الآيه تؤكّد مرّه أخرى مسأله الشفاعه و تنوع و تعدد الشفعاء عند اللّه، و هى جواب قاطع لمن ينكر الشفاعه،و كذلك تؤكّد على أنّ للشفاعه شروطا و أنّها لا تعنى إعطاء الضوء الأخضر لارتكاب الذنوب،بل هى عامل مساعد لتربيه الإنسان و إيصاله على الأقل إلى مرحله تكون له القابليه على التشفع، بحيث لا تنقطع وشائج العلاقه بينه و بين اللّه تعالى و الأولياء.

***

۱- ۱) -التّفسير الأمثل،المجلد الأوّل،ذيل الآيه(۴۸)من سوره البقره.

ملاحظه:

اشاره

شفعاء يوم القيامه:

نستفيد من هـذه الآيـات و الآيات القرآنيه الأخرى أنّ الشـفعاء كثيرون فى يوم القيامه(مع اختلاف دائره شـفاعتهم)و يسـتفاد من مجموع الرّوايات الكثيره و المنقوله من الخاصّه و العامّه أنّ الشفعاء يشفعون للمذنبين لمن فيه مؤهلات الشفاعه:

١-الشفيع الأوّل هو النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:كما نقرأ

فى حديث حيث قال: «أنا أوّل شافع فى الجنّه» (١) .

٢-الأنبياء من شفعاء يوم القيامه،كما

ورد فى حديث آخر عن النّبى صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم حيث قال: «يشـفع الأنبياء فى كلّ من يشـهد أن لا إله إلاّ اللّه مخلصـا فيخرجونهم منها» (٢) .

٣-الملائكه من شفعاء يوم المحشر،كما

نقل عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال: «يؤذن للملائكه و النّبيين و الشّهداء أن يشفعوا» (٣) .

۴،۵-الأئمّه المعصومين و شيعتهم كما قال فى ذلك أمير المؤمنين عليه السّلام حيث

قال: «لنا شفاعه و لأهل مودتنا شفاعه» (۴) ۶،۷-العلماء و الشّهداء كما

ورد فى حديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حيث قال:

«يشفع يوم القيامه الأنبياء ثمّ العلماء ثمّ الشّهداء» (۵) .

و

ورد فى حديث آخر عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «يشفع الشّهيد فى سبعين إنسانا

١- ١) -صحيح مسلم،ج ٢،ص ١٣٠.

٢- ٢) -مسند أحمد،ج ٣،ص ١٢.

۳- ۳) -مسند أحمد،ج ۵،ص ۴۳.

۴- ۴) -الخصال للصدوق رحمه اللّه،ص ۶۲۴.

۵- ۵) -سنن ابن ماجه،ج ۲،ص ۱۴۴۳.

من أهل بيته» (۱) .

و

فی حدیث آخر نقله المجلسی فی بحار الأنوار: «إنّ شفاعتهم تقبل فی سبعین ألف نفر» (۲) .

و لا منافاه بین الرّوایتین إذ أنّ عدد السبعین و السبعین ألف هی من أعداد الکثره.

۸-القرآن کذلک من الشفعاء فی یوم القیامه کما

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام:

«و اعلموا أنّه(القرآن)شافع مشفع» (۳) .

۹-من مات علی الإسلام

فقد ورد عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إذا بلغ الرجل التسعین غفر اللّه ما تقدم من ذنبه و ما تأخر و شفّع فی أهله» (۴) .

۱۰-العباده:کما

جاء فی حدیث عن الرّسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «الصّیام و القرآن یشفعان للعبد یوم القیامه» (۵) .

۱۱-ورد فی بعض الرّوایات أنّ العمل الصالح کأداء الأمانه یکون شافعا فی یوم القیامه. (۶)

۱۲-و الطریف هو ما یستفاد من بعض الرّوایات من أنّ اللّه تعالی أیضا یکون شافعا للمذنبین فی یوم القیامه،کما

ورد فی الحدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:

«یشفع النّبیون و الملائکه و المؤمنون فیقول الجبار بقیت شفاعتی» (۷) .

و الرّوایات کثیره فی هذه الباب و ما ذکرناه هو جانب منها. (۸)

۱- ۱) -سنن أبی داود،ج ۲،ص ۱۵.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۱۰۰،ص ۱۴.

۳- ۳) -نهج البلاغه الخطبه،۱۷۶.

۴- ۴) -مسند أحمد،ج ۲،ص ۸۹.

۵- ۵) -مسند أحمد،ج ۲،ص ۱۷۴.

۶- ۶) -مناقب ابن شهر آشوب،ج ۲،ص ۱۴.

۷- ۷) -صحيح البخاری،ج ۹،ص ۱۴۹.

۸- ۸) -للاستيضاح يمكن مراجعه كتاب مفاهيم القرآن،ج ۴،ص ۲۸۸-۳۱۱.

و نكرر أنّ للشفاعه شروطا لا يمكن بدونها التشفع و هذا ما جاء فى الآيات التى بحثناها و التى تشير بصراحه الى عدم تأثير شفاعه الشفعاء فى المجرمين، فالمهم أن تكون هناك قابليه للتشفع،لأنّ فاعليه الفاعل لوحدها ليست كافيه (أوردنا شرحا مفصلا فى هذا الباب فى المجلد الأوّل فى بحث الشفاعه) ***

ص :١٩٠

الآيات [سوره المدثر (٧۴): الآيات ۴٩ الی ۵۶]

اشاره

فَمٰا لَهُمْ عَنِ اَلتَّذْكِرَهِ مُعْرِضِينَ (۴٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَهٌ (۵٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَهٍ (۵١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتىٰ صُحُفاً
مُنَشَّرَهً (۵٢) كَلاّٰ بَلْ لاٰ يَخٰافُونَ اَلْآخِرَهَ (۵٣) كَلاّٰ إِنَّهُ تَذْكِرَهٌ (۵۴) فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ (۵۵) وَ مٰا يَذْكُرُونَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ هُوَ أَهْلُ
اَلتَّقْوىٰ وَ أَهْلُ اَلْمَغْفِرَهِ (۵۶)

التّفسیر

اشاره

یفرّون من الحق کما تفرّ الحمر من الأسد:

تتابع هذه الآیات ما ورد فی الآیات السابقه من البحث حول مصیر المجرمین و أهل النّار،و تعکس أوضح تصویر فی خوف هذه الجماعه المعانده و رعبها من سماع حدیث الحقّ و الحقیقه.

فیقول اللّه تعالی أوّلا: فَمٰا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَهِ مُعْرِضِينَ (١) لم یفرّون من دواء

١- ١) -«ما»مبتدأ و(لهم)خبر و(معرضین)حال الضمیر لهم(و عن التذکره)جار و مجرور و متعلق بالمعرضین،و قیل تقدیم (عن التذکره)علی(معرضین)دلاله علی الحصر أی أنّهم أعرضوا عن التذکره المفیده فقط،علی کل حال فإنّ المراد من التذکره هنا کلّ ما هو نافع و مفید و علی رأسها القرآن المجید.

القرآن الشافی؟لم یطعنون فی صدر الطبیب الحریص علیهم؟حقّا إنّه مثیر کَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَهٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَهٍ .

«حمر»:جمع(حمار)و المراد هنا الحمار الوحشی،بقرینه فرارهم من قبضه الأسد و الصیاد،و بعباره أخری أنّ هذه الکلمه ذات مفهوم عام یشمل الحمار الوحشی و الأهلی.

«قسوره»:من ماده(قسر)أی القهر و الغلبه،و هی أحد أسماء الأسد،و قیل هو السهم،و قیل الصید،و لکن المعنی الأوّل أنسب.

و المشهور أنّ الحمار الوحشی یخاف جدّا من الأسد،حتی أنّه عند ما یسمع صوته یستولی علیه الرعب فیرکض إلی کلّ الجهات کالمجنون،خصوصا إذا ما حمل الأسد علی فصیل منها،فإنّها تتفرق فی کل الجهات بحیث یعجب الناظر من رؤیتها.

و هذا الحیوان وحشی و یخاف من کل شیء،فکیف به إذا رأی الأسد المفترس؟! علی کل حال فإنّ هذه الآیه تعبیر بالغ عن خوف المشرکین و فرارهم من الآیات القرآنیه المربیه للروح،فشبههم بالحمار الوحشی لأنّهم عدیمو العقل و الشعور،و کذلک لتوحشّهم من کل شیء،فی حین أنّه لیس مقابلهم سوی التذکره.

بَلْ یُرِیدُ کُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ یُؤْتیٰ صُحُفاً مُنَشَّرَهً

(۱)

،و ذلک لتکبرهم و غرورهم الفارغ بحیث یتوقعون من اللّه تعالی أن ینزل علی کلّ واحد منهم کتابا.

و هذا نظیر ما جاء فی الآیه(۹۳)من سوره الإسراء:

۱- ۱) -«صحف»:جمع صحیفه،و هی الورقه التی لها وجهان،و تطلق کذلک علی الرساله و الکتاب.

وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّکَ حَتّٰی تُنَزِّلَ عَلَيْنٰا کِتٰاباً نَقْرَؤُهُ .

و کذا فی الآیه(۱۲۴)من سوره الأنعام حيث يقول: قٰالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتّٰی نُؤْتیٰ مِثْلَ مٰا أُوتِیَ رُسُلُ اللّٰهِ .

و على هذا فإنّ کلاّ منهم يتنظر أن يكون نبيّا من اولی العزم!و ينزل عليه كتابا خاصّا من اللّه بأسمائهم،و مع كل هذا فليس هناك من ضمان فی أن يؤمنوا بعد کل ذلک.

و جاء فی بعض الرّوايات أنّ أبا جهل و جماعه من قريش قالوا للنّبی صلّی اللّه عليه و آله و سلّم، لا نؤمن بک حتی تأتينا بصحف من السماء عليها فلان ابن فلان من ربّ العالمين، و يأتی الأمر علنا باتباعک و الإيمان بک. (۱)

و لذا يضيف فی الآيه الأخرى: کَلاّٰ ليس كما يقولون و يزعمون،فإنّ طلب نزول مثل لهذا الكتاب و غيره هی من الحجج الواهيه، و الحقيقه بَلْ لاٰ يَخٰافُونَ الْآخِرَهَ .

إذا كانوا يخافون الآخره فما كانوا يتذرعون بكل هذه الذرائع،ما كانوا ليكذبوا رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله و سلّم،و ما كانوا ليستهزئوا بآيات اللّه تعالى،و لا بعدد ملائكته،و من هنا يتّضح أثر الإيمان بالمعاد فی التقوى و الطهاره من المعاصی و الذنوب الكبيره،و الحقّ يقال إن الإيمان بعالم البعث و الجزاء و عذاب القيامه يهب للإنسان شخصيه جديده يمكنه أن يغير إنسانا متكبرا و مغرورا و ظالما إلى إنسان مؤمن متواضع و متق عادل.

ثمّ يؤكّد القرآن على أنّ ما يفكرون به فيما يخصّ القرآن هو تفكّر خاطئ:

کَلاّٰ إِنَّهُ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ ذَکَرَهُ

.

فإنّ القرآن الكريم قد أوضح الطريق،و دعانا إلى التبصر فيه،و أنار لنا السبيل

۱- ۱) -تفسير القرطبی،و المراغی،و تفاسير اخرى.

ليرى الإنسان موضع أقدامه،و فى الوقت نفسه لا يمكن ذلك إلّا بتوفيق من اللّه و بمشيئته تعالى،و ما يذكرون إلّا ما يشاء اللّه.

و لهذا الآيه عدّه تفاسير إحداها:كما ذكرناه سابقا،و هو أن الإنسان لا يمكنه الحصول على طريق الهدايه إلّا بالتوسل باللّه تعالى و طلب الموفقيه منه.

و طبيعى أن هذا الإمداد و التوفيق الإلهى لا يتمّ إلّا بوجود أرضيه مساعده لنزوله.

و التّفسير الآخر:ما جاء فى الآيه السابقه: فَمَنْ شٰاءَ ذَكَرَهُ يمكن أن يوجد و هما و أنّ كل شىء مرتبط بإراده الإنسان نفسه،و أنّ إرادته مستقله فى كل الأحوال،و تقول هذه الآيه رافعه بذلك هذا الاشتباه،إنّ الإنسان مرتبط بالمشيئه الإلهيه،و إن هذه الآيه مختارا حرّا و هذه المشيئه هى الحاكمه على كل هذا العالم الموجود،و بعباره اخرى:إنّ هذا الاختبار و الحريه و المعطاه للإنسان فى بمشيئته تعالى و إرادته،و يمكن سلبها أنّى شاء.

و أمّا التّفسير الثّالث فإنّه يقول:إنّهم لا يمكنهم الإيمان إلّا أن يشاء اللّه ذلك و يجبرهم،و نعلم أنّ اللّه لا يجبر أحدا على الإيمان أو الكفر،و التّفسير الأوّل و الثّانى أنسب و أفضل.

و فى النهايه يقول: هُوَ أَهْلُ التَّقْوىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَهِ .

فهو أهل لأن يخافوا من عقابه و أن يتقوا فى اتّخاذهم شريكا له تعالى شأنه، و أن يأملوا مغفرته،و فى الحقيقه،أنّ هذه الآيه إشاره إلى الخوف و الرجاء و العذاب و المغفره الإلهيه،و هى تعليل لما جاء فى الآيه السابقه،لذا نقرأ

فى حديث ورد عن الإمام الصّادق عليه السّلام فى تفسير هذه الآيه أنّه قال: «قال اللّه:أنا أهل

أن اتقى و لا يشرك بى عبدى شيئا و أنا أهل إن لم يشرك بى شيئا أن ادخله الجنّه» (1) .

و بالرغم من أنّ المفسّرين-كما رأينا-قد أخذوا التقوى هنا بمعناها المفعولى،و قالوا إنّ اللّه تعالى أهل لأن يتّقى من الشرك و المعصيه،و لكن هناك احتمالا آخر،و هو أنّ تؤخذ بمعناها الفاعلى،أى أن اللّه أهل للتقوى من كلّ أنواع الظلم و القبح و من كل ما يخاف الحكمه،و ما عند العباد من التقوى هو قبس ضعيف من ما عند اللّه،و إنّ كان التعبير بالتقوى بمعناه الفاعلى و الذى يقصد به اللّه تعالى قليل الاستعمال،على كل حال فإنّ الآيه قد بدأت بالإنذار و التكليف،و انتهت بالدعوه إلى التقوى و الوعد بالمغفره.

و نتعرض هنا بالدعاء إليه خاضعين متضرعين تعالى:

ربّنا!اجعلنا من أهل التقوى و المغفره.

اللّهم!إن لم تشملنا ألطافك فإنّنا لا نصل إلى مرادنا،فامنن علينا بعنايتك.

اللّهم!أعنّا على طريق مليء بالمنعطفات و الهموم و المصائد الشيطانيه الصعبه،و أعنا على الشيطان المتهيئ لإغوائنا،فبغير عونك لا يمكننا المسير فى هذا الطريق.

آمين يا ربّ العالمين.

نهايه سوره المدّثّر ***

١- ١) -تفسير البرهان،ج ۴،ص ۴٠۵.

سوره القیامه

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها أربعون آیه

ص :۱۹۷

محتوى السوره:

كما هو واضح من اسم السوره فإنّ مباحثها تدور حول مسائل ترتبط بالمعاد و يوم القيامه إلّا بعض الآيات التى تتحدث حول القرآن و المكذبين،و أمّا الآيات المرتبطه بيوم القيامه فإنّها تجتمع فى أربعه محاور:

۱-المسائل المرتبطه بأشراط الساعه.

۲-المسائل المتعلقه بأحوال الصالحين و الطالحين فى ذلك اليوم.

۳-المسائل المتعلقه باللحظات العسيره للموت و الانتقال إلى العالم الآخر.

۴-الأبحاث المتعلقه بالهدف من خلق الإنسان و رابطه ذلك بمسأله المعاد.

فضيله السوره:

فى حديث روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من قرأ سوره القيامه شهدت أنا و جبرائيل له يوم القيامه أنّه كا مؤمنا بيوم القيامه،و جاء و وجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامه» (۱) .

و نقرأ

فى حديث ورد عن الإمام الصّادق عليه السّلام قال: «من أدمن قراءه لاـ أُقْسِمُ و كان يعمل بها،بعثها اللّه يوم القيامه معه فى قبره،فى أحسن صوره

ص: ۱۹۹

۱- ۱) -مجمع البيان،۱۰-،ص ۳۹۳.

تبشّره و تضحکک فی وجهه،حتی یجوز الصراط و المیزان» (۱) .

و الجدیر بالملاحظه أنّ ما کنّا نستفید منه فی القرائن التی فی فضائل تلاوه السور القرآنیه قد صرّح بها الإمام هنا فی هذه الرّوایه حیث یقول: «من أدمن قراءه لا اقسم و کان یعمل بها» و لذا فإنّ کل ذلک هو مقدمه لتطبیق المضمون.

***

۱- ۱) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره القيامه (٧٥): الآيات ١ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ لاٰ أُقْسِمُ بِيَوْمِ اَلْقِيٰامَهِ (١) وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اَللَّوّٰامَهِ (٢) أَ يَحْسَبُ اَلْإِنْسٰانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظٰامَهُ (٣) بَلىٰ قٰادِرِينَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنٰانَهُ (۴) بَلْ يُرِيدُ اَلْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ (۵) يَسْئَلُ أَيّٰانَ يَوْمُ اَلْقِيٰامَهِ (۶)

التّفسير

اشاره

قسما يوم القيامه و النفس اللوامه:

تبدأ هذه السوره بقسمين غزيرين بالمعانی،فيقول تعالی: لاٰ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيٰامَهِ وَ لاٰ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّٰامَهِ و هناك أقوال للمفسّرين فی ذلك،فقيل أنّ(لا)زائده للتأكيد و أنّها لا تنفی القسم،بل تؤكّده،و قيل و ربّما نافيه،و الغايه فی ذلك هو أن يقول لا أقسم بذلك لأهميه هذا الموضوع(كالقول لا أقسم بحياتك لأنّها أعلی من القسم).

و أخذ أغلب المفسّرين بالتّفسير الأوّل،و لكن البعض الآخر بالتّفسير الثّانی حيث قالوا إنّ(لا)الزائده لا تأتی فی أوّل الكلام بل فی وسطه،و الأوّل هو الأصح ظاهرا.لأنّ القرآن الكريم قد أقسم بأمور هی أهم من القيامه،كالقسم بذات اللّه

ص: ٢٠١

المقدّسه،لذا ليس هناك دليل على عدم القسم هنا بيوم القيامه،و هناك مثال لاتّخاذ لا الزائده فى أوّل الكلام،و هو ما ورد فى أشعار«امرئ القيس»حيث استعمل«لا»الزائده فى بدايه قصائده الشعريه لا و أبيك ابنه العامر لا يدعى القوم أنى أفر و لكن ما نعتقده أنّ البحث ليس مهمّا حول ما إذا كانت(لا)نافيه أو زائده،و ذلك لأنّ نتيجه القولين هى واحده و هى بيان أهميه الموضوع الذى أقسم لأجله.

المهم أنّ نرى ما هى العلاقه و الرّابطه الموجوده بين القسمين.

الحقيقه أنّ أحد دلائل وجود«المعاد»هو وجود«محكمه الوجدان» الموجوده أعماق الإنسان،و التى تنشط و تسر عند الإقدام لإنجاز عمل صالح، و بهذه الطريقه تثبت صاحبها و تكافئه،و عند ارتكاب الأعمال السيئه و الرذيله فإنّها سوف تقوم بتقريع صاحبها و تأنّبه و تعذبه إلى حدّ أنّه قد يقدم على الانتحار للتخلص ممّا يمرّ فيه من عذاب الضمير.

و فى الحقيقه أنّ الضمير هو الذى أصدر حكم الإعدام،و تمّ تنفيذ ذلك بنفسه،إنّ دوى النفس اللوامه فى وجود الإنسان واسع جدّا،و هى قابله للتمعن و المطالعه فى كلّ الأحوال و فى بحث الملاحظات نشير إلى ذلك بشكل واسع.

عند ما يكون(العالم الصغير)أى وجود الإنسان محكمه فى قلبه،فكيف يمكن للعالم الكبير أن لا يملك محكمه عدل عظمى؟ فمن هنا نفهم وجود البعث و القيامه بواسطه وجود الضمير الأخلاقى،و من هنا تتّضح الرابطه الظريفه بين القسمين،و بعباره أخرى فإنّ القسم الثّانى هو دليل على القسم الأوّل.

و أمّا ما يراد ب«النفس اللوامه» (۱) فهناك أقوال كثيره و مختلفه قد ذكرت

۱- ۱) -اللوامه:صيغه مبالغه و تعنى كثيره اللوم.

للمفسّرين،و أحد تلك التّفاسير المشهوره هو ما ذكرناه آنفا،و هو أنّ أنّها «الوجدان الأخلاقی»الذی یلوم الإنسان فی الدنیا علی المعصیه و یحفّزه علی إصلاح ما بدا منه.

و التّفسیر الآخر هو أنّ المراد بالنفس الإنسانیه بصوره عامه التی تلوم صاحبها یوم القیامه،فإذا کان مؤمنا فإنّها تلومه علی عدم الإکثار من الصالحات و علی قلّه الطاعه،و إن کان کافرا فإنّها تلوم علی کفره و شرکه و فجوره.

و أمّا الآخر:فالمراد نفس الکافر التی تلومه یوم القیامه علی ما قدمت من کفر و معصیه.

و الوجه الأوّل یناسب الآیه السابقه و التی تلیها،أجل إنّ لمحکمه الضمیر مقاما و منزله عظیمه و لهذا یقسم اللّه بها،و یستعظم قدرها،و هی بحقّ عظیمه القدر،لأنّها أحد العوامل المهمّه لخلاص لإنسان بشرط أن تکون واعیه و یقظه و غیر عاجزه بسبب الذنوب و الآثام.

و ممّا تجدر الإشاره إلیه هو أنّ جواب القسم محذوف،و هذا ما تدل علیه الآیات التالیه و التقدیر«لتبعثن یوم القیامه»أو«أنّکم تبعثون»فیکون المعنی:لا أقسم بیوم القیامه و لا أقسم بالنفس اللوامه أنّکم تبعثون یوم القیامه و تجزون ما کنتم تفعلون.

و من الظریف أنّ القسم جاء بیوم القیامه علی وجود یوم القیامه،و ذلک لأنّه إلی درجه من الوضوح و البداهه أنّه یمکن القسم به حتی فی مقابل المنکرین.

ثمّ یستفهم تعالی فی الآیه الأخری للتوبیخ فیضیف: أَ یَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظٰامَهُ بَلیٰ قٰادِرِینَ عَلیٰ أَنْ نُسَوِّیَ بَنٰانَهُ .

ورد فی روایه أنّ أحد المشرکین و هو«عدی بن أبی ربیعه»کان جارا للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فسأل النّبی عن أمر القیامه فأخبره به،فقال عدی:لو عاینت ذلک الیوم لم أصدقک،أو یجمع اللّه هذه العظام؟فنزلت هذه الآیات و أجابته علی

ذلک،و لذا

قال فیه النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم «اللّهم اکفنی شر جاری سوء» (۱) .

و هناک نظائر لهذا المعنی فی الآیات القرآنیه الأخری،منها الآیه(۷۸)من سوره(یس)حیث إنّ منکرا من منکری المعاد کانت بیده عظاما، فقال للنّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: مَنْ یُحْیِ الْعِظٰامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ ؟ و التعبیر بکلمه«یحسب»التی هی من الحسبان و تعنی الظن،إشاره إلی أنّ المنکرین لا یؤمنون بما یقولون،بل یعتمدون علی ما یظنون من الوهم.

و لکن نری أنّه قد اعتمد علی العظام خاصّه،و هذا لکون دوام بقاء العظام أکثر من غیرها من أجزاء الجسد،و لذا تکون إعادتها تکون تربا متأثرا بعیدا فی نظر عدیمی الإیمان.

ثمّ إنّ العظام من الأرکان المهمّه فی بدن الإنسان،لأنّها تشکل أعمده البدن، و کلّ الحرکات و التغیرات المهمّه الحاصله فی البدن و کذلک فعالیات المختلفه تتمّ بواسطه العظام،و کثره و تنوع أشکال و مقاییس العظام فی جسم الإنسان من عجائب الخلقه الإلهیه،تتّضح أهمیتها عند ما تتعطل فقره واحده من فقرات الظهر عن العمل و تسبب فی شلّ حرکه البدن.

«البنان»:أطراف الأصابع،و قیل الأصابع،و فی المعنیین إشاره إلی أنّ اللّه تعالی لیس القادر علی جمع العظام و إرجاعها إلی صورتها الأولی فحسب،بل إنّه تعالی یسوی العظام الصغیره و الظریفه و الدقیقه للأصابع علی ما کانت علیها فی الخلق الأوّل،و الأعجب من ذلک یمکنه تعالی اعاده بصمات الأصابع کما کانت علیه أیضا.

و یمکن أن یکون ذلک إشاره لطیفه إلی الخطوط الموجوده فی أطراف الأصابع و التی نادرا ما تتساوی هذه الخطوط عند شخصین.

۱- ۱) -أورد هذه الروایه المراغی،و کذلک ذکرت فی روح المعانی،و تفسیر الصافی بتفاوت یسیر.

و بتعبير آخر إنّ هذ الخطوط الموجوده فى أطراف الأصابع هى المعرّفه لشخص الإنسان،و لذا صار بصم الأصابع فى عصرنا هذا أمرا علميا،و بهذه الطريقه يمكن كشف الكثير من السراق و المجرمين،فيكفى فى كشف السارق وضعه أصابعه على مقبض الباب،أو زجاجه الغرفه،أو قفل الصندوق و بقاء أثر خطوط أنامله عليها،ثمّ يؤخذ من ذلك الطبع نموذج و تتمّ مقابلته مع آثار أصابع اللصوص السابقين التى أخذت منهم سلفا،و هكذا يعرف المجرم و السارق.

و فى الآيه الأخرى إشاره إلى أحد العلل الحقيقه لإنكار المعاد فيقول: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ ،إنّهم يريدون أن يكذبوا بالبعث و ينكروا المعاد، ليتسنى لهم الظلم و ارتكاب المحارم و التنصل عن المسؤوليه أمام الخلق،و ذلك لأنّ الإيمان بالمعاد و القيامه و محكمه العدل الإلهيه بمثابه سدّ عظيم فى مقابل المعاصى و الذنوب و النفس الأماره تريد كسر هذا السدّ و هذا الطوق ليفجر الإنسان مدى عمره و يعمل ما يشاء،و هذا ليس منحصرا بالأزمنه السابقه،بل إنّ إحدى علل الميول إلى الماديه و إنكار المبدأ و المعاد فى هذا العصر هو كسب الحريه للفجور و الهروب من المسؤوليه،و تحطيم كل القوانين الإلهيه،و إلاّ فإنّ دلائل المبدأ و المعاد واضحه،و قد ورد فى تفسير على بن ابراهيم فى توضيح معنى هذه الآيه حيث قال:يقدّم الذنب و يؤخر التوبه و يقول سوف أتوب.

و قيل المراد من«الفجور»و«التكذيب»،فيكون المعنى،يريد أن يكذب بالبعث الذى سوف يقع أمامه،و لكن التفسير الأوّل أنسب.

ثمّ يضيف بعد ذلك: يَسْئَلُ أَيّانَ يَوْمُ الْقِيامَهِ .

أجل،إنّه يستفهم مستنكرا عن وقوع يوم القيامه و يهرب ممّا كلّف به لكى يفسح لنفسه طريق الفجور أمامه،و الجدير بالذكر أنّ سؤالهم هذا عن وقت حدوث القيامه لا يعنى أنّهم يؤمنون بأصل القيامه،بل هو مقدّمه لإنكار أصل القيامه كالذى يقول:(فلان سوف يقدم من السفر)و إذا ما تأخر فتره من الزمن يعترض من ينكر قدوم ذلك المسافر فيقول:(متى سوف يأتى المسافر)؟

ملاحظات

اشاره

۱-محكمه الضمير أو القيامه الصغرى

نستفيد من آيات القرآن المجيد أنّ للنفس الإنسانيه ثلاث مراحل:

۱-النفس الاماره:و هى النفس العاصيه التى تدعو الإنسان إلى الرذائل و القبائح باستمرار،و تزيّن له الشهوات،و هذا ما أشارت إليه امرأه عزيز مصر حينما نظرت إلى عاقبه أمرها فقالت: وَ مٰا أُبَرِّئُ نَفْسِی إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّٰارَهٌ بِالسُّوءِ . (۱) ؟ ۲-النفس اللوامه:و هى ما أشير إليها فى الآيات التى ورد البحث فيها،و هى نفس يقظه و واعيه نسبيا،فهى تزل أحيانا لعدم حصولها على حصانه كافيه مقابل الذنوب،و تقع فى شبك الآثام إلاّ أنّها تستيقظ بعد فتره لتتوب و ترجع إلى مسير السعاده،و انحرافها ممكن،إلاّ أنّ ذلك يكون مؤقتا و ليس دائما و لا يمضى عليها كثير وقت حتى تعود إلى الملامه و التوبه.

و هذا هو ما يذكرونه تحت عنوان(الضمير الأخلاقى)و يكون هذا قويا جدّا عند بعض الأفراد،و ضعيفا و عاجزا عند آخرين،و لكن النفس اللوامه لا تموت بكثره الذنوب عند أى انسان.

۳-النفس المطمئنه:و هى النفس المتكامله المنتهيه إلى مرحله الاطمئنان و الطاعه و المنتهيه إلى مقام التقوى و الإحساس بالمسؤوليه و ليس من السهل انحرافها،و هذا ما ورد فى و قوله تعالى: يٰا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ ارْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً . (۲)

ص: ۲۰۶

۱- ۱) -يوسف،۵۳.

۲- ۲) -الفجر،۲۷-۲۸.

على كل حال فإنّ النفس اللوامه كما قلنا هى كالقيامه الصغرى فى داخل الروح و التى تقوم بمحاسبه الإنسان،و لذا تحس أحيانا بالهدوء و الاستقرار بعد القيام بالأعمال الصالحه و تمتلئ بالسرور و الفرح و النشاط.

و بالعكس فإنّها تبتلى أحيانا بكابوس الرذائل و الجرائم الكبيره و أمواج الغم و الحيره،و يحترق بذلك باطن الإنسان حتى يتنفر من الحياه،و ربّما يبلغ ألم الوجدان أنّه يقدم على تسليم نفسه إلى المحاكم القضائيه ليرتقى منصه الإعدام لخلاص نفسه من قبضه هذا الكابوس.

هذه المحكمه الداخليه العجيبه لها شبه عجيب بمحكمه القيامه.

۱-إنّ القاضى و الشاهد و المنفذ للأحكام واحد،كما فى يوم القيامه: عَالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَهِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِکَ (۱) .

۲-إنّ هذه المحكمه ترفض كلّ توصيه و رشوه و واسطه كما هو الحال فى محكمه يوم القيامه،فيقول تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْماً لاٰ تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً وَ لاٰ يُقْبَلُ مِنْهٰا شَفٰاعَهٌ وَ لاٰ يُؤْخَذُ مِنْهٰا عَدْلٌ وَ لاٰ هُمْ يُنْصَرُونَ (۲) .

۳-إنّ محكمه الضمير تحقق و تدقق الملفات المهمّه بأقصر مدّه و تصدر الحكم بأسرع وقت،فلا استئناف فى ذلك،و لا إعاده نظر،و لا تحتاج فى ذلك شهورا و سنين،و هذا هو ما نقرأه أيضا فى محكمه البعث: وَ اللّٰهُ يَحْكُمُ لاٰ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ (۳) .

۴-مجازاتها و عقوباتها ليست كعقوبات المحاكم الرسميه العالميه،فإنّ

ص: ۲۰۷

۱- ۱) -الزمر،۴۶.

۲- ۲) -البقره،۴۸.

۳- ۳) -الرعد،۴۱.

شرر النیران تتقد فی الوهله الاولی فی أعماق القلب و الروح،ثمّ تسری إلی الخارج،فتعذب روح الإنسان أوّلا،ثمّ تظهر آثارها فی الجسم و ملامح الوجه و طبیعه النوم و الأکل،فیعبّر تعالی عن ذلک فی قوله: نارُ اللّهِ الْمُوقَدَهُ الَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفْئِدَهِ (۱) .

۵-عدم احتیاج هذه المحکمه إلی شهود،بل إنّ المعلومات التی یعطیها الإنسان المتهم بنفسه و الذی یکون شاهدا علی نفسه هی التی تقبل منه،نافعه کانت له أم ضاره!کما تشهد ذرات وجود الإنسان حتی یداه و جلده علی أعماله فی محکمه البعث فیقول تعالی: حَتّی إِذا ما جاؤُها شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ (۲) .

و هذا التشبیه العجیب بین المحکمتین دلیل آخر علی فطریه الإعتقاد بالمعاد،لأنّه کیف یمکن أن یکون فی الإنسان الذی یعتبر قطره صغیره فی محیط الوجود العظیم هکذا حساب و محاکم ملیئه بالرموز و الأسرار فی حین لا یوجد حساب و محاکم فی هذا العالم الکبیر؟فهذا ما لا یصدق.

۲-أسماء القیامه فی القرآن المجید

إنّ قسما مهمّا من معارف القرآن و مسائله العقائدیه یدور حول محور القیامه و البعث،لأنّ له تأثیرا مهمّا فی تربیه الإنسان و تکامل سلوکه،و لهذا الیوم العظیم أسماء کثیره فی القرآن،و کل منها تبیّن بعدا من أبعاد ذلک الیوم،یمکن أن تکون هذه الأسماء بحدّ ذاتها انعکاس للکثیر من المسائل المتعلقه بهذا الجانب.

یقول المرحوم الفیض الکاشانی فی المحجه البیضاء:«إنّ تحت کلّ اسم من هذه الأسماء سرّ خفی،و لکل نعت معنی مهم لا بدّ من السعی الجاد لإدراک هذه

۱- ۱) -الهمزه،۶-۷.

۲- ۲) -سوره فصلت،۲۰.

المعانی و معرفه أسرارها،فقد ذکر أکثر من فئه اسم لیوم القیامه یمکن الاستفاده منها أو من أکثرها فی القرآن المجید،کیوم الحسره،یوم القیامه،یوم المحاسبه، یوم المسأله،یوم الواقعه،یو القارعه،یوم الراجفه،یوم الرادفه،یوم الطلاق،یوم الفراق،یوم الحساب،یوم التناد،یوم العذاب،یوم الفرار،یوم الحق،یوم الحکم، یوم الفصل،یوم الجمع،یوم الدین،یوم تبلی السرائر،یوم لا یغنی مولی عن مولی شیئا،یوم یفر المرء من أخیه،یوم لا ینفع مال و لا بنون،یوم التغابن...» (1) .

و لکن أشهر أسماء ذلک هو الیوم«یوم القیامه»الذی ذکر سبعین مرّه فی القرآن،و یحکی عن قیام عامّه العباد و البعث و العظیم للناس،و التوجه إلی ذلک الیوم یدفع الناس لأداء وظائفهم و تکالیفهم فی هذه الدنیا.

و باعتقادنا أنه یکفی للانتباه من نوم الغفله و الغرور و الأخذ بعنان و زمام النفس العاصیه و تربیتها و تعلیمها أن نتفکر فی هذه الأسماء و نتصور حالنا فی ذلک الیوم،یوم یحضر الجمیع أمام اللّه العظیم و ترفع الستائر و تظهر الأسرار و تتزین الجنان و تتوقد جهنم،و یحضر الجمیع عند میزان العدل الإلهی.

«اللّهم اجعل لنا عندک ملجأ فی ذلک الیوم» ***

1- 1) -المحجه البیضاء،ج 8،ص 331.

الآيات [سوره القيامه (٧٥): الآيات ٧ الى ١٥]

اشاره

فَإِذٰا بَرِقَ اَلْبَصَرُ (٧) وَ خَسَفَ اَلْقَمَرُ (٨) وَ جُمِعَ اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ اَلْإِنْسٰانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ اَلْمَفَرُّ (١٠) كَلاّٰ لاٰ وَزَرَ (١١) إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ اَلْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُا اَلْإِنْسٰانُ يَوْمَئِذٍ بِمٰا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ (١٣) بَلِ اَلْإِنْسٰانُ عَلىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١۴) وَ لَوْ أَلْقىٰ مَعٰاذِيرَهُ (١۵)

التّفسير

اشاره

الإنسان نعم الحكم لنفسه:

أنهت الآيات السابقه بسؤال كان قد وجهه المنكرون للبعث يوم القيامه،و هو يوم القيامه متى يأتى ذلك اليوم؟و هذه الآيات هى التى تجيب عن هذه السؤال.

فتشير أوّلا-إلى الحوادث السابقه للبعث،أى إلى التحول العظيم و انعدام القوانين الحاصل فى الأنظمه الكونيه فيقول تعالى: فَإِذٰا بَرِقَ (١) الْبَصَرُ بمعنى

١- ١) -«برق»:من ماده برق-على وزن فرق-و هو الضوء الظاهر من بين السحب و يطلق على كل ما هو وضاء،و«برق البصر» فى هذه الآيه إشاره إلى الحركه الشديده،و الاضطراب الشديد للبصر من شده الهول و الخوف،و قيل هو سكون حدقه العين

اضطراب العين و دورانها من شدّه الخوف و الرعب وَ خَسَفَ الْقَمَرُ وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ .

ذكرت معان متعدده للمفسّرين فى ما يراد بالجمع بين الشمس و القمر،فقيل هو اجتماعهما،أو طلوعهما كليهما من المشرق و غروبهما من المغرب،و قيل اجتماعهما بعد زوال نوريهما (۱) و يحتمل أن ينجذب القمر تدريجيا بواسطه الشمس و باتجاهها ثم اجتماعهما معا بعد ذلك،و ينتهى بالتالى ضياؤهما.

على كلّ حال فقد أشير هنا إلى ظاهرتين من أهم الظواهر الانقلابيه لأواخر الدنيا،أى إلى زوال نور القمر و اجتماع الشمس و القمر مع البعض،و هو ما أشير إليه فى الآيات القرآنيه الأخرى أيضا،فيقول تعالى فى سوره التكوير: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أى إذا أظلمت الشمس،و نعلم أن ضوء القمر من الشمس، و عند ما يزول نور الشمس يزول بذلك نور القمر،و بالتالى تدخل الكره الأرضيه فى ظلام دامس و عتمه مرعبه.

و بهذه الطريقه و التحول العظيم ينتهى العالم،ثم يبدأ بعث البشريه بتحول عظيم آخر(بنفخه الصور الثانيه و التى تعتبر نفخه الحياه)فيقول الإنسان فى ذلك اليوم: يَقُولُ الْإِنْسانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (۲) .

أجل،الكفره و المذنبون الذين كذبوا بيوم الدين يبحثون عن ملجأ فى ذلك اليوم لشدّه خجلهم،و يطلبون سبل الفرار لثقل خطاياهم و خوفهم من العذاب، كما كانوا يبحثون عن طريق الفرار فى الدنيا عند ما كانوا يواجهون حادثه خطيره،

۱)

و النظر بدهشه إلى نقطه و غالبا ما تكون علامه الرعب،و هناك شواهد كثيره على هذا المعنى فى أشعار العرب تشير إلى إبراق البصر يراد به التحير،و التفسير الأول أوجه.

۱- ۱) -يقول الطبرسى فى«مجمع البيان»الجمع ثلاثه أنواع:جمع فى المكان،و جمع فى الزمان،و جمع الأوصاف فى الشيء الواحد(كاجتماع العلم و العداله فى الإنسان)و لكن الجمع الذى يراد به اشتراك شيئين فى الصفه كزوال نوريّ القمر و الشمس معا هو تعبير مجازى(إذ لا بدّ من الاستفاده من القرينه)مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۹۵.

۲- ۲) -«المفر»:اسم مكان من الفرار،و احتمله البعض الآخر مصدرا و لكنه بعيد.

فیقیسون ذلک الیوم بهذا!و لکن سرعان ما یقال لهم: کَلّا لا وَزَرَ (۱) .

فلاـ ملجأ إلاّـ إلی اللّه تعالی: إِلی رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ و ذکرت لهـذه الآیه تفاسـیر أخری غیر التفسـیر المـذکور أعلاه منها:إن الحکم النهائی لذلک الیوم هو بید اللّه تعالی.

أو إن المقر النهائی للإنسان فی الجنّه أو النّار هو بید اللّه.

أو أن الاستقرار للمحاکمه و الحساب یومئذ یکون عنده،و لکن بالتوجه إلی الآیه التی تلیها نری أن ما قلناه هو الأنسب و الأوجه.

و یعتقـد البعض أن هـذه الآیه هی من الآیات التی تبین خط مسـیر التکامل الأبـدی للإنسان،و هی من جمله الآیات التی تقول: وَ إِلَیْهِ الْمَصِیرُ (۲) و یا أَیُّهَا الْإِنْسانُ إِنَّکَ کادِحٌ إِلی رَبِّکَ کَدْحاً فَمُلاقِیهِ (۳) و أَنَّ إِلی رَبِّکَ الْمُنْتَهی (۴) (۵) .

و بعباره أوضح أنّ الناس فی حرکه دائبه فی هذا الطریق الطویل من حدود العدم إلی إقلیم الوجود،و لا یزالون فی حرکه فی هذا الإقلیم نحو الوجود المطلق،و الوجود الأزلی،و أن هذه الحرکه و السلوک التکاملی فی استمرار الی الأبد ما داموا لا ینحرفون عن هـذا الصـراط المستقیم حیث یـدخلون فی کـل یوم مرحله جدیـده من التقرب إلی اللّه تعـالی،و إذا انحرفوا عن مسـیرهم فـإنهم سوف یسـقطون و ینتهون عندئذ یضـیف فی إدامه هذا الحدیث: یُنَبَّؤُا الْإِنْسانُ یَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وَ أَخَّرَ أمّا عن معنی هاتین العبارتین فقد ذکرت لهما تفاسیر عدیده:

ص: ۲۱۲

۱- ۱) -«وزر»:علی وزن قمر،و تعنی فی الأصـل الملاجئ الجبلیه و أمثالها،و منها یطلق علی الوزیر لما یلتجأ به فی الأمور، و علی کل حال فإنّها تعنی فی هذه الآیه کل نوع من الملجأ و المخبأ.

۲- ۲) -التغابن،۳.

۳- ۳) -الإنشقاق،۶.

۴- ۴) -النجم،۴۲.

۵- ۵) -هناک نظرات أخری فی تفسیر هذه الآیات وضحنا ذلک فی تذییلها.

أوّلا:المراد هو ما قدم من الأعمال فی حیاته،أو الآثار الباقیه منه بعد موته، ممّا ترک بین الناس من السنن الصالحه و السیئه و التی یعملون و یسیرون بها و وصول حسناتها و سیئاتها إلیه.أو الکتب و المؤلفات و الأبنیه القائمه علی الخیر و الشرّ،و الأولاد الصالحین و الطالحین التی تصل آثارهم إلیه.

و الثّانی:یمکن أن یراد به الأعمال الأولی التی أتی بها.و الأعمال الأخیره التی أتی بها فی عمره،و بعباره أخری أنّه ینبّأ بجمیع أعماله.

و الثّالث:أنّ المراد هو ما قدم من ماله لنفسه و ما ترک لورثته،و قیل:ما قدم من الذنوب،و ما أخر من طاعه اللّه أو بالعکس.

و الوجه الأوّل هو الأنسب،لما

ورد عن الإمام الباقر علیه السّلام فی تفسیر «(ینبّؤ) بما قدم من خیر و شرّ،ما أخر من سنّه لیس بها من بعده فإن کان شرّا کان علیه مثل وزرهم،و لا ینقص من وزرهم شیئا،و إن کان خیرا کان له مثل أجورهم،و لا ینقص من أجورهم شیئا» (1) .

ثم یضیف فی الآیه الأخری و یقول:إنّ اللّه و ملائکته یطلعون العباد علی أعمالهم،و إن کان لا یحتاج إلی ذلک،لأنّ نفسه و أعضاءه هم الشهود علیه فی ذلک الیوم،فیقول تعالی: بَلِ الْإِنْسٰانُ عَلیٰ نَفْسِهِ بَصِیرَهٌ، وَ لَوْ أَلْقیٰ مَعٰاذِیرَهُ .

سیاق هذه الآیات فی الحقیقه هو نفس سیاق الآیات التی تشیر إلی شهاده الأعضاء علی أعمال الإنسان،کالآیه(20)من سوره فصلت حیث یقول اللّه تعالی: شَهِدَ عَلَیْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصٰارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَعْمَلُونَ .

و الآیه(5)من سوره یس: وَ تُکَلِّمُنٰا أَیْدِیهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا کٰانُوا یَکْسِبُونَ .

و علی هذا فإنّ أفضل شاهد علی الإنسان فی تلک المحکمه الإلهیه للقیامه

1- 1) -تفسیر البرهان،ج 4،ص 406 و مثله فی تفسیر القرطبی،ج 10،ص 6891.

هو نفسه،لأنه أعرف بنفسه من غيره،و إن كان اللّه تعالى قد أعطاه شواهد أخرى كثيره لإتمام الحجّه عليه.

«بصيره»:لها معنى مصدرى بمعنى(الرؤيا و الاطلاع)،و معنى وصفى (الشخص المطّلع)و لذا فسّره البعض بمعنى(الحجه و الدليل و البرهان)و الذى هو واهب للمعرفه (۱) .

«معاذير»:جمع(معذره)و تعنى فى الأصل البحث عمّا تمحى به آثار الذنوب،و قد تكون أحيانا أعذارا واقعيه،و أخرى صوريه و ظاهريه.

و قيل:المعاذير جمع معذار،و هو الستر،و المعنى و إن أرخى الستور ليخفى ما عمل فإن نفسه شاهده عليه،و الأوّل أوجه.

على كل حال فإن الحاكم على الحساب و الجزاء فى ذلك اليوم العظيم هو المطّلع على الأسرار الداخليه و الخارجيه،و كذلك نفس الإنسان المحاسب لنفسه،كما جاء فى الآيه(۱۴)من سوره الإسراء: اِقْرَأْ کِتٰابَکَ کَفیٰ بِنَفْسِکَ الْیَوْمَ عَلَیْکَ حَسِیباً .

إنّ الآيات مورد بحثنا و إن كانت تتحدث كلّها عن المعاد و القيامه،فإنّ مفهومها واسع،و لذا فإنّها تشمل عالم الدنيا،و تعلم الناس بأحوال أنفسهم و إنّه كان فيهم من يكتم و يغطى وجهه الحقيقى بالكذب و الاحتيال و التظاهر و المراءاه.

لذا

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام حيث قال: «ما يصنع أحدكم أن يظهر حسنا و يسرّ سيئا أليس إذا رجع إلى نفسه يعلم أنّه ليس كذلك،و اللّه سبحانه يقول: بَلِ الْإِنْسٰانُ عَلیٰ نَفْسِهِ بَصِیرَةٌ إنّ السريره إذا صلحت قويت العلانيه» (۲) .

۱- ۱) -«التاء»:مصدر على الاحتمال الأوّل،و تاء التأنيث على الاحتمال الثّانى،لأنّه يراد بالإنسان هنا الجوارح أو النفس، فالتأنيث مجازى،و قيل إن التاء تاء المبالغه للأخبار بشدّه معرفه الإنسان بنفسه.

۲- ۲) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۹۶(و أورد الشيخ الصدوق فى من لا يحضره الفقيه فى كتاب الصيام،ج ۲،ص ۱۳۳ باب حد المرض الذى يفطر صاحبه الحديث ۱۹۴۱).

و

ورد أيضا فی حدیث صیام المریض عن الصادق علیه السّلام عند ما سأله أحد أصحابه:ما حد المرض الذی یفطر صاحبه؟فأجاب الإمام:«بل الإنسان علی نفسه بصیره،هو أعلم بما یطیق» (۱) ***

۱- ۱) -المصدر السّابق.

الآيات [سوره القيامه (۷۵): الآيات ۱۶ الی ۱۹]

اشاره

لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (۱۶) إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱۷) فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (۱۸) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ (۱۹)

التّفسير

اشاره

إنّ علينا جمعه و قرآنه:

هذه الآيات بمثابه الجمله الاعتراضيه التی تتداخل أحيانا فی كلام المتحدث.كمن يكون مشغولا بالخطابه فی مجلس ما و الناس مجتمعون فی آخر المجلس،و الحال أنّ صدر المجلس خال،فيقطع حديثه مؤقتا،و يدعو الحاضرين للتقدم لينفتح الطريق للقادمين،ثم يستأنف حديثه مجددا،أو كالأستاذ الذی يقطع حديثه لينبه طالبا،و بعد ذلك يكمل حديثه.

فعند ما يسمع شخص ما حديث الأستاذ عن طريق شريط كاسيت يری إشكالا فی استمراريّه الحديث،و يتعجب لما يری من عدم الترابط بين الجمل، و لكن مع التمعن فی شرائط المجلس الخاصّه يتّضح فلسفه هذه الجمل المعترضه.

بعد هذه المقدمه البسيطه نتّجه إلی تفسير الآيات التی يراد بحثها،حيث يترك اللّه تعالی الحديث عن القيامه و أحوال المؤمنين و الكفره مؤقتا،ليعطی

تذكره مختصره للنّبى صلّى اللّه عليه و آله حول القرآن فيقول: لاٰ تُحَرِّكْ بِهِ لِسٰانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ لهذه الآيه أقوال متعدده للمفسّرين،و على المجموع ذكرت لها ثلاثه تفاسير:

الأوّل:هو التفسير المشهور الذى نقل عن ابن عباس فى كتب الحديث،و هو أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان إذا نزل عليه الوحى ليقرأ عليه القرآن،تعجّل بقراءته ليحفظه و ذلك لحبه الشديد للقرآن،فنهاه اللّه عن ذلك و قال: إِنَّ عَلَيْنٰا بَيٰانَهُ .

الثّانى:نعلم أن للقرآن نزولين هما:نزول دفعى،أى نزوله بتمامه على قلب النبى صلّى اللّه عليه و آله فى ليله القدر،و نزول تدريجى و الذى كان أمده ۲۳ عامّا،و كان النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعجل فى إبلاغ الرساله أحيانا قبل النزول التدريجى للآيات أو قراءه ما يرافق تلك الآيات،فنهاه اللّه عن ذلك.و أمره أن يبلّغ و يتلو ما ينزل عليه فى حينه،و على هذا يكون مضمون هذه الآيه كالآيه(۱۱۴)من سوره طه: وَ لاٰ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ .

و ليس فى هذين التفسيرين اختلاف واسع،و يكون المعنى:لا ينبغى للنّبى أن يعجل فى استلام الوحى.

الثّالث:و لم يذهب اليه إلاّ القليل،و هو أنّ المخاطبين فى هذه الآيات هم المذنبون،و ذلك فى يوم القيامه حيث يأمرون بمحاسبه أنفسهم و ذكر أعمالهم، و يقال لهم:لا تعجلوا فى ذلك،و من الطبيعى أنّهم سوف يتضجرون عند ذكرهم لسيئاتهم و يمرون عليها باستعجال،فيأمرون بالتأنى فى قراءتها و اتباع الملائكه عند ذكر الملائكه لأعمالهم،و طبقا لهذا التفسير لا تكون هذه الآيه كجمله معترضه،بل مرتبطه مع الآيات السابقه و اللاحقه لها.لأن جميعها تتحدث عن أحوال القيامه و المعاد،و أمّا التفسير الأوّل و الثّانى فيناسبان شكل الجمله المعترضه.

و لكن التفسير الثّالث بعيد و خاصّه مع الالتفات الى ذكر اسم القرآن فى الآيات اللاحقه،و يشير سياق الآيات إلى أن المراد هو أحد التفسيرين السابقين.

ص :۲۱۷

و لا إشکال فی الجمع بینهما بالرغم من أنّ سیاق الآیات اللاحقه یؤیّد التفسیر الأول أی المشهور(فتدبّر).

ثمّ یضیف: إِنَّ عَلَیْنا جَمْعَهُ وَ قُرْآنَهُ (۱) و بالتالی لا تقلق علی جمع القرآن، نحن نجمعه و نتلوه علیک بواسطه الوحی.

ثم یقول تعالی: فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ،ثمّ یضیف: ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنا بَیانَهُ .

فیکون جمع القرآن و قراءته لک و تبیینه و تفصیل معانیه بعهدتنا،فلا تقلق علی شیء،فالذی أنزل الوحی هو الذی یحفظه،و أمّا ما یعهد إلیک هو اتباعک له و إبلاغک الرساله للناس،و عن بعضهم أنّ المراد من الجمع لیس الجمع فی لسان الوحی،بل جمعه فی صدر النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و قراءته علی لسانه أی لا تعجل إنّ علینا أن نجمعه فی صدرک و نثبت قراءته فی لسانک بحیث تقرأه متی شئت.

علی کل حال فإن هذه العبارات تؤید التفسیر الأوّل،و هو أن الوحی النازل بواسطه جبرئیل علیه السّلام عند ما کان یهبط علی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیقرأ علیه القرآن کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یکرر الآیات بسرعه لئلا ینساها.و هنا جاء الأمر من اللّه أن أهدأ و اطمئن فإنّه تعالی هو الذی یجمع الآیات و یبیّنها.و هذه الآیات تبیّن ضمنیا أصاله القرآن، و حفظه من أی تغیّر و انحراف،لأنّ اللّه تعالی عهد بجمعه و قراءته و تبیینه.

و ورد فی أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم کان بعد نزول هذه الآیات إذا أتاه جبرئیل علیه السّلام أطرق،فإذا ذهب قرأ کما وعده اللّه (۲) .

***

۱- ۱) -یجب الانتباه إلی أن«القرآن»فی هذه الآیه و الآیه التی تلیها هو مصدر و یراد به القراءه.

۲- ۲) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۳۹۷.

الآیات [سوره القیامه (۷۵): الآیات ۲۰ الی ۲۵]

اشاره

كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ اَلْعٰاجِلَهَ (۲۰) وَ تَذَرُونَ اَلْآخِرَهَ (۲۱) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَهٌ (۲۲) إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَهٌ (۲۳) وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَهٌ (۲۴) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَهٌ (۲۵)

التّفسیر

اشاره

الوجوه الضاحکه و الوجوه العابسه فی ساحه القیامه:

ترجع هذه الآیات مرّه أخری لتکمل البحوث المتعلقه بالمعاد.

و خصوصیات أخری من القیامه،و کذلک تبیّن علل إنکار المعاد فیقول تعالی كَلاّٰ بَلْ تُحِبُّونَ الْعٰاجِلَهَ (۱) فلیس الأمر کما یتصور من أن دلائل المعاد خفیّه و لا یمکنکم الاطلاع علیها،بل إنّکم عشقتکم الدنیا.و لهذا السبب ترکتم الآخره وَ تَذَرُونَ الْآخِرَهَ .

إنّ الشک فی قدره اللّه تعالی و جمع العظام و هی رمیم لیس هو الدافع لإنکار

۱- ۱) -قال البعض إن(کلاّ)إشاره الی نفی تدبرهم للقرآن المجید،و لیس هذا المعنی صحیحا لأن المخاطب هو نفس النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و لها جانب اعتراضی کما قلنا فی الآیات المتعلقه بالقرآن،و أمّا الآیات التی نحن بصدد البحث فیها فإنّها تتمیم للآیات السابقه حول القیامه.

المعاد،بل إنّ حبّكم الشديد للدنيا و الشهوات و الميول المغريه هى التى تدفعكم الى رفع الموانع عن طريق ملذاتكم،و بما أنّ المعاد و الشريعه الإلهيه توجد موانع و حدودا كثيره على هذا الطريق،لذا تتمسكون بإنكار أصل الموضوع،و تتركون الآخره بتمامها.

و كما ذكرنا سابقا أنّ إحدى العلل المهمّه للميول الى الماديه و إنكار المبدأ و المعاد هو كسب الحريه المطلقه للانجراف وراء الشهوات و اللذات و الذنوب، و لا ينحصر هذا فى العهود السابقه،بل يتجلّى هذا المعنى فى عالم اليوم بصوره أوضح.

و هاتان الآيتان تؤكّدان ما ورد فى الآيات السابقه و التى قال فيها تعالى شأنه: بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسٰانُ لِيَفْجُرَ أَمٰامَهُ و قال أيضا: يَسْئَلُ أَيّٰانَ يَوْمُ الْقِيٰامَهِ .

ثمّ ينتهى إلى تبيان أحوال المؤمنين الصالحين و الكفّار المسيئين فى ذلك اليوم،فيقول تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاضِرَهٌ .

«ناضره»:من ماده(نضره)و تعنى البهجه الخاصّه التى يحصل عليها الإنسان عند وفور النعمه و الرفاه،و وفورها يلازم السرور و الجمال و النورانيه، أى أنّ لون محياهم تحكى عن أحوالهم،كيف أنّهم أغرقوا فى النعم الإلهيه،و هذا شبيه لما جاء فى الآيه(۲۴)من سوره المطفّفين: تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَهَ النَّعِيمِ .

هذا من ناحيه العطايا الماديه،و أمّا عن العطايا الروحيه فيقول تعالى: إِلىٰ رَبِّهٰا نٰاظِرَهٌ نظره بعين القلب و عن طريق شهود الباطن،نظره تجذبهم إلى الذات الفريده و إلى ذلك الكمال و الجمال المطلقين،و تهبهم اللذه الروحانيه و الحال الذى لا يوصف،إذ أنّ لحظه منها أفضل من الدنيا و ما فيها.و الجدير بالذكر أن تقديم(إلى ربّها)على(ناظره)تفيد الحصر، أى ناظره إلى اللّه فقط لا إلى غيره.

و إذا قيل إنّ أهل الجنان ينظرون إلى غير اللّه تعالى أيضا،فإنّنا نقول:إذا نظروا

إلی غیره فـإنّهم سوف یرون آثـار اللّه فیها،و النظر إلی الأثر هو نظر إلی المؤثر، و بعباره أخری أنّهم یرونه فی کلّ مکان.و یرون تجلی قدرته و جلاله و جماله فی کل شیء،و لذا فإنّ نظرهم إلی نعم الجنان لا یجرهم إلی الغفله عن النظر إلی ذات اللّه.

و لهذا السبب ورد فی بعض الرّوایات فی تفسیر هذه الآیه:(إنهم ینظرون الی رحمه الله و نعمته و ثوابه) (۱) لأن النظر إلی ذلک هو بمثابه النظر إلی ذاته المقدّسه.

قال بعض الغافلین:إن هذه الآیه تشیر إلی شأنه فی یوم القیامه،و یقولون:إنّ اللّه سوف یری بالعین الظاهره فی یوم القیامه.و الحال إنّ مشاهدته بالعین الظاهره تستلزم جسمانیته.و الوجود فی المکان،و الکیفیه و الحاله الخاصّه وجود جسمانی،و نعلم أنّ ذاته المقدّسه منزّهه عن مثل هذا الإعتقاد الملوث،کما اعتمد القرآن هذا المعنی فی آیاته مرات عدیده،منها ما فی الآیه(۱۰۳)من سوره الأنعام: لاٰ تُدْرِکُهُ الْأَبْصٰارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصٰارَ و هذه الآیه مطلقه لا تختص فی الدنیا.

علی کل حال فإنّ عدم النظر الحسی إلی اللّه تعالی أمر واضح لا یحتاج البحث فیه أکثر من هذا،و یقرّ بذلک من له أدنی اطلاع علی القرآن و المفاهیم الاسلامیه.

و قال البعض فی معنی الناظره أقوالا ـ أخری مثلا ـ ناظره من ماده الانتظار، أی أنّ المؤمنین لا ینتظرون شیئا إلاّ من اللّه تعالی،و حتی أنّهم لا یعتمدون علی أعمالهم الصالحه و أنّهم ینتظرون رحمه اللّه و نعمته بشکل دائم.

و إذا قیل إنّ هذا الانتظار سیکون مصحوبا مع نوع من الانزعاج،و الحال أنّ المؤمن لا شیء یزعجه فی الجنان؟فیقال:إنّ ذلک الانتظار المصحوب

۱- ۱) -تفسیر روح الثقلین،ج ۵،ص ۴۳۶۴ و ۴۶۵.

بالانزعاج هو ما لا يطمأن عقباه،أما إذا ما وجد الاطمئنان.فسيكون مثل هذا الانتظار مصحوبا بالهدوء (۱) .

و الجمع بين معنى(النظر)و(الانتظار)غير بعيد،لجواز استعمال اللفظ الواحد فى المعانى المتعدده.و إذا كان المراد هو أحد المعنيين،فإن الأرجح هو المعنى الأوّل.

و ننهى هذا الكلام

بحديث مسند إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله إذ قال: «إذا دخل أهل الجنّه الجنّه يقول اللّه تعالى تريدون شيئا أزيدكم؟فيقولون:ألم تبيض وجوهنا؟ألم تدخلنا الجنّه و تنجينا من النّار»؟ قال:«فيكشف اللّه تعالى الحجاب فما أعطوا شيئا أحبّ إليهم من النظر الى ربّهم»! (۲) و الظريف هو ما

ورد فى حديث عن أنس بن مالك،عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال:

«ينظرون إلى ربّهم بلا كيفيه و لا حد محدود و لا صفه معلومه» (۳) ، و هذا الحديث تأكيد على المشاهده الباطنيه لا العينيه.

و فى النقطه المقابله لهذه الجماعه المؤمنه،هناك جماعه تكون وجوههم مقطبه. وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بٰاسِرَةٌ .

«باسره»:من ماده(بسر)على وزن(نصر)،و هو الشيء غير الناضج و العمل الذى لم يأت حينه،و لذا يقال لفاكهه النخل غير الناضجه(بسر)على وزن(عسر) و يطلق على عبوس الوجه.و هذا الوصف هو ردّ فعل الإنسان قبل وصول العذاب و الأذى إليه.

۱- ۱) -يعتقد البعض أنّ(النظر)الذى يعنى الانتظار لا يتعدى ب(إلى)بل يتعدى بدون حرف الجر،و لكن هنا شواهد من أشعار العرب تشير إلى أن(النظر)الذى يعنى الانتظار يتعدى كذلك ب(إلى)(راجع مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۳۹۸؛و تفسير القرطبى،ج ۱۰،ص ۶۹۰۰).

۲- ۲) -روح المعانى،ج ۲۹،ص ۱۴۵.

۳- ۳) -تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۲۰۴.

فعنـد مـا ينظر الكـافرون إلى علامات العـذاب و صـحائف أعمالهم الخاليه من الحسـنات و المملوءه بالسـيئات،يصـيبهم النـدم و الحسره و الحزن و يعبسون وجوههم لذلك.

تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهٰا فٰاقِرَةٌ

.

يرى الكثير من المفسّـرين بـأنّ(الظن)هنـا بمعنى العلم.أى أنّهم يوقنون بمثـل هـذا العـذاب،و الحـال أنّ بعضـهم يرى أنّ(ظن)هنا بمعناهـا المعروف أى الاحتمـال القوى،و من الطبيعى أنّهم يوقنون إجمالاـ بـأنّهم سوف يعـذبون،و لكن ليس بمثل هـذا العـذاب الشديد (۱) .

«فـاقره»:مـن مـاده(فقره)على وزن(ضـربه)و جمعهـا(فقـار)و تعنى حلقـات الظهر،و يقـال للحـادثه الثقيلـه الـتى تكسـر حلقـات الظهر«فاقره»،«و الفقير»قيل له ذلك لهذا الوجه،أى أنّه مكسور الظهر (۲) .

على كل حال فإنّ هـذا التعبير كنايه للعقوبات الثقيله و التى تنتظر هذه الجماعه فى جهنّم،إنّهم ينتظرون عذابا قاصـما،و الحال إنّ الجماعه السابقه منتظرون لرحمه اللّه تعالى و مستعدون للقاء المحبوب.هؤلاء لهم أسوأ العذاب.

و أولئك لهم أسمى النعم الجسمانيه و المواهب و اللذات الروحانيه.

***

۱- ۱) -من جمله الشواهـد التى جاءوا بها لهذا الموضوع هو أنّ الظن إذا كان بمعنى العلم فيجب أن يكون(أن)بعد(تظن)مخففه من الثقيله و الحال هو(أن)مصدر بقرينه إعمالها النصب.

۲ - ۲) -«فـاقره»:صـفه الموصوف محـذوف و تقـديره(داهيه فـاقره)و(تظن)فعـل و(وجوه)فـاعله،و فى التقـدير(أربـاب الوجوه)أو (ذوات الوجوه).

الآيات [سوره القيامه (٧۵): الآيات ٢۶ الی ٣٠]

اشاره

كَلاّٰ إِذٰا بَلَغَتِ اَلتَّرٰاقِيَ (٢۶) وَ قِيلَ مَنْ رٰاقٍ (٢٧) وَ ظَنَّ أَنَّهُ اَلْفِرٰاقُ (٢٨) وَ اِلْتَفَّتِ اَلسّٰاقُ بِالسّٰاقِ (٢٩) إِلىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ اَلْمَسٰاقُ (٣٠)

التّفسير

إتماما للأبحاث المرتبطه بالعالم الآخر و مصير المؤمنين و الكفّار يأتى الحديث فى هذه الآيات عن لحظه الموت المؤلمه و التى تعتبر بابا إلى العالم الآخر فيقول تعالى: كَلاّٰ إِذٰا بَلَغَتِ اَلتَّرٰاقِيَ (١) أى كلّا إنّه لا يؤمن حتى تصل روحه التراقى.

هو ذلك اليوم الذى تنفتح فيه عينه البرزخيه،و تزال عنها الحجب،و يرى فيها علامات العذاب و الجزاء،و يوقف على أعماله،ففى تلك اللحظه يقرّ بالإيمان و لكن إيمانه لا ينفعه و لا يفيد حاله أبدا.

«تراقى»:جمع«ترقوه»،و هى العظام المكتنفه للنحر عن يمين و شمال،

ص:٢٢۴

١- ١) -«إذا»:أداه شرطيه و جزاؤه محذوف،و التقدير(إذا بلغت التراقى انكشف له حقيقه الأمر،و وجد ما عمله)،و الفاعل فى (بلغت)هو(النفس)و هو محذوف و يعرف بقرينه الكلام.

و بلوغ الروح إلى التراقى كنـايه عن اللحظات الأخيره من عمر الإنسان،و ذلك عنـد ما تخرج الروح من البـدن،تتوقف الأعضاء البعيده عن القلب(كاليدين و الرجلين)قبل غيرها،كأن الروح تطوى نفسها فى البدن تدريجيا حتى تصل إلى الحلقوم.

و فى هذه الفتره يسـعى أهله و أصدقائه مسـتعجلين قلقين لانقاذه،يقول تعالى: وَ قِيلَ مَنْ رٰاقٍ أى هل هناك من منقذ يأتى لإنقاذ هذا المريض؟ و يقولون هذا الحديث عن وجه العجز و اليأس،و الحال أنّهم يعلمون أنّه قد فات الآوان و لا ينفع معه طبيب.

«راق»:من مـاده(رقى)على وزن(نهى)و(رقيه)على وزن(خفيفه)و هو الصـعود،و لفظه(رقيه)تطلق على الأوراد و الأوعيه التى تبعث على نجـاه المريض،و قيـل للطبيب الـذى ينجى المريض و يخلصه ممـا هو فيه«راقى»، فيكون مفهوم الآيه:ينادى أهل المريض،و أحيانا المريض نفسه من شـدّه الضـجر:ألا هل من داع يـدعو بـدعاء لينجى هـذا المريض؟ و قال البعض:إنّ المعنى قول الملائكه بعضـها لبعض:من يرقى بروحه من الملائكه،أ ملائكه الرحمه،أم ملائكه العـذاب؟ و أضـاف البعض إنّ ملائكه اللّه تكره قبض روح غير المؤمن،و لذا يقول ملك الموت:من يرقى بروحه،و المعنى الأوّل أوجه و أنسب.

و فى الآيه التاليه إشاره إلى اليأس الكامل للمحتضـر فيقول تعالى: وَ ظَنَّ أَنَّهُ الْفِرٰاقُ أى فى هـذه الحاله يصاب باليأس من الحياه و اليقين بـالفراق، ثمّ: وَ الْتَفَّتِ السّٰاقُ بِالسّٰاقِ و هـذا الالتفـاف إمّا لشـدّه الأذى لخروج الروح،أو لتوقف عمل اليـدين و الرجلين و تعطيل الروح منها.

و ذكرت تفاسير أخرى لهذه الآيه،منها ما نقرأ

فى حديث عن الإمام

الباقر علیه السّلام قال: (التفت الدنیا بالآخره) (۱) و مثله عن علی بن إبراهیم (۲) .

و نقل عن ابن عباس کذلک من المراد من الآیه:التفاف أمر الآخره بأمر الدنیا.

و قال البعض:هو التفاف شدائد الموت بشدائد القیامه.

و الظاهر رجوع جمیع هذه المعانی إلی ما أوردناه فی قول الباقر علیه السّلام،و اتخذ هذا التفسیر لکون أحد معانی«الساق»فی لغه العرب هو الحادثه الشدیده و المصیبه و الباء العظیم.

و قال آخرون هو التفاف الساق فی الکفن.و یمکن جمع هذه التفاسیر فی معنی الآیه إذ لا منافاه بینها.

ثمّ یقول تعالی فی آخر آیه من آیات البحث: إِلیٰ رَبِّکَ یَوْمَئِذٍ الْمَسٰاقُ .

أجل إلی اللّه تعالی المرجع حیث یحضر الخلائق عند محکمه العدل الإلهیه، و هکذا ینتهی المطاف إلیه،و هذه الآیه أیضا تأکید علی مسأله المعاد و البعث الشامل للعباد،و یمکن أن تکون إشاره إلی الحرکه التکاملیه للخلائق و هی متجهه نحو الذات المقدّسه و اللامتناهیه.

***

ملاحظه

اشاره

لحظه الموت المؤلمه:

کما نعلم أنّ القرآن کثیرا ما أکّد علی مسأله الموت خصوصا عن الاحتضار، و ینذر الجمیع أنّهم سیواجهون مثل هذه اللحظه،و قد عبّر عنها أحیانا(بسکره

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۶۵.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الموت) (۱) و أحيانا أخرى(بغمرات الموت) (۲) و كذلك ببلوغ الحلقوم (۳) و يعبر عنه أيضا ببلوغ الروح إلى التراقى،أى العظام المكتنفه للنحر كما فى الآيات مورد البحث،و يستفاد من مجموع ذلك أنّ تلك اللحظه على خلاف ما يقوله الماديون،لحظه صعبه و مؤلمه،و لم لا يكون كذلك و الحال أنّها لحظه انتقال من هذا العالم إلى عالم آخر،أى إنّ الإنسان كما ينتقل من عالم الجنين إلى عالم الدنيا مصحوبا بألم شديد،فكذلك الانتقال إلى العالم الآخر بهذا الشكل.

و المستفاد من الرّوايات أنّ هذه اللحظه سهله على المؤمنين،و صعبه و مؤلمه على فاقدى الإيمان،و ذلك لشوق المؤمنين للقاء اللّه و رحمته و نعمه السرمديه بحيث لا يشعرون بآلام لحظه الانتقال.و أمّا المجموعه الثانيه فإنّ الآلام تتضاعف عليهم لحظه الانتقال لخوفهم من العقوبات من جهه،و لمصيبه فراق الدنيا التى يحبونها من جهه أخرى.

نقل

فى حديث للإمام على بن الحسين عليه السّلام عند ما سئل عن الموت،فقال:

«للمؤمن كنزع ثياب وسخه قمله،و فك قيود و أغلال ثقيله،و الاستبدال بأفخر الثياب و أطيبها روائح،و أوطئ المراكب،و آنس المنازل،و للكافر كخلع ثياب فاخره،و النقل عن منازل أنيسه،و الاستبدال بأوسخ الثياب و أخشنها،و أوحش المنازل و أعظم العذاب» (۴) .

و

فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السّلام عند ما طلب شخص منه أن يوصف له الموت فقال الإمام عليه السّلام:«للمؤمن كأطيب ريح يشمه فينعس لطيبه و ينقطع التعب و الألم كلّه عنه،و للكافر كلسع الأفاعى و لدغ العقارب أو أشدّ»! (۵) .

۱- ۱) -وَ جٰاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ سوره ق آيه ۱۹.

۲- ۲) -الأنعام،الآيه ۹۳.

۳- ۳) -فَلَوْ لاٰ إِذٰا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ سوره الوقعه آيه ۸۳.

۴- ۴) -بحار الأنوار،ج ۶،ص ۱۵۵.

۵- ۵) -بحار الأنوار ج ۶ ص،۱۵۲.

على كل حال فإنّ الموت باب يؤدى إلى عالم البقاء،كما

فى حديث عن الإمام أمير المؤمنين إذ قال: «لكل دار باب و باب دار الآخره الموت» (۱) .

أجل،إنّ ذكر الموت له الأثر البالغ و العميق فى كسر الشهوات و إنهاء الآمال الطويله و البعيده و محو آثار الغفله عن مرآه القلب،لذا

ورد فى حديث عن الإمام الصادق عليه السّلام قال: «ذكر الموت يميت الشهوات فى النفس و يقلع منابت الغفله، و يقّوى القلب بمواعد اللّه و يرقّ الطبع،و يكسر أعلام الهوى،و يطفئ نار الحرص،و يحقّر الدنيا،و هو معنى ما قال النّبى:«فكر ساعه خير من عباده سنه» (۲) .

و بالطبع المراد من ذلك هو بيان أحد المصاديق الواضحه للتفكر و لا ينحصر موضوع التفكر بذلك.

و أوردنا فى ما مضى بحثا آخرا لهذا الموضوع فى ذيل الآيه(۱۹)من سوره(ق).

***

۱- ۱) -شرح النهج لابن أبى الحديد،ج ۲،ص ۳۴۵.

۲- ۲) -بحار الأنوار،ج ۶،ص ۱۳۳.

الآيات [سوره القيامه (٧۵): الآيات ٣١ الى ۴٠]

اشاره

فَلاٰ صَدَّقَ وَ لاٰ صَلّٰى (٣١) وَ لٰكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى (٣٣) أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ (٣۴) ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ (٣۵) أَ يَحْسَبُ اَلْإِنْسٰانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدىً (٣۶) أَ لَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنىٰ (٣٧) ثُمَّ كٰانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوّٰى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ اَلزَّوْجَيْنِ اَلذَّكَرَ وَ اَلْأُنْثىٰ (٣٩) أَ لَيْسَ ذٰلِكَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ أَنْ يُحْيِيَ اَلْمَوْتىٰ (۴٠)

التّفسير

اشاره

خلق الإنسان من نطفه قذره:

استمرارا للبحوث المتعلقه(بالموت)الذى يعتبر الخطوه الأولى فى السفر إلى الآخره يتحدث القرآن فى هذه الآيات عن خواء أيدى الكفّار من الزاد لهذا السفر.

فيقول أوّلا: فَلاٰ صَدَّقَ وَ لاٰ صَلّٰى (١) أى إنّ هذا الإنسان المفكر للمعاد لم

١- ١) -الضمير فى(صدق و صلى)يعود إلى الإنسان المنكر للمعاد،و هو ما يستفاد منه فى سياق الكلام،و قد أشير إلى ذلك فى صدر السوره.

يؤمن إطلاقا و لم يصدّق بآيات اللّه و لم يصلّ له.

و قال تعالى: وَ لٰكِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى .

المراد من جمله فَلاٰ صَدَّقَ عدم التصديق بالقيامه و الحساب و الجزاء و الآيات الإلهيه و التوحيد و نبوه النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و قال البعض:إنّها إشاره إلى ترك الكافرين للإنفاق و الصدقه بقرينه ذكرها مع الصلاه،و لكن الآيه الثانيه تشهد جيدا على أن النقطه المقابله لهذا التصديق هو التكذيب،و لذا يكون التفسير الأوّل هو الأصح.

و يضيف تعالى فى الآيه الأخرى: ثُمَّ ذَهَبَ إِلىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطّٰى .

إنّه يظنّ بعدم اهتمامه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تكذيبه إيّاه و للآيات الإلهيه قد حقق نصرا باهرا،إنّه كان ثملا من خمره الغرور،و اتجه إلى أهله لينقل لهم كالعاده ما كان قد حدث و ليفتخر بما صدر منه،و كان سيره و حركته تشيران إلى الكبر و الغرور.

«يتمطى»:من ماده(مطا)و أصله الظهر،و(تمطى)مدّ الظهر عن غرور و لا مبالاه.أو عن كسل،و المراد هنا هو المعنى الأوّل.

و قيل هو من ماده(مط)على وزن(خط)أى مدّ الإنسان رجله أو بقيه أعضاء البدن عند ما يريد إظهار اللامبالاه أو الكسل،و لكن اشتقاقه من(مطا) أنسب مع ظاهر اللفظ (1) .

على كل حال فإنّ ذلك يشابه ما ورد فى الآيه(٣١)من سوره المطففين:

وَ إِذَا انْقَلَبُوا إِلىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ .

ثمّ يخاطب القرآن أفرادا كهؤلاء و يهددهم فيقول تعالى:

أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ، ثُمَّ أَوْلىٰ لَكَ فَأَوْلىٰ

.

١ - ١) -لأنه إذا اعتبر من ماده(مطا)فإن ظاهر اللفظ لم يظهر عليه تغيير،و الحال إذا كان من ماده(مط)فيكون أصل جمله (يتمطى)هو(يتمطط)حيث بدلت الطاء الآخر بالياء.

هناک تفاسیر أخری متعدده ذکرت لهذه الآیه منها:

إنّها تهدید بمعنی لک العذاب ثم لک العذاب.

و قیل:ما أنت علیه من الحال أولی و أرجح لک فأولی.

و قیل:الذم أولی لک و أحسن ثم أحسن.

و قیل:الویل لک ثمّ الویل لک.

و قیل:یراد به بعدا لک من خیرات الدنیا و بعدا لک من خیرات الآخره.

و قیل:ولیک و صاحبک شرّ و عذاب ثمّ ولیک شرّ و عذاب.

و قیل:أولی لک ما تشاهده یوم بدر فأولی لک فی القبر ثمّ أولی لک یوم القیامه (۱) .

و لا یخفی أنّ غالبیه هذه المعانی تعود إلی معنی کلی و جامع،و تأخذ طابع التهدید بالعذاب،و الذمّ و الشرّ و العقاب أعم من عذاب الدنیا و البرزخ و القیامه.

و

ورد فی الرّوایات أنّ النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أخذ بید أبی جهل ثم قال له: أَوْلیٰ لَکَ فَأَوْلیٰ ثُمَّ أَوْلیٰ لَکَ فَأَوْلیٰ فقال أبو جهل:بأی شیء تهددنی لا تستطیع أنت و لا ربّک أن تفعلا بی شیئا،و إنّی لأعزّ أهل هذا الوادی،فأنزل اللّه سبحانه کما قال له رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم.

ثم ینتهی القرآن فی هذا البحث إلی استدلالین لطیفین حول المعاد و أحدهما عن طریق(الحکمه الإلهیه و هدف الخلقه)،و الآخر عن طریق بیان قدره اللّه فی تحول و تکامل نطفه الإنسان فی المراحل المختلفه لعالم الجنین،فیقول تعالی عن المرحله الألی: أَ یَحْسَبُ الْإِنْسٰانُ أَنْ یُتْرَکَ سُدیً .

«سدی»:علی وزن(هدی)و هو المهمل الذی لا هدف له،و جاء قول العرب

۱- ۱) -المطابق لبعض التفاسیر أن(أولی)هنا هو(أفعل تفضیل)و طبقا للتفاسیر الأخری فإن(أولی)فعل ماض من باب أفعال من ماده(ولی)فیکون المعنی(قاربک اللّه العذاب)و قیل(أولی)من(أسماء الأفعال)و تعنی(قارب)و الأولی هو الأوجه.

(إبل سدی)فی الإبل السائبه التی تترک بلا راع.

و المراد من(الإنسان)فی هذه الآیه هو المنکر للمعاد و البعث،فیکون معنی الآیه:کیف یخلق اللّه هذا العالم العظیم للإنسان و لا یکون له هدف ما؟کیف یمکن ذلک و الحال أنّ کل عضو من أعضاء الإنسان خلق لهدف خاص،فالعین للنظر، و الأذن للسمع،و القلب لإیصال الغذاء و الأوکسجین و الماء إلی جمیع الخلایا، حتی أنّ لخطوط أطراف أصابع الإنسان حکمه،و لکن یحسب أن لا هدف فی خلق کلّ ذلک،و هو مهمل لا تخطیط فیه و لیس له من أمر و نهی و مهام و مسئولیه، فلو صنع شخص ما صنعه صغیره لا فائده فیها فإنّ الناس سوف یشکلون علیه ذلک و یحذفون اسمه من زمره العقلاء.فکیف یمکن للّه الحکیم المطلق أن یخلق خلقا لا هدف له؟! و إذا قیل أنّ الهدف من هذه الحیاه هو قضاء أیّام الدنیا،هذا الأکل و النوم المکرر الممزوج بآلاف الأنواع من الآلام و العذاب،فإنّ هذا لا یمکن أن یکون مبررا لذلک الخلق الکبیر.و لذا فإنّنا نستنتج من أن الإنسان قد خلق لهدف أکبر، أی الحیاه الخالده فی جوار رحمه اللّه و التکامل المستمر و الدائم (1) .

ثم انتهی إلی تبیان الدلیل الثّانی،فیضیف تعالی: أَ لَمْ یَکُ نُطْفَهً مِنْ مَنِیٍّ یُمْنیٰ و بعد هذه المرحله و استقرار المنی فی الرحم یتحول الی قطعه متخثره من الدم، و هی العلقه،ثمّ أنّ اللّه تعالی یخلقها بشکل جدید و متناسب و موزون ثُمَّ کٰانَ عَلَقَهً فَخَلَقَ فَسَوّٰی .

و لم یتوقف علی ذلک: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثیٰ .

ألیس من یخلق النطفه الصغیره القذره فی ظلمه رحم الأم و یجعله خلقا جدیدا کلّ یوم،و یلبسه من الحیاه لباسا جدیدا و یهبه شکلا مستحدثا لیکون بعد

۱- ۱) -کان لنا بحث آخر فی هذا الإطار فی ذیل الآیه(۱۱۵)من سوره المؤمنین.

ذلک إنسانا کاملا ذکرا أو أنثی ثم یولد من امّه،بقادر علی إعادته: أَ لَیْسَ ذٰلِکَ بِقٰادِرٍ عَلیٰ أَنْ یُحْیِیَ الْمَوْتیٰ ؟! و هذا البیان فی الواقع هو لمن ینکر المعاد الجسمانی و یعده محالا،و ینفی العوده إلی الحیاه بعد الموت و الدفن،و لإثبات ذلک أخذ القرآن بید الإنسان لیرجعه إلی التفکر ببدایه خلقه،و المراحل العجیبه للجنین لیریه تطورات هذه المراحل،و لیعلم أنّ اللّه قادر علی کلّ شیء،و بعباره أخری إن أفضل دلیل لحدوث الشیء هو وقوعه.

***

ملاحظتان

اشاره

١-أطوار الجنین أو البعثات المکرره!

«النطفه»:أصلها الماء القلیل أو الماء الصافی،و قیل ذلک للقطرات المائیه المسببه لوجود الإنسان أو الحیوان عن طریق اللقاح.

و فی الحقیقه أنّ تحول النطفه فی المرحله الجنینیه من عجائب عالم الوجود و هو موضوع«علم الأجنه»و قد کشف عن کثیر من أسراره فی القرون الأخیره.

القرآن الکریم أکّد منذ ذلک الیوم الذی لم تکشف فیه هذه الأمور بعد-علی ذلک مرارا باعتباره أحد علائم القدره الإلهیه،و هذا هو بحدّ ذاته من علائم عظمه هذا الکتاب السماوی العظیم و إعجازه.

و مع أنّ هذه الآیات ذکرت بعض مراحل الجنین،فإنّ هناک آیات قرآنیه أخری بیّنت مراحل أکثر ممّا ذکر هنا،کصدر آیات سوره الحج و أوائل سوره المؤمنین،و ذکرنا شرحا مفصّلا فی ذیل هذه الآیات فی هذا المجال.

و الآیه تتضمّن کلمه(ذلک)و هو اسم إشاره للبعید،فیما یخص اللّه تعالی،

و هو کنایه لعظمه مقامه تعالی،و إشاره إلی أنّ ذاته المقدّسه لا یتمکن البشر من إدراکها و معرفتها.

و

جاء فی روایه لما نزلت هذه الآیه: أَ لَیْسَ ذٰلِکَ بِقٰادِرٍ عَلیٰ أَنْ یُحْیِیَ الْمَوْتیٰ أنّ رسول اللّه قال:«سبحانک اللّهم،و بلی».

و نقل هذا المعنی أیضا عن الإمامین أبی جعفر الباقر و أبی عبد اللّه الصادق علیهما السلام (۱) .

۲-نظام الأجناس البشریه

لا یزال العلم قاصرا فی معرفه العوامل الاصلیه التی تؤثر فی تبدیل جنس المذکر أو المؤنث رغم البحوث الکثیره التی أجریت فی هذا الصدد،صحیح أنّ بعض المواد الغذائیه أو الأدویه یمکن أن تؤثر فی هذه المسأله،و لکن من الیقین أن أیّا منها لا یکون معیّنا لها،و بعباره أخری أن هذا هو أمر علمه عند اللّه تعالی.

و یری من جهه أخری التعادل النسبی المستمر بین هذین الجنسین فی کلّ المجتمعات،و إن کان عدد النساء أکثر فی أغلب المجتمعات،و ازدیاد عدد الرجال فی مجتمعات أخری،و لکن الحصیله تشیر إلی وجود التعادل النسبی بین الجنسین،فلو فرضنا أن اختل یوما هذا التعادل،و تضاعف عدد النساء مثلا-إلی عشره أضعاف،أو أن عدد الرجال تضاعف عشره أضعاف النساء.عندئذ کیف سیختل نظام المجتمع الإنسانی؟و ماذا سیتخلف فیه من المفاسد العجیبه بحیث تقابل المرأه عشره رجال،أو یقابل الرجل عشر نساء،و ما یقام من غوغاء!؟ الآیه السالفه تقول: فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَیْنِ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثیٰ و هی إشاره لطیفه لموضوعین:فمن جهه تشیر الی تنوع البشر،و تقسیمهم إلی هذین الجنسین فی

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۰۲.

مرحله الجنين،و من جهه أخرى تشير إلى هذا التعادل النسبى (۱) .

اللّهم!نحن نشهد أنّک قادر على احياء جميع الموتى فى لحظه واحده،و لا شىء يقف أمام قدرتک اللامتناهيه...

ربّنا!إنّنا فى ذلک اليوم الذى تصل فيه أرواحنا إلى التراقى ليس لنا أمل أو رجاء سوى رحمتک و لطفک...

إلهنا!ارزقنا معرفه الهدف من خلقک...

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره القيامه ***

ص: ۲۳۵

۱- ۱) -إنّ المشهور هو زياده عدد النساء على الرجال فى كلّ المجتمعات،و هذا هو أحد الدلائل على تعدد الزوجات،و هو أمرّ مقبول،و هذا ممّا لا ينافى التعادل النسبى،فمثلا يكون عدد مجتمع ما ۵۰ مليون نسمه،فمن الممكن أن يكون عدد النساء ۲۶ مليونا،و الرجال ۲۴ مليونا،أى أن التفاوت بينهما بحدود العشر أو أقل من ذلک،أمّا أن يكون عدد النساء أضعاف عدد الرجال فهذا ما لم يلاحظ فى أى مجتمع.

سوره الإنسان

اشاره

(الدهر) مدنیّه و عدد آیاتها واحد و ثلاثون آیه

ص: ۲۳۷

محتوى السوره:

هذه السوره رغم قصرها،فانّ لها محتويات عميقه و متنوعه و جامعه، و يمكن بنظره واحده تقسيمها إلى خمسه أقسام:

القسم الأوّل:يتحدث عن إيجاد الإنسان و خلقه من نطفه أمشاج(مختلطه)، و كذلك عن هدايته و حريه إرادته.

القسم الثّاني:يدور الحديث فيه عن جزاء الأبرار و الصالحين،و سبب النزول الخاص بأهل البيت عليهم السّلام.

القسم الثّالث:تكرار الحديث عن دلائل استحقاق الصالحين لذلك الثواب فى عبارات قصيره و مؤثره.

القسم الرّابع:يشير إلى أهميه القرآن و سبيل إجراء أحكامه و منهج تربيه النفس الشاق.

القسم الخامس:جاء الحديث فيه عن حاكميه المشيئه الإلهيه(مع حاكميه الإنسان).

و لهذه السوره أسماء عديده،أشهرها(الإنسان)(الدهر)و(هل أتى)و هذه الكلمات وردت فى أوائل السوره،و إن كانت الرّوايات الوارده فى فضيلتها و التى سوف يأتى ذكرها،قد ذكرت اسم(هل أتى)لهذه السوره.

***

هل أنّ هذه السوره مدنيه؟

هناك أقوال فی أوساط المفسّرين حول مدنيه هذه السوره أو مكيّتها، فالمفسّرون و منهم علماء الشيعه أجمعوا على أنّ السوره بتمامها أو على الأقل ما جاء فی صدرها و التی تتحدث عن الأبرار و الأعمال الصالحه هی مدنيه، و سيأتی فيما بعد شرح القصه التی كانت سببا لنزول السوره،و القصه تحكی عمّا نذره أمير المؤمنين و الزهراء الحسنان عليهم السّلام و خادمتهم و فضه.

و المشهور بين علماء أهل السنه أنّها مدنيه كما قال القرطبی فی تفسيره:

(و قال الجمهور مدنيه) (۱) ،و نذكر هنا أسماء العلماء الذين قالوا بمدنيه السوره أو بعضها:

۱-الحاكم أبو القاسم الحسكانی:فقد نقل عن ابن عباس عددا من السور المكيه و المدنيه،و رتّبها كما نزلت،فكانت هذه السوره عنده فی قائمه السور المدنيه و التی نزلت بعد سوره الرحمن و قبل سوره الطلاق (۲) ،و أورد صاحب كتاب الإيضاح الأستاذ أحمد زاهر نفس المعنى و ذلك عن ابن عباس (۳) .

۲-نقل فی(تاريخ القرآن)لأبی عبد اللّه الزنجانی عن كتاب(نظم الدرر و تناسق الآيات و السور)عن كبار علماء أهل السنه أنّ سوره الإنسان اعتبرت من السور المدنيه (۴) .

۳-و نقل كذلك فی كتاب(فهرست ابن النديم)عن ابن عباس أن سوره هل أتى هی السوره المدنيه الحاديه عشره (۵) .

۴-نقل فی(الإتقان)للسيوطی عن البيهقی فی(دلائل النبوه)عن عكرمه أنّه

۱- ۱) -تفسير القرطبی،ج ۱۰،ص ۶۹۰۹.

۲- ۲) -تفسير مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۰۵.

۳- ۳) -المصدر السابق.

۴- ۴) -تاريخ القرآن،ص ۵۵.

۵- ۵) -المصدر السابق.

قال:إنّ سوره(هل أتى)مدنيّه (۱) .

۵-و نقل هذا المضمون أيضا بطرق مختلفه عن ابن عباس فى(الدرر المنثور) (۲) .

۶-نقل الزمخشرى فى(تفسير الكشاف)ما هو مشهور فى سبب نزول آيات صدر السوره و قال:هى فى نذر على و زوجته و ولديه عليهم السّلام (۳) .

۷-و نقل كذلك جمع كثير من كبار علماء أهل السنه فى أنّ سبب نزول الآيات الوارده فى صدر السوره إِنَّ الْأَبْرارَ... قد نزلت فى حق عليّ و فاطمه الزهراء و الحسن و الحسين عليهم السّلام و هى شهاده على مدنيّه السوره(لأن ولاده الحسن و الحسين عليهما السّلام كانت فى المدينه)كالواحدى فى(أسباب المنزل)و البغوى فى(معالم التنزيل)و سبط بن الجوزى فى(التذكره)و الگنجى الشافعى فى(كفايه الطالب)و جمع آخر (۴) .

و هذه المسأله مشهوره بكثره لغايه أن(محمد بن إدريس الشافعى)و هو أحد الأئمه الأربعه لأهل السنه يقول فى شعره:

إلام،إلام و حتى متى؟

أعاتب فى حبّ هذا الفتى!

و هل زوجت فاطم غيره؟

و فى غيره هل أتى؟! (۵)

و هناك أدلّه كثيره فى هذا الإطار و سنبيّن قسما منها عند توضيح سبب نزول الآيه: إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ... .

و مع ذلك كله فإنّ البعض يصرّ بعصبيه على أنّ السوره مكيه،و ينكرون ما قيل من الرّوايات التى وردت فى حق السوره و نزولها فى المدينه و إنكار نزولها

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۲۰،ص ۲۲۱.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -الكشاف،ج ۴،ص ۶۷۰.

۴- ۴) -إحقاق الحق،ج ۳،ص ۱۵۷-۱۷۰(مع ذكر أسماء و صفحات كتبهم).

۵- ۵) -المصدر السابق.

كذلك فى حق على و أهل بيته عليهم السّلام! و ذلك من العجب حقّا،فأينما تنتهى الآيه أو الروايه إلى فضائل على و أهل البيت عليهم السّلام يعلو الصراخ و العويل و تظهر الحساسيات الشديده و كأنّ الإسلام قد وقع فى خطر!رغم أنّهم يدّعون أنّ عليا عليه السّلام من الخلفاء الراشدين و من أئمه الإسلام العظام و أنّهم يتودّدون إلى أهل البيت عليه السّلام،و نرى من نتائج حكم الروح الأمويه على أفكار هذه الجماعه و وليده الإعلام المضلل لتلك المرحله المشؤومه.حفظنا اللّه من جميع الشبهات.

فضيله السوره:

فى حديث عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «من قرأ سوره(هل أتى)كان جزاؤه على اللّه جنّه و حريرا» (۱) .

و

ورد فى حديث عن الإمام الباقر عليه السّلام: «من قرأ سوره هل أتى فى كل غداه خميس زوجه اللّه من الحور العين مأه عذراء و أربعه آلاف ثيب و كان مع محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم» (۲) .

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۰۲.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره الإنسان (۷۶): الآيات ۱ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ هَلْ أَتىٰ عَلَى اَلْإِنْسٰانِ حِينٌ مِنَ اَلدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (۱) إِنّٰا خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشٰاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنٰاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (۲) إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ اَلسَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِراً وَ إِمّٰا كَفُوراً (۳) إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ سَلاٰسِلَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيراً (۴)

التّفسير

اشاره

الإنسان مخلوق من النطفه التافهه:

تتحدث الآيات الأولى عن خلق الإنسان،بالرغم من أنّ أكثر بحوث هذه السوره هی حول القيامه و نعم الجنان،فتحدثت فی البدء عن خلق الإنسان،لأنّ التوجه و الالتفات إلی هذا الخلق يهیء الأرضيه للتوجه إلی القيامه و البعث كما شرحنا ذلك سابقا فی تفسير سوره القيامه.

فيقول تعالى: هَلْ أَتىٰ عَلَى الْإِنْسٰانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً (۱) .

---

۱ – ۱) -«هل»:يراد بها(قد)أو أنّها بمعنى الاستفهام التقريری أو الإنكاری،و لكن الظاهر فيها الاستفهام التقريری،فيكون معنى الجمله:(أليس قد أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا).

نعم،کانت ذرات وجود هذا الإنسان متناثره فی کلّ صوب و بین الأتربه،بین أمواج قطرات ماء البحر.فی الهواء المتناثر فی جو الأرض،و هکذا اختفت المواد الأصلیه لوجوده فی کلّ زاویه من زوایا هذه المحیطات الثلاثه،و قد ضاع بینها و لا یمکن ذکره مطلقا.

و لکن هل أنّ المراد من الإنسان هنا هو نوع الإنسان،و یشمل بذلک عموم البشر،أم أنّ هذا الإنسان یختص بالنبی آدم علیه السّلام؟ الآیه الأخری التی تقول: إِنّٰا خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَهٍ قرینه واضحه علی المعنی الأوّل،و إن کان البعض یری أنّ الإنسان فی الآیه الاولی یراد به آدم علیه السّلام، و الإنسان فی الآیه الثّانیه یراد به أولاده،و لکن هذا الاختلاف فی هذه الفاصله القصیره مستبعد جداّ.

و هناک أقوال فی تفسیر لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً منها:إنّ الإنسان لم یکن شیئا مذکورا عند ما کان فی عالم النطفه و الجنین،و إنّما أصبح ممّن یذکر عند ما طوی مراحل التکامل فیما بعد؛

ففی حدیث ورد عن الإمام الباقر علیه السّلام «کان الإنسان مذکورا فی علم اللّه و لم یکن مذکورا فی عالم الخلق» (۱) .

و جاء فی بعض التفاسیر أنّ المراد بالإنسان هنا هم العلماء و المفکرون الذین لم یکونوا مذکورین قبل انتشار العلم،و عند وصولهم إلی العلم و انتشاره بین الناس أصبح ذکرهم مشهورا فی حیاتهم و بعد موتهم.

و قیل«إنّ عمر بن الخطاب»قد سمع أحدا یتلو هذه السوره فقال:«لیت آدم بقی علی ما کان فکان لا یلد و لا یبتلی أولاده» (۲) و هذا من عجائب القول، لاعتراضه علی مسأله الخلق.

ثمّ یأتی خلق الإنسان بعد هذه المرحله،و اعتبار ذکره،فیقول تعالی

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۰۶.

۲- ۲) -المصدر السابق.

إِنّٰا خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ مِنْ نُطْفَهٍ أَمْشٰاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنٰاهُ سَمِيعاً بَصِيراً

.

«أمشاج»:جمع مشج،على وزن(نسج)أو(سبب)،أو أنه جمع«مشيج» على وزن(مريض)بمعنى المختلط.

و لعل ذكر خلق الإنسان من النطفه المختلطه إشاره إلى اختلاط ماء الذكور و الإناث،و قد أشير إلى ذلك فى روايات المعصومين عليهم السّلام بصوره إجماليه،أو أنّها إشاره إلى القابليات المختلفه الموجوده داخل النطفه من ناحيه العوامل الوراثيه عن طريق الجيّنات،أو أنّها إشاره إلى اختلاط المواد التركيبيه المختلفه للنطفه، لأنّها تتركب من عشرات المواد المختلفه،أو اختلاط جميع ذلك مع بعضها البعض،و المعنى الأخير أجمع و أوجه.

و يحتمل كون«الأمشاج»إشاره إلى تطورات النطفه فى المرحله الجنينيه (١) .

«نبتليه»:إشاره إلى وصول الإنسان إلى مقام التكليف و التعهد و تحمل المسؤوليه و الاختبار و الامتحان،و هذه هى إحدى المواهب الإلهيه العظيمه الذى أكرم بها الإنسان و جعله أهلا للتكليف و تحمل المسؤوليه،و بما أنّ الاختبار و التكليف لا يتمّ إلّا بعد الحصول على المعرفه و العلم فقد أشار فى آخر الآيه إلى وسائل المعرفه،و العين و الأذن التى أودعها سبحانه و تعالى فى الإنسان و سخرها له.

و قيل المراد بالابتلاء هنا التطورات و التحولات الحاصله فى الجنين من النطفه حتى ينشئه إنسانا كاملا،و لكن التمعن فى عباره«نبتليه»،و كذلك فى كلمه«الإنسان»نجد أنّ المعنى الأوّل هو الأوجه.

و ممّا يستفاد من هذه العباره أنّ منبع جميع إدراكات و علوم الإنسان هى

---

۱ - ۱) -يجب الالتفات إلى أن النطفه جاءت بصيغه المفرد،و جاءت صفتها بصوره الجمع،و هى«أمشاج»،باعتبار أنّ النطفه تركبت من أجزاء مختلفه،و أنّها فى حكم الجمع،و يعتقد البعض كالزمخشرى فى الكشاف أنّ«أمشاج»مفرد رغم أنّها من أوزان الجمع.

إدراكاته الحسيه،و بعباره أخرى إنّ الإدراكات الحسيه هى أمّ المعقولات،و هذه هى نظريه كثير من فلاسفه المسلمين و من بين فلاسفه اليونان يذهب أرسطو إلى هذه النظريه أيضا.

إنّ اختبار الإنسان بحاجه إلى عاملين آخرين،هما:«الهدايه»و«الاختبار» بالإضافه إلى المعرفه و وسائلها،فقد أشارت الآيه التاليه إلى ذلك: إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِراً وَ إِمّٰا كَفُوراً (١) .إنّ للهدايه هنا معنى واسعا،فهى تشمل «الهدايه التكوينيه»و«الهدايه الفطريه»و كذلك«الهدايه التشريعيه»و إن كان سياق الآيه يؤكّد على الهدايه التشريعيه.

توضيح:

إنّ اللّه قد خلق الإنسان لهدف الابتلاء و الاختبار و التكامل،فأوجد فيه المقدمات لكى يصل بها إلى هذا الهدف، و وهبه القوى اللازمه لذلك،و هذه هى (الهدايه التكوينيه)،ثمّ جعل فى أعماق فطرته عشقا لطى هذا الطريق،و أوضح له السبيل عن طريق الإلهام الفطرى،فسمى ذلك ب(الهدايه الفطريه)،و من جهه أخرى بعث القاده السماويين و الأنبياء العظام لإراءه الطريق بالتعليمات و القوانين النيّره السماويه،و ذلك هو«الهدايه التشريعيه»،و جميع شعب الهدايه الثلاث هذه لها صبغه عامّه،و تشمل جميع البشر.

و على المجموع فإنّ الآيه تشير إلى ثلاث مسائل مهمّه مصيريه فى حياه الإنسان:«مسأله التكليف»،و«مسأله الهدايه»،و مسأله«الإراده و الإختيار» و التى تعتبر متلازمه و مكمّله بعضها للبعض الآخر.

التعبير ب(شاكرا)و(كفورا)يعتبر أفضل تعبير ممكن فى هذه الآيه،لأنّه من قابل النعم الإلهيه الكبيره بالقبول و اتخذ طريق الهدايه مسلكا،فقد أدّى شكر

---

١ - ١) -«شاكرا»و كفورا»يعتقد الكثير أنّهما حال لضمير المفعول فى(هديناه)و يحتمل أن يكون خبرا ل(يكون)محذوف و تقديره(إمّا يكون شاكرا و إمّا يكون كفورا).

هذه النعمه،و أمّا من خالف فقد كفرها.

و بما أنّ الإنسان لا يتمكن من تحقيق الشكر الحقيقى،فقد عبّر عن الشكر باسم الفاعل،و الحال أنّ الكفران جاء بصيغه المبالغه فقال:(كفور)،لأنّ عدم اهتمامهم بهذه النعم الكبيره يعتبر كفرانا شديدا منهم باعتبار أنّ اللّه عزّ و جلّ وضع وسائل الهدايه تحت تصرفهم،و لذا فإنّ إهمال هذه الوسائل و المواهب و الغضّ عنها و اتخاذ السبيل المنافى لها يعتبر كفرانا شديدا.

و الجدير بالذكر أنّ كلمه(كفور)تستعمل لكفران النعمه،و كذلك للكفر الاعتقادى،و هو ما أورده الراغب فى مفرداته.

و أشارت الآيه الأخيره من آيات البحث إشاره قصيره و غنيه بالمعنى إلى الذين سلكوا طريق الكفر و الكفران فتقول: إِنّٰا أَعْتَدْنٰا لِلْكٰافِرِينَ سَلاٰسِلَ وَ أَغْلاٰلاً وَ سَعِيراً .

التعبير ب(اعتدنا)تأكيد على حتميه مجازاه هذه الثلّه،و بالرغم من أنّ تهيئه الشيء مسبقا هو عمل من له قدره محدوده و يحتمل أن يعجز بعد ذلك من إنجاز العمل،و لكن هذا المعنى لا يصدق على اللّه تعالى،لأنّه إذا أراد شيئا يقول له كن فيكون،و فى الوقت نفسه يبيّن للكافرين أنّ هذه العقوبات حتميه و وسائلها جاهزه.

«سلاسل»:جمع(سلسله)،و هى القيد الذى يقاد به المجرم،و«الأغلال» جمع غل،و هى الحلقه التى توضع حول العنق أو اليدين و بعد ذلك يقفل بالقيد (1) .

على كلّ حال فإنّ ذكر الأغلال و السلاسل و لهيب النيران المحرقه تبيان للعقوبات التى يعاقب بها المجرمون،و هو ما أشير إليه فى كثير من آيات القرآن و يشمل ذلك العذاب و الذل،إنّ إطلاقهم لعنان الشهوات يسبب فى تعاستهم فى

١- ١) -وضّحنا شرحا مفصلا حول معنى الأغلال فى ذيل الآيه(٨)من سوره يس.

الآخره، و إشعالهم للنيران فی الدنيا تتجسّد لهم فی الآخره لتلهب أطرافهم.

***

ملاحظه

اشاره

عالم الجنين الصاخب:

من الواضـح أنّ نطفه الإنسـان مركّبه من مـاء الرجل و المرأه،و يسـمی الأوّل (الحيمن)و الثّانی(البويضه)فالأصل وجود(النطفه)ثمّ تركيبهـا،و بعـد ذلـک تتمّ المراحـل المختلفه للجنين،و هـذا هـو من العجـائب العظيمه لعـالم الخلق،و تطور العلم(علم الأـجنّه)قد كشف الكثير من أسـراره و إن كانت هناک أسرار كثيره لم يتمّ كشفها لحدّ الآن،و نذكر هنا قسما من العجائب و التی تعدّ زاويه صغيره من عالم الجنين:

١-«الحيمـن»و هـو مـا يخرج مع مـاء الرجـل،و هـو كـائن حی متحرک صـغير لاـ يری بـالعين المجرّده،و له رأس و عنـق و ذنب متحرک،و ممّـا يثير العجب أنّ الرجل فی كلّ إنزال يضم ماؤه من الحيامن المليونين إلی ٥٠٠ مليون حيمن،و هو ما يعادل نفوس عـدّه دول،و لكن لا يـدخل من هـذا العدد الهائل إلی البيضه إلاّ واحد أو عدّه حيامن لإخصاب البيضه،و سـبب وجود هذا العدد من الحيـامن يكمن فی الخسـائر التی تلحق بهـا فی طريقهـا إلی البيضه و تلقيحهـا،و لو لم يتوفر مثل هـذا العـدد لكان أمر الحمل صعبا.

٢-إنّ حجم«الرحم»قبل الحمل يكون بحجم الجوزه الواحده،و عند انعقاد النطفه و نمو الجنين يتسع الرحم بشـكل ملحوظ ليشغل مكانا واسعا،و العجب أنّ جدار الرحم يكون مطأطئا إلی حد يكون قادرا علی استيعاب حجم الطفل و حركاته.

٣-إنّ الدم لا يجری فی الرحم بواسطه العروق و الشرايين،بل يجری بين

عضلات الرحم بصوره میزاب،لأنّ الرحم فی اتساع مستمر فإذا ما وجد العرق فإنّه لن یتحمل السحب و التمدد الکبیر.

۴-یعتقد بعض العلماء أنّ لبیوض المرأه شحنه موجبه،و إنّ للحیمن شحنه سالبه،و لذا یجذب أحدهما الآخر،و لکن عند تخصیب الحیمن للبیضه فإنّ شحنه النطفه المتشکله تکون سالبه.و تطرد بذلک بقیه الحیامن الموجوده،و قال آخرون:عند ما یدخل الحیمن فی البیضه تترشح ماده کیمیائیه خاصّه لتطرد بقیه الحیامن.

۵-إنّ الجنین یسبح فی کیس کبیر فیه ماء غلیظ یدعی ب«آمنی بوس»له خاصیه مقاومه ما یقع علی بطن المرأه من الضربات،و تحمل ما یقع من حرکات الأم الشدیده،بالإضافه إلی ذلک فإنّه یحفظ الجنین بمعدل حراری ثابت،و لا تؤثر فیه تغیرات الحراره الخارجیه بسرعه،و الجدیر بالذکر أنّ الکیس یجعل الجنین عدیم الوزن،و یمنع من حدوث الضغط علی أعضاء الجنین بعضها علی بعض ممّا یسبب ذلک ضررا علی الجنین! ۶-تتمّ تغذیه الجنین عن طریق المشیمه و حبل السرّه،أی أنّ دم الأم و المواد الغذائیه و الأوکسجین یدخل إلی المشیمه ثمّ یبدأ حبل السرّه بتصفیه هذه المواد لتدخل إلی قلب الجنین و تتوزع منه إلی بقیه أعضاء البدن،و الطریق أنّ البطین الأیسر و الأیمن لقلب الجنین مترابطان مع بعضهما الآخر،لأنّ التصفیه هنا لا تتمّ إلاّ عن طریق الرئه،و ذلک لأنّ الجنین لا یتنفّس و لکنّه عند تولده تنفصل الأوعیه بعضها عن البعض الآخر،و یبدأ جهاز التنفس عندئذ بالعمل.

***

الآیات [سوره الإنسان (۷۶): الآیات ۵ الی ۱۱]

اشاره

إِنَّ اَلْأَبْرارَ یَشْرَبُونَ مِنْ کَأْسٍ کانَ مِزاجُها کافُوراً (۵) عَیْناً یَشْرَبُ بِها عِبادُ اَللّهِ یُفَجِّرُونَها تَفْجِیراً (۶) یُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ یَخافُونَ یَوْماً کانَ شَرُّهُ مُسْتَطِیراً (۷) وَ یُطْعِمُونَ اَلطَّعامَ عَلی حُبِّهِ مِسْکِیناً وَ یَتِیماً وَ أَسِیراً (۸) إِنَّما نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اَللّهِ لا نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزاءً وَ لا شُکُوراً (۹) إِنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا یَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِیراً (۱۰) فَوَقاهُمُ اَللّهُ شَرَّ ذلِکَ اَلْیَوْمِ وَ لَقّاهُمْ نَضْرَهً وَ سُرُوراً (۱۱)

سبب النزول

اشاره

البرهان العظیم علی فضیله أهل بیت النّبی:

قال ابن عباس:إنّ الحسن و الحسین مرضا فعادهما الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فی ناس معه،فقالوا:یا أبا الحسن لو نذرت علی ولدیک،فنذر علی و فاطمه و فضه جاریه لهما إن برئا ممّا بهما أن یصوموا ثلاثه أیّام(طبقا لبعض الرّوایات أنّ الحسن و الحسین أیضا قالا نحن کذلک ننذر أن نصوم)فشفیا و ما کان معهم شیء،

ص:۲۵۰

فاستقرض على عليه السّلام ثلاث أصواع من شعير فطحنت فاطمه صاعا و اختبزته، فوضعوا الأرغفه بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل،و قال:السلام عليكم، أهل بيت محمّد،مسكين من مساكين المسلمين،أطعمونى أطعمكم اللّه من موائد الجنّه،فآثروه و باتوا لم يذوقوا إلاّ الماء و أصبحوا صياما.

فلما أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه(و باتوا مره أخرى لم يذوقوا إلاّ الماء و أصبحوا صياما) و وقف عليهم أسير فى الثّالثه عند الغروب،ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ على بيد الحسن و الحسين و أقبلوا إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدّه الجوع،

قال: «ما أشدّ ما يسوؤنى ما أرى بكم»فانطلق معهم،فرأى فاطمه فى محرابها قد التصق بطنها بظهرها، و غارت عيناها،فساءه ذلك،فنزل جبرئيل عليه السّلام و قال:خذها يا محمد هنّاك اللّه فى أهل بيتك فأقرأه السوره.

و قيل:إنّ الذى نزل من الآيات يبدأ من: إِنَّ الْأَبْرارَ حتى كانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً و مجموعها(١٨)آيه.

ما أوردنا هو نص الحديث الذى جاء فى كتاب«الغدير»بشىء من الاختصار كقدر مشترك و هذا الحديث من بين أحاديث كثيره نقلت فى هذا الباب،و ذكر فى الغدير أنّ الرّوايه المذكوره قد نقلت عن طريق(٣۴)عالما من علماء أهل السّنه المشهورين(مع ذكر اسم الكتاب و الصفحه).

و على هذا،فإنّ الرّوايه مشهوره،بل متواتره عند أهل السنه (١) .

و اتفق علماء الشيعه على أنّ السوره أو ثمان عشره آيه من السوره قد نزلت فى حق على و فاطمه عليهما السّلام،و أوردوا هذه الرّوايه فى كتبهم العديده و اعتبروها من

١- ١) -نقلت هذه الروايه فى كتاب الغدير،ج ٣،ص ١٠٧ إلى ١١١ و فى كتاب إحقاق الحق،ج ٣،ص ١۵٧ إلى ١٧١ عن ٣۶ نفر من علماء أهل السنّه مع ذكر المأخذ.

مفاخر الرّوايات الحاكيه عن فضائل أمير المؤمنين و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السّلام،و اشتهارها كان مدعاه لذكرها فى الأشعار حتى أنّها وردت فى شعر(الإمام الشافعى)و تثار عند المتعصبين هنا حساسيات شديده بمجرّد سماعهم روايه تذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام فيعمدون إلى اثاره العديد من الإشكالات بهذا الشأن،و منها:

١-ادعاؤهم مكّيه السوره،و الحال أنّ القصّه حدثت بعد ولاده الإمامين الحسن و الحسين عليهما السّلام،و ما كانت ولادتهما إلّا بالمدينه!و فى أيدينا دلائل واضحه كما بيّنا فى شرح صدر السوره،إذ أنّ السوره تشير إلى أنّها مدنّيه،و إن لم تكن بتمامها فإنّ(١٨)آيه منها مدنيّه.

٢-قولهم:إنّ لفظ الآيه عام،فكيف يمكن تخصيص ذلك بأفراد معيّنين، و لكن عموميه مفهوم الآيه لا ينافى نزولها فى أمر خاص،و هناك عموميه فى كثير من آيات القرآن،و الحال أنّ سبب نزولها الذى يكون مصداقا تامّا لها فى أمر خاص،و العجب لمن يتخذ من عموميه مفهوم آيه ما دليلا على نفى سبب النزول لها.

٣-نقل بعضهم أسبابا أخرى لنزول هذه السوره لا تتفق مع السبب الذى ذكرناه فى نزول الآيه،منها ما

نقله السيوطى فى الدرّ المنثور قال: إنّ رجلا أسود كان يسأل النّبى عن التسبيح و التهليل، فقال له عمر بن الخطاب:مه أكثرت على رسول اللّه،فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:«مه يا عمر»و أنزلت على رسول اللّه هل أتى (١) .

و

فى الدرّ المنثور عن ابن عمر قال: جاء رجل من الحبشه إلى رسول اللّه فقال له رسول اللّه:«سل و استفهم»،فقال:يا رسول اللّه فضّلتم علينا بالألوان و الصور و النبوه،أ فرأيت إن آمنت بما آمنت به و عملت بمثل ما عملت به إنّى

١- ١) -الدر المنثور،ج ۶،ص ٢٩٧.

لکائن معک فی الجنّه؟قال:«نعم،و الـذی نفسـی بیـده،إنّه لیری بیاض الأسود فی الجنّه من مسیره ألف عام»ثمّ بیّن ما یترتب من الثواب لمن یقول لا إله إلا اللّه و سبحان اللّه و بحمده.و نزلت علیه السوره(هل أتی) (۱) .

إنّ مـا ذکر فی هـذه الرّوایـات لاـ یتنـاسب مع مضـمون آیـات السوره،و المتوقع هو وضع هـذه الرّوایه من قبـل عمـال بنی امیّه و تزویرها لدحض ما تقدم و ما قیل فی سبب النزول فی حق علی علیه السّلام.

۴-الإحتجاج الآخر الذی یمکن ذکره هنا:کیف یمکن لإنسان أن یصوم ثلاثه أیّام و لا یفطر إلّا بالماء؟! إنّ هذا الإشکال مدعاه للعجب،لأنّنـا نری تطبیق ذلـک عنـد بعض النـاس،إذ أنّ بعض المعالجـات الطبیه تسـتدعی الإمساک لمـده(۴۰)یومـا،و لا یتناول خلال الأربعین یوما إلّا الماء،ممّا أدّی ذلک إلی شـفاء الکثیر من الأمراض بهذه الطریقه، حتی أنّ طبیبا من الأطباء غیر المسلمین یدّعی(الکسـی سوفورین)کتب کتابا فی باب الآثار المهمّه فی الشـفاء من جراء الإمساک مع ذکر أسـلوب دقیق لذلک (۲) حتی أنّ بعض زملائنا المشترکین معنا فی تألیف کتاب التفسیر الأمثل قضی إمساکا لمدّه(۲۲)یوما.

۵-البعض الآخر أراد الاسـتهانه بهذه الفضـیله فجاء من طریق آخر کالآلوسی إذ یقول:إن قلنا إنّ هذه السوره لم ترد فی حق علی و فـاطمه لم ینزل من قـدرهم و شـأنهم شـیء،لأـنّ اتصـافهم بالأبرار أمر واضـح للجمیع،ثمّ یبـدأ بتبیان بعض فضائلهم فیقول:ماذا یمکن أن یقوله الإنسـان فی حقّ هـذین العظیمین غیر أنّ علیـا علیه السّـلام أمیر المؤمنین و وصـی رسول اللّه،و أنّ فـاطمه بضـعه رسول اللّه،و أنّها

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -اسم الکتاب(الصوم طریقه حدیثه لشفاء الأمراض).

جزء من الوجود المحمدی،و أنّ الحسنین روحه و ریحانتاه و سیدا شباب أهل الجنّه،و لکن لا یعنی ذلک ترک الآخرین،و من یتبع غیر هذا فهو ضال.

و لکنّنا نقول إنّنا إذا ما تغاضینا عن هذه الفضیله،فإنّ عاقبه بقیه الأحادیث ستکون بنفس المنوال،و ربّما یحین یوم ینکر فیه البعض جمیع فضائل أمیر المؤمنین و سیّده النساء و الحسنین علیهم السّلام،و الملاحظ أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام قد احتج علی مخالفیه فی کثیر من المواطن بهذه الآیات لتبیان حقوقه و فضائله و أهل بیته (۱) .

ثمّ إنّ ذکر الأسیر الذی أطعموه،خیر دلیل علی نزول الآیات بالمدینه،إذ لم یکن للمسلمین أسیر بمکّه لعدم شروع الغزوات.

و الملاحظه الأخیره التی لا بدّ من ذکرها هنا هو قول بعض العلماء المفسّرین و منهم المفسّر المشهور الآلوسی،و هو من أهل السنّه قال:إنّ کثیرا من النعم الحسیه قد ذکرت فی السوره إلاّ الحور العین التی غالبا ما یذکرها القرآن فی نعم الجنان،و هذا إنّما هو لنزول السوره بحق فاطمه و بعلها و بنیها علیهم السّلام و إنّ اللّه لم یأت بذکر الحور العین إجلالا-و احتراما لسیده نساء العالمین! لقد طال الحدیث فی هذا الباب إلاّ أنّنا وجدنا أنفسنا مضطرین لمجابهه و إبطال إشکالات المتعصبین و ذرائع المعاندین.

***

التّفسیر

اشاره

جزاء الأبرار العظیم

أشارت الآیات السابقه الی العقوبات التی تنتظر الکافرین بعد تقسیمهم إلی

۱- ۱) -احتجاج الطبرسی و خصال الصدوق طبقا لما نقله الطباطبائی فی المیزان ج ۲۰ ص ۲۲۴.

جماعتين و هى«الشكور»و«الكفور»،و الآيات فى هذا المقطع تتحدث المكافآت التى أنعم اللّه بها على الأبرار و تذكّر بأمور ظريفه فى هذا الباب.فيقول تعالى: إِنَّ الْأَبْرارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كانَ مِزاجُها كافُوراً .«الأبرار»:جمع(بر)و أصله الاتّساع،و أطلق البر على الصحراء لا تساع مساحتها،و تطلق هذه المفرده على الصالحين الذين تكون نتائج أعمالهم واسعه فى المجتمع،و«البر»بكسر الباء هو الإحسان،و قال بعض:إنّ الفرق بين البر و الخير هو أنّ البر يراد به الإحسان مع التوجه و الإراده،و أمّا الخير فإنّ له معنى أعمّ.

«كافور»:له معان متعدده فى اللّغه،و أحد معانيها المعروفه الرائحه الطيبه كالنبته الطيبه الرائحه،و له معنى آخر مشهور هو الكافور الطبيعى ذو الرائحه القويه و يستعمل فى الموارد الطبيه كالتعقيم.

على كل حال فإنّ الآيه تشير إلى أنّ هذا الشراب الطهور معطّر جدّا فيلتذ به الإنسان من حيث الذوق و الشم.

و ذهب بعض المفسّرين الى أنّ«كافور»اسم لأحد عيون الجنّه.و لكن هذا التّفسير لا ينسجم مع عباره«كان مزاجها كافورا».و من جهه أخرى يلاحظ أنّ «الكافور»من ماده«كفر»أى بمعنى«التغطيه»،و يعتقد بعض أرباب اللغه كالراغب فى المفردات أنّ اختيار هذا الاسم هو أنّ فاكهه الشجره التى يؤخذ منها الكافور مغطاه بالقشور و الأغلفه.

و قيل:هو إشاره إلى شدّه بياضه و برودته حيث يضرب به المثل،و الوجه الأوّل أنسب الوجوه، لأنّه يعد مع المسك و العنبر فى مرتبه واحده،و هما من أفضل العطور.

ثمّ يشير إلى العين التى يملؤون منها كؤوسهم من الشراب الطهور فيقول:

ص: ۲۵۵

عَيْناً يَشْرَبُ بِهٰا عِبٰادُ اللّٰهِ يُفَجِّرُونَهٰا تَفْجِيراً

(۱)

(۲)

.

هذه العين من الشراب الطهور وضعها اللّه تعالى تحت تصرفهم،فهى تجرى أينما شاءوا،و الظريف هو ما

نقل عن الإمام الباقر عليه السّلام إذ قال فى وصفها: «هى عين فى دار النّبى تفجر إلى دور الأنبياء و المؤمنين».

نعم فكما تتفجر عيون العلم و الرحمه من بيت النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و تجرى الى قلوب عباد اللّه الصالحين،كذلك فى الآخره حيث التجسّم العظيم لهذا المعنى تتفجر عين الشراب الطهور الإلهى من بيت الوحى،و تنحدر فروعها،إلى بيوت المؤمنين! «يفجرون»:من ماده تفجير،و أخذت من أصل(الفجر)و يعنى الشق الواسع، سواء أ كان شق الأرض أو غير ذلك،و«الفجر»نور الصبح الذى يشق ستار الليل، و أطلق على من يشق ستار الحياء و الطهاره و يتعدى حدود اللّه(فاجر)و يراد به هنا شقّ الأرض.

و الملاحظ أنّ أوّل ما ذكر من نعم الجنان فى هذه السوره هو الشراب الطهور المعطّر الخاصّ.لكونه يزيل كلّ الهموم و الحسرات و القلق و الأردان عند تناوله بعد الفراغ من حساب المحشر،و هو أوّل ما يقدم لأهل الجنان ثمّ ينتهون إلى السرور المطلق بالاستفاده من سائر مواهب الجنان.

ثمّ تتناول الآيات الأخرى ذكر أعمال«الأبرار»«و عباد اللّه»مع ذكر خمسه صفات توضّح سبب استحقاقهم لكل هذه النعم الفريده:فيقول تعالى يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَ يَخٰافُونَ يَوْماً كٰانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً .

جمله(يوفون)و(يخافون)و الجمل التى تليها جاءت بصيغه الفعل المضارع

ص: ۲۵۶

۱- ۱) -وردت احتمالات عديده فى سبب نصب(عينا)و أوجه الأقوال هو أنّه منصوب لنزع الخافض و تقديره(من عين)و قيل بدل من(كافورا)أو منصوب بالاختصاص أو المدح،أو مفعول لفعل مقدر و التقدير(يشربون عينا)و لكن الأوّل أوجه كما تقدم.
۲- ۲) -«يشرب»:يتعدى بالباء و بدونها،و يمكن أن تكون الباء فى(بها)بمعنى(من).

و هـذا يشـير إلى اسـتمراريه و ديمومه منهجهم،كمـا قلنـا فى سـبب النزول فـإنّ المصـداق الأـتم و الأكمل لهـذه الآيات هو أمير المؤمنين و فاطمه الزهراء و الحسـنان عليهم السّـلام،لأنّهم وفوا بما نذروه من الصوم ثلاثه أيّام و لم يتناولوا فى إفطارهم إلاّ الماء فى حين أنّ قلوبهم مشحونه بالخوف من اللّه و القيامه.

«مستطيرا»:يراد به الاتسـاع و الانتشـار،و هو إشـاره إلى أنواع العـذاب و اتسـاعه فى ذلـك اليوم العظيم،على كلّ حال فإنّهم وفوا بالنـذور التى أوجبوهـا على أنفسـهم،و بالأـحرى كـانوا يحترمون الواجبـات الإلـهيه و يسـعون فى أدائها، و خوفهم من شـرّ ذلك اليوم،و آثار هذا الإيمان ظاهره فى أعمالهم بصوره كامله.

ثمّ يتناول الصفه الثّالثه لهم فيقول: وَ يُطْعِمُونَ الطَّعٰامَ عَلىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَ يَتِيماً وَ أَسِيراً .

لم يكن مجرّد اطعام،بل اطعام مقرون بالإيثار العظيم عند الحاجه الماسّه للغذاء،و من جهه أخرى فهو إطعام فى دائره واسعه حيث يشمل أصناف المحتاجين من المسكين و اليتيم و الأسير،و لهذا كانت رحمتهم عامّه و خدمتهم واسعه.

الضـمير فى(على حبه)يعود إلى(الطعام)أى أنّهم أعطوا الطعام مع احتياجهم له، و هـذا شبيه ما ورد فى الآيه من سوره آل عمران: لَنْ تَنٰالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّٰا تُحِبُّونَ .

و قيل:إنّ الضـمير المـذكور يعود إلى«اللّه»الوارد فى ما سبق من الآيات،أى أنّهم يطعمون الطعام لحبّهم الشديد للّه تعالى،و لكن مع الالتفات الى ما يأتى فى الآيه الآتيه يكون المعنى الأوّل أوجه.

و معنى«المسكين»و«اليتيم»و«الأسير»واضح،إلاّ أنّ هناك أقوالا متعدده فيما يراد بالأسير؟قال كثيرون:إنّ المراد الأسرى من الكفّار و المشركين الذين يؤتى بهم إلى منطقه الحكومه الاسلاميه فى المدينه،و قيل:المملوك الذى يكون

أسيرا بيد المالک،و قیل هم السجناء،و الأوّل أشهر.

یرد هنا سؤال:کیف جاء ذلک الأسیر إلی بیت الإمام علی علیه السّلام طبقا لما ورد فی سبب النزول و المفروض أن یکون سجینا؟ و یتضح لنا جواب هذا السؤال بالالتفات إلی أنّ التاریخ یؤکّد عدم وجود سجناء فی عهد النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حیث کان صلّی اللّه علیه و آله و سلّم یقسّمهم علی المسلمین،و یأمرهم بالحفاظ علیهم و الإحسان إلیهم،فکانوا یطعمونهم الطعام و عند نفاذ طعامهم کانوا یطلبون العون من بقیه المسلمین و یرافقونهم فی الذهاب الی طلب المعونه،أو أنّ الأسری یذهبون بمفردهم لأنّ المسلمین کانوا حینذاک فی ضائقه من العیش.

و بالطبع توسعت الحکومه الإسلامیه فیما بعد،و ازداد عدد الأسری و کذلک المجرمین،فاتخذت عندئذ السجون و صار الإنفاق علیهم من بیت المال.

علی کل حال فإنّ ما یستفاد من الآیه أنّ أفضل الأعمال إطعام المحرومین و المعوزین،و لا یقتصر علی اطعام الفقراء من المسلمین فحسب بل یشمل حتی الأسری المشرکین أیضا و قد أعتبر إطعامهم من الخصال الحمیده للأبرار.

و

قد ورد فی حدیث عن النبی صلّی اللّه علیه و آله قال: «استوصوا بالأسری خیرا و کان أحدهم یؤثر أسیره بطعامه» (1) .

و الخصله الرابعه للأبرار هی الإخلاص،فیقول: إِنَّمٰا نُطْعِمُکُمْ لِوَجْهِ اللّٰهِ لاٰ نُرِیدُ مِنْکُمْ جَزٰاءً وَ لاٰ شُکُوراً .

إنّ هذا المنهج لیس منحصرا بالإطعام،إذ أنّ جمیع أعمالهم خالصه لوجه اللّه تعالی،و لا یتوقعون من الناس شکرا و تقدیرا،و أساسا فإنّ قیمه العمل فی الإسلام بخلوص النیّه و إلاّ فإنّ العمل إذا کان بدوافع غیر الهیه،سواء کان ریاء أو لهوی النفس،أو توقع شکر من الناس أو لمکافات مادیه،فلیس لذلک ثمن

1- 1) -کامل ابن الأثیر،ج 2،ص 131.

معنوی و إلهی.

و قد أشار النّبی صلّی اللّه علیه و آله إلی ذلک إذ

قال: «لا عمل إلاّ بالنّیه و إنّما الأعمال بالنیات».

و المراد من(وجه اللّه)هو ذاته تعالی،و إلاّ فلیس للّه صوره جسمانیه،و هـذا هو ما اعتمـده و أكّده القرآن فی كثیر من آیاته،كما فی الآیه(۲۷۲)من سوره البقره: وَ مٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللّٰهِ و الآیه(۲۸)من سوره الكهف التی تصف جلساء النبی صلّی اللّه علیه و آله: وَ اصْبِرْ نَفْسَکَ مَعَ الَّذِینَ یَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدٰاهِ وَ الْعَشِیِّ یُرِیدُونَ وَجْهَهُ .

و یقول فی الوصف الأخیر للأبرار: إِنّٰا نَخٰافُ مِنْ رَبِّنٰا یَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِیراً (أی الشدید)من المحتمل أن یكون هذا الحدیث لسان حال الأبرار،أو قولهم بألسنتهم.

و جاء التعبیر عن یوم القیامه بالعبوس و الشدید للاستعاره،إذ أنّها تستعمل فی وصف الإنسان الذی یقبض وجهه و شكله لیؤكد علی هول ذلک الیوم،أی أنّ حوادث ذلک الیوم تكون شدیـده إلی درجه أنّ الإنسان لا یكون فیه عبوسا فحسب،بل حتی ذلک الیوم یكون عبوسا أیضا.

(قمطریرا):هناک أقوال للمفسّرین فی مادته،قیل هو من(القمطر)،و قیل:

مشتق من ماده(قطر)-علی وزن فرش-و المیم زائده،و قیل هو الشدید،و هو الأشهر (۱) .

و یطرح هنا سؤال،و هو:إذا كان عمل الأبرار خالصا للّه تعالی،فلم یقولون:

إنا نخاف عذاب یوم القیامه؟و هل یتناسب دافع الخوف من عذاب یوم القیامه مع الدافع الإلهی؟

ص :۲۵۹

۱- ۱) -مفردات الراغب،لسان العرب،المنجد،القرطبی،مجمع البیان.

و یتضح جواب هذا السؤال بالالتفات إلی أنّ الأبرار یسلکون السبیل علی کل حال إلی اللّه تعالی،و إذا کانوا یخافون من عذاب یوم القیامه فإنّما هو لأنه عذاب إلهی،و هذا هو ما ورد فی الفقه فی باب النیه فی العباده من أنّ قصد القربه فی العباده لا ینافی قصد الثواب و الخوف من العقاب أو حتی اکتساب المواهب المادیه الدنیویه من عند اللّه(کصلاه الاستسقاء)،لأنّ کل ذلک یرجع إلی اللّه تعالی،کالداعی علی الداعی،رغم أنّ أعلی مراحل الإخلاص فی العباده تمکن فی عدم التعلّق بنعم الجنان أو الخوف من الجحیم،بل یکون بعنوان(حبّ اللّه).

و التعبیر ب إِنّٰا نَخٰافُ مِنْ رَبِّنٰا یَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِیراً شاهد علی أنّ هذا الخوف من اللّه.

و الجدیر بالذکر أنّ الوصف الثانی و الخامس من الأوصاف الخمسه،یشیران إلی مسأله الخوف.غایه الأمر أنّ الکلام فی الآیه الأولی عن الخوف من یوم القیامه،و فی الثانیه الخوف من اللّه فی یوم القیامه،ففی مورد وصف یوم القیامه فی أنّ شرّه عظیم،و وصفه فی مورد آخر بأنّه عبوس و شدید،و فی الحقیقه فإنّ أحدهما یصف عظمته وسعته و الآخر شدّته و کیفیته.

و أشارت الآیه الأخیره فی هذا البحث إلی النتیجه الإجمالیه للأعمال الصالحه و النیّات الطاهره للأبرار فیقول: فَوَقٰاهُمُ اللّٰهُ شَرَّ ذٰلِکَ الْیَوْمِ وَ لَقّٰاهُمْ نَضْرَهً وَ سُرُوراً .

(نضره):بمعنی البهجه و حسن اللون و السرور الخاص الذی یظهر عند وفور النعمه و الرفاه علی الإنسان،أجل،إنّ لون وجودهم فی ذلک الیوم یخبر عن الهدوء و الارتیاح،و بما أنّهم کانوا یحسّون بالمسؤولیه و یخافون من ذلک الیوم الرهیب،فإنّ اللّه تعالی سوف یعوضهم بالسرور و بالبهجه.

و تعبیر«لقاهم»من التعابیر اللطیفه و التی تدلّ علی أنّ اللّه سوف یستقبل ضیوفه الکرام بلطف و سرور خاص و أنّه سوف یجعلهم فی سعه من رحمته.

***

إشباع الجياع من أفضل الحسنات:

ليست هـذه الآيات مورد البحث هى الآيات الوحيده التى عدّت إطعام الطعام من الأعمال الصالحه للأبرار و عباد اللّه،بل إنّ كثيرا من آيات القرآن اعتمـدت هذا المعنى و أكّدت عليه،و أشارت إلى أنّ لهذا العمل محبوبيه خاصّه عند اللّه،و إذا ألقينا نظره على عالم اليوم و الذى يموت فيه بسبب الجوع حسب الأخبار المنتشره ملايين الأشخاص فى كل عالم،و الحال أنّ بقيه المناطق تلقى بالغذاء الكثير فى القمامه تتّضح أهميه هذا الأمر الإسلامى من جهه،و ابتعاد عالم اليوم عن الموازين الأخلاقيه من جهه أخرى.

و نورد هنا من باب المثال عددا من الأحاديث الإسلاميه التى أكّدت على هذا الجانب:

قال النّبى صلّى اللّه عليه و آله: «من أطعم ثلاث نفر من المسلمين أطعمه اللّه من ثلاث جنان فى ملكوت السموات» (۱) .

و

فى حـديث للإمام الصادق عليه السّـلام قال: «من أطعم مؤمنا حتى يشـبعه لم يـدر أحد من خلق اللّه ما له من الأجر فى الآخره،لا ملك مقرب،و لا نبى مرسل إلاّ اللّه ربّ العالمين» (۲) .

و

فى حديث آخر عنه عليه السّـلام قال: «لئن أطعم مؤمنا محتاجا أحبّ إلىّ من أن أزوره،و لئن أزوره أحبّ إلىّ من أن أعتق عشـر رقاب» (۳) .

و الجـدير بالذكر أنّ الرّوايات لم تؤكّد على إطعام المحتاجين و الجياع فحسب،بل صـرّحت بعض الروايات أنّ إطعام المؤمنين و إن لم يكونوا محتاجين هو كعتق رقبه العبـد،و هـذا يـدلّ على أنّ الهدف لا يقتصـر على رفع الاحتياج،بل جلب المحبّه و تحكيم وشائج الموده بعكس ما هو السائد فى عالم اليوم المادى،

ص: ۲۶۱

۱- ۱) -أصول الكافى،ج ۲ باب(إطعام المؤمن)الحديث ۳.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحديث ۶.

۳- ۳) -المصدر السابق،الحديث ۱۸.

کـدخول صدیقین إلی المطعم و دفعهما حساب الطعام کلّ علی انفراد و کأنّ اسـتضافه الأفراد سـیما إذا کثروا مدعاه للعجب فی تلـک المجتمعـات!! و ورد فی بعض الرّوایـات أنّ إطعـام الجیـاع بصـوره عـامّه من أفضـل الأعمـال (و إن لم یکونـوا مسـلمین و مؤمنین)کما

جاء فی الحدیث عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله إذ قال:

«من أفضل الأعمال عنـد اللّه إبراد الکباد الحاره و إشـباع الکباد الجائعه و الذی نفس محمد بیده لا یؤمن بی عبد یبیت شـبعان و أخوه-أو قال جاره-المسلم الجائع» (۱) .

بالرغم من أنّ ذیل هـذا الحدیث الشـریف ذکر إشـباع الإنسان المسـلم.و لکنه صدره یشـمل کل عطشان و جائع،و لا یبعد اتساع مفهوم الحدیث ل یشمل حتی الحیوانات.

و هناک روایات عدیده فی هذا الباب (۲) ***

۱- ۱) -بحـار الأنوار،ج ۷۴،ص ۳۶۹ و الملاحـظ أن العلاّـمه المجلسـی أورد عنوانا فی هـذا الباب و ذکر فیه ۱۱۳ حدیث یتعلق بإطعام المؤمن و إشباعه و لبسه و أداء دینه.و لبعض منها عمومیه.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآیات [سوره الإنسان (٧۶): الآیات ١٢ الی ٢٢]

اشاره

وَ جَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّهً وَ حَرِيراً (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى اَلْأَرٰائِكِ لاٰ يَرَوْنَ فِيهٰا شَمْساً وَ لاٰ زَمْهَرِيراً (١٣) وَ دٰانِيَهً عَلَيْهِمْ ظِلاٰلُهٰا وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهٰا تَذْلِيلاً (١۴) وَ يُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَهٍ مِنْ فِضَّهٍ وَ أَكْوٰابٍ كٰانَتْ قَوٰارِيرَا (١۵) قَوٰارِيرَا مِنْ فِضَّهٍ قَدَّرُوهٰا تَقْدِيراً (١۶) وَ يُسْقَوْنَ فِيهٰا كَأْساً كٰانَ مِزٰاجُهٰا زَنْجَبِيلاً (١٧) عَيْناً فِيهٰا تُسَمّٰى سَلْسَبِيلاً (١٨) وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدٰانٌ مُخَلَّدُونَ إِذٰا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (١٩) وَ إِذٰا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَ مُلْكاً كَبِيراً (٢٠) عٰالِيَهُمْ ثِيٰابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُّوا أَسٰاوِرَ مِنْ فِضَّهٍ وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً (٢١) إِنَّ هٰذٰا كٰانَ لَكُمْ جَزٰاءً وَ كٰانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً (٢٢)

التّفسیر

اشاره

مکافئات الجنان العظیمه

بعد الإشاره الإجمالیه فی الآیات السابقه إلی نجاه الأبرار من العذاب الألیم

ص :٢۶٣

يوم القيامه،و وصولهم إلى لقاء المحبوب و الغرق بالسرور و البهجه،تتناول هـذه الآيات شـرح هذه المواهب الإلهيه فى الجنان،و عددها فى هذه على الأقل خمسه عشره نعمه،فتتحدث فى البدء عن المسكن و الملبس فتقول:

وَ جَزٰاهُمْ بِمٰا صَبَرُوا جَنَّةً وَ حَرِيراً

.

أجل،فى مقابل كل ذلك الإيثار و الاستقامه فى وفائهم بالنذر و صيامهم، و إنفاق طعام الإفطار على المسكين و اليتيم و الأسير جعلهم اللّه فى رياض خاصّه فى الجنان،و ألبسهم أفضل الألبسه،و ليس فقط فى هـذه الآيه،بل صرح بهـذه الحقيقه فى آيات أخرى من القرآن،و هو أنّ مكافآت القيامه إنّما تعطى للإنسان لصبره(صبر فى الطاعه،و صبر عن المعصيه،و صبر عند المشكلات و المصائب).

فتجد سلام الملائكه لأهل الجنان فى الآيه(٢۴)من سوره الرعد: سَلاٰمٌ عَلَيْكُمْ بِمٰا صَبَرْتُمْ .

و جاء فى الآيه(١١١)من سوره المؤمنون: إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمٰا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفٰائِزُونَ .

ثـمّ يضـيف سـبحانه فى الآـيه التـاليه: مُتَّكِئِينَ فِيهٰا عَلَى الْأَرٰائِكِ لاٰ يَرَوْنَ فِيهٰا شَمْساً وَ لاٰ زَمْهَرِيراً ذكر حاله(الاتكاء على الأرائك)إشاره إلى اطمئنانهم و ارتياحهم الكاملين،لأنّ الإنسان لا يجلس متكئا عاده إلاّ عند الراحه و الاطمئنان و الهدوء.

و يشير ذيل الآيه إلى الاعتدال الكامل فى الجنان،و لا يعنى هذا انعدام الشمس و القمر فى الجنان،بل بسبب ظلال أشجار الجنان لا تكون أشعه الشمس مؤذيه.

(زمهرير):من ماده(زمهر)و هو البرد الشديد،أو شدّه الغضب أو احمرار العين من أثر الغضب،و المراد هنا هو المعنى الأول،و ورد فى الحديث:أنّ فى

جهنّم نقطه تتلاشى فيها الأعضاء من شدّه البرد (۱) .

(أرائک):جمع«أريكه»،و تطلق فى الأصل على الأسره التى توضع فى غرفه العروس،و المراد هنا الأسرّه الجميله و الفاخره.

نقل المفسر المشهور الآلوسى فى روح المعانى فى حديث عن ابن عباس قال:قال النبى صلّى اللّه عليه و آله: «بينا أهل الجنّه فى الجنّه إذ رأوا ضوءا كضوء الشمس،و قد أشرقت الجنان به فيقول أهل الجنّه يا رضوان ما هذا؟و قد قال ربّنا لا يرون فيها شمسا و لا زمهريرا،فيقول لهم رضوان:ليس هذا بشمس،و لا قمر،و لكن على و فاطمه ضحكا،و أشرقت الجنان من ثغريهما»!

و تضيف الآيه الأخرى متمّمه لهذه النعم:

وَ دٰانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاٰلُهٰا وَ ذُلِّلَتْ قُطُوفُهٰا تَذْلِيلاً

(۲)

.

ليست هنا من مشكله لقطف الثمار،و لا شوكه لتدخل فى اليد،و لا تحتاج ذلک إلى مشقّه أو حركه! و نجد من الضرورى التذكير مرّه أخرى إنّ هناک تفاوتا كثيرا بين الأصول المتحكمه فى حياه الإنسان فى ذلک العالم و بين هذا العالم،و ما جاء حول النعم الأخرويه فى هذه الآيات و الآيات القرآنيه الأخرى ليس إلّا كونه إشاره بليغه إلى تلک المواهب العظيمه،و إلّا فإنّ بعض الرّوايات تصرح أنّ هناک من النعيم ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا تخطر ببال أحد.

و فى حديث لابن عباس بيّنه فى ذيل آيات هذه السوره قال:«كلما ذكره اللّه فى القرآن ممّا فى الجنّه و سمّاه ليس له مثل فى الدنيا و لكن سمّاه اللّه بالاسم الذى يعرف الزنجبيل ممّا كانت العرب تستطيبه فلذلک ذكره فى القرآن و وعدهم أنّهم

۱- ۱) -الدر المنثور ج ۶ ص ۳۰۰.

۲ - ۲) -«قطوف»:على وزن(ظروف)جمع(قطف)على وزن(حفظ)أو جمع(قطف)على وزن(حذف)و الأوّل وصف و الثّانى مصدر،و يعنى الفواكه المقطوفه أو قطف الفاكهه.

يسقون فى الجنّه الكأس الممزوجه بزنجبيل الجنّه» (۱) .

ثمّ توضح الآيه الأخرى كيفيه استضافه أصحاب الجنان،و أدوات الضيافه، و المستقبلين لهم،فيقول: وَ يُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَهٍ مِنْ فِضَّهٍ وَ أَكْوٰابٍ كٰانَتْ قَوٰارِيرَا، قَوٰارِيرَا مِنْ فِضَّهٍ قَدَّرُوهٰا تَقْدِيراً .

تحتوى هـذه الآـنيه على أنواع الأغـذيه و الأشـربه المتعـدده الأصـناف و اللذيـذه و البـاعثه على النشـاط،بالقـدر الـذى يشاءونه و يحبّونه،و الولدان المخلدون يطوفون عليهم ليعرضوا عليهم الآنيه و الأكواب المليئه بما وعدهم اللّه بها.

(آنيه):جمع(إناء)و هو الوعاء،و«أكواب»جمع«كوب»،و هو إناء للشراب الذى لا عروه له،و يعبر عنه أحيانا بالقدح.

«قوارير»:جمع(قاروره)،و هى الوعاء البلّورى و الزجاجى.و العجب فى قوله:أوعيه بلّوريه مصنوعه من الفضه!و الحال لا يوجد مثل هـذا فى عالم الـدنيا، و الأوعيه البلّوريه إنّما تصـنع من رمال خاصّه و ذلك بعـد اذابتها،و لكنّ اللّه الـذى جعل خاصـيّه فى الرمل تجعله يتحول إلى زجاج و بلّور لهو قادر أن يجعلها فى معدن آخر كالفضه.

على كـل حـال فإنّ المسـتفاد من الآيه إنّ هـذه الأوعيه و الكؤوس تكون جامعه بين صـفاء الزجاجه و شـفافيه البلوّر و بين بياض الفضه و جمالها،و يكون الشراب فيه متجليا،و الملاحظ أنّ هذا المعنى قد أشار إليه

الامام الصادق عليه السّلام أيضا إذ قال: «ينفذ البصر فى فضه الجنّه كما ينفذ فى الزجاج» (۲) .

و فى العصـر الحـديث تمّ اكتشـاف أنواع من الأشـعه(مثـل اشـعه ايكس)لهـا قـابليه النفوذ الى بـاطن المواد و الأجسـام المعتمّه و استجلاء محتوياتها.

و عن ابن عباس قال:«إن لكل نعمه من نعم الجنان شبه فى الدنيا إلاّ أكواب

ص :۲۶۶

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۱۱.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الفضه إذ لا شبيه لها» (۱) .

ثمّ يضيف تعالى: وَ يُسْقَوْنَ فِيهٰا كَأْساً كٰانَ مِزٰاجُهٰا زَنْجَبِيلاً .

صرح الكثير من المفسرين بأنّ عرب الجاهليه كانوا يتلذذون بالشراب الممزوج بالزنجبيل،لأنّه كان يعطى قوّه خاصه للشراب.

و يتحدث القرآن هنا عن الشراب الطهور الممزوج بالزنجبيل، و من البديهى أنّ الفرق بين هذا الشراب و ذلك الشراب كالفرق بين السماء و الأرض و بالأخرى بين الدنيا و الآخره.

و الجدير بالذكر أنّ العرب كانوا يستخدمون نوعين من الشراب:أحدهما يبعث على النشاط و الحركه،و الآخر مفتّر و مهدّئ و الأوّل يمزج مع الزنجبيل، أمّا الثّانى فمع الكافور،و بما أنّ حقائق عالم الآخره لا يمكن أن يعبر عنها فى إطار ألفاظ هذا العالم،فلا سبيل إلّا استخدام هذه الألفاظ للدلاله على معان أوسع و أعلى تحكى عن تلك الحقائق العظيمه.و لفظ«الزنجبيل»غالبا ما يطلق على الجذر المعطر للتوابل الخاصّه للأغذيه و الأشربه،و إن كانت الأقوال مختلفه فى معناه.

ثمّ يضيف تعالى: عَيْناً فِيهٰا تُسَمّٰى سَلْسَبِيلاً (۲) .

(سلسبيلا):هو الشراب الهنىء و اللذيذ جدّا الذى ينحدر بسهوله فى الحلق و يرى الكثير أنّه مأخوذ من ماده(سلاسه)المأخوذ من السيلان و لهذا يقال للكلام الجذّاب و الممتع«سليس».

و قيل أخذ من ماده(تسلسل)و هى الحركه المستمره التى يتداعى منها السيوله و الاتصال،و على هذا فإنّ المعنّيين متقاربين،و الباء زائده فى الصورتين.

و قيل:هو مركب من(سال)و(سبيل) و المعنى الكنائى للإثنين

ص: ۲۶۷

۱- ۱) -روح المعانى،ج ۲۹،ص ۱۵۹.

۲- ۲) -«عينا»:محله فى الأعراب-كما تقدم-أن يكون منصوبا بنزغ الخافض.

هو الصائغ و الهنیء.

و قیل:لا وجود لهذه الکلمه فی اللغه عند العرب،و أنّها من إبداعات القرآن المجید (۱) .

و الأول أشهر و أوجه.

ثمّ یتحدث عن المستقبلین فی هذا الحفل البهیج المقام بجوار اللّه فی النعیم الأعلی فیقول تعالی وَ یَطُوفُ عَلَیْهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذا رَأَیْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً .

إنّهم مخلدون فی الجنان،و طراوه أشبابهم و جمالهم و نشاطهم خالد أیضا، و کذا استقبالهم للأبرار،لأنّ عباره(مخلدون)و عباره(یطوف علیهم)من جهه أخری تبیان لهذه الحقیقه.

«لؤلؤا منثورا»:یراد به الإشاره إلی جمالهم و صفائهم و إشراق وجوههم و کذلک حضورهم فی کل مکان من المحفل الإلهی و الروحانی.

و بما أنّ من المحال وصف النعم و المواهب للعالم الآخر مهما بلغ الکلام من البیان و البلاغه،و لهذا یقول تعالی فی الآیه الأخری کلاما مطلقا: وَ إِذا رَأَیْتَ ثَمَّ رَأَیْتَ نَعِیماً وَ مُلْکاً کَبِیراً (۲) .

وردت فی(النعیم)و(الملک الکبیر)أقوال کثیره،منها ما

ورد فی حدیث للإمام الصادق علیه السّلام عند ما سئل عن معنی الآیه إذ قال:(أی لا یفنی و لا یزول) (۳) .

أو أنّ نعم الجنان لا توصف لکثرتها.

أو أنّ«الملک الکبیر»هو استئذان الملائکه للدخول علی أهل الجنان و یحیوهم بالسلام.

۱- ۱) -قیل إن«السلسبیل»هو ما لا ینصرف عاده للعملیه و العجمه و التنوین الموجود للاتساق مع الآیات السابقه لها.

۲- ۲) -قیل إنّ(ثمّ)هنا ظرف مکان و ل(رأیت)معنی فعل لازم و التقدیر(إذا رمیت ببصرک ثمّ رأیت نعیما و ملکا کبیرا)و یحتمل أن یکون(ثمّ)اسم إشاره للبعد و مفعولا لرأیت.

۳- ۳) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۱۱.

أو أنّ أهل الجنان يحصلون على ما يشاءون.

أو أنّ أقل أهل الجنان مرتبه يحصل على ملك من السعه أنّه يرى من الطريق ما يكون على بعد ألف سنه لو نظر إليه كان بينه و بين ملكه ألف سنه.

أو يراد به الملك الدائم و الأبدى المقترن مع تحقيق جميع الآمال...

«النعيم»:يراد بها في اللغه النعم الكثيره و(ملك كبير)يخبر عن عظمه و اتساع رياض أهل الجنّه،و لذا فإنّ لهما معنيين واسعين بحيث يشملان جميع ما قيل فيهما.

إلى هنا أشير إلى قسم من نعم الجنان من قبيل المساكن و الأسره و الظلال و الفواكه و الشراب و الأوانى و الجماعه المستقبله للضيوف،و حان الآن دور زينه أهل الجنان فيقول تعالى: عٰالِيَهُمْ ثِيٰابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ (۱) .

«سندس»:ثوب رقيق من الحرير،و«الإستبرق»ثوب غليظ من الحرير، و قيل أنّه مشتق من الكلمه الفارسيه«أستبر»أو«ستبر»،و قيل:أخذ من أصل عربى(برق)أى التلألؤ.

ثم أضاف تعالى: وَ حُلُّوا أَسٰاوِرَ مِنْ فِضَّهٍ .

و هى الفضه الشفّافه اللامعه كالبلّور و أجمل من الياقوت و الدّر و اللؤلؤ.

«أساور»:جمع«أسوره»على وزن(مغفره)و هى بدورها جمع(سوار)على وزن(غبار)أو«سوار»على وزن(حوار)و أخذ في الأصل من الكلمه الفارسيه، (دستوار)و عند انتقالها إلى العربيه تغيّرت و اختصرت و جاءت بصوره(سوار).

إنّ اختيار اللون الأخضر للباس أهل الجنّه هو لكونه يبعث على النشاط

۱- ۱) -«عاليهم»:هناك احتمالان لمحله من الاعراب،الأول كونه ظرفا و يراد به فوق،فيكون معنى الآيه(فوقهم ثياب سندس) و الآخر كونه لا يرجع للضمير«هم»المذكور في الآيات السابقه،بل يرجع إلى(الأبرار)فيكون المعنى(حال كونهم يعلوهم ثياب سندس خضر).

كأوراق الأشجار الجميله،و بالطبع إنّ للّون الأخضر أنواعا و أقساما،و لكل منها لطافه:

و ورد فى بعض آيات القرآن كالآيه(۳۰)من سوره الكهف أنّ أهل الجنان يزينون بأساور من ذهب: يُحَلَّوْنَ فِيهٰا مِنْ أَسٰاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ و هذا لا ينافى ما جاء فى الآيه التى نحن بصدد بحثها،إذ يمكن أن يكون من باب التنويع،فمرّه هذا،و مرّه ذاك.

و يأتى هنا سؤال:أليس سوار الذهب و الفضه من زينه النساء،فكيف ذكر زينه لرجال الجنّه؟ و الجواب واضح،فهناك الكثير من المجتمعات تكون زينه الذهب و الفضه للرجال و النساء(و إن حرمّ الإسلام لبس الذهب للرجال)و لكن بالطبع هناك اختلاف بين أساور الرجال و بين أساور النساء،و نقل عن لسان فرعون فى الآيه (۵۳)من سوره الزخرف: فَلَوْ لاٰ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ و يظهر من هذا أنّ لبس الرجال للذهب فى مصر كان من علائم العظمه.بالإضافه إلى ما أشرنا إليه فى السابق أنّه لا يكفى استعمال الألفاظ العاديه المتداوله فى هذه الدنيا لبيان نعم الجنان،و ليس هناك من حلّ إلاّ باستعمال هذه الألفاظ للإشاره إلى تلك النعم العظيمه التى لا توصف.

ثمّ يقول تعالى فى نهايه الآيه مشيرا إلى آخر نعمه و أهمّها من سلسله النعم:

وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً

.

صحيح أنّ من بين هذه النعم ورد الحديث عن الأشربه السائغه من الأكواب المترعه من عين السلسبيل، و لكنّ بينها و بين ما جاء فى هذه الآيه فرق كبير،لأنّ السقاه هناك هم«الولدان المخلدون»من جهه،و الساقى هنا هو«اللّه تعالى»،يا له من تعبير عجيب!خصوصا مع ذكر كلمه(رب)الرب الذى طالما تلطف على الإنسان برعايته المستمره له فكان مالكه و مربيه و الذى كان يأخذ بيده فى

مراحل التكامل حتی یوصله إلی المرحله الأخیره التی یریدها له،ثمّ تتجلّی ربوبیته إلی أعلی المراتب و الحدود فیسقی بیده عباده الأبرار بالشراب الطهور.

و من جهه أخری فإنّ«الطهور»هو الطاهر و المطهر،و علی هذا فإنّ هذا الشراب یطهر جسم الإنسان و روحه من کل الأدران و النجاسات و یهبه من الروحانیه و النورانیه و النشاط ما لا یوصف بوصف:حتی

ورد فی حدیث عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: «یطهرهم عن کلّ شیء سوی اللّه» (۱) .

إنّ هذا الماء الطهور أفضل من أیّه نعمه و أعلی من کلّ موهبه،إذ أنّه یمزق ستار الغفله،و یزیل الحجب،و یجعل الإنسان أهلا للحضور الدائم فی جوار القرب من اللّه تعالی،فإذا کان شراب الدنیا یزیل العقل و یبعد الإنسان عن اللّه،فإنّ الشراب الطهور یعطی من ید ساقی الجنّه،فیجرّد الإنسان عن ما سوی اللّه،لیغرق فی جماله و جلاله،و هذا أفضل ما ذکره اللّه تعالی من النعیم الخفی الموهوب فی الجنّه،

ففی حدیث روی عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله حول عین الشراب الطهور المستقره عند باب الجنّه قال: «فیسقون منها شربه فیطهر اللّه بها قلوبهم من الحسد!...و ذلک قول اللّه عزّ و جلّ وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً (۲) .

و الظریف فی عباره طهور أنّها لم ترد فی القرآن إلاّ فی موردین:أحدهما فی مورد المطر(الفرقان ۴۸)الذی یطهر کل شیء و یحیی البلاد المیته،و الآخر فی مورد الآیه التی نحن بصدد بحثها،و هو الشراب الخاص بأهل الجنّه.

و فی آخر آیه من آیات البحث یتحدث حدیثا أخیرا فی هذا الإطار فیقول:

إنّه یقال لهم من قبل ربّ العزّه بأنّ هذه النعم العظیمه ما هی إلاّ جزاء أعمالکم فی الدنیا إِنَّ هٰذٰا کٰانَ لَکُمْ جَزٰاءً وَ کٰانَ سَعْیُکُمْ مَشْکُوراً .لئلا یتصور أحد أنّ هذا الجزاء و هذه المواهب العظیمه تعطی من دون مقابل،إنّ کل ذلک جزاء السعی

ص:۲۷۱

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۱۱.

۲- ۲) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۴۸۵ ذیل الحدیث ۶۰.

و العمل،و ثمره الریاضات و جهاد النفس و بناء الذات و ترک المعاصی (۱) .

ثمّ إنّ نفس بیان هذا الموضوع فیه لذّه خاصّه،إذ أنّ اللّه تعالی أو«ملائکته» یخاطب الأبرار و یقدم لهم الشکر و التقدیر و یقول:إنّ هذا جزاء أعمالکم و إنّ سعیکم مشکور،بل قیل:إنّها نعمه ما فوقها نعمه و موهبه أعلی من کل المواهب و هی شکر اللّه للإنسان.

«کان»،فعل ماضی و یخبر عن الماضی،و لعلّه إشاره إلی أنّ هذه النعم کانت موفره لکم من قبل،لأنّ من یهتم کثیرا بضیفه یهیء وسائل الضیافه له من قبل.

***

۱- ۱) -إن لهذه الآیه تقدیر مثل(یقال لهم)أو(یقول اللّه لهم).

الآیات [سوره الإنسان (٧۶): الآیات ٢٣ الی ٢۶]

اشاره

إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنٰا عَلَیْکَ اَلْقُرْآنَ تَنْزِیلاً (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُکْمِ رَبِّکَ وَ لاٰ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ کَفُوراً (٢۴) وَ اُذْکُرِ اِسْمَ رَبِّکَ بُکْرَهً وَ أَصِیلاً
(٢۵) وَ مِنَ اَللَّیْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَیْلاً طَوِیلاً (٢۶)

التّفسیر

اشاره

خمسه مبادئ مهمّه فی تنفیذ حکم اللّه:

شرعت السوره منذ البدایه و حتی هذه الآیه فی تبیان خلق الإنسان ثمّ المعاد و البعث،و فی هذه الآیات مورد البحث یتوجه الخطاب إلی الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بإصدار أوامر مؤکّده لهدایه الناس و الصبر و الثبات فی هذا الطریق،و فی الواقع إنّ هذه الآیات تشیر إلی أنّ نیل کل تلک النعم و المواهب الأخرویه لا یتمّ إلاّ بالتمسک بالقرآن و إتباع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و اطاعه أوامره.

و یقول فی البدء: إِنّٰا نَحْنُ نَزَّلْنٰا عَلَیْکَ الْقُرْآنَ تَنْزِیلاً .

قال بعض العلماء إنّ مجیء(تنزیلا)بصوره مفعول مطلق هو إشاره إلی النزول التدریجی للقرآن،إذ لا یخفی الأثر التربوی لذلک،و قیل هو إشاره إلی عظمه مقام هذا الکتاب السماوی و تأکید نزوله من قبل اللّه تعالی،خصوصا ما

ورد من التأكيدات الأخرى فى الآيات الآتيه(التأكيد بأنّ،و نحن،و الجمله الاسميه)و هو جواب لمن يتهم النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالكهانه و السحر و الافتراء على اللّه تعالى.

ثمّ يأمر النّبى بأمور خمسه،أولها الدعوه إلى الصبر و الاستقامه فيقول:

فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

.

أى لا تخف من المشاكل و من موانع الطريق و كثره الأعداء و عنادهم و استقم فى سيرك على الصراط المستقيم.و الجدير بالانتباه أنّ الأمر بالصبر(مع ملاحظه (فاء التفريع)فى(فاصبر)متفرع على نزول القرآن من اللّه تعالى،أى إذا كان اللّه قد أيّدك و حماك فيجب عليك أن تصبر فى هذا الطريق،و التعبير ب(الرب)إشاره لطيفه أخرى إلى نفس هذا المعنى.

و الأمر الثّانى الموجّه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله هو تحذيره من أى توافق مع المنحرفين، فيقول تعالى: وَ لاٰ تُطِعْ مِنْهُمْ آثِماً أَوْ كَفُوراً .

فى الحقيقه أنّ هذا الحكم هو تأكيد ثان على الحكم الأوّل،لأنّ جموع الأعداء كانوا يسعون بطرق مختلفه للتوافق مع النّبى و جرّه إلى طريق الباطل،كما نقل أنّ«عتبه بن ربيعه»و«الوليد بن المغيره»قالا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله:إن تركت دعوتك،فإنّنا سنغنيك حتى ترضى،و نزوجك أجمل بنات العرب،و عروض أخرى من هذا القبيل،فما كان على الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم هنا باعتباره المرشد الحقيقى و العظيم إلاّ أن يقف أمام هذه الوساوس الشيطانيه و التهديدات التى صدرت منهم بعد ذلك،و لا يستسلم للترغيب أو الترهيب.

صحيح أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لم يكن قد استسلم،و لكن هذا التأكيد يشير الى أهميه الموضوع ليكون نموذجا خالدا لسائر مرشدى طريق اللّه عزّ و جلّ رغم أنّ بعض المفسّرين ذهبوا الى أنّ(آثما)هو عتبه بن ربيعه،و«كفور»هو الوليد بن المغيره أو أبو جهل،و هم من مشركى العرب،و لكنّ الواضح أنّ كل من(آثم)أى

(العاصی)و«کفور»أی(المبالغ فی الکفر)له معنی واسع إذ یشمل جمیع المجرمین و المشرکین و إن کان هؤلاء الثلاثه من مصادیقها الواضحه،و الملاحظ أنّ(آثما)له مفهوم عام یستوعب بذلک(الکفور)أیضا،لذا فإنّ ذکر(کفور)کذکر الخاص بعد العام للتأکید.

و لکن بما أنّ الصبر و الاستقامه فی مقابل هذه المشکلات العظیمه لیس بالأمر الیسیر، کان من الضروری لسلوک هذا الطریق التزّود بنوعین من الزاد،لذا یضیف القرآن فی الآیه الأخری: وَ اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَ أَصِيلاً أی فی کل صباح و مساء،.و یقول تعالی أیضا: وَ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَ سَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً .

لتتوفر لدیک فی ظل ذلک الذکر و هذا السجود و التسبیح قوّه کافیه و قدره معنویه لمواجهه مشاکل هذا الطریق.

(بکره)علی وزن(نکته)یعنی بدایه الیوم،و(أصیل)نقیض بکره،أی آخر الیوم.

و قیل إنّ إطلاق هذه اللفظه علی آخر الیوم مع أنّها مشتقه من ماده(أصل) هو کون آخر الیوم یشکل الأصل و الأساس للّیل.

و یستفاد من بعض التعابیر أنّ(أصیل)تطلق أحیانا علی الفتره ما بین الظهر و الغروب(مفردات الراغب الأصفهانی).

و یظهر من آخرین أنّ(أصل)یقال لأوائل اللیل،لأنّهم فسروا ذلک ب«العشی»و العشی هو بدایه اللیل کما یقال لصلاتی المغرب و العشاء بالعشائین، حتی أنّه یستفاد من بعض الکلمات أنّ«العشی»هو من زوال الظهر حتی صباح الغد (1) و لکنّ بالالتفات إلی أنّ کلمه(أصیل)وردت فی الآیه الشریفه فی مقابل «بکره»ثمّ تحدثت الآیه بعد ذلک عن العباده اللیلیه.یتّضح أنّ المراد هو الطرف الآخر للنهار.

۱- ۱) -مفردات الراغب.

على كل حال فإنّ هاتين الآيتين فى الحقيقه تأكيد لضروره التوجّه الدائم و المستمر لذات اللّه المقدسه.

و قال آخرون:إنّ المراد هو الصلوات الخمس،أو بإضافه صلاه الليل،أو خصوص صلاه الصبح و العصر و المغرب و العشاء و لكنّ الظاهر هو أنّ هذه الصلوات مصاديق من هذا الذكر الإلهى المستمر و التسبيح و السجده لمقامه المقدس.

التعبير ب(ليلا طويلا)إشاره إلى ضروره التسبيح لفتره طويله من الليل،

ففى حديث عن الإمام على بن موسى الرضا عليه السّلام لمّا سئل عن المقصود من التسبيح فى هذه الآيه؟قال عليه السّلام:«هو صلاه الليل» (۱) .

و لا يستبعد أن يكون هذا التفسير من باب تبيان المصداق الواضح لما تترك صلاه الليل من الأثر البالغ فى تقويه روح الإيمان،و تهذيب النفوس.و الحفاظ على حيويه إراده الإنسان فى طريق طاعه اللّه.

و يجب هنا الالتفات إلى أن الأوامر الخمسه المذكوره فى الآيات أعلاه و إن ذكرت بصوره منهج للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فهى فى الحقيقه دستورا يحتذى به كلّ من يخطو فى مسير قياده المجتمع البشرى،إنّهم يجب أن يعلموا بعد الإيمان الكامل بأهدافهم و رسالتهم بضروره احتراف الصبر و الاستقامه.

و أن لا يستوحشوا من كثره مشاكل الطريق،لأنّ هدايه المجتمع من المشاكل العظيمه،و هى كذلك دائما، و لم تثمر الرساله إن لم يمتلك قادتها الصبر و الاستقامه.

و فى المرحله الأخرى يجب الثبات التام أمام الوساوس الشيطانيه و التى تعتبر مصداقا للآثم و الكفور،و الثبات أمام سعيهم فى حرف القاده و الأئمه بأنواع

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۱۳.

الحيل و المكائد،و أن لا ينخدعوا بالتطميع و لا يتأثروا بالتهديد،و يذكروا اللّه تعالى فى كل المراحل لاكتساب القدره الروحيه و قوه الإراده و العزم الراسخ، و الاستمداد من العبادات الليليه،و المناجاه مع اللّه،فإذا ما روعيت هذه الأمور فالنصر حتمى،و حتى لو عرضت مصيبه أو هزيمه فإنّه يمكن إصلاحها من خلال هذه الأصول،و منهج الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و سلوكه فى دعوته نموذج مؤثر لجميع السالكين فى هذا الطريق.

***

ص: ٢٧٧

الآيات [سوره الإنسان (٧۶): الآيات ٢٧ الى ٣١]

اشاره

إِنَّ هٰؤُلاٰءِ يُحِبُّونَ اَلْعٰاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً (٢٧) نَحْنُ خَلَقْنٰاهُمْ وَ شَدَدْنٰا أَسْرَهُمْ وَ إِذٰا شِئْنٰا بَدَّلْنٰا أَمْثٰالَهُمْ تَبْدِيلاً (٢٨) إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شٰاءَ اِتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (٢٩) وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اَللّٰهُ إِنَّ اَللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشٰاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَ اَلظّٰالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِيماً (٣١)

التّفسير

اشاره

تحذير مع بيان السبيل!!

رأينا فى الآيات السابقه تحذيرا للنبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم لكى لا يقع تحت تأثير كل آثم أو كفور من المجرمين،و التاريخ يشهد أنّهم كانوا يستعينون لسذاجتهم بالمال و الجاه و النساء للنفوذ فى إراده النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و عزمه على ادامه الدعوه.

الآيات أعلاه عرّفت الأعداء بشكل أكثر و قالت: إِنَّ هٰؤُلاٰءِ يُحِبُّونَ الْعٰاجِلَةَ وَ يَذَرُونَ وَرٰاءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً .لا تتعدى أفق أفكارهم دائره الطعام و النوم و الشهوه،و تمثل هذه اللذائذ المادّيه الرخيصه أسمى غايه لهم فى الحياه.

و العجیب أنّهم قاسوا روح النّبی صلّی اللّه علیه و آله العظیمه بهذا المقیاس!و لم ینتبه هؤلاء الغافلین إلی الیوم الثقیل الذی ینتظرهم،ثقیل من حیث العقوبات،ثقیل من حیث المحاسبه،و ثقیل من حیث طول الزمان و شدّه الفضیحه.

و قد جاء التعبیر ب(وراءهم)مع أنّ المفروض أن یقال(أمامهم)لأنّهم نسوا ذلک الیوم، و کأنّهم ترکوه وراءهم،و لکن علی قول بعض المفسّرین أنّ کلمه (وراء)تستعمل أحیانا بمعنی«خلف»و أحیانا بمعنی«أمام» (1) .

الآیه التالیه تحذرهم من الاغترار بقوتهم و قدرتهم،إذ أنّ اللّه الذی أعطاهم إیّاها قادر علی أن یستردها بسرعه متی شاء،فیقول تعالی: نَحْنُ خَلَقْناهُمْ وَ شَدَدْنا أَسْرَهُمْ وَ إِذا شِئْنا بَدَّلْنا أَمْثالَهُمْ تَبْدِیلاً (2) .

(أسر)علی وزن(عصر)و أصله الربط بالقید،و لهذا سمی الأسیر بهذا الاسم لربطه و شدّه،و هنا إشاره إلی استحکام خلقه الإنسان بحیث یقدر علی مزاوله مختلف النشاطات و الفعالیات المهمّه.

هنا یشیر القرآن إلی نقطه حساسه،و هی الأعصاب الصغیره و الکبیره التی تشدّ العضلات فیما بینها کالحبال الحدیدیه و تربط بعضها بالبعض الآخر،و حتی المفاصل و العضلات المختلفه و قطع العظام الصغیره و الکبیره و أعضاء الإنسان بحیث یتکون من مجموع ذلک إنسان واحد مهیأ للقیام بأیه فعالیه،و علی کل حال فهذه الجمله کنایه عن القدره و القوّه.

و توضّح هذه الآیه ضمنا استغناء ذات اللّه المقدّسه،عنهم،و عن طاعتهم و إیمانهم،لیعلموا أنّ الإصرار علی إیمانهم فی الحقیقه هو من رحمه اللّه بهم.

1- 1) -جاء فی تفسیر(روح البیان)أن کلمه(وراء)إذا أضیفت إلی الفاعل فإنّها تعنی الخلف،و إذا أضیفت إلی المفعول فإنّها بمعنی«الأمام»روح البیان،ج 8،ص 439.

2- 2) -فی هذه الآیه حذف،و فی التقدیر(بدلناهم أمثالهم)کلمه(تبدیل)غالبا ما تأخذ مفعولین و هنا الضمیر(هم)مفعول أوّل و(أمثالهم)مفعول ثان.

و قد ورد نظير هذا المعنى فى الآيه(۱۳۳)من سوره الأنعام إذ يقول: وَ رَبُّکَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَهِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مٰا يَشٰاءُ .

ثمّ أشار تعالى إلى جميع البحوث الوارده فى هذه السوره و التى تشكل بمجموعها برنامجا متكاملا للحياه السعيده،فيقول تعالى: إِنَّ هٰذِهِ تَذْكِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً (۱) .

إن علينا إيضاح الطريق،لا اجباركم على اختيار الطريق،و عليكم تمييز الحق من الباطل بما لديكم من العقل و الإدراك،و اتخاذ القرار بإرادتكم و اختياركم،و هذا فى الحقيقه تأكيدا على ما جاء فى صدر السوره فى قوله: إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبِيلَ إِمّٰا شٰاكِراً وَ إِمّٰا كَفُوراً .

و قد يتوهّم بعض السذّج من العباره أعلاه أنّها تعنى التفويض المطلق للعباد، فجاءت الآيه التاليه لتنفى هذا التصور و تضيف: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ إِنَّ اللّٰهَ كٰانَ عَلِيماً حَكِيماً (۲) .

و هذا فى الحقيقه إثبات لأصل مشهور هو(الأمر بين الأمرين)،إذ يقول من جهه: إِنّٰا هَدَيْنٰاهُ السَّبِيلَ فعليكم أن تختاروا ما تريدون،و يضيف من جهه أخرى: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّٰ أَنْ يَشٰاءَ اللّٰهُ أى ليس لكم لاستقلال الكامل،بل إن قدرتكم و استطاعتكم و حريتكم لا تخرج عن دائره المشيئه الإلهيه،و هو قادر على أن يسلب هذه القدره و الحريه متى شاء.

من هذا يتّضح أنّه لا جبر و لا تفويض فى الأوامر،بل إنّها حقيقه دقيقه و ظريفه بين الأمرين،أو بعباره أخرى:إنّها نوع من الحريه المرتبطه بالمشيئه

۱- ۱) -قيل أن فى الآيه حذف،و التقدير:(فمن شاء اتخذ إلى رضى ربّه سبيلا)و لكن الحق عدم احتياج الآيه للتقدير،لأن جميع طرق التكامل تنتهى إلى اللّه تعالى.

۲- ۲) -جمع من المفسرين قالوا أن جمله(إن يشاء اللّه)محلها من الإعراب منصوبه على الظرفيه فيكون المعنى:(ما تشاءون إلا وقت مشيئه اللّه)و يحتمل أن التقدير هنا(شيئا)فيكون المعنى:(و ما تشاءون إلا شيئا يشاء اللّه).

الإلهيه،إذ يمكن سلبها متى يشاء ليتسنى للعباد تحمل ثقل المسؤوليه الذى يعتبر رمزا للتكامل من جهه،و من جهه أخرى أن لا يتوهموا استغنائهم عن اللّه تعالى.

و الخلاصه،أنّ هذه الآيه تدعو الإنسان إلى أن لا يتوهّم أنّه مستغن عن رعايه اللّه و توفيقه.و فى نفس الوقت تؤكد حريته فى أعماله و سلوكه.

و يتضح هنا أنّ تمسک بعض المفسّرين القائلين بالجبر كالفخر الرازى بهذه الآيه بسبب الخلفيات الذهنيه المسبقه فى هذه المسأله،فيقول:و اعلم أنّ هذه الآيه من جمله الآيات التى تلاطمت فيها أمواج الجبر و القدر! (۱) نعم،إذا فصلنا هذه الآيه عن الآيات السابقه فهناک محلّ لهذا الوهم.و لكن بالالتفات إلى ما ورد من تأثير الإختيار فى آيه،و فى آيه أخرى تأثير المشيئه الإلهيه،يتّضح بصوره جيده مفهوم(الأمر بين الأمرين).

و عجيب أن أنصار التفويض يتمسكون بتلک الآيه التى تتحدث عن الإختيار المطلق فقط،و أنصار الجبريه يتمسكون بالآيه التى تشير إلى الجبر فقط،و يريد كل منهما تبرير أحكامهم المسبقه بتلک الآيه،و الحال أنّ الفهم الصحيح للكلام الإلهى(أو أى كلام آخر)يستوجب ضمّ الآيات جنبا إلى جنب، و ترک التعصب و القضاء بالأحكام المسبقه.

و لعلّ آخر الآيه: إِنَّ اللّٰهَ کٰانَ عَلِيماً حَكِيماً .يشير حكمه إلى هذا المعنى، لأنّ حكمه اللّه تستوجب إعطاء الحريه للعباد فى سلوک طريق التكامل،و إلاّ فإنّ التكامل الإجبارى لا يعدّ تكاملا،بالإضافه إلى أنّ حكمه اللّه لا تتفق مع فرض الأعمال الخيره على أناس و فرض الأعمال الشريره على أناس آخرين،ثمّ أنّه يثيب الجماعه الأولى و يعاقب الثانيه.

ثمّ تشير الآيه الأخرى بعد ذلک إلى مصير الصالحين و الطالحين فى جمله

۱- ۱) -تفسير الفخر الرازى ج ۳۰ ص ۲۶۲.

يسيره غنيه المحتوى إذ تقول الآيه: يُدْخِلُ مَنْ يَشٰاءُ فِی رَحْمَتِهِ وَ الظّٰالِمِینَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِیماً و الظريف أنّ صدر الآيه يقول: يُدْخِلُ مَنْ يَشٰاءُ فِی رَحْمَتِهِ و يقول ذيلها: وَ الظّٰالِمِینَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذٰاباً أَلِیماً و هذا يشير إلى أنّ مشيئته تعالى بعقوبه الإنسان تتبع مشيئه الإنسان للظلم و المعاصى،و بقرينه المقابله يتّضح أنّ مشيئته تعالى فى الرحمه تتبع إراده الإنسان فى الإيمان و العمل الصالح و إقامه العدل،و لا يمكن أن يكون هذا الأمر إلاّ من حكيم.

و العجيب أنّ مع هذه القرينه فهناك أفراد كالفخر الرازى ممن يتخذ صدر هذه الآيه دليلا على مسأله الجبر من دون الالتفات إلى آخر الآيه التى يتحدث عن حريه الإراده فى أعمال الظالمين (۱) .

اللهم!أدخلنا فى رحمتك و نجّنا من العذاب الأليم الذى ينتظر الظالمين. (۲)

اللهم!أدخلنا فى رحمتك و نجّنا من العذاب الأليم الذى ينتظر الظالمين.

ربّنا!إنّك أوضحت السبيل إليك.و قد عزمنا على سلوكه،فأعنّا على ذلك.

ربّنا!إنّنا إن لم نكن من الأبرار و لكنّا نحبّهم،فاحشرنا معهم.

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الدهر ***

۱- ۱،۲) -لمزيد من التوضيح حول آيات(المشيئه)راجع تفسير الآيه ۳۷ سوره الزمر.

۲-

سوره المرسلات

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها خمسون آیه

ص :۲۸۳

محتوى السوره:

المشهور أنّ هذه السوره مكيّه،و لكن صرح البعض أنّ الآيه(۴۸) وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاٰ يَرْكَعُونَ مدنيه،و لكن لم يذكروا لذلك دليلا واضحا،و إذا كانت مسأله الركوع و الصلاه سببا لهذا الاستنباط فإنّ ذلك يبدو بعيدا.إذ كثيرا ما كان المسلمون يقيمون الصلاه مع الركوع فى مكّه،على كلّ حال فإنّ أكثر محتويات هذه السوره تدور حول المسائل المرتبطه بالقيامه و تهديد و إنذار المشركين و المنكرين،و من خصائص هذه السوره تكرار الآيه: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ عشر مرات بعد كل موضوع جديد،و تنبئ السوره بعد ذكر الأقسام عن القيامه و الحوادث الثقيله و الصعبه للبعث،ثمّ تذكر عقب ذلك هذه الآيه: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ :

و تتحدث السوره أولا عن الوقائع المؤسفه للأقوام المذنبين الأوائل.

ثمّ تتحدث ثانيا عن جانب من خصوصيات خلق الإنسان.

و فى المرحله الثّالثه عن بعض المواهب الإلهيه فى الأرض.

و فى الرّابعه تشرح السوره جانبا من عذاب المكذبين،و فى كل من هذه المراحل إشاره إلى مواضيع موقظه و محركه،ثمّ تأكيد تلك الآيه بعد ذكر كلّ موضوع من هذه المواضيع،و حتى أنّه أشار فى قسم من ذلك إلى نعم الجنان للمتقين ليمزج الإنذار بالبشاره و الترهيب بالترغيب.

على كل حال فإنّ هـذا التكرار يـذكر بتكرار بعض الآيات فى سوره الرحمن باختلاف أنّ الكلام يـدور عن النعم،أمّا فى السوره فغالبا ما تتحدث عن عذاب المكذبين.

اختيار اسم(المرسلات)لهذه السوره هو لتناسبه مع الآيه الأولى لهذه السوره.

فضيله السوره:

روى عن النبى صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: «من قرأ سوره المرسلات كتب أنّه ليس من المشركين» (۱) .

و

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «من قرأها عرّف اللّه بينه و بين محمد» (۲) لا شك أنّ الثواب و الفضيله تكون لمن يقرؤها و يتفكر و يعمل بها،لذا

روى فى حديث أنّ أحد أصحاب النّبى قال: أسرع الشيب إليك يا رسول اللّه! فقال:«شيبتنى سوره هود و الواقعه و المرسلات و عم يتساءلون» (۳) .

و الملاحظ أنّ جميع هذه السور تعكس أحوال القيامه و المسائل المهوله لتلك المحكمه العظيمه،و هذه هى التى تركت أثرا فى روح النّبى المقدّسه.

من البديهى أنّ القراءه بدون تدبّر و تصميم على العمل لا يمكن أن تترك مثل هذا الأثر.

***

۱- ۱) -مجمع البيان ج ۱۰ ص ۴۱۴.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -الخصال للشيخ الصدوق باب الأربعه حديث ۱۰.

الآيات [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١ الى ١٥]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلْمُرْسَلاٰتِ عُرْفاً (١) فَالْعٰاصِفٰاتِ عَصْفاً (٢) وَ اَلنّٰاشِرٰاتِ نَشْراً (٣) فَالْفٰارِقٰاتِ فَرْقاً (۴) فَالْمُلْقِيٰاتِ ذِكْراً
(۵) عُذْراً أَوْ نُذْراً (۶) إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ (٧) فَإِذَا اَلنُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَ إِذَا اَلسَّمٰاءُ فُرِجَتْ (٩) وَ إِذَا اَلْجِبٰالُ نُسِفَتْ (١٠) وَ إِذَا
اَلرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ اَلْفَصْلِ (١٣) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا يَوْمُ اَلْفَصْلِ (١۴) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١۵)

التّفسير

اشاره

الوعود الإلهيه و جزاء المكذبين:

ذكرت في صدر السوره ابتداء خمسه أيمان،و ذلك في خمس آيات.

الحديث وافر في تفسير معانيها:

يقول تعالى: وَ الْمُرْسَلاٰتِ عُرْفاً (١) أي قسما بالتي ترسل تباعا.

ص :٢٨٧

---

١ – ١) -«عرفا»:بمعنى متتابعا،و أصله بمعنى(عرف الفرس)المتساقط بعضها على البعض الآخر،و فسر أحيانا بالعمل الحسن و المعروف.

فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً

التی تسرع فی حرکتها کالعاصفه.

وَ النّاشِراتِ نَشْراً

...التی توسّع و تنشر ما وکّلت به.

فَالْفارِقاتِ فَرْقاً

...التی تفرق و تفصل.

فَالْمُلْقِیاتِ ذِکْراً

التی تلقی بالآیات الموقظه و المذکرّه.

عُذْراً أَوْ نُذْراً

(۱)

إمّا لإتمام الحجه أو للانذار.

و الآن لنر ما هو مفهوم هذه الأیمان المغلقه التی تخبر عن مسائل مهمّه، و یوجد هنا ثلاث تفاسیر مهمّه:

۱-إنّ هذه الأیمان الخمسه إشاره إلی الریاح و العواصف التی لها الأثر البالغ فی کثیر من مسائل الطبیعه فی العالم،فیصبح معنی الآیات حینئذ:أقسم بالریح المتوالیه الهبوب.

و أقسم بالأعاصیر السریعه.

و أقسم بالناشرات السحاب التی تنزل المطر إلی الأراضی المیته.

و أقسم بالریاح التی تفرّق السحاب بعد هطول المطر.

و أقسم بالریاح المذکّره باللّه بهذه المعطیات النافعه.

(و قیل أنّ فَالْعاصِفاتِ عَصْفاً إشاره إلی أعاصیر العذاب النقیضه للریاح الباعثه للحیاه و التی تعتبر بدورها سببا للتذکر و الیقظه).

۲-إنّ هذه الأیمان إشاره إلی(ملائکه السماء):أی أقسم بالملائکه المرسله تباعا إلی الأنبیاء(و الملائکه المرسلین بالمناهج المعروفه)،و أقسم بأولئک المسرعین کالأعصار لتنفیذ مهامهم، و الذین ینشرون ما أنزل اللّه علی الأنبیاء، و أولئک الذین

يفصلون بعملهم هذا الحق عن الباطل،و الذين يلقون ذكر الحق و أوامر اللّه على الأنبياء.

ص:٢٨٨

١- ١) -«عذرا أو نذرا»:محله من الإعراب النصب على أنّه(مفعول لأجله)و قيل(حال).

٣-القسم الأوّل و الثّانی ناظر إلی الریاح و الأعاصیر،و القسم الثّالث و الرّابع و الخامس یتعلق بنشر آیات الحق بواسطه الملائکه،ثمّ فصل الحق عن الباطل، و بعد ذلک إلقاء الذکر و الأوامر الإلهیه علی الأنبیاء بقصد إتمام الحجّه و الإنذار.

و ما یمکن أن یکون شاهدا علی التفسیر الثّالث هو:

أوّلا:فصل المجموعتین من الأقسام التی فی الآیات(بالواو)،و الحال أنّ البقیه عطفت بالفاء و هی علامه ارتباطها.

ثانیا:إنّ هذه الأیمان کما سوف نری وارده لموضوع الآیه السابعه،أی أحقیّه البعث و المعاد و واقعیته،و نعلم أنّ تغیّرا عظیما یحصل فی الدنیا عند البعث حیث العواصف الشدیده و الزلازل و الحوادث المهیبه من جهه،ثمّ تشکیل محکمه العدل الإلهیه من جهه أخری و عندها تنشر الملائکه صحائف الأعمال و تفصل بین المؤمنین و الکافرین،و تلقی بالحکم الإلهی فی هذا المجال.

و طبقا لهذا التّفسیر سوف یتناسب القسم مع المقسم له،و لهذا فإنّ التّفسیر الأخیر أفضل.

«الذکر»فی جمله: فَالْمُلْقِیٰاتِ ذِکْراً أمّا أن یکون بمعنی العلوم الملقاه علی الأنبیاء،أو الآیات النازله علیهم،و نعلم أنّ القرآن جاء التعبیر عنه بالذکر کما فی الآیه(۶)من سوره الحجر: وَ قٰالُوا یٰا أَیُّهَا الَّذِی نُزِّلَ عَلَیْهِ الذِّکْرُ إِنَّکَ لَمَجْنُونٌ .

کلمه«الملقیات»بصیغه الجمع مع أنّ ملک الوحی-أی جبرئیل علیه السّلام-واحد لیس إلاّ لما یستفاد من الرّوایات أنّ جماعات کثیره من الملائکه کانوا یصاحبون جبرئیل علیه السّلام عند نزول الآیات القرآنیه،کقوله تعالی فی الآیه(۱۵)من سوره عبس: بِأَیْدِی سَفَرَهٍ .

و الآن لا بدّ أن نری الغرض من هذه الأیمان،الآیه التالیه ترفع الستار عن هذا المعنی،فتقول: إِنَّمٰا تُوعَدُونَ لَوٰاقِعٌ .

إنّ البعث و النشور،و الثواب و العقاب و الحساب و الجزاء کلها حق لا ریب

فیه.

و یری البعض أنّها إشاره إلی جمیع الوعود الإلهیه،و تشمل و عود الصالحین و الصالحین،فی الدنیا کانت أو فی الآخره،و لکنّ الآیات التالیه توحی أنّ المراد هو الوعد بالقیامه (۱) .

و هنا و إن لم یستدل فی هذه الآیه علی مسأله المعاد و اکتفی بالادعاء،فإنّ ظرافه الموضوع تکمن فی أنّ مواضیع الأیمان السابقه تعتبر بحدّ ذاتها دلائل للمعاد،منها إحیاء الأراضی المیته بالأمطار،و هذا نموذج ممّا یحدث فی المعاد، ثمّ نزول التکالیف الإلهیه علی الأنبیاء و إرسال الرسل ممّا لا یکون الهدف منه واضحا و مفهوما إلاّ بوجود المعاد،و هذا یشیر إلی أنّ واقعه البعث أمر حتمی.

و جاء ما یشابه هذا الموضوع فی الآیه(۲۳)من سوره الذاریات إذ یقول اللّه تعالی: فَوَ رَبِّ السَّمٰاءِ وَ الْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ القسم بالربّ یعتبر إشاره إلی أنّ ربوبیه الربّ و تدبیره عالم الخلق یستوجب عدم ترکه للخلق دون رزق.

ثمّ ینتهی إلی تبیان علامات ذلک الیوم الموعود،فیقول:إذا تحقّق ذلک الیوم الموعود فإنّ النجوم سوف تنطفئ و تمحی فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ .

وَ إِذَا السَّمٰاءُ فُرِجَتْ

أی انشقت.

وَ إِذَا الْجِبٰالُ نُسِفَتْ

أی زالت و انقلعت من مکانها.

(طمست):من ماده(طمس)-علی وزن شمس-و هو محو و زوال آثار الشیء،و من الممکن أن تشیر العباره هنا إلی محو نور النجوم أو اختفائها،و لکن التفسیر الأول أنسب،کقوله فی الآیه(۲)من سوره التکویر: وَ إِذَا النُّجُومُ انْکَدَرَتْ .

نسفت:من ماده(نسف)-علی وزن حذف-و فی الأصل،بمعنی وضع حبوب الغذاء فی الغربال و تحریکه لعزل القشور عن الحبوب،و یعنی هنا تفتیت

ص: ۲۹۰

۱- ۱) -العطف بالفاء أیضا یقوی هذا المعنی.

الجبال ثمّ نسفها فى الريح،و نستفيد من بعض آيات القرآن المجيد أنّ انقراض العالم يلازم وقوع حوادث مهوله بحيث يتلاشى نظام العالم بكامله.و حلول نظام الآخره الجديد مكان ذلك النظام،و لا يمكن وصف تلك الحوادث بأى بيان لما فيها من الرعب و العجب،و هل يوصف حادث تنقلع فيه الجبال و تندك لتتحول إلى غبار و تكون كالصوف المنفوش؟!و كما يرى بعض المفسّرين أنّ هذه الحوادث عظيمه للغايه بحيث أنّ أشد الزلازل المهيبه فى الدنيا بالنسبه لها كفرقعه صغيره يفرقعها الأطفال للّعب بها مقابل أقوى قنبله ذريه.

و على أى حال فإنّ هذه التعابير القرآنيه تشير إلى الاختلاف الكبير بين أنظمه الآخره و أنظمه الدنيا.

ثمّ أشار القرآن بعد ذلك إلى ما يجرى فى البعث،فيضيف:و فى ذلك الوقت يتمّ تعيين وقت للأنبياء و الرسل ليأتوا إلى ساحه المحشر و يدلوا بشهادتهم: وَ إِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١) و هو كقوله: فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ . (٢) ثمّ يضيف تعالى: لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (٣) ،أى لماذا تمّ تأخير هذه الشهاده و لأى وقت؟ثم يقول: لِيَوْمِ الْفَصْلِ يوم فصل الحق عن الباطل،فصل صفوف المؤمنين عن الكافرين،و الأبرار عن الأشرار،و يوم حكم اللّه المطلق على الجميع،و قد جاء هذا الحوار لبيان عظمه ذلك اليوم،و يا له من تعبير بليغ عميق لذلك اليوم،..إنّه«يوم الفصل»!!.

ثمّ يبيّن عظمه ذلك اليوم أيضا،فيقول تعالى: وَ مٰا أَدْرٰاكَ مٰا يَوْمُ الْفَصْلِ

ص:٢٩١

١- ١) -(أقّتت)أصلها(وقّتت)من ماده(وقت)إذ أن الواو المضمومه بدلت إلى الهمزه،و يعنى توقيت الوقت لرسل اللّه تعالى،و هذا واضح إذ لا يعين لهم وقت بل يتعيّن لعملهم،أى لشهادتهم على الأمم،و لذا قيل إن فى الآيه حذفا.
٢- ٢) -الأعراف،الآيه ۶.
٣- ٣) -طبقا لهذا التفسير فإن الضمير فى(أجلت)يعود إلى شهاده الأنبياء و الرسل على الأمم،و هو ما يستفاد منه فى الآيه السابقه، و قيل إنّه يعود إلى جميع الأمور المرتبطه بالأنبياء و ما أعطوا من الأخبار بالثواب و العقاب و حوادث القيامه و غيرها،و قيل:إنّها إشاره إلى جميع الأمور التى وردت فى الآيات السابقه كظلام النجوم و غيرها،و لكن من الواضح أن التّفسير الأوّل أنسب،لأنّ مرجع الضمير فى الآيه متصل بذلك.

إنّ الرسول صلّى اللّه علیه و آله بعلمه الواسع و بنظره الحاد الـذی کان یری من خلاله أسـرار الغیب لم یکن مطلقا بصوره کامله علی أبعاد عظمه ذلک الیوم،فکیف بسائر الناس:و قد قلنا مرارا إنّنا لا نسـتطیع الإحاطه و العلم بجمیع أسـرار القیامه العظیمه فنحن سجناء قفص الدنیا،و ما نتصوره عن ذلک الیوم لیس إلاّ شبحا و خیالا یحکی عن مجریات الآخره.

و فی آخر آیه من آیات بحثنا هدد اللّه تعالی المکذبین بیوم القیامه تهدیدا شدیدا و قال: وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ .

ویـل:قیـل هو الهلاک،و قیل المراد به العـذاب المتنوع،و قیل هو واد فی جهنّم ملیء بالعـذاب،و تسـتخدم هـذه الکلمه عاده فیما یخص الحوادث المؤسفه،و هنا تحکی الآیه عن مصیر المکذبین المؤلم فی ذلک الیوم (۱) .

المراد بالمکـذبین هنا هم المکـذبون بیوم القیامه،و نعلم أنّ من لا یؤمن بیوم القیامه و محکمه العدل الإلهی و بالحساب و الجزاء یسـهل علیه أن یرتکب الـذنوب و الظلم و الفسـاد،بعکس الإیمـان الراسـخ بـذلک الیوم فـإنّه یهب الإنسـان التقوی و الإحسـاس بالمسؤولیه.

***

ملاحظات

اشاره

۱-محتوی هذه الأیمان

فی الآیـات السـابقه ذکر أولاـ بالریـاح و الأعاصـیر لمـا لهـا من الـدور الهـام فی عـالم الخلقه،فإنّها تحرک السـحاب لتقودها إلی الأراضـی الیـابسه و المیته، و تصـریفها بعـد نزول الأمطـار،و تنقـل بـذور النباتـات من مکـان إلی آخر و بـذلک تنمـو الغابـات و المراتع،و تلقّح الریاح أیضا کثیرا من الأزهار و الثمار، و تنقل الحراره

۱- ۱) -ورد مزید من التوضیح فی باب معنی(ویل)و اختلافه مع(ویس)و(ریح)فی ذیل الآیه(۶۰)من سوره الذاریات.

و البروده من مناطق الأرض المختلفه إلى نقاط أخرى فتساعد بذلك على تعديل المناخ،و تأخذ الهواء الطازج الملیء بالأوكسجين من المزارع و الصحارى إلى المدن،ثم ترسل الهواء الملوث إلى الصحارى و البحار لغرض التصفيه.ثم إنّها تثير مياه البحار و تجعلها أمواجا متلاطمه،و تدخل الأوكسجين إلى الموجودات المائيه الحيّه،نعم إنّ للرياح و النسيم خدمات عظيمه و حياتيه فی الكون.

القسم الآخر من الأيمان يتحدث عن منهج نزول الوحی بوسيله الملائكه، فإنّ فی عالم المعنى أيضا شبها مع النسيم فی عالم الماده،الملائكه يهبطون بكلمات الوحی على قلوب أنبياء اللّه تعالى كما تنزل قطرات المطر المباركه فتنمو أزهار و ثمار المعارف الإلهيه فی القلوب.

و على هذا الأساس فإنّ اللّه تعالى قد أقسم بمربّى عالم الماده و بمربّى عالم المعنى،و الظريف أنّ جميع هذه الأقسام هو من أجل بيان حقيقه ذلك اليوم الذى تثمر فيه جميع المساعى و هو يوم القيامه،يوم الفصل.

***

الآيات [سوره المرسلات (٧٧): الآيات ١۶ الى ٢٨]

اشاره

أَ لَمْ نُهْلِكِ اَلْأَوَّلِينَ (١۶) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ اَلْآخِرِينَ (١٧) كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩) أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنٰاهُ فِي قَرٰارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنٰا فَنِعْمَ اَلْقٰادِرُونَ (٢٣) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢۴) أَ لَمْ نَجْعَلِ اَلْأَرْضَ كِفٰاتاً (٢۵) أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً (٢۶) وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ وَ أَسْقَيْنٰاكُمْ مٰاءً فُرٰاتاً (٢٧) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)

التّفسير

اشاره

جزاء المكذبين بالمعاد

هـذه الآيات أيضا تحذّر و بطرق مختلفه المنكرين للبعث،و توقظهم ببيانات مختلفه من نوم الغفله العميق؛فتأخذ بأيديهم أوّلا إلى ما مضى من التاريخ لتريهم الأراضى المتراميه الأطراف التى كانت ملكا للأقوام السابقين،فيقول تعالى: أَ لَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ .

ص :٢٩۴

إنّ آثارهم واضحه على صفحات البسيطه.و ليس على صفحات التاريخ فحسب، أقوام-كقوم عاد و ثمود و قوم نوح و قوم لوط و قوم فرعون-عوقبوا جزاء لأعمالهم فبعض أبيدوا بالطوفان و آخرون بالصاعقه،و جماعه بقوه الرياح،و قوم بالزلزله و أحجار السماء.

ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ

لأنّها سنّه مستمره لا تبعيض فيها و لا استثناء،و هل يمكن أن يعاقب جماعه لجرم ما،و يقبل ذلك الجرم من آخرين؟! و لذا يضيف تعالى فى الآيه الأخرى: كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ .

هذه الآيه فى الحقيقه هى بمنزله بيان الدليل على هلاک الأمم الأولى و يستتبعه هلاک الأمم الأخرى،لأنّ العذاب الإلهى ليس فيه جانب الثأر و لا الانتقام الشخصى.بل إنّه تابع لأصل الاستحقاق و مقتضى الحكمه.

و قال البعض:إنّ المراد من(الأولين)هم الأمم المتوغله فى الماضى البعيد كقوم نوح و عاد ثمود،و(الآخرين)اللاحقون بهم من الأمم الغابره أمثال قوم لوط و قوم فرعون و لكنّنا نلاحظ أنّ(نتبعهم)جاءت بصيغه فعل مضارع،و الحال أنّ عباره(ألم نهلک)وردت بصيغه الماضى،فيتضح من ذلک أنّ(الأولين)هم الأمم السابقه الذين هلكوا بالعذاب الإلهى و(الآخرين)هم الكفار المعاصرون للنّبى صلّى اللّه عليه و آله أو الذين يأتون إلى الوجود فيما بعد،و يتلوثون بالجرائم و المعاصى و الظلم و الفساد.

ثمّ يضيف مستنتجا: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

يَوْمَئِذٍ

:إشاره إلى يوم البعث الذى يعاقب فيه المكذبون بالعقوبات الشديده،و التكرار هو لتأكيد المطلب،و ما احتمله البعض من أنّ هذه الآيه ناظره إلى العذاب الدنيوى،و الآيه المشابهه لها و التى وردت سابقا ناظره إلى العذاب الأخروى يبدو بعيدا جدّا.

ثمّ يمسک القرآن بأيديهم ليأخذهم إلى عالم الجنين و يريهم عظمه اللّه

و قـدرته و كثره مواهبه فى هـذا العالم الملىء بالأسـرار،ليفهموا قـدره اللّه تعالى على المعاد و البعث من جهه و أنّهم غارقون فى نعمه اللامتناهيه من جهه أخرى،فيقول تعالى: أَ لَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مٰاءٍ مَهِينٍ أى تافه و حقير فَجَعَلْنٰاهُ فِي قَرٰارٍ مَكِينٍ (١) .

مقرّ فيه ضـمان لجميع ظروف الحيـاه و الـتربيه و النمو و المحـافظه على نطفه الإنسـان،فهو عجيب و ظريف و موزون بحيث يـثير إعجاب كل إنسان.

ثمّ يضيف تعالى:أنّ بقاء النطفه فى ذلك المكان المكين و المحفوظ إنّما هو لمده معينه: إِلىٰ قَدَرٍ مَعْلُومٍ .

مـده لا يعلمها إلاّ اللّه تعالى،مـده مملوءه بالتغيرات و التحولات الكثيره بحيث ترتـدى النطفه فى كل يوم لباسا جديـدا من الحياه يؤدى به إلى التكامل فى داخل ذلك المخبأ.

ثمّ يسـتنتج من قدرته تعالى على خلق الإنسان الكامل و الشـريف من نطفه حقيره بأن اللّه تعالى نعم القادر: فَقَدَرْنٰا فَنِعْمَ الْقٰادِرُونَ (٢) (٣) و هـذا الـدليل اعتمـده القرآن مرات عديـده لإثبـات مسأله المعاد منها قوله تعالى فى أول سوره الحـج: يٰا أَيُّهَا النّٰاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنّٰا خَلَقْنٰاكُمْ مِنْ تُرٰابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَهٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَهٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَهٍ مُخَلَّقَهٍ وَ غَيْرِ مُخَلَّقَهٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَ نُقِرُّ فِي الْأَرْحٰامِ مٰا نَشٰاءُ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ... ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّٰهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِ الْمَوْتىٰ وَ أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

١- ١) -(قرار):هو محل الاسـتقرار و(مكين)يعنى محفوظ،و أصـله من المكانه المشـتقه من التمكن(و تأتى المكانه أحيانا بمعنى المنزله).

٢- ٢) -للآيه حذف تقديره(فنعم القادرون نحن)أى أن المحذوف هو المخصوص بالمدح.

٣- ٣) -قال بعض المفسّرين إن معنى الآيه هكذا:(إنا قدرنا النطفه بمقاييس ضـروريه و مقادير مختلفه،و خصوصـيات فى جسم الإنسان و روحه،فنعم القادرون)و لكن هـذا المعنى يبـدو بعيدا لأن متن القرآن و القراءه المعروفه له غير مشدده و لذا يبدوا بعيدا و إن قـال بعض إن المـاده الثلاـثيه المجرده وردت بمعنى التقـدير،و لكن فى الاسـتعمالات العادّيه لا تسـتعمل كلمه(قادر) بهـذا المعنى.

ثمّ يعود فی النهایه لیکرر تلک الآیه و هو قوله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الویل لأولئک الذین یرون آثار قدره اللّه تعالی ثمّ ینکرونها،

یقول أمیر المؤمنین علیه السّلام:

«أیّها المخلوق السوی،و المنشأ المرعی فی ظلمات الأرحام و مضاعف الأستار،بدئت من سلاله من طین،و وضعت فی قرار مکین،إلی قدر معلوم،و أجل مقسوم،تمور فی بطن أمّک جنینا لا تحیر دعاء،و لا تسمع نداء،ثمّ أخرجت من مقرّک إلی دار لم تشهدها،و لم تعرف سبل منافعها،فمن هداک لاجترار الغذاء من ثدی أمّک،و عرفک عند الحاجه مواضع طلبک و إرادتک؟!» .(۱)

ثمّ یقول تعالی: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفٰاتاً (۲) ، أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً (۳) .

«کفات»:-علی وزن کتاب-و(کفت)-علی وزن کشف-هو جمع و ضم الشیء للآخر،و یقال أیضا لسرعه طیران الطیور«کفات»لجمعه لأجنحته حال الطیران السریع حتی یتمکن من شق الهواء و التقدم أسرع.

و المراد هو أنّ الأرض مقر لجمیع البشر:إذ تجمع الأحیاء علی ظهرها و تهیء لهم جمیع ما یحتاجونه،و تضم أمواتهم فی بطنها،فلو أنّ الأرض لم تکن مهیئه لدفن الأموات لسبب العفونه و الأمراض الناتجه منها فاجعه لجمیع الأحیاء.

نعم،إنّ الأرض هی کالأم التی تجمع أولادها حولها و تضمهم تحت أجنحتها،و تغذیهم،و تلبسهم،و تسکنهم،و تقضی جمیع حوائجهم،و تحفظ أمواتهم فی قلبها أیضا،و تمتصهم و تزیل مساوئ آثارهم.

و فسّر بعضهم«الکفات»بالطیران السریع،و الآیه تشیر إلی حرکه الأرض

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۶۳.

۲- ۲) -«کفاتا»:مفعول ثانی ل(جعلنا)و هو مصدر قد جاء بصیغه اسم فاعل.

۳- ۳) -«أحیاء و أمواتا»:حال لضمیر مفعول محذوف تقدیره(کفاتا لکم أحیاء أمواتا).

حول الشمس و الحركات الأخرى و التى كانت غير مكتشفه زمن نزول القرآن.

و لكن بملاحظه الآيه الأخرى أى أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً يتضح أنّ التفسير الأوّل أنسب،و يؤيد ذلك قول أمير المؤمنين على عليه السّلام عنـد رجوعه مـن صـفين و وصـوله قرب الكـوفه،حيـث قـال و هـو ينظر إلى مقـبره خـارج الكـوفه:«هـذه كفـات الأمـوات» أى مساكنهم.ثم نظر إلى منازل الكوفه فقال:«هذه كفات الأحياء»ثم تلا هذه الآيات: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفٰاتاً أَحْيٰاءً وَ أَمْوٰاتاً (١) .

ثمّ يشير تعالى إلى إحدى النعم الإلهيه العظيمه فى الأرض،فيضيف:

وَ جَعَلْنٰا فِيهٰا رَوٰاسِيَ شٰامِخٰاتٍ

(٢)

هذه الجبال التى قاربت بارتفاعها السماء، و اتصلت أصولها بالبعض الآخر قد لزمت الأرض كالدرع من جهه لحفظها من الضغط الداخلى و الضغوط الناتجه من الجزر و المد الخارجى،و من جهه أخرى تمنع اصطكاك الرياح مع الأرض حيث تمدّ قبضتها فى الهواء لتحركه حول نفسها و كذلك تنظم حركه الأعاصير و الرياح من جهه ثالثه،و لهذا تكون الجبال باعثه على الاستقرار لأهل الأرض.

و فى آخر الآيه إشاره إلى إحدى البركات الأخرى للجبال فيضيف تعالى:

وَ أَسْقَيْنٰاكُمْ مٰاءً فُرٰاتاً

ماءا سائغا لكم و باعثا للحياه،و لحيواناتكم و لبساتينكم.

صحيـح أنّ كل ماء مسـتساغ هو من المطر،و لكن للجبال الدور الأهم فى الإيفاء بهذا الغرض،فإنّ كثيرا من العيون و القنوات هى من الجبال،و مصـدر الأنهار العظيمه هى من الجليـد المتراكم على قمم الجبال،حيث تعتبر من الـذخائر المائيه المهمّه للإنسان،إنّ قمم الجبال تكون بارده على الـدوام لبعـدها عن سـطح الأرض،و لهذا فإنّها تحافظ على الجليد المتراكم عليها لآجال طويله حتى تتأثر

١- ١) -تفسير البرهان،ج ۴،ص ۴١٧(نقلا عن تفسير على بن إبراهيم).

٢- ٢) -«رواسـى»:جمع راسـيه،و هى الثابتات،و(شامخات)جمع شامخ،أى عال،و تأتى بعض العبارات كالقول(شمخ بأنفه) كنايه عن التكبر(مفردات الراغب).

بشعاع الشمس فيتحول إلى ماء و يتدفق بالتالى على شكل أنهار و جداول.

ثمّ يقول فى نهايه هذا القسم: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

أولئك الـذين ينكرون كـل هـذه الآيات و علامات قـدره اللّه التى يرونها بأعينهم،و كـذلك يشاهـدون النعم الإلهيه التى غرقوا فيها،ثمّ ينكرون البعث و محكمه القيامه التى هى مظهر العدل و الحكمه الإلهيه.

***

الآيات [سوره المرسلات (۷۷): الآيات ۲۹ الی ۴۰]

اشاره

اِنْطَلِقُوا إِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (۲۹) اِنْطَلِقُوا إِلىٰ ظِلٍّ ذِی ثَلاٰثِ شُعَبٍ (۳۰) لاٰ ظَلِيلٍ وَ لاٰ يُغْنِی مِنَ اَللَّهَبِ (۳۱) إِنَّهٰا تَرْمِی بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (۳۲) كَأَنَّهُ جِمٰالَتٌ صُفْرٌ (۳۳) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳۴) هٰذٰا يَوْمُ لاٰ يَنْطِقُونَ (۳۵) وَ لاٰ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (۳۶) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۳۷) هٰذٰا يَوْمُ اَلْفَصْلِ جَمَعْنٰاكُمْ وَ اَلْأَوَّلِينَ (۳۸) فَإِنْ كٰانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (۳۹) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (۴۰)

التّفسير

اشاره

لا قدره لهم للدفاع و لا طريقا للفرار

فی هـذه الآيات تبيان لمصير المكـذبين بيوم القيامه،و المنكرين لتلك المحكمه الإلهيه العادله،تبيان يـدخل الرعب و الرهبه فی قلب الإنسان،و يوضـح أبعاد الفاجعه،يقول تعالی: اِنْطَلِقُوا إِلىٰ مٰا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ،انطلقوا إلی جهنّم التی طالما كنتم تسـتهزئون بها، توجهوا إلی أنواع العذاب التی هيئتموها بأعمالكم

ص: ۳۰۰

السيئه.

(انطلقوا):من ماده(انطلاق)و هو الانتقال من غير مكث،و يظهر منه كـذلك الحريه المطلقه،و هذا فی الحقيقه توضـيح لحالهم فی عرصـه المحشـر إذ يوقفـوهم للحسـاب مـدّه طـويله،ثـمّ يـتركونهم و يقـال لهم:انطلقـوا إلی جهنّم من غير مكث أو توقـف.و من الممكن أن يكون المتكلم هنا هو اللّه تعالی،أو ملائكه العـذاب، و علی كلّ حال فإنّه سياق ممزوج بالتوبيـخ الشديد الذی يعتبر بحدّ ذاته عذابا مؤلما.

ثمّ يعمـد إلی مزيد من التوضـيح حول هذا العذاب،فيقول سبحانه: اِنْطَلِقُوا إِلیٰ ظِلٍّ ذِی ثَلاٰثِ شُعَبٍ :توجهوا نحو ظلّ من دخان خانق له ثلاث شعب:

شعبه من الأعلی،و شـعبه من الجهه اليمنی،و شـعبه من الجهه اليسـری،و علی هذا الأساس فإنّ دخال النّار المميت هذا يحيط بهم من كل جانب و يحاصرهم.

ثمّ يقول تعالی: لاٰ ظَلِيلٍ وَ لاٰ يُغْنِی مِنَ اللَّهَبِ فليس فی هذا الظل راحه، و لا يمنع من الاحتراق بالنّار لأنّه نابع من النّار.

و ربّما كان التعبير ب(ظل)سـببا لتصور وجود الظل الذی يخفف من حراره النّار،و لكنّ هذه الآيه تنفی هذا التصور و تقول:ليس هـذا الظـل كمـا تتصورون،أنّه ظـل محرق و خانق،و ناتـج من دخان النّار الغليظ الـذی يعكس حراره اللهب بصوره كامله (۱) و يشـهد علی هـذا الحـديث قوله تعالی فی سوره الواقعه حول أصحاب الشـمال: فِی سَـمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لاٰ بٰارِدٍ وَ لاٰ كَرِيمٍ . (۲)

و قيل:إنّ هـذه الشـعب الثلاث هی انعكاس للتكـذيبات الثلاثه لأساس الدين، و هی التوحيد و النبوّه و المعاد،لأنّ تكذيب المعاد لا ينفصل عن التكذيب بالنبوّه و التوحيد،و قيل،إنّها إشاره إلی مبادئ الذنوب الثلاثه:القوّه الغضبيه و الشهويه

ص:۳۰۱

۱- ۱) -(لا ظليل):صفه ل(ظل)و لهذا جاء مجرورا.

۲- ۲) -الواقعه،۴۲-۴۴.

و الوهميه،نعم،إنّ ذلک الدخان المظلم تجسید لظلمات الشهوات.

ثمّ یضیف وصفا آخر لتلک النار المحرقه: إِنَّهٰا تَرْمِی بِشَرَرٍ کَالْقَصْرِ (۱) لیس کشرر نار هذه الدنیا التی لا تکون أحیانا إلّا بمقدار رأس الإبره،التعبیر ب«القصر»هنا تعبیر ملیء بالمعنی،و ربّما یتوهّم أحد أنّه لو قیل شرر کالجبل کان أنسب،و لکن لا ینبغی نسیان أنّ الجبال کما أشیر إلیها فی الآیات السابقه هی أساس أنواع البرکات و عیون المیاه العذبه و السائغه،و لکن قصور الظالمین هی التی تکون منشأ للنیران المحرقه و الشرر المتطایر منها (۲) .

ثمّ ینتهی فی الآیه الأخری إلی وصف آخر من أوصاف هذه النّار المحرقه، فیقول تعالی: کَأَنَّهُ جِمٰالَتٌ صُفْرٌ (۳) .

«جماله»:جمع«جمل»،و هو البعیر(مثل الحجر و الحجاره)و«صفر»-علی وزن قفل-جمع أصفر و یطلق أحیانا علی اللون الداکن المائل إلی الأسود،و لکنّ الأوّل یبدو أنسب،لأنّ شرر النّار یکون أصفر مائلا إلی الحمره،و فی الآیه السابقه شبّه حجم الشرر بالقصر الکبیر،و فی هذه الآیه من حیث الکثره و اللون و السرعه و الحرکه و التفرق الجمیع الجهات شبهها بمجموعه من الجمال الصفر المتجهه إلی کل صوب.

و إذا کان الشرر هکذا،فکیف بنفس النّار المحرقه،و ما جعل من العذاب الألیم فی تلک النّار؟! و یعود مره أخری فی آخر قسم من الآیات لیتبّه بذلک التنبیه المکرر،فیقول:

ص: ۳۰۲

۱- ۱) -(شرر):علی وزن(ضرر)جمع شراره،و هو ما یتطایر من النّار،و أخذت من ماده(الشر).
۲- ۲) -نقل بعض المفسّرین کالفخر الرازی عن ابن عباس فی تفسیر«القصر»فقال:أعواد فی الصحراء کانوا یقطعونها ثمّ یجمعوها و یضعوها فوق بعض للشتاء(لا یستبعد هذا التفسیر أیضا و ذلک لما کانوا یشبهون الأعواد المجموعه و المتراصه بالقصر العالی).
۳- ۳) -لعلّ ضمیر(کان)یعود علی(قصر)أو إلی(الشرر)و بما أنّ(شرر)بصیغه الجمع فلا یمکن ذلک من دون تأویل إلّا أن نجعل (شرر)اسم جمع.

وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ

.

ثمّ يبدأ فصلا آخر من علامات ذلك اليوم المهول،فيضيف تعالى: هٰذٰا يَوْمُ لاٰ يَنْطِقُونَ (١) .

نعم إنّ اللّه يختم فى ذلك اليوم على أفواه المجرمين،و المذنبين كقوله فى الآيه (۶۵)من سوره يس: اَلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْوٰاهِهِمْ ،و كذلك ما ورد فى آخرها:

وَ تُكَلِّمُنٰا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ و طبقا لآيات أخر فإنّ جلودهم تبدأ بالتكلم و تكشف عن جميع الخفايا.

ثمّ يضيف تعالى فى القول: وَ لاٰ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٢) ليس لهم الرخصه فى الكلام،و لا فى الاعتذار و الدفاع عن أنفسهم،لأنّ الحقائق واضحه هناك، و ليس لديهم ما يقولوه،نعم يجب أن يعاقب هذا اللسان الذى أساء الاستفاده من الحريه و سعى فى تكذيب الأنبياء،و الاستهزاء بالأولياء،و إبطال الحق و إحقاق الباطل..يجب أن يعاقب على أعماله بالإقفال و الختم،لإبطال مفعوله،و هذا عذاب شديد و أليم بحدّ ذاته أن لا يتمكن الإنسان هناك من الدفاع عن نفسه أو الاعتذار.

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «اللّه أجل و أعدل و أعظم من أن يكون لعبده عذر و لا يدعه يعتذر به،لكنه فلج فلم يكن له عذر» (٣) .

و بالطبع يستفاد من بعض الآيات القرآنيه أنّ المجرمين يتحدثون أحيانا فى يوم القيامه،و قد ذكرنا السبب فيما سبق أنّ ذلك لتعدد المواقف فى يوم القيامه، ففى بعض المواقف يتوقف اللسان و يبدأ دور الأعضاء بالشهاده،و أحيانا أخرى

١- ١) -يجب الالتفات إلى أن(يوم)هنا غير منوّن،لأنه أضيف إلى مفهوم الجمله(لا ينطقون).

٢- ٢) -قد يتساءل عن السبب فى كون جمله(فيعتذرون)مرفوعه فى حين أن القاعده تنص على النصب و حذف النون،قيل:أنّهم تركوا الاعتذار،لأنّهم لا عذر لهم و ليس لعدم الإذن الإلهى.

٣- ٣) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴٩٠،الحديث ٢٢.

ینطق اللسان بکلمات الحسره و الندم و الأسف الشدید.

ثمّ یکرر تعالی فی نهایه هذا المقطع قوله: وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ .

فی المقطع الآخر یوجه الخطاب إلی المجرمین لیحکی عمّا یجری فی ذلک الیوم فیقول تعالی: هٰذٰا یَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنٰاکُمْ وَ الْأَوَّلِینَ جمعنا فی هذا الیوم جمیع البشر من دون استثناء للحساب،و فصل الخصام فی هذه العرصه و المحکمه العظمی.

و یقول:و الآن إذا کان لکم قدره علی الفرار من العقاب فاعملوا ما بدا لکم:

فَإِنْ کٰانَ لَکُمْ کَیْدٌ فَکِیدُونِ

(۱)

.

هل یمکنکم الهرب من دائره نفوذ حکومتی؟ أو هل یمکنکم التغلّب علی قدرتی؟ أو هل تستطیعون دفع الفدیه لتتحرروا؟ أو أنّ لکم القدره علی أن تخدعوا الملائکه الموکلین بکم و بحسابکم؟ اعملوا ما بدا لکم و لکن اعلموا أنّکم لا تستطیعون!! فی الحقیقه إنّه أمر تعجیزی،أی أنّ الإنسان یعجز أمام هذا الأمر،کالذی جاء فی شأن القرآن المجید حیث یقول تعالی: إِنْ کُنْتُمْ فِی رَیْبٍ مِمّٰا نَزَّلْنٰا عَلیٰ عَبْدِنٰا فَأْتُوا بِسُورَهٍ مِنْ مِثْلِهِ .

(کید):علی وزن(صید)یقول الراغب فی مفرداته:هو نوع من الاحتیال، و یکون أحیانا مذموما،و أحیانا ممدوحا،و إن کان الغالب استعماله فی الذم(کما هو الحال فی الآیه محل بحثنا).

و من الطبیعی أنّهم لم یستطیعوا شیئا فی ذلک الیوم،لأنّ ذلک الیوم تنقطع فیه جمیع الأسباب و الوسائل أمام الإنسان،کما ورد فی الآیه(۱۶۶)من سوره

۱- ۱) -النون فی(فکیدون)مکسوره و جاءت الکسره محل یاء المتکلم،و أصلها(فکیدونی)فحذفت الیاء و بقیت الکسره لتدل علی الیاء،و ضمیر المتکلم یعود إلی ذات اللّه المقدّسه طبقا لظاهر الآیات،و احتمال رجوعه إلی شخص النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعید جدّا.

البقره: وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبٰابُ .

و الملاحظ أنّه يقول من جهه:ذلك اليوم(يوم الفصل)و من جهه أخرى يقول:ذلك اليوم(يوم الجمع)و كلاهما يتحققان فى وقت واحد،فيجمعون أوّلا-فى تلك المحكمه العظيمه،ثمّ يفصلون كل حسب عقيدته و عمله فى صفوف مختلفه،حتى الذين ينطلقون إلى الجنان فإنّ لهم صفوفا و درجات،و المتوجهون جهنّم أيضا لهم صفوف و دركات مختلفه،نعم إنّ ذلك اليوم هو يوم فصل الحق عن الباطل،و الظالم عن المظلوم.

ثمّ أنّه تعالى أعاد تلك الجمله المهدده و المتبّهه مرّه أخرى،و قال: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

***

ص :٣٠٥

الآیات [سوره المرسلات (۷۷): الآیات ۴۱ الی ۵۰]

اشاره

إِنَّ اَلْمُتَّقِینَ فِی ظِلاٰلٍ وَ عُیُونٍ (۴۱) وَ فَوٰاکِهَ مِمّٰا یَشْتَهُونَ (۴۲) کُلُوا وَ اِشْرَبُوا هَنِیئاً بِمٰا کُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (۴۳) إِنّٰا کَذٰلِکَ نَجْزِی اَلْمُحْسِنِینَ (۴۴) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۴۵) کُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِیلاً إِنَّکُمْ مُجْرِمُونَ (۴۶) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۴۷) وَ إِذٰا قِیلَ لَهُمُ اِرْکَعُوا لاٰ یَرْکَعُونَ (۴۸) وَیْلٌ یَوْمَئِذٍ لِلْمُکَذِّبِینَ (۴۹) فَبِأَیِّ حَدِیثٍ بَعْدَهُ یُؤْمِنُونَ (۵۰)

التّفسیر

اشاره

إن لم یؤمنوا بالقرآن فبأیّ حدیث یؤمنون؟!

من المعلوم فی منهج القرآن أنّه یمزج الإنذار بالبشاره،و التهدید بالترغیب، و کذلک یذکر مصیر المؤمنین فی مقابل مصیر المجرمین لفهم المسائل بصوره أکثر بقرینه المقابله،و علی أساس هذه السنّه المتّبعه فی القرآن،فإنّ هذه الآیات و بعد بیان العقوبات المختلفه للمجرمین فی القیامه،أشارت بصوره مختصره و بلیغه إلی وضع المتقین فی ذلک الیوم فیقول تعالی: إِنَّ اَلْمُتَّقِینَ فِی ظِلاٰلٍ وَ عُیُونٍ .

و الحال أنّ المجرمين كما علم من الآيات السابقه هم فى ظل الشرر و حرقه الدخان المميت.

(ظلال):جمع«ظل»سواء كان ظلا- كظل الأشجار فى النهار،أو الظل الحاصل من ظلام الليل،و الحال أنّ«الفیء»يقال فقط للظل الحاصل من النور، كظل الأشجار المقابل للشمس.

ثمّ يضيف: وَ فَوٰاكِهَ مِمّٰا يَشْتَهُونَ .

من الواضح أنّ ذكر«الفواكه»و«الظلال»و«العيون»إشاره إلى جانب من المواهب الإلهيه العظيمه المعطاه إلى أهل الجنان..جانب يمكن بيانه و رسمه بلسان أهل الدنيا،و أمّا ما لا يمكن حصره بالبيان،و لم يخطر ببال أهل الدنيا فهو أعلى من هذه المراتب و أفضل.

و الظريف أنّهم فى هذا المضيف الإلهى يستضافون بأحسن الوجوه،كما هو الحال فى الآيه التاليه إذ يقول لهم: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هذه الجمله سواء كانت خطابا من اللّه بشكل مباشر،أو بوسيله الملائكه تقال لهم مشفوعه باللطف و المحبّه التى هى غذاء لروحهم.

و عباره بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إشاره إلى أنّ هذه المواهب لا تعطى لأىّ كان من دون عمل،و لا يمكن حصولها بالادعاء و التخيل و التصور، و إنّما يمكن نيلها و الحصول عليها بالأعمال الصالحه فقط.

(هنیء):على وزن(صبيح)و يقول الراغب فى مفرداته:هو كل شیء ليست فيه مشقه و لا يستتبعه قلق،و لذا يقال للماء و الغذاء السائغ(هنیء)،و يطلق أحيانا على الحياه السعيده.

و هذا إشاره إلى أنّ فواكه الجنّه و أغذيتها و أشربتها ليست كأغذيه الدنيا و أشربتها التى تترك أحيانا آثارا سيئه فى البدن،أو تترك أعراضا غير مرضيه.

و هناك اختلاف بين المفسّرين فى أنّ هذه الآيه تبيان لإباحه الاستفاده من

هـذه النعم،أم أنّه أمر من اللّه تعـالى؟و لكن يجب أن يلاحـظ أنّ مثـل هـذه الأـوامر التى تقال عنـد الاسـتقبال هو نوع من الطلب للشخص المضيّف،و أنّها تقال لتعظيم الضيوف و احترامهم،و المضيّف يحب أن يؤكل طعامه أكثر لإكرام ضيفه أكثر.

ثمّ تؤكد الآيه الأخرى على مسأله النعم و أنّها لا تمنح اعتباطا فيضيف: إِنّٰا كَذٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ .

الظريـف أنّ فى الآـيه الأـولى تأكيــد على«التقـوى»،و فى الآـيه الـتى تليهـا تأكيــد على«العمـل»،و أمّـا فى هــذه الآـيه فقـد أكّد على«الإحسان».

(التقوى):هى اتّقـاء و اجتنـاب الـذنوب و الفساد و الشـرك و الكفر،و«الإحسان» هو أداء كل عمل حسن،و«العمل»يتعلق بالأعمال الصالحه،ليتضـح أنّ منهـج النعم الإلهيه مرتبط بهذه الجماعه فقط،و ليس بمن يدعى الإيمان الكاذب، و الملوثين بأنواع الفساد،و إن كانوا فى الظاهر من أهل الإيمان.

و فى نهـايه هـذا المقطع يعيـد تلـك الآـيه: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الويل لمن يحرم من كل هـذه النعم و الألطاف،إذ أنّ عـذاب حسـرات هـذا الحرمان ليس بأقل من نيران الجحيم المحرقه! و بما أنّ إحـدى عوامل إنكار المعاد الاهتمام بلـذّات الدنيا الزائله و الميـل إلى الحريه المطلقه للانتفـاع بهـذه اللـذّات،و يتوجه بالحـديث فى الآيه التاليه إلى المجرمين بلحن تهديـدى فيقول:كلوا و تمتعوا بالملـذات الـدنيويه فى هـذه الأيّام القلائل،و لكن اعلموا أنّ العـذاب الإلهى ينتظركم،لأنّكم مجرمون: كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ .

و قـد يكون التعبير ب(قليلا)إشاره إلى مدّه عمر الإنسان القصـيره فى الدنيا، و كذا المواهب الدنيويه التافهه مقابل النعم الأخرويه اللامتنـاهيه،إلاّـ أنّ بعض المفسّـرين يرى أنّ هـذا الخطاب هو للمجرمين فى الآخره،و لكن الالتفات إلى أنّ الآخره ليس فيها متع من مواهب الحياه للمجرمين ليتمتعوا بها،فينبغى،القول بأنّ

هذا الخطاب موجّه لهم فى الدنيا.

فى الحقيقه أنّ المتقين يستضافون فى الآخره بكامل الاحترام و التقدير، و يخاطبون بهذه الجمله المليئه باللطف و الحنان: كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئاً و أمّا عبيد الدنيا فإنّهم يخاطبون بجمله تهديديه فى هذه الدنيا: كُلُوا وَ تَمَتَّعُوا قَلِيلاً .

يقول للمتقين: بِمٰا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ و يقول لهؤلاء أيضا: إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (١) .

و على كل حال فإنّها تشير إلى أنّ مصدر العذاب الإلهى هو عمل الإنسان و ذنبه،الناشئ من عدم الإيمان أو الأسر فى قبضه الشهوات.

ثمّ يكرر التهديد بجمله: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هم أولئك الذين غرّروا و خدعوا بزخارف الدنيا و لذاتها و شهواتها و اشتروا عذاب اللّه.

و أشار فى الآيه الأخرى إلى عامل آخر من عوامل الانحراف و التعاسه و التلوث،و قال: وَ إِذٰا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لاٰ يَرْكَعُونَ .

قال كثير من المفسّرين:إنّ هذه الآيه نزلت فى«ثقيف»حين أمرهم النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بالصلاه فقالوا:لا ننحنى فإنّ ذلك سبّه علينا،

فقال صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لا خير فى دين ليس فيه ركوع و سجود» (٢) .

إنّهم لم يأبوا الركوع و السجود فحسب،بل إنّ روح الغرور و الكبر هذه كانت منعكسه على جميع أفكارهم و حياتهم،فما كانوا يسلّمون للّه،و لا لأوامر النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لا يقرّون بحقوق الناس،و لا يتواضعون للّه تعالى و للناس.

فى الحقيقه أنّ هذين العاملين(الغرور و حب الشهوه)من أهم عوامل

١- ١) -لهذه الآيه حذف و تقديره على قول مجمع البيان:(كلوا و تمتعوا قليلا فإن الموت كائن لا محاله)و لكن يبدو أن التقدير الأنسب هو(كلوا و تمتعوا قليلا و انتظروا العذاب فإنّكم مجرمون).

٢- ٢) -مجمع البيان،ج ١٠،ص ۴١٩ و نقل هذا المعنى أيضا الآلوسى فى روح المعانى و القرطبى فى تفسيره و الزمخشرى فى الكشّاف و روح البيان ذيل الآيه التى هى مورد البحث.

الإجرام و الذنب و الكفر و الظلم و الطغيان.

و احتمل البعض أنّ خطاب(اركعوا)يقال لهم فى القيامه،و لكن هذا الاحتمال بعيد،خصوصا بعد التمعن فى الآيات السابقه و الآتيه.

ثمّ يعيد هذه الآيه للمرّه العاشره و الأخيره إذ يقول: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ .

و فى آخر آيه من آيات البحث-و هى آخر آيه من السوره-يأتى السياق ممزوجا بالعتاب و مليئا بالملائمه،فجاءت الآيه بصيغه الاستفهام التعجبى،إذ يقول فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ إنّ من لم يؤمن بالقرآن الذى لو أنزل على الجبال لتصدعت و ارتجفت،فسوف لن يسلم و لن يؤمن بأى كتاب سماوى،و لا يقبل بأى منطق عقلائى،و هذ يدّل على روح العناد و التعصب.

***

ملاحظه:

كما أشرنا سابقا فى بدايه السوره إلى تكرار الآيه: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ عشر مرّات.و هذا تأكيد لواقع مهم،و شبيه ذلك كثير فى حديث العظماء و البلغاء، إذ أنّ القسم الذى يعتنون به و يؤكّدون عليه يظهر مكررا فى نثرهم و أشعارهم.

و لكن بعض المفسّرين يرى أنّ لكل آيه من هذه الآيات العشر معنى خاصّا، و تشير كل منها إلى تكذيب مواضيع سابقه لها،و لذا فإنّها لا تعد مكرره.

و نختم هذه السوره بجمله من تفسير روح البيان،يقول:إنّ هذه السوره نزلت على النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى غار قرب مسجد(خيف)بمنى و هو معروف،و أنا شخصيا قد زرت ذلك الغار.

اللّهم!جنّبنا أبدا التلوث بتكذيب آياتك.

ربّنا!جنّبنا الغرور و الهوی فإنّهما رأس کلّ خطیئه.

إلهنا!احشرنا مع المتّقین الذین ینالون رضاک و ضیافتک فی ذلک الیوم.

آمین یا ربّ العالمین نهایه سوره المرسلات ***

ص :۳۱۱

بدایه الجزء الثلاثون من القرآن الکریم

ص: ۳۱۳

سوره النّبإ

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها أربعون آیه

ص :۳۱۵

محتويات السوره:

تمتاز أغلب السور القرآنيه فى الجزء الأخير من القرآن بأنّها نزلت فى مكّه، و تؤكّد فى مواضيعها على مسأله:

المبدأ،المعاد،البشاره و الإنذار،و تتّبع أسلوب الإثاره فى الحديث،و تتعامل مع الأوتار الموقظه للضمير الإنسانى،و تمتاز معظم آياتها بقصر العباره المتضمنه لإشارات جمه،حيث تبث الحياه فى الأجساد الخاليه من الروح،و تنقلها من عالم الغفله و اللامبالاه إلى عالم الشعور بعظم المسؤوليه الملقاه على العواتق، و إلى البناء الجاد الملتزم للشخصيه الإنسانيه الحقه.

و مع كل ذلك..فلآياتها عالما خاصّا ملىء بالتفاعلات و الحركيه.

و سوره النبأ لا تشذّ عن الإطار العام لطبيعه السور المكيّه،حيث تستهل السوره بسؤال يستوقف الإنسان،و تختتم بجمله زاخره بالعبره...

و يمكننا تلخيص محتوى السوره بما يلى:

۱-السؤال عن«النبأ العظيم»و هو يوم القيامه كحدث بالغ الخطوره.

۲-الاستدلال على إمكانيه المعاد و القيامه،من خلال الاستدلال بمظاهر القدره الإلهيه فى:السماء،الأرض،الحياه الإنسانيه و النعم الرّبانيه.

۳-بيان بعض علامات بدء البعث.

۴-تصوير جوانب من عذاب الطغاه الأليم.

۵-التشويق للجنّه،بوصف أجوائها الفياضه بالنعم.

۶-و تختم السوره بالإنذار الشديد من عذاب قريب،بالإضافه لتصوير حال الذين كفروا.

و اشتق اسم السوره من الآيه(۲)..و يطلق عليها أيضا اسم سوره(عمّ)نسبه إلی أوّل كلمه وردت فی السوره بعد البسمله.

فضل تلاوتها:

روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-فی فضل تلاوتها-أنّه قال: «من قرأ سوره عمّ یتساءلون سقاه اللّه برد الشراب یوم القیامه» (۱) .

و

فی حدیث آخر عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أنّه قال: «من قرأها و حفظها كان حسابه یوم القیامه بمقدار صلاه واحده» (۲) .

و

عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال: «من قرأ عمّ یتساءلون لم یخرج سنته إذا كان یدمنها فی كل یوم حتی یزور البیت الحرام» (۳) .

***

۱- ۱) -مجمع البیان، ۱۰،۴۲۰.

۲- ۲) -تفسیر البرهان،۴،۴۱۹.

۳- ۳) -مجمع البیان، ۱۰،۴۲۰.

الآیات [سوره النبإ (٧٨): الآیات ١ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ (١) عَنِ اَلنَّبَإِ اَلْعَظِیمِ (٢) اَلَّذِی هُمْ فِیهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) کَلاّٰ سَیَعْلَمُونَ (۴) ثُمَّ کَلاّٰ سَیَعْلَمُونَ (۵)

التّفسیر

اشاره

خبر هام!

تأتی الآیه الأولی لتستفهم بتعجب: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ (١) ! و دون انتظار للجواب،تجیب الآیه الثّانیه ما سئل عنه فی الآیه الأولی: عَنِ النَّبَإِ الْعَظِیمِ .

ذلک الخبر: اَلَّذِی هُمْ فِیهِ مُخْتَلِفُونَ .

أورد المفسّرون آراء متباینه فی المقصود من«النبأ العظیم»،فمنهم من اعتبره إشاره إلی یوم القیامه،و منهم من قال بأنّه إشاره إلی القرآن الکریم،و منهم من اعتبره إشاره إلی أصول الدین من التوحید حتی المعاد.

و قد فسّرته الرّوایات بالولایه و الإمامه(و سنشیر إلی ذلک فی البحوث الآتیه).

١- ١) -«عمّ»:مخفف(عمّا)،و هی مرکبه من(عن)و(ما)الاستفهامیه.

و بنظره دقیقه إلی مجموع آیات السوره و سیاق طرحها،و ما ذکرته الآیات اللاحقه من ملامح القدره الإلهیه بعرض بعض مصادیقها فی السماء و الأرض، و بعد هذا العرض تؤکّد إحدی الآیات، إِنَّ یَوْمَ الْفَصْلِ کٰانَ مِیقٰاتاً ثمّ مخالفه و عدم تقبل المشرکین لمبدأ«المعاد»،کل ذلک یدعم التّفسیر الأوّل القائل:بأنّ النبأ العظیم هو یوم القیامه.

«النبأ»:کما یقول الراغب فی مفرداته:خبر ذو فائده عظیمه یحصل به علم أو غلبه ظن، و لا یقال للخبر فی الأصل نبأ حتی یتضمّن هذه الأشیاء الثلاثه (۱) .

فوصف«النبأ»ب«العظیم»للتأکید علی أهمیته،و للبت بأنّ ما یشک فیه البعض إنّما هو:أمر واقع،بالغ الأهمیه،خطیر..و کما قلنا فهذا المعنی یناسب کونه یوم القیامه أکثر ممّا یناسب بقیه التفاسیر.

و ربّما کانت جمله«یتساءلون»إشاره إلی الکفّار دون غیرهم،لأنّهم کثیرا ما کانوا یتساءلون فیما بینهم بخصوص«المعاد»،و ما کان تساؤلهم لأجل الفحص و التحقیق وصولا للحقیقه،بل کان لغرض التشکیک لا أکثر.

و ثمّه احتمال آخر:کون تساؤلهم کان موجها إلی المؤمنین عموما،أو إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خاصّه (۲) .

و قد یتساءل أنّه إذا کان«النبأ العظیم»هو یوم القیامه،فلما ذا یقول القرآن الکریم: اَلَّذِی هُمْ فِیهِ مُخْتَلِفُونَ ،و فی علمنا أنّ الکفار مجمعون علی إنکاره؟؟

۱- ۱) -مفردات الراغب،ماده(نبأ).

۲- ۲) -مع أنّ باب(التفاعل)غالبا ما یشیر إلی الفعل المقابل،إلاّ أنه-أحیانا-قد یعطی معنی الفعل الثلاثی المجرّد أو معان أخری..(و ذکر بعض أهل اللغه خمسه معان للتفاعل: ۱-اشتراک اثنین أو أکثر فی فعل ما. ۲-المطاوعه،مثل(تباعد). ۳-إظهار خلاف الواقع،مثل(تمرض). ۴-الوقوع التدریجی،مثل(توارد). ۵-معنی فعل ثلاثی،مثل(تعالی)بمعنی(علا).

و الجواب:أنّ المشركين لا ـ يقطعون فى إنكارهم للمعاد بشكل جازم، و الكثير منهم يعتقدون بصوره إجماليه ببقاء الروح بعد البدن،و هو ما يسمى ب (المعاد الروحانى).

أمّا بخصوص(المعاد الجسمانى)،فالمشركون ليسوا على وتيره واحده فى إنكاره،فهناك من يظهر الشكّ و التردد،كما تشير إلى ذلك الآيه(۶۶)من سوره النحل..و هناك من ينكر المعاد الجسمانى بشدّه حتى دفعهم جهلهم و عنادهم لأن ينعتوا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم(و العياذ باللّه)بالجنون لقوله بالمعاد الجسمانى،و قد عرفوه تاره أخرى بالكاذب على اللّه!كما أخبرت بذلك سوره سبأ فى الآيتين(۷ و ۸)..

و عليه،فاختلاف المشركين فى«المعاد»أمر واقع و لا يمكن إنكاره.

و يضيف القرآن قائلا: كَلاّٰ سَيَعْلَمُونَ (۱) ،فليس الأمر كما يقولون أو يظنون.

و يجدد التأكيد: ثُمَّ كَلاّٰ سَيَعْلَمُونَ .

فسيعلمون فى ذلك اليوم الواقع حتما: أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يٰا حَسْرَتیٰ عَلیٰ مٰا فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّٰهِ (۲) ،يوم ينهال العذاب الإلهى على الكافرين فيقولون بصرخات مستغيثه: هَلْ إِلیٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (۳) .

بل و إنّ طلب العوده إلى الحياه لجبران خطيئاتهم سيطرح فى أولى لحظات الموت،حين تزال الحجب عن عين الإنسان فيرى بأمّ عينيه حقيقه عالم الآخره، فيستيقن حياه البرزخ و المعاد،و لا يبقى عنده إلاّ أن يقول: رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّی أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ . (۴)

«السين»فى«سيعلمون»حرف استقبال(يستعمل للمستقبل القريب)،و هو

۱- ۱) -المعروف بين أوساط علماء اللغه بأن«كلاّ»حرف ردع،و لكنّ ثمّه من قال باستعمالات أخرى لهذا الحرف و لكنها نادره، و هى:أ-حرف تأكيد.ب-بمعنى(ألا)الاستفتاحيه.ج-حرف جواب بمنزله(نعم).(راجع مجمع البحرين و كتب اللغه).

۲- ۲) -الزمر،الآيه ۶.

۳- ۳) -الشورى،الآيه ۴۴.

۴- ۴) -المؤمنون،۹۹-۱۰۰.

فی الآیه المبارکه یشیر إلی قرب وقوع یوم القیامه،و ما نسبه أیّام الدنیا للآخره إلاّ ساعه من الزمن! أمّا تکرار جمله«کلّا سیعلمون»،فقیل:للتأکید.و قیل:لبیان وقوع أمرین..

الأوّل:قرب وقوع العذاب الدنیوی.و الثّانی:الإشاره إلی قرب عذاب الآخره أیضا.و قد رجح المفسّرون التفسیر الأوّل.

و ثمّه احتمال آخر،و هو أنّ نمو و تطور الفکر البشری سیوصل البشریه إلی التقدم العلمی الذی یثبت بالأدله العلمیه و الشواهد الحیّه تحقق یوم القیامه، بالشکل الذی یبطل کل حیل الإنکار و عدم الإقرار.

و یشکل علی هذا الاحتمال..کون ما سیحصل من تطور و تقدم إنّما یختص بالأجیال القادمه،فی حین أنّ الآیه تتحدث عن المشرکین فی عهد النّبی صلّی اللّه علیه و آله، و تناولت مسأله اختلافهم فی أمر یوم القیامه.

***

بحوث

اشاره

۱-«الولایه»و«النبأ العظیم»

تقدم أنّ هناک عدّه معان لل«النبأ العظیم»،مثل:القیامه،القرآن،أصول الدین..إلاّ أنّ القرائن الموجوده فی مجموع آیات السوره تدعم تفسیر«النبأ» ب«المعاد»و ترجحه علی الجمیع.

و لکنّنا نجد فی روایات أهل البیت علیهم السّلام و فی بعض روایات أهل السنّه أنّ «النبأ العظیم»بمعنی إمامه أمیر المؤمنین علیه السّلام،حیث کانت مثار جدال و نقاش بین جمع من المسلمین،و هناک من فسّر«النبأ العظیم»بالولایه بشکل عام.

و إلیکم ثلاث روایات،علی سبیل المثال لا الحصر:

۱-ما

روی الحافظ محمّد بن مؤمن الشیرازی(أحد علماء السنّه)عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أنّه قال فی تفسیر عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِیمِ :«ولایه علی یتساءلون عنها فی قبورهم،فلا یبقی میت فی شرق و لا غرب و لا فی برّ و لا فی بحر إلاّ و منکر و نکیر یسألانه عن ولایه أمیر المؤمنین بعد الموت،یقولان للمیت:

«من ربّک؟و ما دینک؟و من نبیّک؟و من إمامک؟» (۱) .

۲-و

روی أنّ رجلا خرج یوم صفین عن عسکر الشام و علیه سلاح و فوقه مصحف و هو یقرأ: عَمَّ یَتَسٰاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِیمِ فخرج له علی علیه السّلام،فقال له:

«أتعرف النبأ العظیم الذی هم فیه یختلفون»؟قال:لا.

فقال له علیه السّلام:«أنا و اللّه النبأ العظیم الذی فیه اختلفتم و علی ولایته تنازعتم، و عن ولایتی رجعتم بعد ما قبلتم،و ببغیکم هلکتم بعد ما بسیفی نجوتم،و یوم الغدیر قد علمتم،و یوم القیامه تعلمون ما علمتم» (۲) .

-۳

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام أنّه قال، «النبأ العظیم الولایه» (۳) .

و للجمع بین مضمون ما تناولته الروایات و ما جاء فی تفسیر النبأ العظیم بالمعاد،لا بدّ من الانتباه إلی ما یلی:

۱-«النبأ العظیم»کمفهوم قرآنی-مثل سائر المفاهیم القرآنیه-له من السعه ما یشمل کل ما ذکر من معان،و إذا کانت قرائن السوره تدلّ علی أنّ المقصود منه «المعاد»،فهذا لا یمنع من أن تکون له مصادیق أخری.

۲-کما هو معلوم أنّ للقرآن بطونا مختلفه و ظواهرا متعدده،و أدله و قرائن الاستخراج مختلفه أیضا،و بعباره أخری:أنّ لمعانی آیات القرآن دلالات التزامیه لا یعرفها إلاّ من غاص فی بحر علمها و معرفتها،و لا یکون ذلک إلاّ

۱- ۱) -رساله الإعتقاد لأبی بکر محمد بن مؤمن الشیرازی(علی ما ذکر فی إحقاق الحق،ج ۳،ص ۴۸۴).
۲- ۲) -تفسیر البرهان،ج ۹،ص ۴۲۰.
۳- ۳) -تفسیر البرهان،ج ۳،ص ۴۱۹.

للخاصّه من الناس.

و ليست الآيه المذكوره منفرده فى أنّ لها ظاهر و باطن دون بقيه آيات القرآن،حيث أنّ الأحاديث و الرّوايات الشريفه فسّرت كثير من الآيات بمعان مختلفه،بعضها ما ينسجم مع ظاهر الآيه،و البعض الآخر يشير إلى المعنى الباطن لها.

و لا بدّ من التأكيد على حقيقه خطيره،و هى:لا يجوز قطعا بأن نضع للقرآن معنى باطنا بحسب رأينا و فهمنا،بل لا بدّ من وجود قرائن و أدله واضحه،أو بالاعتماد على تفاسير النّبى صلّى اللّه عليه و آله و الأئمّه عليهم السّلام الصحيحه،لكى لا يكون وجود بطون للقرآن ذريعه بأيد المنحرفين و المتطرفين و ذوى الأهواء ليفسّروا القرآن بحسب ما يشتهون و يرغبون.

۲-سرّ التأكيد على المعاد:

قلنا،إنّ من كبريات المسائل المهمّه التى يتمّ التأكيد عليها فى السور المكيّه للجزء الأخير من القرآن هى مسأله«المعاد»مع تصوير حياه الإنسان فى عالم البرزخ لما لهذه المسأله من أهميه و تأثير على الإنسان فى حياته الدنيا،فمجرّد أن يحسب و يفكر الإنسان بأنّ ثمّه عالم ينتظره و فيه محاسبه دقيقه و بعدها إمّا ثواب أو عقاب،فمجرّد هذا الإحساس كفيل لأن يدفع الإنسان بالتفكير فى مستقبله الأبدى،و أن يعمل على ضوء تحسبه.

فهناك محكمه..لا تخفى عليها خافيه،لا ظلم فيها و لا جور،لا تخطئ و لا تشتبه،و لا رشوه فيها و لا توصيه،و فوق هذا و ذلك فلا مجال للمتهم فيها لأن يكذب أو ينكر...إذن فلا سبيل للنجاه من عقاب الآخره إلّا بترك الذنوب و العمل وفق مقتضيات الشرع فى هذه الحياه الفانيه.

إنّ الإيمان بوجود محكمه العدل الإلهى تدفع الإنسان لأن:يتحرك ضميره،

تتيقظ نفسه من غفلتها الماكره،تحيى فيه روحيه التقوى فيه و يتحسس عظم المسؤوليه الملقاه على عاتقه،فيبدأ بتشخيص وظائفه و تكاليفه الشرعيه للقيام بها على أحسن وجه.

و أساسا فإنّ شيوع الفساد فى أى محيط يرجع إلى أمرين:ضعف التوجيه و المراقبه،و فقدان القوه القضائيه الرادعه،فإذا خضعت أعمال الناس إلى توجيه مبرمج يقظ،بالإضافه إلى توفر القوانين القضائيه الصارمه لكل من يشذ عن جاده القانون،فإنّ الفساد و الاعتداء و الطغيان و الحال هذه يكاد ينعدم فى ذلك المحيط.

الحياه الدنيويه التى تفعم ببرنامج موجه إلى طريق الحق،و قوه قضائيه ساعيه لرضوانه جلّ شأنه،و عامله على خدمه البشريه، تدفع الإنسان لأن يدرك بوضوح مصاديق الهدايه الإلهيه،و يشعر لذه حياته الروحيه.

فالإيمان بوجود من: لاٰ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقٰالُ ذَرَّهٍ (۱) ،و الإيمان بحتميه «المعاد»الذى تصدقه الآيه: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ (۲) ،فهكذا الإيمان كفيل بأن يخلق فى الإنسان حاله التقوى التى هى بمثابه مركز للإشعاع الرّبانى على جميع أبعاد حياته.

***

۱- ۱) -سبأ،الآيه ۳.

۲- ۲) -الزلزله،الآيه ۷-۸.

الآیات [سوره النبإ (۷۸): الآیات ۶ الی ۱۶]

اشاره

أَ لَمْ نَجْعَلِ اَلْأَرْضَ مِهاداً (۶) وَ اَلْجِبالَ أَوْتاداً (۷) وَ خَلَقْناکُمْ أَزْواجاً (۸) وَ جَعَلْنا نَوْمَکُمْ سُباتاً (۹) وَ جَعَلْنَا اَللَّیْلَ لِباساً (۱۰) وَ جَعَلْنَا اَلنَّهارَ مَعاشاً (۱۱) وَ بَنَیْنا فَوْقَکُمْ سَبْعاً شِداداً (۱۲) وَ جَعَلْنا سِراجاً وَهّاجاً (۱۳) وَ أَنْزَلْنا مِنَ اَلْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً (۱۴) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً (۱۵) وَ جَنّاتٍ أَلْفافاً (۱۶)

التّفسیر

اشاره

کل شیء بأمرک یا ربّ...

تجیب الآیات المذکوره علی أسئله منکری المعاد و المختلفین فی هذا «النبأ العظیم»لأنّها تستعرض جوانب معینه من نظام الکون و عالم الوجود الموزون،مع تبیانها لبعض النعم الإلهیه الواسعه ذات التأثیر الفعال فی حیاه الإنسان،و ذلک من جهه دلیل علی قدره الباری عزّ و جل المطلقه،و منها قدرته علی إعاده الحیاه إلی الإنسان بعد موته.

و من جهه أخری إشاره إلی أنّ الکون و ما فیه من دقّه تنظیم،لا یمکن أن یخلق لمجرّد العبث و اللهو!بل لا بدّ من وجود حکمه بالغه لهذا الخلق.فی حین

ص :۳۲۶

أنّه لو كـان الموت يعنى نهـايه كل شـىء،فمعنى ذلك أنّ وجود العالم عبث و خال من أيّه حكمه!! و بهـذا فقـد اسـتدل القرآن الكريم على حقيقه«المعاد»بطريقين:

١-برهان القدره.

٢-برهان الحكمه.

و قـد عرضت الآيـات الإحـدى عشـر،اثنتى عشـر نعمه إلهيه،بأسـلوب ملؤه اللطف و المحبّه،مصـحوبا بالاسـتدلال،لأنّ الاسـتدلال العقلى لو لم يقترن بالإحساس العاطفى و النشاط الروحى يكون قليل التأثير.

و تشرع الآيات بالإشاره إلى نعمه الأرض،فتقول: أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهٰاداً .

(المهاد):كما يقول الراغب فى المفردات:المكان الممهّد الموطأ،و هو فى الأصل مشتق من«المهد»،أى المكان المهيأ للصبى.

و فسّره بعض أهل اللغه و المفسّرين بالفراش،لنعومته و استوائه و كونه محلا للراحه.

و اختيار هذا الوصف للأرض ينم عن مغزى عميق..

فمن جهه:نجد فى قسم واسع من الأرض الإستواء و السهوله،فتكون مهيئه لبناء المساكن و الزراعه.

و من جهه ثـانيه:أودع فيهـا كـل ما يحتاجه الإنسان لحياته من المواد الأوليه إلى المعادن الثمينه،سواء كان ذلك على سـطحها أم فى باطنها.

و من جهه ثالثه:تحلل الأجساد الميته التى تودع فيها،و تبيـد كل الجراثيم الناشـئه عن هـذه العمليه بما أودع فيها البارى من قـدره على ذلك.

و من جهه رابعه:ما لحركتها السـريعه المنظمه و لدورانها حول الشـمس و حول نفسـها من أثر على حياه البشـريه خاصّه،بما ينجم عنها الليل و النهار

و الفصول الأربعه.

و من جهه خامسه:خزنها لقسم كبير من مياه الأمطار الغزيره،و إخراج ذلك على شكل عيون،آبار،أنهار.

و الخلاصه:إنّ جميع وسائل الاستقرار و العيش لبنى آدم متوفره فى هذا المهد الكبير،و قد لا يلتفت الإنسان إلى عظم هذه النعمه الرّبانيه،إلاّ إذا ما أصاب الأرض زلزالا..،و عندها سيدرك معنى استقرار الأرض،و معنى كونها مهادا.

و بما أنّ نعمه استواء الأرض و سهولتها قد تهمش نعمه الجبال،فقد جاءت الآيه التاليه لتبيّن أهميه الجبال و دورها المهم فى حياه الإنسان: وَ الْجِبٰالَ أَوْتٰاداً .

تشكل الجبال آيه ربانيه زاخره بالعطاء،و تؤدى وظائف كثيره،منها أنّها تحفظ القشره الأرضيه من الانهيار أمام الضغط الحاصل من المواد المذابه داخلها، و ذلك لعمق تجذرها المترابط داخل الأرض..و تحافظ عليها من تأثيرات جاذبيه القمر فى عمليه المد و الجزر..و تشكل جدران الجبال سدا منيعا للتقليل من آثار الرياح الشديده و العواصف المدمره..و تهيأ للإنسان الملاجئ الهادئه فى مغاراتها و بين تعرجاتها لتأمنه من ضربات العواصف المهلكه..و تقوم بخزن المياه و ادخار أنواع المعادن الثمينه فى باطنها..

بالإضافه لكل ما ذكر،فتوزيع الجبال على الأرض بالشكل الموجود و تعاملا مع حركه الأرض يعمل على تنظيم حركه الهواء المحيط بالكره الأرضيه بالشكل الذى يؤثر ايجابيا على الحياه فوق الأرض.و فى هذا المجال،يقول العلماء:لو كان سطح الكره الأرضيه مستويا كله،لتولدت عواصف شديده لا يمكن السيطره عليها جراء حركه الأرض و سكون الغلاف الجوى،و لفقدت الأرض صلاحيتها بتوفير مستلزمات السكن للإنسان،لأنّ استمرار الاحتكاك

الحاصل من حركه الأرض الدائمه و سكون الغلاف الجوى سيؤدى بلا شك إلى زياده حراره القشره الأرضيه ممّا يجعل الأرض غير صالحه لسكنى الإنسان.

و بعـد أن بيّن القرآن هـذين النموذجين من النعم الإلـهيه و الآيات الآفاقيه، عرج إلى ذكر ما أنعم البارى على الإنسان من النعم و الآيات الانفسيه فقال:

وَ خَلَقْنٰاكُمْ أَزْوٰاجاً

(۱)

.

«الأزواج»:جمع زوج،المتشكل من الـذكر و الأنثى،و يخرج الإنسان إلى حياه الوجود من هـذين الجنسين،و يستمر وجوده فى الحياه من خلال عمليه التناسل التى تساهم فى استقرار الإنسان من الناحيتين الجسميه و النفسيه،كما تشير إلى هذا الآيه(۲۱)من سوره الروم: وَ مِنْ آيٰاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوٰاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهٰا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً .

و بعباره أخرى:إنّ كلا من الـذكر و الأنثى مكمل لوجود الآخر،و عاملا على إشباع احتياجات الطرف الآخر من الناحيتين الجسميه و النفسيه.

و فسّر البعض كلمه«أزواج»بالأصناف المختلفه للناس،لأنّ من معانى (أزواج):الأصناف و الأنواع،فاعتبروها إشاره إلى ذلك التباين الموجود بين البشر من حيث:اللون،الجنس،الاستعدادات و القابليات،للدلاله على عظمه البارى جلّ شأنه و العامل على تكامل المجتمع الإنسانى.

و يشير بعد ذلك إلى نعمه النوم،فيقول: وَ جَعَلْنٰا نَوْمَكُمْ سُبٰاتاً .

«السبات»:من السبت،بمعنى القطع،ثمّ استعملت بمعنى(تعطيل العمل) لأجل الاستراحه،و سمى«يوم السبت»بذلك لأنّ اليهود كانوا يعطلون أعمالهم فى اليوم المذكور.

و يحمل وصف«النوم»بالسبات إشاره لطيفه إلى تعطيل قسم من الفعاليات

۱- ۱) -جمله وَ خَلَقْنٰاكُمْ أَزْوٰاجاً و ما بعدها،جاءت بصيغه الإثبات،أمّا ما احتمله البعض من كونها جملا منفيه معطوفه على قوله تعالى: أَ لَمْ نَجْعَلِ المتقدم فى الآيه الأولى فبعيد و يحتاج إلى تقدير لا موجب.

الجسميه و الروحيه للإنسان عند النوم.

و يعطى التعطيل فرصه:لاستراحه أعضاء البدن..لتجديـد القوى..لتقويه الروح و الجسد،لتجديد النشاط و رفع أىّ نوع من التعب و الآلام،و الاستعداد لتقبل المرحليه القادمه(بعد النوم)بفاعليه و نشاط متجدد.

و بالرغم من أنّ النوم يشـكّل ثلث حياه الإنسان،و لكنّ الإنسان لا زال يجهل الكثير من خفاياه،بل و لا زال الإنسان(منذ القديـم و حتى الآن)لا يعرف سـبب تعطيل بعض فعاليات الدماغ فى مدّه معينه و تغمض العين أجفانها و تسكن جميع أعضاء البدن! و بات من المعروف ما للنوم من دور مهم فى حياه الإنسان،حتى حرص أطباء علم النفس دوما على تنظيم نوم مرضاهم بصورته الطبيعيه حفاظا على حاله التوازن النفسى للمرضى.

فالـذين لا يتمتعون بنوم طبيعى تراهم مصابون بحدّه المزاج،القلق، الاضـطراب،الكآبه،و بالمقابل،نرى الذين يتمتعون بنوم طبيعى ينهضون كل صباح بنشاط و حيويه و بقدره جديده.

و من بين ما يقـدمه النوم من تأثير مهم على الإنسان:سـرعه تقبل ذهن الإنسان للـدراسه و المطالعه بعـد فتره نوم طبيعيه و هادئه و سرعه إنجاز الأعمـال الفكريه و البـدنيه و لعـلّ من أسـهل أساليب تعـذيب الإنسان هو حرمانه من النوم، خصوصا و أنّ التجارب العلميه أثبتت بأنّ قابليه الإنسان على تحمل الأرق ضعيفه جدّا،و إذا حاول أىّ إنسان أن يجرب ذلک،فلا تمضى عليه فتره وجيزه إلّا و يصاب فى سلامته و يمرض.

و كـلّ مـا ذكر من فوائـد النوم فـإنّه يختص بالنوم الطبيعى الموزون،و أمّا إذا زاد عن حـدّه الطبيعى فلا يجنى صاحبه سوى الآثار السلبيه لهذا الإفراط،كحال الإفراط فى الطعام.

و من الغريب أنّ نسبه فتره النوم تختلف من إنسان لآخر،و لا يمكن تعيين فتره محدده لكل الناس،و عليه..فكل إنسان يعرف الفتره التى تناسبه طبيعيا بما يناسب فعالياته الجسميه و الروحيه،و تجربه الإنسان هى التى تعين نسبه النوم الضرورى له.

و الأغرب من ذلك،إنّه قد يضطر الإنسان فى الحوادث و الشدائد إلى السهر و اليقظه مدّه طويله،و لذلك تزداد مقاومته للنوم بشكل ملحوظ و لكنّه مؤقت، و قد يستكفى فى تلك الأحيان بساعه أو ساعتين من النوم لليوم الواحد،و لكن..

سرعان ما ينتهى ذلك التمكن بمجرّد الرجوع إلى الحاله الطبيعيه،بل و قد يحتاج لساعات نوم أطول من السابق للتعويض عمّا فاته من نوم! و من النادر أن نرى إنسانا يعيش حاله اليقظه لعده أشهر،و فى قبال ذلك نرى بعض الناس ينامون أثناء المشى،بل و هناك من ينام و أنت تشاطره أطراف الحديث،و مثل هكذا أشخاص يعيشون حاله غير طبيعيه و غالبا ما تكون الحوادث المؤسفه فى انتظارهم،فالضروره تقتضى ألّا يتركوا بدون مراقب أو مرافق.

و الخلاصه:إنّ هذا الحادث العجيب و الظاهره الغامضه التى تدعى ب«النوم» مصحوبه بعجائب كثيره و كأنّها معجزه من المعاجز (۱) .

و مع أنّ ذكر النوم فى الآيه قد جاء باعتباره إحدى النعم الإلهيه،إلّا أنّ الآيه المباركه قد تشير بذلك إلى الموت،لما للنوم من شبه بالموت،و الاستيقاظ بالبعث.

و بعد الانتهاء من ذكر نعمه النوم،ينتقل القرآن الكريم لذكر نعمه الليل، فيقول: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبٰاساً .

۱- ۱) -للتزود من عجائب عالم النوم،راجع ما بحثناه فى تفسير الآيه(۳۴)من سوره الروم.و كذا الرؤيا و عجائبها فى ذيل الآيه (۴)من سوره يوسف.

و تضیف الآیه التالیه مباشره: وَ جَعَلْنَا النَّهٰارَ مَعٰاشاً (۱) .

الآیتـان تفنـدان جهـل الثنویون بأسـرار الخلق،حیث یقولون:إنّ النور و النهـار نعمه،و الظلام و اللیل شـر و عـذاب،و یجعلون لکلّ منهما خالق(إله الخیر و إله الشر)..و بقلیل من التأمل نجد أنّ کلًّا منهما یمثل نعمه إلهیه معطاءه،حیث تنبع منها نعم أخری.

و شـبهت الآیه اللیـل باللبـاس و الغطـاء الـذی یلقی علی الأرض لیشـمل کل من علی الأرض،و لیجبر فعالیات الموجودات الحیّه المتعبه علی الأرض بالتعطـل عن الحرکه و ممـارسه النشاطـات،و یخیم الظلام و السـکون لیضـفی علی الأرض الهـدوء لیستریح النـاس من رحله العمل و المعاناه خلال النهار،و لیتمکنوا من مواصـله نشاطهم للیوم التالی لأنّ النوم المریـح لا یتیسـر للإنسان إلّا فی أجواء مظلمه.

و بالإضافه لکل ما ذکر،فحلول اللیل یعنی زوال نور الشمس و إلّا لانعدمت الحیاه و احترقت جمیع النباتات و الحیوانات فی حال استمرار شروق الشمس.

و لـذا نجـد القرآن الکریم یؤکّـد علی هذه الحقیقه،فتاره یقول: قُلْ أَ رَأَیْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّٰهُ عَلَیْکُمُ النَّهٰارَ سَرْمَداً إِلیٰ یَوْمِ الْقِیٰامَهِ مَنْ إِلٰهٌ غَیْرُ اللّٰهِ یَأْتِیکُمْ بِلَیْلٍ تَسْکُنُونَ فِیهِ (۲) .و تأتی الآیه التالیه لتقول: وَ مِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَکُمُ اللَّیْلَ وَ النَّهٰارَ لِتَسْکُنُوا فِیهِ وَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ (۳) و یلاحظ فی القرآن الکریم أنّه قد أقسم بأمور کثیره،و لکن قسمه لا یتعدی المره الواحده لکل ما قسم به،ما عدا اللیل فقد جاء القسم به سبع مرات!و لمّا کان القسم بشیء دلیل علی أهمیته،فهذا یعنی

۱- ۱) -«المعـاش»:إمّـا أن یکون اسم زمان أو اسم مکان،بمعنی زمان و مکان الحیاه..و یمکن أن یکون مصـدرا میمیا،فیکون له محـذوف،و التقـدیر:(سـببا لمعاشـکم).و المعـاش:من العیش،أی الحیـاه،إلّا أنّ تعبیر الحیاه یمکن إطلاقه علی الباری عزّ و جلّ و الملائکه،فیما تختص کلمه العیش بحیاه الإنسان و الحیوان.

۲- ۲) -القصص،الآیه ۷۲.

۳- ۳) -القصص،الآیه ۷۲.

فقد جاء القسم به سبع مرات!و لمّا كان القسم بشیء دلیل علی أهمیته،فهذا یعنی أنّ للّیل أهمیّه بالغه.

الأشخاص الذین یضیئون اللیل بأنوار صناعیه و یسهرون لیلهم و یقضون نهارهم بالنوم،هم أناس غیر طبیعیین،و تری علامات الکسل و الخمول بادیه علیهم.فی حین نری القرویین أکثر صحه من أهل المدن و أسلم بدنا و حواسا، لأنّهم ینامون بعد حلول اللیل بقلیل و یستیقظون مبکرا.

و من منافع اللیل الجانبیه أنّ فیه(وقت السحر)الذی هو أفضل أوقات الدعاء و الصلاه و مناجاه الباری جلّ شأنه لتربیه و تزکیه النفوس،کما تصف الآیه (١٨)من سوره الذاریات عبّاد اللیل: وَ بِالْأَسْحٰارِ هُمْ یَسْتَغْفِرُونَ (١) .

و النهار بنوره الفیاض نعمه ربانیه عظیمه،حیث یدفع الإنسان لیتحرک و یسعی لبناء حیاته و مجتمعه،و بالنور تنمو النباتات،و تمارس الحیوانات شؤون حیاتها و حقّا قال الباری: وَ جَعَلْنَا النَّهٰارَ مَعٰاشاً ،بما لا یدع مجالا للتفصیل و الشرح.

و خاتمه المقال:إنّ تعاقب اللیل و النهار و ما فیهما من نظام دقیق آیه بیّنه من آیات خلقه سبحانه و تعالی،إضافه إلی أنّه تقویم طبیعی لتفصیل الزمن فی حیاه الإنسانیه علی مرّ التاریخ.

و تأتی الآیه التالیه لتنقلنا من عالم الأرض إلی عالم السماء حین تقول:

وَ بَنَیْنٰا فَوْقَکُمْ سَبْعاً شِدٰاداً

.

قد یراد من العدد المذکور بالآیه«الکثره»،للإشاره إلی کثره الأجرام السماویه و المنظومات الشمسیه و المجرات و العوالم الواسعه لهذا الوجود،و التی تتمتع بخلق محکم و بناء رصین لا خلل فیه..و یمکن أن یراد منه العدد،للإشاره

١- ١) -راجع بحوثنا حول أسرار اللیل و النهار،و نظام النور و الظلمه فی ذیل الآیات(٧١-٧٣)من سوره القصص،فی ذیل الآیه (٤٧)من سوره الفرقان،فی ذیل الآیه(١٨)من سوره الذاریات.

إلى أنّ الكواكب و ما يبدو لنا منها إنّما تعود إلى السماء الأولى،كما أشارت الآيه (۶)من سوره الصافات إلى ذلك: إِنّٰا زَيَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْيٰا بِزِينَهٍ الْكَوٰاكِبِ .و ثمّه سماوات سته و عوالم أخرى وراء السماء الأولى«الدنيا»خارجه عن حدود معرفتنا.

و ثمّه احتمال آخر،و هو أنّ المراد منها طبقات الهواء المحيطه بالأرض فإنّها مع رقتها تتمتع باستحكام و قوه عجيبه بحيث تحمى الأرض من آثار الشهب الملتهبه و المتساقطه عليها باستمرار،فبمجرّد دخول الشهب فى الغلاف الجوى الرقيق نتيجه لجاذبيه الأرض لها،تحترق تلك الشهب لاحتكاكها السريع بالغلاف الجوى حتى تتلاشى،و لولا تلك الطبقات الجويه المحيطه بالكره الأرضيه لكانت المدن و القرى عرضه للإصابه بتلك الصخور و الأحجار السماويه المتساقطه عليها على الدوام.

و قد توصل بعض العلماء إلى أنّ سمك الغلاف الجوى يقرب من مائه كيلومتر،و له من الأثر ما يعادل سقف فولاذى بسمك عشره أمتار! و بذلك نحصل على تفسير آخر لما جاء فى الآيه.. ...سَبْعاً شِدٰاداً (۱) .

و بعد أن أشار القرآن إجمالا إلى السماوات،يشير إلى نعمه الشمس،فيقول:

وَ جَعَلْنٰا سِرٰاجاً وَهّٰاجاً

(۲)

.

«الوهّاج»:من الوهج،بمعنى النور و الحراره التى تصدر من النار (۳) .

و إطلاق هذه الصفه على الشمس، للإشاره إلى نعمتين كبيرتين و هما:(النور) و(الحراره)و يتفرع عنهما نعم و عطايا كثيره يزخر بها عالمنا.

و لا تتحدد فوائد نور الشمس بإضاءه الدنيا للإنسان،بل لها أثر كبير فى نمو

۱- ۱) -لزياده المعلومات،راجع ذيل الآيه(۲۹)من سوره البقره.

۲- ۲) -«جعلنا»:فى هذا الموضوع بمعنى(خلقنا)،فلذلك أخذت مفعولا واحدا.

۳- ۳) -مفردات الراغب:ماده(وهج)..و فى لسان العرب:الوهج:حراره الشمس و النار من بعيد.

سائر الکائنات الحیّه.

و إضافه لکل ما تقدم،فلحراره الشمس أثر أساس فی:تکوّن الغیوم،حرکه الهواء،نزول الأمطار،و سقی الأراضی الیابسه.

و لأشعه الشمس کذلک الأثر البالغ فی مکافحه الجراثیم،لاحتوائها علی الأشعه ما وراء الحمراء التی تقتل الجراثیم،و لولاها لتحولت الأرض إلی مستشفی عظیمه،و لانتهت الحیاه البشریه علی ظهرها خلال مدّه محدوده جدّا.

و أشعه الشمس فی واقعها:نور صحی مجانی دائمی،یصلنا بکیفیه لا هی بالشدیده المحرقه،و لا هی بالقلیله العدیمه التأثیر.

و نسبه ما یصلنا من الطاقه الشمسیه قیاسا مع بقیه المصادر کثیر جدّا،و علی سبیل الفرض:فلو أردنا إنماء شجره تفاح بواسطه نور صناعی،فستکلفنا التفاحه الواحده مبلغا رهیبا.نعم..فنعمه هذا السراج الوهّاج لا یمکننا تعویضها بمال کل الأغنیاء (۱) .

و قد قدّر حجم الشمس بما یقارب الملیون و ثلاثمائه ألف مرّه نسبه إلی حجم الکره الأرضیه،و الفاصله بین الشمس و الأرض تقدر بحدود مائه و خمسین ملیون کیلومتر..و أنّ حراره الشمس الخارجیه تصل إلی سته آلاف درجه مئویه..و تصل حرارتها الداخلیه ما یقارب ملیون درجه مئویه!و هذا النظام الموزون بحکمه بالغه،لمن الدقه بحال أنّه لو اختل قلیلا(زیاده أو نقصان) لما أمکن للبشر أن یعیشوا علی سطح الکره الأرضیه،و لا یسعنا المجال لنتطرق

۱- ۱) -ورد فی کتاب عالم النجوم من تألیف(آنتری وایت)حسابا للنور و الحراره الواصلین من الشمس إلی الأرض،یقول صاحب الکتاب:لو أردنا أن ندفع أجورا مقابل ما یصلنا من نور و حراره الشمس مجانا بما یساوی ما ندفعه من أجور الکهرباء عاده،فعلی سکان الأرض أن یدفعوا لکل ساعه من النور و الحراره ملیار و سبعمائه ملیون دولار،و إذا حسبنا ما علینا أن ندفع خلال سنه واحده فسنصل إلی رقم خیالی من الدولارات،و بهذا یظهر قیمه ما وهبنا اللّه تعالی من ثروه طائله دون مقابل. و یقول مؤلف کتاب(من العوالم البعیده):إنّ أهل الأرض لو أرادوا الحصول علی ما یصلهم من نور الشمس من مصابیح توضع فی مکان الشمس للزم لکل منهم خمسه ملایین ملیار مصباح ذو مائه واط.

لمزيد من التفصيل و البيان حول هذا الموضوع.

و بعد ذكر نعمه النور و الحراره يتناول القرآن نعمه حياتيه أخرى لها ارتباط بأشعه الشمس،و يقول: وَ أَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً .

«المعصرات»:جمع«معصر»،من العصر بمعنى الضغط..و الكلمه تشير إلى أنّ الغيوم تقوم بعمليه و كأنّها تعصر نفسها عصرا لكى ينهمر منها الماء على شكل أمطار (۱) (ينبغى ملاحظه أنّ«المعصرات»جاءت بصيغه اسم فاعل).

و فسّرها بعضهم بالغيوم المستعده لإنزال الأمطار، باعتبار أنّ اسم الفاعل يأتى فى بعض الأحيان بمعنى الاستعداد للقيام بعمل ما.

و قال بعض آخر:إنّ«المعصرات»ليست صفه للغيوم،و إنّما للرياح التى تقوم بضغط و عصر الغيوم.

«الثجاج»:من الثج،بمعنى سيلان الماء بكميه كبيره،و«ثجاج»صيغه مبالغه، و يراد بها هنا غزاره الأمطار المنهمره نتيجه العصر الحاصل للغيوم.

و بالإضافه لكون المطر منبعا لكثير من مصادر الخير و البركه،فهو:ملطف للجو،مزيل للتلوثات الموجوده فى الجو،مخفض للحراره و معدل للبروده، مقلل لأسباب الأمراض،يمنح الإنسان روحا متجدده و نشاطا،و مع كل ذلك..

فقد ذكر القرآن ثلاث فوائد أخرى له: لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَباتاً .

وَ جَنّاتٍ أَلْفافاً

.

يقول الراغب فى مفرداته:«ألفافا»:أى التفّ بعضها ببعض لكثره الشجر (۲) .

و الآيتان تشيران إلى ما يستفيد منه الإنسان و الحيوان من المواد الغذائيه التى

۱- ۱) -يقول بعض العلماء:إنّ الغيوم حين تتراكم تخضع لنظام معين،حيث تقوم بعصر نفسها فتتساقط قطرات الأمطار منها،و هذا فى واقعه يكشف عن إحدى المعاجز العلميه للقرآن فى استعماله لهذا التعبير(راجع كتاب-الهواء و الأمطار).

۲- ۲) -(ألفاف):جمع لفيف-كما يقول كثير من أهل اللغه و التفسير-و قال بعضهم:جمع لف(بضم اللام).و قال بعض آخر:جمع لف(بكسر اللام).و قال آخرون:هى جمع لا مفرد له..و لكنّ المشهور هو القول الأوّل.

تخرج من الأرض،فالحبوب الغذائيه تشكل قسما مهمّا من المواد الغذائيه «حبّا»،و الخضر تشكل القسم الآخر«و نباتا»،و تأتى الفاكهه لتشكل القسم الثالث«و جنّات».

و لا تنحصر فوائد المطر بهذه الفوائد الثلاث المذكوره فى هاتين الآيتين، فللماء دور أساسى و حيوى فى عمليه حياه الكائنات الحيّه،و على الأخص الإنسان،حيث أنّ الماء يشكل ما يقارب السبعين فى المائه من بدنه،بل و يتعدى ذلك ليشمل كل كائن حىّ،كما يشير القرآن الكريم لهذه الحقيقه: وَ جَعَلْنٰا مِنَ الْمٰاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ (١) .

و تتجاوز فوائد الماء حدود الكائن الحىّ لتشمل:المصانع،جمال الطبيعه، و أفضل الطرق التجاريه و الاقتصاديه هى الطرق المائيه.

***

ملاحظه:

اشاره

علاقه الآيات ب«المعاد»:

أشارت الآيات المبحوثه إلى أهم العطايا الرّبانيه و النعم الإلهيه و التى لها الدور المهم و الأساس فى الحياه البشريه:النور،الظلمه،الحراره،الماء،التراب و النباتات.

و ذكر نظام الكون على ما فيه من دقه موزونه و محسوبه لدليل على قدره اللّه عزّ و جلّ المطلقه من جهه،و به يسد كل ثغرات التساؤل عن قدره اللّه على إحياء الموتى،و كما أجابت آخر سوره«يس» منكرى المعاد بالقول: أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ بِقٰادِرٍ عَلىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ (٢) .

ص: ٣٣٧

١- ١) -الأنبياء،الآيه ٣٠.

٢- ٢) -سوره يس،الآيه ٨١.

و من جهه أخری أنّه لا بدّ أن یکون لهذا الخلق العظیم من هدف،و لا یعقل أن یکون الهدف منه هو هذه الأیّام المعدوده لحیاتنا الدنیا،إذ لیس من الحکمه أن یکون کل هذا الخلق و بما یحمل من أنظمه و عملیات من أجل الأکل و الشرب و النوم و أمثال ذلک!بل لا بدّ من وجوب هدف أسمی یتناسب و حکمه الباری جلّ شأنه،و بعباره أخری..ما النشأه الأولی إلاّ تذکیرا للنشأه الآخره:و مرحله متقدمه،و محطه تزود بالوقود وصولا لغایه السفر المحتوم،و کما ینبهنا القرآن الکریم: أَ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمٰا خَلَقْنٰاکُمْ عَبَثاً وَ أَنَّکُمْ إِلَیْنٰا لاٰ تُرْجَعُونَ ؟! (۱) .

و بعد ذلک..فما النوم و الیقظه إلاّ مثلا للموت و الحیاه الجدیده،و ما إحیاء الأرض المیته بنزول المطر-الشاخصه أمام أعین الناس علی طول السنه-إلاّ توضیحا لحاله المعاد،و إشارات ملیئه بالمعانی ترمز إلی مسأله القیامه و الحیاه بعد الموت،کما جاء فی سوره فاطر: وَ اللّٰهُ الَّذِی أَرْسَلَ الرِّیٰاحَ فَتُثِیرُ سَحٰاباً فَسُقْنٰاهُ إِلیٰ بَلَدٍ مَیِّتٍ فَأَحْیَیْنٰا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا کَذٰلِکَ النُّشُورُ (۲) .

***

۱- ۱) -المؤمنون،الآیه ۱۱۵.

۲- ۲) -فاطر،الآیه ۹.

الآيات [سوره النبإ (۷۸): الآيات ۱۷ الی ۲۰]

اشاره

إِنَّ يَوْمَ اَلْفَصْلِ كٰانَ مِيقٰاتاً (۱۷) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي اَلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوٰاجاً (۱۸) وَ فُتِحَتِ اَلسَّمٰاءُ فَكٰانَتْ أَبْوٰاباً (۱۹) وَ سُيِّرَتِ اَلْجِبٰالُ فَكٰانَتْ سَرٰاباً (۲۰)

التّفسیر

اشاره

سیأتی الیوم الموعود:

الآیه الاولی من الآیات أعلاه بمثابه نتیجه لما تعرضت له الآیات السابقه...

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كٰانَ مِيقٰاتاً

(۱)

و التعبیر ب«یوم الفصل»یحمل بین ثنایاه إشارات کثیره،فسیحدث فی ذلک الیوم:

فصل الحقّ عن الباطل.

فصل المؤمنین الصالحین عن المجرمین.

فصل الوالدین عن أولادهم،و الأخ عن أخیه...

و«المیقات»:من الوقت،المیعاد من الوعد،بمعنی الوقت المعین و المقرر، و إنّما سمّیت الأماکن التی یحرم منها حجاج بیت اللّه الحرام ب«المواقیت»لأنّ

۱- ۱) -استعمال(کان)فی هذا المورد لبیان حتمیه الوقوع لذلک الیوم.

الاجتماع فيها يكون فی وقت معين.

و يتناول القرآن الكريم بعض خصائص ذلك اليوم العظيم،فيقول: يَوْمَ يُنْفَخُ فِی الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوٰاجاً .

و يستفاد من آيات القرآن أنّ ثمّه نفختان عظيمتان ستحدثان باسم(نفخ الصور)..ففی النفخه الاولی سينهار كلّ عالم الوجود،و يخرّ ميتا كلّ من فی السموات و الأرض،و فی النفخه الثّانيه يتجدّد عالم الوجود و تعود الحياه إلی الأموات مرّه اخری،ليقول بعدها يوم القيامه.

«الصور»:بوق يستعمل لإعطاء إشاره التوقف أو الحركه للقوافل أو الكتائب العسكريه و ما شابهها من الاستعمالات،و تختلف الإشاره بين المجاميع التی تستعمل البوق،كلّ حسب ما تعارف عليه.

و استعمل القرآن«الصور»ككنايه لطيفه للتعبير عن المحدثين العظيمين المذكورين أعلاه،و أمّا ما ورد فی الآيه فيختص بنفخه الصور الثّانيه،أی:نفخه القيام و إعاده الحياه (1) .

و مع أنّ الآيه أعلاه تقول: فَتَأْتُونَ أَفْوٰاجاً ،و لكنّ الآيه(95)من سوره مريم تقول: وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيٰامَهِ فَرْداً ،و الآيه(71)من سوره الإسراء تقول: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنٰاسٍ بِإِمٰامِهِمْ ،فكيف يمكن تخريج ذلك؟ يمكن جمع الآيات الثلاثه بلحاظ أنّ حشر الناس أفواجا لا بعرض أنّ يتقدمهم إمام،و أمّا الحشر فرادی فبلحاظ ما ليوم القيامه من مواقف متعدده، حيث يمكن أن يكون ورود الناس فی المواقف الاولی علی شكل أفواج مع أئمّتهم(سواء كانوا أئمّه هدی أم أئمّه ضلال)،و حينما يستقر بهم المآل سيقفون فی ساحه العدل الإلهی علی شكل فرادی،كما تنقل لنا الآيه(21)من سوره(ق)

1- 1) -تطرقنا لهذا الموضوع بشكل مفصل فی ذيل الآيه(68)من سوره الزمر،فراجع.

عن ذلك المشهد العظيم: وَ جٰاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِيدٌ .

و ثمّه احتمال آخر فى معنى«فردا»:هو انفصال الإنسان فى ذلك اليوم عن أحبائه و متعلقيه،و لا يكون معه يومئذ إلاّ ما كسبت يداه.

و تأتى الآيه الاخرى لتقول: وَ فُتِحَتِ السَّمٰاءُ فَكٰانَتْ أَبْوٰاباً .

فما الأبواب؟و كيف تفتح؟ يقول البعض:إنّ المقصود بهذه الأبواب هى أبواب عالم الغيب تفتح على عالم الشهود،و تزول الحجب و يتصل عالم الملائكه بعالم الإنسان (۱) .

و يرى البعض الآخر أنّها تشير إلى ما ورد فى آيات قرآنيه اخرى،من قبيل:

إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ

(۲)

،و إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ (۳) .

فما سيحصل من أثر ذلك الإنشقاق و الإنفطار و كأنّ النجوم و الكرات السماويه أبواب تفتحت على مصراعيها.

و ثمّه من يذهب إلى أنّها إشاره إلى عدم استطاعه الإنسان فى هذه الدنيا من اختراق السماوات و السير فيها،و إن استطاع فبشكل محدود جدّا و بصعوبه بالغه،و كأن أبواب السماء موصده أمامه،و لكنّ حال يوم القيامه سيتغير تماما، حيث ترى الإنسان يغوص فى أعماق السماء بعد تحرره من ممسكات الأرض، و كان أبواب السماء قد تفتحت له.

و بعباره أخرى:إنّ السماوات و الأرض ستتلاشى فى ذلك اليوم ثمّ تتبدلان إلى سماء و أرض أخريين كما تشير الآيه(۴۸)من سوره إبراهيم لذلك: يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمٰاوٰاتُ و عندها.ستفتح أبواب السماء أمام أهل الأرض،و يفتح الطريق للإنسان ليسلك الصالحون سبيل الجنّه فتفتح أبوابها لهم:

۱- ۱) -تفسير الميزان،ج ۲۰،ذيل الآيه المذكوره.

۲- ۲) -الإنشقاق،۱.

۳- ۳) -الإنفطار،۱.

حَتّی إِذٰا جٰاؤُهٰا وَ فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا وَ قٰالَ لَهُمْ خَزَنَتُهٰا سَلاٰمٌ عَلَیْکَمْ

(۱)

.

و حین یدخلون الجنّه یراد علیهم الملائکه للتهنئه: وَ الْمَلاٰئِکَهُ یَدْخُلُونَ عَلَیْهِمْ مِنْ کُلِّ بٰابٍ (۲) .

و تتفتح أبواب جهنم للکافرین کذلک: وَ سِیقَ الَّذِینَ کَفَرُوا إِلیٰ جَهَنَّمَ زُمَراً حَتّٰی إِذٰا جٰاؤُهٰا فُتِحَتْ أَبْوٰابُهٰا (۳) .

و بذلک یرد الإنسان حینها إلی عرصه واسعه کوسع السماوات و الأرض:

وَ جَنَّهٍ عَرْضُهَا السَّمٰاوٰاتُ وَ الْأَرْضُ

(۴)

.

و تأتی الآیه الأخیره لتخبرنا عن حال الجبال فی ذلک الیوم الحق: وَ سُیِّرَتِ الْجِبٰالُ فَکٰانَتْ سَرٰاباً .

بملاحظه ما جاء فی القرآن الکریم بخصوص مصیر الجبال لیوم القیامه تظهر لنا أنّ الجبال ستطویها مراحل متعاقبه،تبدأ حرکتها من: وَ تَسِیرُ الْجِبٰالُ سَیْراً (۵) .

ثمّ تحمل و تدک: وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبٰالُ فَدُکَّتٰا دَکَّهً وٰاحِدَهً (۶) .

فتکون تلالا من الرمال المتراکمه: وَ کٰانَتِ الْجِبٰالُ کَثِیباً مَهِیلاً (۷) .

فتصبح کأصواف منفوشه: وَ تَکُونُ الْجِبٰالُ کَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (۸) .

فتتحول غبارا متناثرا فی الفضاء:

۱- ۱) -الزمر،۷۳.

۲- ۲) -الرعد،۲۳.

۳- ۳) -الزمر،۷۱.

۴- ۴) -آل عمران،۱۳۳.

۵- ۵) -طور،۱۰.

۶- ۶) -الحاقه،۱۴.

۷- ۷) -المزمل،۱۴.

۸- ۸) -القارعه،۵.

وَ بُسَّتِ الْجِبٰالُ بَسًّا فَکٰانَتْ هَبٰاءً مُنْبَثًّا

(۱)

.

و لا یبقی منها أخیرا إلاّ الأثر،کما أشارت لـذلک الآیه المبحوثه،و کأنّها یلوح فی الأفق،و یصبح سطح الأرض مستویا بعد أن تمحی الجبال من فوقها:

وَ یَسْئَلُونَکَ عَنِ الْجِبٰالِ فَقُلْ یَنْسِفُهٰا رَبِّی نَسْفاً فَیَذَرُهٰا قٰاعاً صَفْصَفاً

(۲)

.

«السراب»:من(السرب)..هو الذهاب فی طریق منحدر،فعند ما یسیر الإنسان بین المنحدرات فی الصحراء،یتراءی له من بعید تلألؤا یظنّه ماء،و ما هو إلاّ انکسار فی الأشعه یسمی(السراب)،ثمّ أطلقت کلمه السراب علی کلّ ظاهر خال من المحتوی.

و بهذا تکون الآیه قد أشارت إلی بدایه حرکه الجبال و نهایه أمرها،فیما تعرضت بقیه الآیات(التی ذکرناها)إلی المراحل المختلفه بین البدایه و النهایه.

فإذا کانت عاقبه الجبال علی ما لها من شموخ و صلابه ستنتهی إلی غبار متناثر فی الفضاء و علی صوره سراب،فما حال ذلک الإنسان الذی یتصور أنّه جبار شدید البطش عریک القوی،و لکنّه لا یستطیع أن یتحدی الجبل صلابه!...

إنّه یوم القیامه...

و لکن..هل أن هذه الحوادث تتعلق بالنفخه الاولی للصور التی تحکی عن نهایه العالم،أم هی متعلقه بالنفخه الثّانیه و التی تقوم القیامه بها؟! بلا شک أنّ الآیه: یَوْمَ یُنْفَخُ فِی الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوٰاجاً تشیر إلی نفخه الصور الثّانیه،لأنّها تحکی عن إحیاء الأموات و محبتهم فی عرصه المحشر أفواجا،و کذا الحال بالنسبه للحوادث المذکوره فإنّها متعلقه بنفخه الصور الثّانیه، إلاّ أنّه من الممکن حمل بدایه حرکه الجبال علی النفخه الاولی،و نهایه(السراب) ستکون بعد النفخه الثّانیه.

۱- ۱) -الواقعه،۵ و ۶.

۲- ۲) -طه،۱۰۵ و ۱۰۶.

و يحتمل أيضا:إنّ كلّ ما تمرّ به الجبال من مراحل تتعلق بالنفخه الاولى للصور،و قد ذكرتا معا لقرب الفاصله الزمنيه ما بين النفختين،و جريا مع سياق بعض الآيات القرآنيه التى تناولت حوادث النفختين معا،كما جاء ذلك فى سورتى التكوير و الإنفطار.

و من جميل التصوير القرآنى وصفه للجبال ب«الأوتاد»و الأرض ب «المهاد»،و تأتى الآيات لتخبر عن فناء الأرض التى هى مهد الإنسان بعد ما تقتلع الجبال حينما ينفخ فى الصور،و يتناسب هذا التصوير تماما مع معارفنا،حيث أننا لو أخرجنا أوتاد أى شىء فمعنى ذلك حكمنا على ذلك الشىء بالانهيار.

***

الآيات [سوره النبإ (٧٨): الآيات ٢١ الى ٣٠]

اشاره

إِنَّ جَهَنَّمَ كٰانَتْ مِرْصٰاداً (٢١) لِلطّٰاغِينَ مَآباً (٢٢) لاٰبِثِينَ فِيهٰا أَحْقٰاباً (٢٣) لاٰ يَذُوقُونَ فِيهٰا بَرْداً وَ لاٰ شَرٰاباً (٢۴) إِلاّٰ حَمِيماً وَ غَسّٰاقاً (٢۵) جَزٰاءً وِفٰاقاً (٢۶) إِنَّهُمْ كٰانُوا لاٰ يَرْجُونَ حِسٰاباً (٢٧) وَ كَذَّبُوا بِآيٰاتِنٰا كِذّٰاباً (٢٨) وَ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ كِتٰاباً (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّٰ عَذٰاباً (٣٠)

التّفسير

اشاره

جهنّم..المرصاد الرهيب:

بعد أن بيّن القرآن الكريم فی الآيات السابقه بعض أدله المعاد و تناول قسما من حوادث يوم القيامه،يذكر فی هذه الآيات ما يؤول إليه حال المجرمين، فيقول:

إِنَّ جَهَنَّمَ كٰانَتْ مِرْصٰاداً

.

و هی: لِلطّٰاغِينَ مَآباً (١) .

ص: ٣۴۵

١- ١) -يوجد محذوف فی الآيه،و التقدير:(كانت للطاغين مآبا).

و أنّهم: لاٰبِثِينَ فِيهٰا أَحْقٰاباً .

«المرصاد»:اسم مكان يختفى فيه للمراقبه،و يقول الراغب فى مفرداته:

«المرصد»موضع الرصد،و المرصاد نحوه،لكن يقال للمكان الذى أختص بالترصد.

و قيل:إنّه صيغه مبالغه،و يطلق على الذى يكمن كثرا للرصد،مثل «المعمار»الذى يكثر من البناء و العمران.

و المعنى الأوّل أشهر و أنسب،و لكن..من سيقوم بعمليه الرصد فى جهنّم؟ قيل:هم و ملائكه العذاب بدلاله الآيه(۷۱)من سوره مريم التى تحكى عن مرور جميع الناس صالحهم و طالحهم من جانب جهنّم أو من فوقها: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّٰ وٰارِدُهٰا كٰانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا و خلال ذلك المشهد تقوم ملائكه العذاب برصد أهل النّار و التقاتهم من بين الخلق! و أمّا لو قلنا فى تفسير الآيه بأنّها(صيغه المبالغه)فسيكون جهنّم هى المرصاد للطاغين،و تقوم بعمليه جذب أهل النّار إليها حال مرور الخلق و اقترابهم منها.و على أيه حال،فلا يستطيع أىّ من الطاغين من تخطى ذلك المعبر المحتوم،فإمّا أن تخطفه ملائكه العذاب أو تجذبه جهنّم.

«المآب»:هو محل الرجوع،و يأتى أحيانا بمعنى المنزل و المقر،و هو المقصود فى هذه الآيه.

و«الأحقاب»:جمع(حقب)على وزن(قفل)،بمعنى برهه زمانيه غير معينه، و قد قدرها بعض بثمانين عاما،و قيل سبعين،و قيل:أربعين عاما.

و على أىّ من التقادير،فثمّه مدّه معينه للبقاء فى جهنّم،و هو ما يتعارض مع ما جاء فى آيات أخر و التى تصرح بخلود أهل النّار فى جهنّم،و لذلك سعى المفسّرون لإيجاد ما يوضح هذا الموضوع.

المعروف بين المفسّرين:إنّ المقصود ب«الأحقاب»فى الآيه هو تلك

الفترات الزمانيه الطويله التی تتعاقب فيما بينها،المتسلسله بلا نهايه،فكلما تنتهی فتره تحل محلها اخری،و هكذا.

و قد جاء فی إحدی الرّوايات...إنّ الآيه جاءت فی المذنبين من أهل الجنّه، الذين يقضون فتره فی جهنّم يتطهّرون فيها ثمّ يدخلون الجنّه،و ليست وارده فی الكافرين المخلدين فی النّار (۱) .

و تشير الآيات-بعد ذلک-إلی جانب صغير من عذاب جهنّم الأليم،بالقول:

لاٰ يَذُوقُونَ فِيهٰا بَرْداً وَ لاٰ شَرٰاباً

.

إِلاّٰ حَمِيماً وَ غَسّٰاقاً

،إلاّ ظلّ من الدخان الغليظ الخانق كما أشارت إلی ذلک الآيه(۴۳)من سوره الواقعه: وَ ظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ .

«الحميم»:هو الماء الحار جدّا،و«الغسّاق»:هو ما يقطر من جلود أهل النّار من الصديد و القيح،و فسّرها بعضهم بالسوائل ذات الروائح الكريهه.

فی حين أنّ أهل الجنّه يسقيهم ربّهم جلّ شأنه بالأشربه الطاهره،كما جاء فی الآيه(۲۱)من سوره الدهر: وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً ،حتی الأوانی التی يشربون بها و علی ما لها من الرونق فهی مختومه بالمسک،كما أشارت لذلک الآيه(۲۶)من سوره المطففين: خِتٰامُهُ مِسْکٌ ..فانظر لعقبی الدارين! و لكن،لم هذا العذاب الأليم؟فتأتی الآيه التاليه:إنّما هو: جَزٰاءً وِفٰاقاً (۲) .

و لم لا يكون كذلک..و قد أحرقوا فی دنياهم قلوب المظلومين،و تجاوزوا بتسلطهم و ظلمهم و شرّهم علی رقاب الناس دون أن يعرفوا للرحمه معنی، فجزاهم يناسب ما اقترفوا من ذنوب عظام.

و كما قلنا مرارا،إنّ الآيات القرآنيه حينما تشير إلی عقوبات يوم القيامه،إنّما تطرحها كجزاء لما اقترفت أيدی الناس بظلمهم،كما نقرأ فی الآيه(۷)من سوره

۱- ۱) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۹۴،ح ۲۳ و ۲۶.

۲- ۲) -«جزاء»:مفعول مطلق لفعل محذوف تظهره قرينه الكلام،«وفاقا»:صفه الجزاء،و التقدير:يجازيهم جزاء ذا وفاق!

التحريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، (حين تجسمت أعمالكم و حضرت أمامكم).

و يذكر القرآن سبب الجزاء فيقول: إِنَّهُمْ كَانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً .

و بعباره اخرى:إنّ عدم الإيمان بالحساب سبب للطغيان،فيكون الطغيان سببا لذلك الجزاء الأليم.

«لا يرجون»:من«الرجاء»و يأتى بمعنى«الأمل» و كذلك بمعنى«عدم الخوف»،و من الطبيعى أن يشعر الإنسان بالخوف فى حال الأمل و الانتظار،و إلاّ لم يخف..فبين الأمرين تلازم،و لهذا فالذين ليس لديهم أمل و رجاء لا يحسون بخوف أيضا.

«إنّ»فى«إنّهم»:للتأكيد.و«كانوا»:للماضى المستمر.و«حسابا»:نكره جاءت بعد نفى لتعطى معنى العموم..و كل هذا البيان جاء ليبيّن أنّهم ما كانوا ينتظرون حسابا مطلقا،و ما كانوا يشعرون لا خوف من ذلك!و بعباره اخرى:إنّهم تناسوا حسابا يوم القيامه بالكليه:و لم يفرزوا له مكانا فى كلّ حياتهم!و لا جرم أنّ عاقبه أمرهم سيؤول إلى العذاب الأليم لما اقترفوه من جرائم عظمى و كبائر الذنوب.

و مباشره يضيف القرآن القول: وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً (۱) .

فقد أحكمت الأهواء النفسانيه قبضتها عليهم حتى جعلتهم يكذبون بآيات اللّه تكذيبا شديدا،و أنكروها إنكارا قاطعا ليواصلوا أمانيهم الإجراميه باتباعهم المفرط لأهوائهم الغاربه.

و بما أنّ معنى«آياتنا»من الوسع بحيث يشمل كلّ آيات التوحيد و النبوّه و التكوين و التشريع و معجزات الأنبياء و الأحكام السنن،فعمليه تكذيب كلّ هذه

۱- ۱) -«كذّابا»-بكسر الكاف-إحدى صيغ المصدر من باب التفعيل،بمعنى التكذيب،و قال بعض أهل اللغه:إنّه مصدر ثلاثى مجرّد معادل لكذب..و على أيه حال،فهو:مفعول مطلق لكذبوا،و جاء للتأكيد.

الأدله الإلهيه فی عالم التكوين و التشريع، إنّما تستحق أشدّ العقوبات المخبر عنها فی القرآن الكريم.

ينبه القرآن الطغاه علی وجود الموازنه بين الجرم و العقاب فی العدل الإلهی، فيقول: وَ كُلَّ شَیْءٍ أَحْصَيْنٰاهُ كِتٰاباً (۱) .

فلا تظنوا أنّ شيئا من أعمالكم سيبقی بلا حساب أو عقاب،و لا تساوركم الشكوك بعدم عداله العقوبات المقرره لكم.

فما أكثر الآيات القرآنيه التی تحكی عن حقيقه ضبط إحصاء كلّ ما يبدر من الإنسان،سواء كان من الأعمال الصغيره أم الكبيره،سريه أم علنيه،بل و يخضع لذلك حتی عقائد و نيّات المرء.

و فی هذا المجال،يقول القرآن: وَ كُلُّ شَیْءٍ فَعَلُوهُ فِی الزُّبُرِ وَ كُلُّ صَغِيرٍ وَ كَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ (۲) ..و فی موضع آخر يقول: إِنَّ رُسُلَنٰا يَكْتُبُونَ مٰا تَمْكُرُونَ (۳) ..

و فی مكان آخر يقول: وَ نَكْتُبُ مٰا قَدَّمُوا وَ آثٰارَهُمْ (۴) .

و لذلك يصرخ المجرمون بالقول: يٰا وَيْلَتَنٰا مٰا لِهٰذَا الْكِتٰابِ لاٰ يُغٰادِرُ صَغِيرَةً وَ لاٰ كَبِيرَةً إِلاّٰ أَحْصٰاهٰا (۵) ،حينما يستلمون كتابهم الحاوی علی كلّ ما فعلوه فی الحياه الدنيا.

و ممّا لا شك فيه،أنّ إدراك حقيقه الآيات الرّبانيه بكامل القلب،سوف يدفع الإنسان لأنّ يكون دقيقا فی جميع أعماله،و سيكون اعتقاده الجازم بمثابه السدّ المنيع بينه و بين ارتكاب الذنوب،و من العوامل المهمّه و المؤثره فی العمليه التربويه.

---

۱ – ۱) -«كلّ»:مفعول به لفعل مستتر يدل عليه الفعل«أحصيناه».و«كتابا»:مفعول مطلق لأحصينا،لأنّه بمعنی كتبنا،و اعتبره البعض:حالا.

۲– ۲) -القمر،۵۲ و ۵۳.

۳– ۳) -يونس،۲۱.

۴– ۴) -سوره يس،۱۲.

۵– ۵) -الكهف،۴۹.

و يتغيّر لحن الخطاب فى الآيه الأخيره من الآيات المبحوثه،فينتقل من التكلم عن الغائب إلى مخاطبه الحاضر:و يهدد القرآن بنبرات غاضبه أولئك المجرمين،و يقول: فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلاّ عَذاباً .

فصرخاتكم ب«يا وليتنا»و طلبكم العوده إلى الدنيا لإصلاح ما أفسدتم،لن ينفعكم،و كل ما ستنالونه هو الزياده فى العذاب و لا من مغيث.

و هذا هو جزاء أولئك الذين يواجهون دعوات الأنبياء الداعيه إلى اللّه و الإيمان و التقوى،بقولهم: سَواءٌ عَلَيْنا أَ وَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ (١) .

و هذا هو جزاء الذين ينفرون من سماع و استماع ما تتلى عليهم من آيات اللّه،كما قال تعالى: وَ ما يَزِيدُهُمْ إِلاّ نُفُوراً (٢) .

و أخيرا..فالعذاب الأليم جزاء كلّ من لا يتورع عن اقتراف الذنوب،و لا يسعى صوب الأعمال الصالحه.

حتى

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «هذه الآيه أشدّ ما فى القرآن على أهل النّار» (٣) .

كيف لا-و هى التى تحمل بين ثناياها الغضب الإلهى،و تسدّ كلّ أبواب الأمل للخلاص من جهنّم،و لا تعد أهل النّار إلاّ زياده فى العذاب.

***

١- ١) -الشعراء،١٣۶.

٢- ٢) -الإسراء،۴١.

٣- ٣) -تفسير الكشّاف،ج ۴،ص ۶٩٠؛و تفسير روح البيان،ج ١٠،ص ٣٠٧؛و تفسير الصافى فى ذيل الآيه المذكوره.

الآيات [سوره النبإ (٧٨): الآيات ٣١ الى ٣٧]

اشاره

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفٰازاً (٣١) حَدٰائِقَ وَ أَعْنٰاباً (٣٢) وَ كَوٰاعِبَ أَتْرٰاباً (٣٣) وَ كَأْساً دِهٰاقاً (٣٤) لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً وَ لاٰ كِذّٰاباً (٣٥) جَزٰاءً مِنْ رَبِّكَ عَطٰاءً حِسٰاباً (٣۶) رَبِّ اَلسَّمٰاوٰاتِ وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا اَلرَّحْمٰنِ لاٰ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطٰاباً (٣٧)

التّفسير

اشاره

ممّا وعد اللّه المتقين:

كان الحـديث فى الآيات السابقه منصبا حول خاتمه المجرمين و الطغاه و ما يلاقونه من أليم العذاب و موجباته،و ينتقل الحديث فى الآيات أعلاه لتفصيل بعض ما وعد اللّه المؤمنين و المتقين من النعم الخالده و الثواب الجزيل،عسى أن يرعوى الإنسان و يتبع طريق الحق من خلال مقايسته لما يعيشه كلّ من الفريقين، على ضو تفكيره بمصيره الأبدى.

و كذا هو الحال فى الاسولب القرآنى،كما فى بقيه السور الاخرى،فهو يضع متضادات الحالات و الأحوال فى طبق واحد،ليتمكن الإنسان بسهوله من اكتشاف خصائص و شؤون أيّا منها.

فيقول،مبتدء الحديث: إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفٰازاً .

ص: ٣۵١

«المفاز»:اسم مكان،أو مصدر ميمى من(الفوز)بمعنى الوصول إلى الخير بسلام،و يأتى بمعنى النجاه أيضا و هو من لوازم المعنى الأوّل.

و قد جاءت«مفازا»بصيغه النكره للإشاره إلى الفتح العظيم و الوصول إلى خير و سعاده لا يعلم قدرهما إلاّ اللّه عزّ و جلّ.

و من مفردات الفوز و السعاده: حَدٰائِقَ وَ أَعْنٰاباً (١) .

«الحدائق»:جمع«حديقه»،و هى قطعه أرض مزروعه بالورود و الأشجار و محاطه بسور لحفظها،و يقول الراغب فى مفرداته«الحديقه»قطعه من الأرض ذات ماء، سمّيت تشبيها بحدقه العين فى الهيئه و حصول الماء فيها.

أمّا ذكر«العنب»دون بقيه الفواكه فلما له من مزايا تفضله على بقيه الفواكه، و يقول علماء التغذيه فى هذا المجال:إضافه لكون العنب غذاء كاملا-من حيث الخاصيه الغذائيه الموجوده فيه و التى تشبه حليب الام فى كونه ثرى بالمواد الغذائيه اللازمه للإنسان،إضافه لكل هذا،فهو يعطى للبدن ضعف ما يعطيه اللحم من سعرات حراريه،حتى وصف بصيدليه متكامله لما يحويه من مواد مفيده.

و من خواص و فوائد العنب،أنّه:مقاوم للسموم،مفيد لتصفيه الدم،يقى من الروماتيزم و النقرس،مضاد فعّال ضد زياده السموم الحاصله فى الدم،مقو للأعصاب و منشط و يعطى للإنسان القوّه و القدره الكافيه لما فيه من كميات مناسبه لأنواع(الفيتامينات).

و

قد روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى خصوص العنب أنّه قال:«خير فواكهكم العنب».

و يتطرق القرآن إلى نعمه اخرى ممّا وعد اللّه به المتقين فى الجنّه،فيقول:

وَ كَوٰاعِبَ أَتْرٰاباً

.

١- ١) -«الحدائق»:بدل«مفازه»،أو عطف بيان لها.

«الكواعب»:جمع«كاعب»،و هى البنت حديثه الثدى،للإشاره إلى شباب زوجات المتقين فى الجنّه.

«الأتراب»:جمع«ترب»،و يطلق على مجموعه الأفراد المتساويين فى العمر،و استعماله فى الإناث أكثر،قيل:إنّها من«الترائب»و هى:أضلاع الصدر، و ذلك لما بينهما من شبه من حيث التساوى و التماثل.

و يحتمل أن يكون المراد من«أتراب»التساوى بين نساء أهل الجنّه فى العمر،فيكون شابات متساويات فى القد و القامه و الجمال،أو تساوى العمر بينهن و بين أزواجهن من المؤمنين،لأنّ للتساوى فى العمر له أثره النفسى على إدراك مشاعر الطرف الآخر.إلّا أن المعنى الأوّل أكثر تناسبا.

و تأتى النعمه الرابعه: وَ كَأْساً دِهٰاقاً .

شراب ليس كأى شراب،فلا يهب بالعقول و لا يحدر الإنسان إلى دركات الحيوانيه،بل هو مذك للعقل،منشط للروح و منعش للقلب.

«الكأس»:هو القدح المملوء بالشراب،و قد يطلق على القدح دون الشراب أو على شراب القدح.

«دهاقا»:بمعنى الامتلاء،عند أكثر المفسّرين و أهل اللغه،لكنّ(ابن منظور) قد ذكر معنيين آخرين هما:التتابع على شاربيها،صافيه.

و عليه..فيمكن حمل معنى الآيه،على ضوء ما ذكر من معان،على أنّ لأهل الجنّه أقداح مملوءه بشراب زلال طاهر.

و دفعا لما يتبادر إلى الأذهان من تبعات شراب الدنيا الشيطانى، يقول القرآن: لاٰ يَسْمَعُونَ فِيهٰا لَغْواً وَ لاٰ كِذّٰاباً .

إنّ شراب الدنيا..يذهب العقل،يفقد الإحساس،يوقع شاربه بالهذيان و اللغو..و أمّا شراب الآخره فنفحاته الطاهره تضفى على العقل و الروح نورا و صفاء.

ص:۳۵۳

و ثمّه احتمالات بخصوص ضمير«فيها».

الأوّل:إنّه يعود إلى الجنّه.

الثّانی:إنّه يعود إلى الكأس.

فعلى الاحتمال الأوّل،يكون معنى الآيه إنّ أهل الجنّه لا يسمعون فيها لغوا، كما جاء فی الآيتين(١٠ و ١١)من سوره الغاشيه: فِی جَنَّهٍ عالِيَهٍ لا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَهً .

و على الاحتمال الثّانی،يكون معنى الآيه:إنّه سوف لا يصدر اللغو و الهذيان و الكذب من أهل الجنّه بعد شرابهم ما فی كأس الجنّه من شراب،كما جاء فی الآيه(٢٣)من سوره الطور: يَتَنازَعُونَ فِيها كَأْساً لا لَغْوٌ فِيها وَ لا تَأْثِيمٌ .

و على أيّه حال،فالجنّه خاليه من:الأكاذيب،الهذيان،التهم،الافتراءات، تبرير الباطل،بل و كلّ ما كان يؤذی قلوب المتقين فی الحياه الدنيا..إنّها الجنّه! و خير تصوير لها ما جاء فی الآيه(٦٢)من سوره مريم: لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً إِلاّ سَلاماً .

و فی آخر المطاف يذكر القرآن الكريم تلك النعمه المعنويه التی تفوق كلّ النعم علوّا: جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حِساباً . (١)

و أيّه بشاره و نعمه أسمى و أجل،من أن أكون و أنا العبد الضعيف،موضع ألطاف و إكرام اللّه جلّ و علا،فيطعمنی و يكسونی و يغرف علیّ بنعمه التی لا تحصى عددا و لا تضاهى حبّا و كرما،و فطوبى للمؤمنين فی دار الخلد و هم منعمون بكل ما لذّ و طاب.

و التعبير بكلمه«ربّ»مع ضمير المخاطب،و كلمه«عطاء»،لتبيان ما أودع من لطف خاص فی النعم التی وعد بها أهل التقوى.

---

١ - ١) -«جزاء»:حال لإعطاء النعم التی ذكرت فی الآيات السابقه،فيكون التقدير:أعطاهم جميع ذلك جزاء من ربّك،و احتمل البعض:إنّه مفعول مطلق لفعل محذوف،و اعتبره آخرون:إنّه مفعول لأجله،لكنّ التّفسير الأوّل أقرب.

«حسابا»:يعتقد الكثير من المفسّرين إن معناها هنا(كافيا):من أحسبه الشيء إذا كفاه حتى قال حسبى (۱) .

و

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «حتى إذا كان يوم القيامه حسب لهم حسناتهم ثمّ أعطاهم بكل واحده عشر أمثالها إلى سبعمائه ضعف،قال اللّه عزّ و جلّ: جَزٰاءً مِنْ رَبِّکَ عَطٰاءً حِسٰاباً » (۲) .

و نستفيد من الروايه المذكوره أنّ نعم اللّه فى الآخره و إن كانت بصفه الفضل.

و اللطف و الزياده،إلاّ أن مقدمتها الأعمال الصالحه التى يقوم بها الإنسان فى حياته الدنيا،و عليه..فيمكن تفسير«حسابا»فى الآيه بمعنى(الحساب)،و لا مانع من إراده كلا المعنيين-فتأمل.

و فى آخر آيه من الآيات المبحوثه،يضيف: رَبِّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مٰا بَيْنَهُمَا الرَّحْمٰنِ .

نعم:إنّه مالك العالم،و مدبّر ما فيه،و موجه كلّ حركاته و سكناته،إنّه الرحمن الذى شملت رحمته كلّ شىء،و هو واهب الصالحين ما وعدهم به القرآن الكريم.

و بما أنّ صفه«الرحمن»تشمل رحمه اللّه العامّه لكلّ خلقه،فيمكن حمل إشاره الآيه إلى أنّ اللّه تبارك و تعالى يشمل برحمته أهل السماوات و الأرض فى الحياه الدنيا،إضافه لما وعد به المؤمنين من عطاء دائم فى الجنّه.

و ذيل الآيه،يقول: لاٰ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطٰاباً .

و يمكن شمول«لا يملكون»جميع أهل السماوات و الأرض،أو جميع المتقين و العاصين الذين يجمعون فى عرصه المحشر للحساب و الجزاء.

و على أىّ القولين..فالآيه تشير إلى عدم القدره على الاعتراض أو الردّ من قبل كلّ المخلوقات أمام محكمه العدل الإلهى،لأنّ حسابه جلّ اسمه من الدقّه

۱- ۱) -تفسير البيضاوى فى ذيل الآيه المبحوثه.

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۹۵،ح ۲۹.

و العدل و اللطف ما لا يفسح المجال أمام أى اعتراض.

بل و لا يسمح فى ذلك اليوم بالتشفع لأىّ كان إلاّ بإذن خاص منه جلّت عظمته،و هو ما تشير إليه الآيه(۲۵۵)من سوره البقره: مَنْ ذَا الَّذِی یَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاّ بِإِذْنِهِ .

***

بحثان

اشاره

۱-ثواب المتقين و عقاب العاصين

يلاحظ ثمّه مقايسه بين الآيات المبحوثه و ما سبقها من آيات..فقد تحدثت الآيات السابقه عن نوعين من الجزاء لكلّ من المجرمين و المؤمنين،فالآيات محل البحث تحدثت عن بعض ما للمؤمنين من ثواب و نعيم،و فيما تقدمها من آيات تحدثت عن بعض ما للمجرمين من عقوبات.

فهنا تحدثت عن«المفاز»و هناك عن«المرصاد»...

و هنا تحدثت عن«حدائق و أعنابا»و هناك عن التخبط بالعذاب إلى مدّه لا متناهيه«أحقابا»...

و هنا كان الحديث عن«الشراب الطهور»و هناك عن الماء الحارق«حميما و غساقا»...

و هنا تحدثت الآيات عن عطايا و مواهب«الرحمان»،و هناك عن الجزاء العادل«جزاء وفاقا»...

و هنا الحديث عن زياره«النعمه»و هناك زياده«العذاب»...

و الخلاصه:إنّ هـذين الفريقين يقعان فى قطبين متنافرين من كلّ الجهات نتيجه لما كانا يعيشانه فى الحياه الدنيا من تنافر و تباعد من حيث الإيمان و العمل.

۲-أشربه الجنّه!

أوردت الآيـات الشـريفه أوصافا متنوعه لأشـربه الجنّه،و يظهر أنّ لشاربيها من اللـذّه الروحيه المعنويه ما لا يمكن وصـفه أو خطّه بقلم.

فالآيه(۲۱)من سوره الدهر،تصفه بالطهور: وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ شَرٰاباً طَهُوراً .

و الآيات(۴۵-۴۷)من سوره الصافات،تصـفه بالزلال و اللـذّه و الصـفاء،و أنّه لا يؤدى لأذى و لا يـذهب بالعقول: يُطٰافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضٰاءَ لَذَّهٍ لِلشّٰارِبِينَ لاٰ فِيهٰا غَوْلٌ وَ لاٰ هُمْ عَنْهٰا يُنْزَفُونَ .

و الآيه(۵)من سوره الدهر،تصفه بأنّه مخلوط بماده بارده ملطفه(الكافور):

يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كٰانَ مِزٰاجُهٰا كٰافُوراً .

و الآيه(۱۷)من سوره الدهر،تقول عنه بأنّه مخلوط بالزنجبيل: وَ يُسْقَوْنَ فِيهٰا كَأْساً كٰانَ مِزٰاجُهٰا زَنْجَبِيلاً .

و جاء فى الآيات المبحوثه: وَ كَأْساً دِهٰاقاً أى:زلالا صافيا.

و فوق كلّ هذا و ذاك،فمن هو الساقى...إنّه اللّه تعالى!!يسقيهم بيد قدرته و على بساط رحمته،تقول الآيه(۲۱)من سوره الدهر: وَ سَقٰاهُمْ رَبُّهُمْ.. .

اللّهمّ!اشملنا بعفوك،و اسقنا من فيض شربك يا أرحم الراحمين...

***

الآيات [سوره النبإ (٧٨): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

اشاره

يَوْمَ يَقُومُ اَلرُّوحُ وَ اَلْمَلاٰئِكَهُ صَفًّا لاٰ يَتَكَلَّمُونَ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ اَلرَّحْمٰنُ وَ قٰالَ صَوٰاباً (٣٨) ذٰلِكَ اَلْيَوْمُ اَلْحَقُّ فَمَنْ شٰاءَ اِتَّخَذَ إِلىٰ رَبِّهِ مَآباً (٣٩) إِنّٰا أَنْذَرْنٰاكُمْ عَذٰاباً قَرِيباً يَوْمَ يَنْظُرُ اَلْمَرْءُ مٰا قَدَّمَتْ يَدٰاهُ وَ يَقُولُ اَلْكٰافِرُ يٰا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرٰاباً (٤٠)

التّفسير

اشاره

النّدم الشديد:

رأينا فى الآيات السابقه أنّها تحدثت عن بعض عقوبات الظالمين و الطواغيت،و بعض المواهب و النعم و المتعلقه بالصالحين في يوم القيامه،و تتناول الآيات أعلاه بعض الصفات و حوادث يوم القيامه،و تشرع بالقول ب يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلاٰئِكَهُ صَفًّا لاٰ يَتَكَلَّمُونَ إِلاّٰ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمٰنُ وَ قٰالَ صَوٰاباً (١) .

و بلا شک فإنّ قيام الروح و الملائكه صفّا يوم القيامه،و عدم تكلمهم إلاّ بإذنه سبحانه،إنّما هو مثالا للأوامر الإلهيه و طاعه،كما هو حالهم قبل قيام القيامه،فهم

---

١ - ١) -«يوم»ظرف متعلق بفعل«لا يملكون»-حسب اعتقاد كثير من المفسّرين-و ثمّه احتمال آخر:إنّه متعلق بكل ما جاء فى الآيات السابقه،فيكون التقدير:(كل ذلک يكون يوم يقوم الروح).

بأمره يعملون و لكنّ فی يوم القيامه سيتجلّی امتثالهم للّه أكثر و بشكل أوضح.

أمّا عن المقصود بكلمه«الروح»فقد بسط المفسّرون فی كتبهم تفاسير كثيره،حتی وصل معناها فی بعض التفسير إلی ثمانيه احتمالات (۱) ..و إليك أهم ما قيل فيه:

۱-هو مخلوق من غير الملائكه و أعظم منها.

۲-هو أمين الوحی الإلهيه جبرائيل أشرف الملائكه.

۳-هو أرواح أناس يقومون مع الملائكه.

۴-هو ملك عظيم الشأن،و أشرف من جميع الملائكه قاطبه(حتی جبرائيل):و هو الذی يصاحب الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام علی الدوام.

و قد جاءت كلمه«الروح»فی القرآن الكريم بصور شتی..فتاره تأتی مجرّده عن أيّه قرينه،و غالبا ما تأتی فی قبال الملائكه،كقوله تعالی:فی الآيه(۴) من سوره المعارج: تَعْرُجُ الْمَلاٰئِكَهُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ ،و فی الآيه(۴)من سوره القدر: تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ .

و نلاحظ أنّ ذكر كلمه«الروح»فی الآيتين أعلاه قد جاء بعد ذكر «الملائكه»،فی حين جاء ذكرها فی الآيات المبحوثه قبل«الملائكه»...و يمكن حمل هذا التغاير علی باب ذكر العام بعد الخاص،أو ذكر الخاص قبل العام.

و ذكرت كذلك كلمه«الروح»مع الإضافه،أو صيغه الوصف المقارن ك «روح القدس»كما جاء فی الآيه(۱۰۲)من سوره النحل: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ ،و ك«الروح الأمين»كما جاء فی الآيه(۱۹۳)من سوره الشعراء نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ .

و قد أضاف سبحانه و تعالی صفه«الروح»إلی ذاته المقدسه،كما فی الآيه

۱- ۱) -تفسير القرطبی،ج ۱۰،ذيل الآيه المبحوثه.

(۲۹)من سوره الحجر: وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي ،و الآيه(۱۷)من سوره مريم:

فَأَرْسَلْنا إِلَيْها رُوحَنا .

و كما هو ظاهر أنّ لكلمه«الروح»فی القرآن معان متفاوته،و قد تطرقنا لمعانيها حسب ورودها فی الآيات.

و أقرب ما يمكن التعويل عليه من معانی«الروح»فی الآيه المبحوثه هو كونه أحد ملائكه اللّه العظام، و الذی يبدو من بعض الآيات أنّه أعظم من جبرائيل و بدلاله ما

روی عن الإمام الصادق عليه السّلام قوله: «هو ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل» (۱) .

و جاء فی تفسير علی بن إبراهيم:«الروح ملك أعظم من جبرائيل و ميكائيل و كان مع رسول اللّه و هو مع الأئمّه» (۲) .

و جاء فی تفاسير أهل السنه،

إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: «الروح جند من جنود اللّه ليسوا بملائكه لهم رؤوس و أيدی و أرجل،ثمّ قرأ: يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَ الْمَلائِكَهُ صَفًّا ،قال:هؤلاء جند و هؤلاء جند» (۳) .

(و قد بحثنا موضوع روح الإنسان و تجرّدها و استقلالها بشكل مفصل فی ذيل الآيه(۸۵)من سوره الإسراء-فراجع).

و على أيّه حال،فسواء كان«الروح»من الملائكه أو من غيرهم،فإنّه سيقف يوم القيامه مع الملائكه صفّا بانتظار أوامر الخالق سبحانه،و سيكون هول المحشر بشكل بحيث لا يقوى أیّ من الخلق للتحدث معه،و الذين سيتكلمون أو يشفعون لا يقومون بذلك إلّا بعد إذنه جلّ شأنه، و ما واقع الكلام إلّا حمد اللّه و ثناؤه أو التشفع لمن هم أهلا للشفاعه.

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۲۷.

۲- ۲) -تفسير علی بن إبراهيم،ج ۲،ص ۴۰۲.

۳- ۳) -تفسير الدر المنثور،ج ۶،ص ۳۰۹.

و

قد روی أنّه حینما سئل الإمام الصادق علیه السّلام عن هذه الآیه،قال:«نحن و اللّه المأذون لهم یوم القیامه و القائلون».

فقال الراوی:و أیّ شیء تقولون؟ فقال علیه السّلام:«نمجد ربّنا،و نصلّی علی نبیّنا،و نشفع لشیعتنا،فلا یردنا ربّنا» (1) .

و نستفید من هذه الروایه:إنّ الأنبیاء و الأئمّه علیهم السّلام سیقفون صفّا یوم القیامه مع الملائکه و الروح،و سیکونون من المأذون لهم فی الکلام و الشفاعه،و سیکون حدیثهم منصبّا حول الذکر و الثناء و التسبیح للباری عزّ و جلّ.

ثمّ إنّ وصف قولهم بکلمه«صوابا»للدلاله علی أنّهم لا یشفعون إلاّ لمن ملک مقدمات الشفاعه و التی لا تتعارض و الحساب (2) .

و یشیر القرآن واصفا ذلک الیوم الذی یقوم فیه الناس و الملائکه أجمعون یوم الفصل،یوم عقاب العاصین و ثواب المتقین،یشیر بقوله: ذٰلِکَ الْیَوْمُ الْحَقُّ .

«الحقّ»:هو الأمر الثابت واقعا،و الذی تحققه قطعی.و هذا المعنی ینطبق تماما علی یوم القیامه،لأنّه سیعطی کلّ إنسان حقّه،إرجاع حقوق المظلومین من الظالمین،و تتکشف کلّ الحقائق التی کانت مخفیه علی الآخرین..فإنّه بحق:یوم الحقّ،و بکل ما تحمل الکلمه من معنی.

و إذا ما التفت الإنسان إلی هذه الحقیقه(حقیقه یوم القیامه)فسیتحرک بدافع قوی نحو اللّه عزّ و جلّ للحصول علی رضوانه سبحانه بامتثال أوامره تعالی..

و لهذا یقول القرآن مباشره: فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ مَآباً .

فجمیع مستلزمات التوجه و الحرکه نحو اللّه متوفره بعد أن بیّن طریق الحقّ

1- 1) -مجمع البیان،ج 10،ص 427.

2- 2) -بحثنا مسأله«الشفاعه»من حیث:شروطها،خصائصها و فلسفتها،مع الإجابه علی الإشکالات الوارده بشأنها فی تفسیر الآیه(48)من سوره البقره.

و أشار إلى معالم سبل الشيطان،بلغ اللّه أوامره بواسطه الأنبياء و الرسل و بالقدر الكافى،أودع فى الإنسان العقل(النّبى الباطن)،رغّب للمتقين بالمفاز،أنذر المجرمين عذابا أليما،عيّن يوما لمحكمه العدل الإلهى بيّن أسلوب المحاكمه، و لم يبق للإنسان سوى اختيار ما يتخذه إلى ربّه مآبا،و بمحض إرادته.

و«المآب»:هو محل رجوع،و يأتى أيضا بمعنى«الطريق».

ثمّ يؤكّد القرآن على مسأله عقاب المجرمين الذين يتوهمون أنّه يوم بعيد أو نسيئه،يقول القرآن..إنّ عقاب المجرمين لواقع،و يوم القيامه لقريب: إِنّٰا أَنْذَرْنٰاكُمْ عَذٰاباً قَرِيباً .

و ما عمر الدنيا بكامله إلاّ ساعه من زمن الآخره الخالد،و كما قيل:(كل ما هو آت قريب)،و تقول الآيات(۵-۷)من سوره المعارج،فى هذا المجال:

فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَ نَرٰاهُ قَرِيباً .

و

يقول أمير المؤمنين عليه السّلام: «كل آت قريب دان» (۱) .

و لم لا يكون قريبا ما دام الأساس فى العذاب الإلهى هو نفس أعمال الإنسان و التى هى معه على الدوام: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَهٌ بِالْكٰافِرِينَ (۲) .

و بعد أن وجّه الإنذار للناس،يشير القرآن إلى حسره الظالمين و المذنبين فى يوم القيامه،حين لا ينفع ندم و لا حسره،إلاّ من أتى اللّه بقلب سليم: يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مٰا قَدَّمَتْ يَدٰاهُ وَ يَقُولُ الْكٰافِرُ يٰا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرٰاباً .

و ذهب بعض المفسّرين أنّ كلمه«ينظر»فى الآيه بمعنى«ينتظر»،و المراد:

انتظار الإنسان يوم القيامه لجزاء أعماله.

و فسّرها بعض آخر ب:النظر فى صحيفه الأعمال.

و قيل:النظر إلى ثواب و عقاب الأعمال.

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۰۳.

۲- ۲) -العنكبوت،۵۴.

و کل ما ذکر مبنی علی إهمال مسأله حضور و تجسّم الأعمال فی یوم القیامه،و معه ینتفی أیّ دور للتأویلات المذکوره.

و بنظره إلی الآیات القرآنیه و الروایات و الأحادیث الشریفه یتبیّن لنا أنّ أعمال الإنسان تتجسم فی هذا الیوم بصوره معینه،و تظهر للإنسان فینظر إلیها علی حقیقتها فیسّر و یفرح عند رؤیته لأعماله الصالحه،و یتألم و یتحسر عن رؤیته لأعماله السیئه.

و أساسا فإنّ تجسّم الأعمال و مرافقتها للإنسان من أفضل المکافآت للمطیعین و أشدّ عقوبه للعاصین.

کما نجد فی الآیه(۴۹)من و سوره الکهف: وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً ، و کذا فی آخر سوره الزلزال: فَمَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَیْراً یَرَهُ وَ مَنْ یَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا یَرَهُ .

فی جمله«ما قدمت یداه»تغلیب،لأنّ کل إنسان یؤدی أعماله غالبا بیدیه، و لکنه لا یعنی الحصر،بل یشمل جمیع ما ارتکبته الجوارح من لسان و عین و اذن، فی الحیاه الدنیا.

و ینبه القرآن الناس قبل تحقق ذلک الیوم: وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ لِغَدٍ (۱) .

و علی أیّه حال،فحینما یری الکفّار أعمالهم مجسمه أمامهم سیهالهم الموقف و تصیبهم الحسره و الندامه، حتی یقولون یا لیتنا لم نتجاوز منذ البدایه مرحله التراب فی خلقنا،و عند ما خلقنا فی الدنیا،ثمّ متنا و تحولنا إلی التراب،فیا لیتنا بقینا علی تلک الحال و لم نبعث من جدید! فهم یعلمون بأنّ التراب بات خیرا منهم،لأنّه:تغرس به حبّه واحده فیعطی سنابلا،و هو مصدر غنی للمواد الغذائیه و المعدنیه و البرکات الاخری،مهد لحیاه

۱- ۱) -الحشر،۱۸.

الإنسان،و مع ما له من فوائد جمّه فهو لا يضرّ قط،بعكس ما كانوا عليه فی حیاتهم،فرغم عدم صدور أیّه فائده منهم،فلیس فیهم إلاّ الضرر و الأذی! نعم،فقد یصل الأمر بالإنسان،و علی الرغم من کونه أشرف المخلوقات، لأنّ یتمنی أن یکون و الجمادات بدرجه واحده،لما بدر منه کفر و ذنوب! و تصور لنا الآیات القرآنیه أحوال الکافرین و المجرمین،و شدّه تأثرهم و تأسفهم و ندمهم علی ما فعلوا فی دنیاهم،یوم الفزع الأکبر،فتقول الآیه(۵۶) من سوره الزمر: یا حَسْرَتی عَلی ما فَرَّطْتُ فِی جَنْبِ اللّهِ .

و تقول الآیه(۱۲)من سوره السجده: فَارْجِعْنا نَعْمَلْ صالِحاً .

أو ما یقوله کل فرد منهم-کما جاء فی الآیه المبحوثه- یا لَیْتَنِی کُنْتُ تُراباً .

***

بحث

اشاره

النظره الصائبه لمسأله«الجبر و الإختیار»

!! تعتبر مسأله(الجبر و الإختیار)من أقدم المسائل المبحوثه بین أوساط العلماء،یری فبعضهم حریه اختیار الإنسان،و منهم من یری بأنّ الإنسان مجبور فی أعماله،و کلّ منهما یمتلک جمله من الأدله التی أوصلته لما یری.

و من اللطیف أنّ کلا الفریقین،یقبلون عملیا بأنّ الإنسان مختار فی أفعاله.

و بعباره أخری:إنّ البحث و النقاش الدائر بین العلماء لا یتعدی دائره البحث العلمی،أمّا علی الصعید العملی فالکل متفقون علی حریه الإختیار للإنسان.

و هذا یظهر لنا بوضوح بأنّه أصل حریه الإراده و الإختیار من الأصول التی انطوت علیها الفطره الإنسانیه،و لولا الوساوس المختلفه لا تفق الجمیع علی حقیقه حریه الإراده فی الإنسان.

إنّ الوجدان النوعی و الفطره الإنسانیه عموما من أوضح أدله الإختیار،و قد تجلت بصور متنوعه فی حیاه لإنسان.

و علیه..فإذا کان الإنسان لا یقبل بالاختیار و یعتبر نفسه مجبورا فی أعماله فلما ذا إذن:

۱-ینـدم علی بعض الأعمـال الـتی یقوم بهـا أو لم ینجزهـا،و یضع تجربته کعبره لیعتبر به مسـتقبلا،فـإذا لم یکون مختـارا،فلمـا ذا الندم؟! ۲-یلام و یوبّخ کلّ من یسیء،فلما ذا یلام إن کان مجبورا فی فعله؟! ۳-یمدح و یحترم صاحب العمل الصالح.

۴-یسعی الناس جاهدین لتربیه و تعلیم أبنائهم لیضمنوا لهم مستقبلا زاهرا، و إذا کانت الأعمال جبریه،فلما ذا هذا التعلیم.

۵-یسعی العلماء قاطبه لرفع المستوی الأخلاقی فی المجتمع؟ ۶-یتوب الإنسان علی ما فعل من ذنوب،أو هل للجبر من توبه؟! ۷-یتحسر الإنسـان علی تقصـیره فیمـا یطلب منه؟ ۸-یحـاکم المجرمـون و المنحرفمـون فی کـل دول العـالم،و یحقق معهم حسـب قوانینهم؟ ۹-تضع جمیع الأـمم(المؤمنه أم الکـافره)العقوبـات للمجرمین؟ ۱۰-من یقول بـالجبر یصـرخ متغنیـا فی وجه المحـاکم لمعاقبه من اعتـدی علیه؟ و الخلاصه:إن لم یکن للإنسان اختیار،فما معنی الندم؟و لماذا یلام و یوبخ؟ أمن العقل أن یلام الإنسان علی فعل فعله قهرا؟!ثمّ لماذا یمدح أهل الخیر و الصلاح؟فإن کان ما فعلوه خارج عن إرادتهم فلا معنی لتشجیعهم.

و القبول بوجود تـأثیر للتربیه و التعلیم علی سـلوک الإنسـان یفقـد(الجبر)معناه تماما،و کـذا الحال بالنسـبه للمسائل الأخلاقیه،فلا مفهوم لها بدون الاعتراف أولا

ص :۳۶۵

بحریه الإنسان...

ثمّ إن کنّا قـد جعلنا علی أعمالنا جبرا،فهل یبق للتوبه من معنی؟!و لم الحسـره و الحال هذه؟!بل إنّ محاکمه الظالم ظلم واضح،و الأـکثر ظلمـا معـاقبته؟!! و کـلّ ما ذکر یـدلل علی أنّ حریه الإراده و عـدم الجبر أصل تحکم به الفطره الإنسانیه،و هو ما ینسـجم تماما و الوجـدان البشـری العـام،و الکـل یعمـل علی ضوء هـذا الأصـل، و لا فرق فی ذلک بین عوام الناس أو خواص العلماء و الفلاسفه،و لا یستثنی من ذلک حتی الجبریین أنفسهم،و کما قیل فی هذا الجانب:(الجبریون اختیاریون من حیث لا یعلمون).

و القرآن الکریم حافل بما یؤکّد هذه الحقیقه،و نظرا لکثره الآیات التی تؤکّد علی حریه إراده الإنسان-مضافا الی الآیه المبحوثه: فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ مَآباً -سنکتفی بذکر ثلاث آیات من القرآن الحکیم.

ففی الآیه(۳)من سوره الدهر: إِنّٰا هَدَیْنٰاهُ السَّبِیلَ إِمّٰا شٰاکِراً وَ إِمّٰا کَفُوراً .

و فی الآیه(۲۹)من سوره الکهف،یقول تعالی: فَمَنْ شٰاءَ فَلْیُؤْمِنْ وَ مَنْ شٰاءَ فَلْیَکْفُرْ .

و جاء فی الآیه(۲۹)من سوره الدهر أیضا: إِنَّ هٰذِهِ تَذْکِرَهٌ فَمَنْ شٰاءَ اتَّخَذَ إِلیٰ رَبِّهِ سَبِیلاً .

الحـدیث حول(الجبر و التفویض)طویل جـدّا،و قد کتبت فی ذلک کتب و مقالات عدیده،و ما ذکرناه لا یتعدی کونه إلقاء نظره سریعه و مختصـره علی ضوء(القرآن)و(الوجدان)،و نختم الحدیث بذکر ملاحظه مهمّه و هی:إنّ الدوافع النفسیه و الاجتماعیه قد اختلطت مع الاستدلال الفلسفی عند الکثیرین ممن یقولون بالجبر.

فکثیر ممن اعتقـدوا بـالجبر،أو(القضاء و القـدر)بمعناه الجبری إنّما توسـلوا به للفرار من المسؤولیه:أو أنّهم جعلوها غطاء لفشـلهم الناتج عن تقصیرهم

و تساهلهم فی أداء وظائفهم،أو جعلوها مبررا لاتباع أهوائهم و نزواتهم الشیطانیه.

استغل المستعمر-فی بعض الأحیان-هذه المقوله،و جدّ علی نشر و تأکید هذه العقیده الباطله لتحکیم سیطرته علی الرقاب،بعد أن یوهم الناس بأنّهم مجبورون من قبل اللّه علی أن یعیشوا تحت سطوه الحاکم الموجود قضاء و قدرا لیأمن المستعمر من المقاومه،یکسب رضاهم و تسلیمهم له! فالاعتقاد بهذا الرأی...یعنی تبریر کلّ ما یقوم به الطغاه و الجناه،و تبریر جمیع ذنوب المذنبین،و بالنتیجه:لا یبقی فرق بعد بین الصالح و الطالح،و المطیع و العاصی!!...

اللّهمّ!قنا من السقوط فی زلل العقائد المنحرفه..

اللّهمّ!أنت المأمول و المرتجی یوم تکون جهنّم للطاغین مرصادا،و الجنّه للمتقین مفازا...

اللّهمّ!یا واسع المغفره،لا تخیبنا یوم نری أعمالنا مجسمه أمامنا..

آمین ربّ العالمین نهایه سوره النبأ ***

سوره النّازعات

اشاره

مكيّه و عدد آياتها ستّ و أربعون آيه

ص: ۳۶۹

محتوى السوره:

تبحث هذه السوره كسابقتها مسائل«المعاد»،و تتلخص مواضيعها عموما بسته أقسام:

۱-التأكيد مرارا على مسأله المعاد و تحققه الحتمى.

۲-الإشاره إلى أهوال يوم القيامه.

۳-عرض سريع لقصه موسى عليه السّلام مع الطاغى فرعون،تسليه للنّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و المؤمنين،و إنذارا للمشركين الطغاه،و إشاره إلى ما يترتب على إنكار المعاد من سقوط فى مستنقع الرذيله.

۴-طرح بعض النماذج المظاهر قدره البارى سبحانه فى السماء و الأرض، للاستدلال على إمكان المعاد و الحياه بعد الموت.

۵-تعود الآيات مرّه اخرى،لتعرض بعض حوادث اليوم الرهيب،و ما سيصيب الطغاه من عقاب و ما سينال الصالحون من ثواب.

۶-و فى النهايه،يأتى على خفاء تاريخ وقوع يوم القيامه،و التأكيد على حتميه وقوعه و قربه.

و سميت السوره ب(النازعات)لورود هذه الكلمه فى أوّل آيه،و بها تبدأ السوره من بعد البسمله.

فضيله السوره:

و

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،أنّه قال: «من قرأ سوره و النازعات لم يكن حبسه

و حسابه يوم القيامه إلّا كقدر صلاه مكتوبه حتى يدخل الجنّه» (۱) .

و

عن الإمام الصادق،أنّه قال: «من قرأها لم يمت إلّا ريّان،و لم يبعثه اللّه إلّا ريّان،و لم يدخله الجنّه إلّا ريّان» (۲) .

و ليس غريبا أن ينال الإنسان بكل ما ذكر جزاء من عند اللّه،إذا ما أمعن فى محتوى السوره و تدبّر إشاراتها الموقظه للنفوس الغافله،و المعرّفه بوظائف الإنسان فى حياته،فمن لم يكتف بترديد ألفاظ السوره،و عمل بها بعد الإمعان و التدبر فحرى أن يجزى بما وعد الحق.

***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۲۸.

۲- ۲) -المصدر السابق.

الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ وَ اَلنّٰازِعٰاتِ غَرْقاً (۱) وَ اَلنّٰاشِطٰاتِ نَشْطاً (۲) وَ اَلسّٰابِحٰاتِ سَبْحاً (۳) فَالسّٰابِقٰاتِ سَبْقاً (۴) فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً (۵)

التّفسير

اشاره

القسم بالملائكه:

جاء القسم القرآنی بخمسه أشياء مهمّه،لتبيان حقيقه و حتميه تحقق يوم القيامه«المعاد»،فيقول:

وَ النّٰازِعٰاتِ غَرْقاً....

.

و قبل البدء بالتّفسير لا بدّ من توضيح معانی بعض الكلمات..

«النازعات»:من(النوع)،و نزع الشیء جذبه من مقرّه،كنزع القوس عن كبده،و منه نزع العداوه و المحبّه من القلب (۱) .و بذلك تشمل الأمور المعنويه أيضا.

(الغرق):بالفتح(على وزن الشفق)، هو الرسوب فی الماء،(على قول كثير من أهل اللغه)،و يأتی كذلك فيمن غمره البلاء.

۱- ۱) -مفردات الرغب،ماده(نزع).

و«الغرق»:(على وزن الفرق)،يقول عنه(ابن منظور)فى لسان العرب:إنّه اسم أقيم مقام المصدر الحقيقى،بمعنى الإغراق،و الإغراق بالنزع هو:أن يباعد السهم و يسحب القوس إلى آخر نقطه ممكنه،و يضرب مثلا للغو و الإفراط.

و من هنا يتّضح أنّ المعنى المقصود فى هذه الآيه ليس الغرق فى الماء،بل هو القيام بعمل ما إلى أقصى حدّ ممكن. (۱)

«النّاشطات»:من(النشط)،هى العقد التى يسهل حلها،و بئر(إنشاط):هى القريبه القعر يخرج دلوها بجذبه واحده،و يقال للإبل التى تتحرك من غير أن يحدى لها(النشيطه)..فيكون المعنى عموما:هو التحرك بسهوله.

«السابحات»:من(السبح)،و هو الحركه السريعه فى الماء أو الهواء و لهذا تطلق السابحات على:السباحه فى الماء،الحركه السريعه للخيل،و أيّه حركه سريعه فى عمل ما..و«التسبيح»:هو تنزيه اللّه تعالى من كل عيب و نقص، و أصله:الحركه السريعه فى عباده اللّه تعالى.

«السابقات»:من(السبق)،و هو التقدم فى السير،و بما أنّ السبق لا يتمّ إلّا بالحركه الأسرع فهو يتضمّن معنى الشرعه كذلك.

«المدبرات»:من(التدبير)،و هو التفكير فى عاقبه الأمور، و أرادت الآيه القيام بالأعمال على أحسن وجه.

و بعد هذه التعريفات الموجزه نشرع بالتفسير:

إنّ القسم بهذه الأمور الخمسه قد لفّته هاله من الإبهام و الغموض و تبعث على التأمل و التعمق أكثر لمعرفه المراد من هذه الأقسام و أنّها لمن تشير،و أى شيء تقصد؟ و قد عرضت تفاسير مختلفه،و قيل الكثير بخصوص هذا الموضوع،إلّا أنّ

۱- ۱) -راجع:لسان العرب،تفسير مجمع البيان،تفسير الكشّاف،و مجمع البحرين.

معظمها تدور حول ثلاثه محاور:

الأوّل:إنّ القسم المذكور يتعلق بالملائكه الموكله بقبض أرواح الكفّار و المجرمين،و لكون تلك الأرواح قد رفضت التسليم للحق،فيكون فصلها عن أجسادها بشدّه.

و يتعلق كذلك،بالملائكه الموكله بقبض أرواح المؤمنين برفق و يسر، و سرعه فى إتمام الأمر.

و الملائكه التى تسرع فى تنفيذ الأوامر الإلهيه.

ثمّ الملائكه التى تتسابق فى تنفيذ الأوامر الإلهيه.

و أخيرا،يتعلق القسم بالملائكه التى شؤون العالم بأمره سبحانه و تعالى.

الثّانى:تعلق القسم بالنجوم التى تغرب من أفق لتنتقل إلى أفق آخر و بحركه دائبه لا تعرف السكون.

فبعض منها تمشى الهوينا،و البعض الآخر واسعه الخطوات.

و تراها سابحه فى السماء.

و تتسابق فيما بينها.

و أخيرا،تشترك فى تدبير امور الكون،بما لها من تأثيرات،(كنور الشمس و ضياء القمر بالنسبه إلى الأرض).

الثّالث:تعلق القسم بالمجاهدين فى سبيل اللّه،أو بخيولهم الخارجه من أوطانهم بعزم شديد لتجول فى ميادين القتال بنشاط و تمكن.

و...تتسابق فيما بينها...مع الجول و التسابق تعمل على إراده و تدبير امور الحرب.

و قد جمع بعض المفسّرين هذه الآراء،فبعضها مقتبس من الأوّل،و القسم الآخر من الثّانى أو الثالث،لمعنى خاص،و لكنّ الأصل فى كلّ ذلك يعود إلى

التّفاسير الثّلاثه المذكوره (۱) .

و لا يوجد أىّ تضاد بين كلّ ما ذكر،و يمكن أن تكون الآيات قد رمزت إلى كلّ هذه المعانى...و عموما يبدو أنّ التفسير الأوّل أقرب من غيره،للأسباب التاليه:

أوّلا:تناسبه مع يوم القيامه..هو ممّا تدور السوره حوله عموما.

ثانيا:نسبه الترابط الموجوده بينه و بين الآيات المشابهه للآيات المبحوثه فى أوّل سوره المرسلات.

ثالثا:ملائمه تفسير: فَالْمُدَبِّرٰاتِ أَمْراً للملائكه التى تدبّر شؤون العالم بأمر اللّه،و الذين لا يتخلفون و لو لحظه واحده فى تنفيذ ما يؤمرون به،كما تشير الآيه (۲۷)من سوره الأنبياء إلى ذلك: لاٰ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ، و خصوصا أنّ(تدبير الأمر)ورد بصيغه مطلقه من دون أىّ قيد أو شرط.

و علاوه على كلّ ما تقدم فثمّه روايات فى تفسير الآيات المبحوثه يتناسب معها التفسير الأوّل،و من جملتها:

ما

روى عن على عليه السّلام فى تفسير اَلنّٰازِعٰاتِ غَرْقاً ،إنّه قال:«إنّها الملائكه الذين ينزعون أرواح الكفّار عن أبدانهم بشدّه كما يغرق النازع بالقوس فيبلغ بها غايه المسد» (۲) .

و روى عنه عليه السّلام فى تفسير:«و الناشطات»و«السابحات»و«فالمدبرات»ما

۱- ۱) -و ثمّه رأى يقول:المقصود بهذا القسم،تلك الحركات الطبيعيه و الإراديه و الصناعيه للموجودات،فمثلا:تتحرك النطفه حركه طبيعيه،فتنفصل من صلب الأب لتستقر فى رحم الام،ثمّ تديم مسيرها بهدوء،و لتسرع بعد ذلك،ثمّ تبدأ المواد الحياتيه بالتسابق فى النطفه حتى يتشكل فى النهايه إنسان كامل الهيئه لتقوم بتدبيره،و كذا الحال بالنسبه للحركات الإراديه حيث يبدأ الإنسان باتخاذ قرار معين و بعده يتحرك بهدوء لتجسيد اولى خطوات التنفيذ،ثمّ يسرع الخطوات،و يتسابق مع الآخرين،و يقوم بكلّ ذلك لتدبير أمره و حياته الاجتماعيه و الوسائل الصناعيه لا تبتعد عن هذا التسلسل،كما فى المراحل التى تطويها الطائره فى مسيرها.(إلاّ أنّ هذا التفسير يفتقد الدليل).

۲- ۲) -تفسير نور الثقلين،ج ۵،ص ۴۹۷،الحديث ۴.

يشبه ذلك (۱) .

و يمكن توجيه هـذا التفسـير بشـكل أتم،إذا ما اعتبرنا مسأله قبض أرواح المؤمنين و الكفّار مصـداق من مصاديق التّفسـير و ليس كـلّ محتواه،و عليه فالملائكه هم المقصودون بالأقسام المـذكوره بصوره عـامّه،و يتمّ تنفيـذ الأمر الإلهى من قبلهم على خمس مراحل:الحركه الشديده الناتجه من عظمه صدور الأمر الإلهى..الشروع بالتنفيذ بخطوات هادئه..الإسراع فى خطوات التنفيذ..

فالتسابق..و من ثمّ يكون تدبير الأمر.

و على أيّه حال،فقبض الأرواح من قبل الملائكه مصداق لمفهوم كلّى، و يعتبر الأرضيه الممهده لبقيه البحوث التى تتناولها السوره حول«المعاد».

***

ملاحظتان

و يبقى،بعد كلّ ما تقدم،سؤالان:

الأوّل:ما سبب مجىء«النازعات»و«الناشطات»بصيغه المؤنث؟ الثّاني:كان القسم فى الآيات الثلاثه الاولى ب«الواو»،و فى الآيتين الرابعه و الخامسه استعملت«الفاء»عوضا عن«الواو»..فهل هى للعطف أم للتفريع؟ الجواب الأوّل:«النازعات»جمع(نازعه)،و هى الطائفه أو المجموعه من الملائكه التى تعمل على تنفيذ ما أمرت به،و كذا الحال بالنسبه ل«الناشطات» و بقيه صيغ الجمع الاخرى...و بما أنّ(الطائفه)مؤنث لفظى،فقد جاء الجمع بصيغه المؤنث السالم.

الجواب الثّاني:يمكننا القول:أنّ التسابق الحاصل هو نتيجه الحركه السريعه

۱- ۱) -المصدر السابق،الحديث ۷-۸-۱۲.

المقصوده فی«السابحات»،و تدبیر الأمور نتیجه لمجموع هذه الحرکه.

و آخر ما ینبغی قوله فی هـذا المجال:إنّ القسم الوارد فی الآیات الخمسه الاولی من السوره،إنّا هو قسم علی أمر محـذوف(و هو جواب القسم)،و لکنّ قرینه المقام و ما تشیر إلیه الآیات التالیه یبیّن البعث و الحشر و القیامه،و حتمیه تحققها،فیکون التقدیر لجواب القسم:(لتبعثن یوم القیامه و لتحشرنّ و لتحاسبن).

***

ص :۳۷۸

الآيات [سوره النازعات (٧٩): الآيات ۶ الی ۱۴]

اشاره

يَوْمَ تَرْجُفُ اَلرّاجِفَهُ (۶) تَتْبَعُهَا اَلرّادِفَهُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ واجِفَهٌ (٨) أَبْصارُها خاشِعَهٌ (٩) يَقُولُونَ أَ إِنّا لَمَرْدُودُونَ فِی اَلْحافِرَهِ (١٠) أَ إِذا كُنّا عِظاماً نَخِرَهً (١١) قالُوا تِلْكَ إِذاً كَرَّهٌ خاسِرَهٌ (١٢) فَإِنَّما هِیَ زَجْرَهٌ واحِدَهٌ (١٣) فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَهِ (١۴)

التّفسیر

اشاره

صیحه الموت المرعبه!

بعد أن أكّد القرآن الكريم على حقيقه القيامه و حتميه وقوعها فی الآيات السابقه،تتعرض الآيات أعلاه لبعض ما يصاحب يوم القيامه من علامات و أحداث،فتقول: يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَهُ ،أی:يوم تحدث الزلزله العظيمه المهوله.

ثمّ: تَتْبَعُهَا الرّادِفَهُ .

«الراجفه»:من(الرجف)،بمعنى الاضطراب و التزلزل،و لذا يقال للأخبار التی توقع الاضطراب بين أوساط الناس ب(الأراجيف).

«الرادفه):من(الردف)،و هو الشخص أو الشیء الذی يأتی بعد نظيره تتابعا،

و لذا يقال لمن يركب خلف آخر،(رديفه).

و يعتقد كثير من المفسّرين بأنّ«الراجفه»:هى الصيحه و نفخه الصور الاولى التى تعلن عن موت جميع الخلائق،و«الرادفه» هى الصيحه و نفخه الصور الثّانيه التى يبعث فيها الخلق مرّه اخرى ليعيشوا يوم القيامه (۱) .

و عليه،فالآيتان تشيران إلى نفس ما أشارت إليه الآيه(۶۸)من سوره الزمر:

وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمٰاوٰاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلاّٰ مَنْ شٰاءَ اللّٰهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرىٰ فَإِذٰا هُمْ قِيٰامٌ يَنْظُرُونَ .

و قيل:«الراجفه»:إشاره إلى الزلزله التى تدمّر الأرض،و«الرّادفه»:إشاره إلى الزلزله التى تدمّر السماوات..

و التّفسير الأوّل كما يبدو أقرب للصواب.

و تأتى الآيه الاخرى لتقول: قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وٰاجِفَهٌ .

فقلوب العاصين شديده الاضطراب خوفا من الحساب و الجزاء.

«واجفه»:من(الوجف)،بمعنى سرعه السير،و(أوجفت البعير):حملته على الإسراع، و تستعمل أيضا للاضطراب الشديد لما يصاحبه من اهتزاز و إسراع.

و يكون التزلزل الداخلى من الشدّه بحيث يظهر على وجوه كلّ المذنبين، و لذا يقول القرآن: أَبْصٰارُهٰا خٰاشِعَهٌ (۲) .

فيبدو الاضطراب و الخوف ظاهرا على أعين المذنبين،و تتوقف حركتها و كأنّها قد فقدت حاسه النظر لما أصابها من خوف شديد.

و فى الآيه التاليه ينتقل الحديث من أخبار يوم القيامه إلى الحياه الدنيا:

۱- ۱) -ينبغى ملاحظه أنّ فعل(رجف)قد يأتى متعديا و قد يأتى لازما،فعلى الحاله الاولى تكون«الراجفه»بمعنى الزلزله العظيمه التى تزلزل كلّ الأرض و الموجودات،و على الحاله الثّانيه تعنى الأرض دون غيرها-فتأمل.

۲- ۲) -يعود ضمير«أبصارها»إلى القلوب،التى تشير هنا إلى معنى(النفوس و الأرواح)،و ترجع الإضافه إلى أنّ مركز تأثيرات حواس الإنسان إنّما من روحه،و ما يظهر من اضطراب و خوف على الأعين هو نتيجه لما يسيطر على الروح من خوف.

يَقُولُونَ أَ إِنّٰا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحٰافِرَهِ

.

«الحافره»:من(الحفر)،بمعنی شقّ الأرض،و ما ینتج من ذلک یسمی (حفره)،یقال:حافر الفرس،تشبیها لحفره الأرض فی عدوه،و«الحافره»:کنایه لمن یرد من حیث جاء،کما لو سار إنسان علی أرض،فیترک فیها حفرا لتحمل آثار قدمه،ثمّ یعود إلی نفس تلک الحفر،فالحافره:تعنی الحاله الاولی (۱) .

و تستمر الآیه فی سرد کلامهم: أَ إِذٰا کُنّٰا عِظٰاماً نَخِرَهً (۲) .

فهکذا هو حال و دأب منکری المعاد و علی الدوام باستفسارهم الدائم حول المعاد،و بقولهم المعروف:کیف للعظام البالیه النخره و التی تحولت إلی ذرات تراب أن تعود مرّه اخری جسما کاملا،و الأکثر من هذا..أن تسری فیه الحیاه و لکنّهم لم یفقهوا إلی أنّهم خلقوا من ذلک التراب،فکیف أصبحوا بهذه الهیئه الحیّه بعد أن لم یکونوا شیئا؟ «نخره»:صفه مشبهه،من(النخر)،بمعنی الشجره المجوفه البالیه،و التی إذا دخل فیها الهواء أعطت صوتا معینا،مثله(النخیر)،و عمم الاستعمال لیشمل کلّ شیء بال فی حال تآکل و تلاش.

و لا یکتفی منکر و المعاد بحال الاعتراض علی ما وعدهم به الباری سبحانه،بل و تحولوا إلی حال الاستهزاء بأحد اصول دین اللّه!: قٰالُوا تِلْکَ إِذاً کَرَّهٌ خٰاسِرَهٌ .

و ثمّه احتمال آخر فی تفسیر هذه الآیه یقول:إنّهم جادون فی قولتهم غیر مستهزئین،لأنّهم یعتقدون أن لو کان ثمّه عود و رجعه فهی عبث زائد و خاسر،إذ لو کانت الحیاه الطیبه هی التی نعیشها،فلما ذا لا تخلد؟و إن کانت سیئه فما فائده العود؟

۱- ۱) -اسم فاعل هنا بمعنی اسم المفعول،فالحافره إذا بمعنی المحفوره.

۲- ۲) -و تقدیر الجمله مع محذوفها:(أ إذا کنّا عظاما نخره نرد أحیاء)أو(أ إنا لمبعوثون).

و یمکن اعتبار«الحافره»الوارده فی: أَ إِنّا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحافِرَهِ قرینه لهذا الاحتمال،بلحاظ کونها بمعنی(الحفره).

و لکنّ المعروف بین المفسّرین هو التّفسیر الأوّل.

و قد عبّرت الآیه السابقه عن قولهم بصیغه المصارع«یقولون»اشاره إلی دوام تردیدهم لما یقولون به،فی حین ذکر الفعل فی الآیه المبحوثه بصیغه الماضی«قولوا»إشاره إلی أنّهم قلیلا ما یقولون ذلک.

و فی آخر آیه من الآیات المبحوثه یعود القرآن الکریم إلی مسأله القیامه، و بلسان قاطع،یقول: فَإِنَّما هِیَ زَجْرَهٌ واحِدَهٌ فَإِذا هُمْ بِالسّاهِرَهِ .

فالأمر لیس بمستصعب علی الخالق القادر،فما أن یصدر الأمر الإلهی لنفخه الصور الثّانیه حتی تعود الحیاه ثانیه إلی جمیع الخلائق،نعم..فتشرع کلّ تلک العظام النخره و ما صار منها ترابا للتجمع علی الهیئه الاولی،و لیخرج الناس من قبورهم بعد أن تسری فیهم روح الحیاه! «الزجره»:بمعنی صیحه بشدّه و انتهار،و یراد بها:نفخه الصور الثّانیه.

«زجره واحده»:إشاره إلی سهوله الأمر أمام قدره اللّه سبحانه و تعالی،و إلی سرعه تنفیذ أمره سبحانه(لقیام القیامه)...فبصوت واحد من ملائکه القیامه،أو من صور إسرافیل یرتدی جمیع الأموات لباس الحیاه من جدید لیحضروا عرصه المحشر للحساب.

«الساهره»:من(السهر)،و هو الأرق،و قیل:لأرض القیامه«الساهره» لذهاب النوم عن العیون لما سیصابون به من أهوال مرعبه.و قیل:الساهره:اسم للصحراء،لأنّ جمیع الصحاری مخیفه،و کأنّ الخوف فیها یطرد النوم من العین (۱) .

***

ص: ۳۸۲

۱- ۱) -لسان العرب:سهر،مجمع البیان:ج ۱۰،ص ۴۲۹؛و تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۶۹۹۰.

الآيات [سوره النازعات (٧٩): الآيات ١۵ الی ٢۶]

اشاره

هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ مُوسیٰ (١۵) إِذْ نٰادٰاهُ رَبُّهُ بِالْوٰادِ اَلْمُقَدَّسِ طُویً (١۶) اِذْهَبْ إِلیٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغیٰ (١٧) فَقُلْ هَلْ لَکَ إِلیٰ أَنْ تَزَکّٰی (١٨) وَ أَهْدِیَکَ إِلیٰ رَبِّکَ فَتَخْشیٰ (١٩) فَأَرٰاهُ اَلْآیَهَ اَلْکُبْریٰ (٢٠) فَکَذَّبَ وَ عَصیٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ یَسْعیٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنٰادیٰ (٢٣) فَقٰالَ أَنَا رَبُّکُمُ اَلْأَعْلیٰ (٢۴) فَأَخَذَهُ اَللّٰهُ نَکٰالَ اَلْآخِرَهِ وَ اَلْأُولیٰ (٢۵) إِنَّ فِی ذٰلِکَ لَعِبْرَهً لِمَنْ یَخْشیٰ (٢۶)

التّفسیر

اشاره

افتراء فرعون!

یشیر القرآن الکریم بهذه المقاطع البیانیه إلی بعض مشاهد قصّه موسی علیه السّلام و فرعون،و التی تتناول عاقبه الطغاه عبر التاریخ،و ما حدی بفرعون من مصیر أسود،لیستذکر مشرکو قریش و طغاتهم تلک الواقعه،و لیعلموا أن من کان أقوی منهم لم یتمکن من مقاومه العذاب الإلهی.

و یشیر البیان القرآنی کذلک،إلی المؤمنین بأن لا یخافوا من قوّه الأعداء

ص :٣٨٣

الظاهريه،لأنّ دمارهم و هلاكهم على اللّه أسهل من أن يتصور..فهذا البيان القرآنى إذا،تسليه لقلوب المؤمنين و ترطيبا لخواطرهم.

فيتوجه الحديث إلى النبىّ عليه السّلام بصيغه الاستفهام: هَلْ أَتاکَ حَدِيثُ مُوسى ليشوق السامع و يهيئه لاستماع القصّه ذات العبر.

ثمّ يقول: إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً (۱) .

«طوى»:يمكن أن يكون اسما لأرض مقدّسه،تقع فى الشام بين(مدين) و(مصر)،و هو الوادى الذى كلّم اللّه تعالى فيه موسى عليه السّلام أوّل مرّه.

و قد رود الاسم أيضا فى الآيه(۱۲)من سوره طه: إِنِّی أَنَا رَبُّکَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْکَ إِنَّکَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً .

و قد تكون«طوى»صفه من(الطى)،إشاره إلى ما انطوت عليه تلك الأرض من القداسه و البركه.

أو كما يقول الراغب فى مفرداته،إشاره إلى حاله حصلت له على طريق الاجتباء،فكان ينبغى عليه السير فى طريق طويل،ليكون لائقا لنزول الوحى و لكن اللّه تعالى طوى له هذا الطريق و قرّب له الهدف.

ثمّ أشار القرآن إلى تعليمات اللّه عزّ و جلّ إلى موسى عليه السّلام فى الواد المقدّس:

اِذْهَبْ إِلى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغى فَقُلْ هَلْ لَکَ إِلى أَنْ تَزَکّى

و بعد التزكيه و تطهير الذات تصبح لائقا للقاء اللّه،و سوف أهديك إليه عسى أن تخشع و تترك ما أنت عليه من المنكرات: وَ أَهْدِيَکَ إِلى رَبِّکَ فَتَخْشى .

و لمّا كانت كلّ دعوه تحتاج إلى دليل صحتها،يضيف القرآن القول: فَأَراهُ الْآيَةَ الْکُبْرى (۲) .

۱- ۱) -اعتبر أكثر المفسّرين«إذ»ظرف زمان متعلق ب«حديث»و يصح الإعتبار لو كانت بمعنى نفس الحادثه و ليست حكايتها.. و ثمّه احتمال آخر،يقول«إذ»:ظرف متعلق بفعل محذوف تقديره(اذكر)،فالتقدير:(اذكر إذ ناداه...)-فتأمل.

۲- ۲) -إنّ الفاصله الزمنيه ما بين توجيه الأمر الإلهى إلى موسى عليه السّلام و بين إرائه المعجزه كانت كبيره،و لكنّ البيان القرآنى اختصرها فى هذا الموضع.

و لكن،ما الآيه الكبرى؟هل هى عصا موسى عليه السّلام التى تحولت إلى أفعى عظيمه،أو إخراج يده بيضاء،أم كليهما؟(على اعتبار أنّ الألف و اللام فى«الآيه الكبرى»إشاره إلى الجنس).و على أيّه حال،فالمهم فى المسأله إنّ موسى عليه السّلام استند فى بدء دعوته على معجزه«الآيه الكبرى».

لقد وردت فى الآيات الأربعه المذكوره جمله ملاحظات،هى:

۱-طغيان فرعون يمثل علّه الأمر الإلهى لذهاب موسى عليه السّلام إليه...و تبيّن لنا هذه الملاحظه:إنّ من جمله الأهداف المهمّه فى حركه الأنبياء هى هدايه الطغاه أو مجاهدتهم.

۲-راح موسى عليه السّلام يدعو فرعون بلين و رفق و أسلوب جميل،و بأسلوب مرغّب دعاه لأن يتطهر(طهاره مطلقه من الشرك و الكفر،و من الظلم و الفساد) و تنقل لنا الآيه(۴۴)من سوره طه هذا المعنى: فَقُولاٰ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً .

۳-و ثمّه إشاره لطيفه وردت بخصوص رساله الأنبياء عليهم السّلام،فدعوتهم للحق تعتمد على محاوله تطهير الناس و إعادتهم إلى فطرتهم السليمه.

كما و أشار البيان القرآنى إلى أنّ المخاطبه قد تمّت بكلمه«تزكّى»بدلا من (ازكيك)،للدلاله على أنّ التزكيه الحقّه إنّما هى تلك النابعه من الذات،و لا تبنى باسس موضوعيه خارجيه.

۴-ذكرت الهدايه بعد التزكيه،للدلاله على أنّ التزكيه مقدّمه و بمثابه الأرضيه المهيئه للهدايه.

۵-إنّ تعبير«إلى ربّك»فى حقيقه تأكيد على أنّ من أهديك إليه هو مالكك و مربيك،فلم الميل عنه؟! ۶-«الخشيه»نتيجه للهدايه: وَ أَهْدِيَكَ إِلىٰ رَبِّكَ فَتَخْشىٰ ،و بما أنّ الخشيه لا تحصل إلاّ بمعرفه حقّه،فتكون ثمره شجره الهدايه و التوحيد هى الإحساس بالمسؤوليه الملقاه على العواتق أمام جبار السماوات و الأرض،و لهذا تقول الآيه

(۲۸)من سوره فاطر: إِنَّما يَخْشَى اللّهَ،مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ .

۷-ابتدأ موسى عليه السّلام أسلوب دعوته بالهدايه العاطفيه ثمّ تدرج إلى الهدايه العقليه و المنطقيه حتى أرى فرعون الآيه الكبرى.

و قد بيّن لنا البيان القرآنى أفضل طرق الدعوه و الإرشاد،حيث ينبغى إحاطه من يراد هدايته بالرعايه و العطف و تحسيسه بحسن نيّه الداعيه أو المرشد،و من ثمّ تأتى مرحله الدليل المنطقى و الحوار العلمى.

لكنّ فرعون المتجبّر قابل كلّ تلك المحبّه،اللطف،الدعوه بالحسنى و الآيه الكبرى،قابل كلّ ذلك بالتجبّر الأعمى و الغرور الأبله: فَكَذَّبَ وَ عَصىٰ .

و كما يظهر من الآيه المباركه فإنّ التكذيب مقدمه العصيان و مرحله سابقه له،كما هو حال التصديق الإيمان باعتباره مقدّمه للطاعات.

و ازداد فرعون عتوّا: ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعىٰ (۱) .

و قد هددت معجزه موسى عليه السّلام كل وجود فرعون الطاغوتى،ممّا دعاه لأن يبذل كل ما يملك من قدره لأجل إبطال مفعول المعجزه،فتراه و قد أمر أتباعه و جنوده لجمع كلّ سحره البلاد-على كثرتهم فى تلك الحقبه الزمنيه-و نودى فى الناس بأمره ليشاهدوا مشهد إبطال المعجزه من قبل السحره،و ليظهروا مثلها!!:

فَحَشَرَ فَنٰادىٰ

.

مع أنّ كلمه«حشر»ذكرت بصوره مطلقه مبهمه،و لكننا نستطيع معرفه تفصيل الأمر من خلال الآيات القرآنيه الاخرى،ففى الآيتين(۱۱۱ و ۱۱۲)من سوره الأعراف،يكمل تفصيل ذلك: وَ أَرْسِلْ فِى الْمَدٰائِنِ حٰاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سٰاحِرٍ عَلِيمٍ .

و كذا الحال بالنسبه لكلمه«نادى»،فيمكننا التوصل لمعناها من خلال الآيه

---

۱ - ۱) -يمكن اعتبار«ثمّ»فى الآيه إشاره إلى المدّه التى استغلها فرعون ليدرس و يخطط لكيفيه مواجهه موسى عليه السّلام،لأنّ«ثمّ» عاده ما تستعمل للتعبير عن الفاصله الزمنيه بين الأحداث.

(۳۹)من سوره الشعراء،و التی تناولت نفس الموضوع: وَ قِيلَ لِلنّٰاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ .

و لم يكتف فرعون بكـذبه و عصـيانه،و مقاومته لدعوه الحق و الوقوف أمامها، بل و تعدى حدود المخلوق بصوره مفرطه جدّا،و افترى على اللّه و على نفسه بأقبح ادعاء،حينما ادعى نفسه الربوبيه على شعبه و أمرهم بطاعته!: فَقٰالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلىٰ .

نعم..فحينمـا يقبع المتجبّر فی عرش الغرور،و حينمـا تلّفه أمواج الأنـانيه المفرطه،حينها..سـيجرفه تيـار الإفـراط لأـن يـدعی لنفسـه الربوبيه،بـل و يجره فقـدان بصـيرته،و انحسـار فطرته بين ظلمات أنانيته لأن يـدعی أنّه(ربّ الأرباب)!! و أوصل فرعون قولته إلى الناس ليخبرهم بأنّه لا يعارض ما لهم من أصـنام يعبدونها،لكنّه فوقها جميعا فهو(المعبود الأعلى)! و ألطف ما فی الأمر،إنّ فرعون نفسه كان أحد عبده الأصنام،بشهاده الآيه (۱۲۷)من سوره الأعراف: أَ تَذَرُ مُوسىٰ وَ قَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَذَرَكَ وَ آلِهَتَكَ ،فادعاؤه بأنّه(الربّ الأعلى)قد سرى حكمه حتى على آلهته لتكون من عبيده!..نعم،فهكذا هو هذيان الطواغيت.

و قـد ادعى فرعون بأكثر من(ربّ الأرباب)،ليضـيف إلى هذيان الطغاه حماقه،حينما ورد قوله فی الآيه(۳۸)من سوره القصص: مٰا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرِي !...

و على أيّه حال،فقـد حلّ بفرعون منتهى التكبر و الطغيان،فأخـذه جبّار السـماوات و الأرض سـبحانه أخذ عزيز مقتدر: فَأَخَذَهُ اللّٰهُ نَكٰالَ الْآخِرَهِ وَ الْأُولىٰ (۱)

ص: ۳۸۷

۱- ۱) -«نكال»:منصوب بنزع الخافض،و التقدير:(فأخذه اللّه بنكال الآخره)و يحتمل كونه مفعول مطلق للأخذ،بمعنى(نكّل)،

«النكال»:لغه:العجز و الضعف.و يقال لمن يتخلف عن دفع ما استحق عليه (نكل).و(النكل)-على وزن فكر-القيد الشديد الذى يعجز معه الإنسان على عمل أىّ شيء.

و«نكال»:فى الآيه يقال للعذاب الإلهى الذى يؤدى إلى عجز الإنسان، و يخيف الآخرين،فيعجزهم عن ارتكاب الذنب،.

«نكال الآخره»:عذاب جهنّم الذى سينال فرعون و أصحابه و من سار على خطوه،و«عذاب الاولى»:إشاره إلى إغراق فرعون و أصحابه فى نهر النيل.

و تقديم«نكال الآخره»على عذاب الدنيا،لأهميته و شدّه بطشه.

و قيل:«الاولى»:تشير إلى كلمه فرعون الاولى فى مسير طغيانه حين ادّعى (الالوهيه)،كما جاء فى الآيه(٣٨)من سوره القصص.

و«الآخره»:إشاره الى آخر كلمه نطق بها فرعون حين ادّعى(الرّبوبيه العليا)،فعذّبه اللّه بالغرق فى الحياه الدنيا نتيجه ادّعاءيه الباطلين.

و قد أشير لهذا المعنى فيما

روى عن الإمام الباقر عليه السّلام قوله: «إنّ الفتره ما بين قوله الاولى و الآخره كانت أربعين عاما،و قد أخّر اللّه تعالى عذابه كلّ هذه المدّه إتماما للحجّه عليه» (١) .

و يوافق هذا المعنى صيغه الفعل الماضى الوارده فى الآيه«أخذ»و الذى يفهم منه تنفيذ كلّ العقاب فى الدنيا،و تعضده الآيه التاليه التى تعدّ العذاب عبره للآخرين.

(١)

فيكون التقدير:(نكّل اللّه ناكال الآخره).

١- ١) -و فى مجمع البيان،ج ١٠،ص ٤٣٢،روايه اخرى تحمل نفس المضمون عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و أكثر تفصيلا،نور الثقلين، ج ٥،ص ٥٠٠.

و يستخلص القرآن نتيجه القصّه: إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشىٰ .

فتبيّن الآيه بكلّ وضوح،إنّ وسائط سلك طريق الإعتبار مهيئه لمن سرى فى قلبه الخوف و الخشيه من اللّه،و اعترته مشاعر الإحساس بالمسؤوليه،و من رأى العبره بعين معتبره اعتبر.

نعم..فقد أغرق فرعون،و أهلك ملكه و دولته،و صار درسا شاخصا لكل فراعنه و طواغيت و مشركى الزمان،و عبره لمن سار على نهجه الفاسد لكل عصر و مصر،و لا يجنى من سار على خطاه سوى ما جنيت به يداه،و هى سنّه اللّه،و لا تغيير و لا تبديل لسنّته جلّ شأنه.

***

بحث

اشاره

بلاغه القرآن:

بنظره ممعنه فى الآيات الإحدى عشر المبحوثه،تتجلى لنا ذروه فصاحه و بلاغه القرآن الكريم،فبعبارات موجزه و سريعه،عرضت قصّه موسى عليه السّلام مع فرعون و بتفصيل بيانى محكم،حيث تناولت:بيان سبب الرساله،هدف دعوه الرساله،وسائل التطهير،كيفيه الدعوه،أسس مواجهه مخططات الأعداء،نماذج من الادعاءات الباطله،و الانتقام من الطغاه...فكل هذا و ما حمل بين ثناياه من دروس حيّه للإنسانيه،قد ورد فى هذه الآيات القليله الموجزه! ***

الآيات [سوره النازعات (٧٩): الآيات ٢٧ الى ٣٣]

اشاره

أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ اَلسَّمٰاءُ بَنٰاهٰا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهٰا فَسَوّٰاهٰا (٢٨) وَ أَغْطَشَ لَيْلَهٰا وَ أَخْرَجَ ضُحٰاهٰا (٢٩) وَ اَلْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰاهٰا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَ مَرْعٰاهٰا (٣١) وَ اَلْجِبٰالَ أَرْسٰاهٰا (٣٢) مَتٰاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعٰامِكُمْ (٣٣)

التّفسير

اشاره

اللمسات الرّبانيه فى عالم الطبيعه و نظام الكون:

ينتقل البيان القرآنى مرّه اخرى إلى عالم القيامه،بعد ذكر تلك اللمحات البلاغيه فى قصّه موسى عليه السّلام مع فرعون،فيعرض صورا من قدره اللّه المطلقه فى عالم الوجود،ليستدل به على إمكان المعاد،و يشرح بعض النعم الإلهيه على البشريه(التى لا تعدّ و لا تحصى)،ليحرك فيهم حس الشكر و الذى من خلاله يتوصلون لمعرفه اللّه.

و ابتدأ الخطاب باستفهام توبيخى(لمنكرى المعاد)هل أنّ خلقكم (و إعادتكم إلى الحياه بعد الموت)أصعب من خلق السماء: أَ أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ

السَّماءُ بَناها

(۱)

.

و الآیه فی واقعها جواب لما ذکر من قولهم فی الآیات السابقه: أَ إِنّا لَمَرْدُودُونَ فِی الْحافِرَهِ -أی هل یمکن أن نعود إلی حالتنا الاولی-فکلّ إنسان و مهما بلغت مدارکه و مشاعره من مستوی،لیعلم أنّ خلق السماء و ما یسبح فیها من نجوم و کواکب و مجرّات،لهو أعقد و أعظم من خلق الإنسان...و إذا فمن له القدره علی خلق السماء و ما فیها من حقائق،أ یعقل أن یکون عاجزا عن إعاده الحیاه مرّه اخری إلی الناس؟! و یضیف القرآن فی بیان خلق السماء،فیقول شارحا بتفصیل: رَفَعَ سَمْکَها فَسَوّاها .

«سمک»:-علی وزن سقف-لغه:بمعنی الارتفاع،و جیئت بمعنی(السقف) أیضا،و علی قول الفخر الرازی فی تفسیره:إنّ الشیء المرتفع لو قیس ارتفاعه من الأعلی إلی الأسفل فالنتیجه تسمّی(عمق)،أمّا لو قیس الارتفاع من الأسفل إلی الأعلی فهو(سمک) . (۲)

«سواها»:من(التسویه)،بمعنی التنظیم،و هی تشیر إلی دقّه التنظیم الحاکمه علی الأجرام السماویه،و إذا اعتبرنا«سمکها»بمعنی«سقفها»،فهی إشاره إلی الغلاف الجوی الذی حفّ و أحاط بالکره الأرضیه کالسقف المحکم البناء،و الذی یحفظها من شدّه آثار الأحجار السماویه،و الشهب،و الأشعه الکونیه و الممیته و المتساقطه علیها باستمرار.

و قیل:إنّ«سواها»إشاره إلی کرویه السماء و إحاطتها بالأرض،حیث أنّ التسویه هنا تعنی تساوی الفاصله بین أجزاء هذا السقف نسبه إلی المرکز الأصلی (الأرض)،و لا یتحقق ذلک من دون کرویه الأرض و ما حولها(السماء).

۱- ۱) -فی الآیه حذف،و التقدیر:(أم السماء أشدّ خلقا).و«بناها»:جمله استئنافیه،و هی مقدّمه للآیات التالیه.

۲- ۲) -تفسیر الفخر الرازی،ج ۳۱،الآیه المبحوثه.

و قيل أيضا:إنّ الآيه تشير إلى ارتفاع السماء و الأجرام السماويه و بعدها الشاسع عن الأرض،بالإضافه لإشارتها للسقف المحفوظ المحيط بالأرض.

و على أيّه حال،فالآيه قد نهجت بذات سياق الآيه(۵۷)من سوره المؤمن:

لَخَلْقُ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النّٰاسِ وَ لٰكِنَّ أَكْثَرَ النّٰاسِ لاٰ يَعْلَمُونَ .

ثمّ تنتقل بنا الآيه التاليه إلى إحدى الأنظمه الحاكمه فى هذا العالم الكبير، الكبير،(نظام النور و الظلمه)،: وَ أَغْطَشَ لَيْلَهٰا وَ أَخْرَجَ ضُحٰاهٰا .

فلكلّ من النور و الظلمه دور أساس و مهم جدّا فى حياه الإنسان و سائر الأحياء من حيوان و نبات،فلا يتمكن الإنسان من الحياه دون النور،لما له من ارتباط وثيق فى حركه و إحساس و رزق و أعمال الإنسان،و كذا لا يتمكن من تكمله مشوار حياته من غير الظلمه،و التى تعتبر رمز الهدوء و السكينه.

«أغطش»:من(الغطش)،بمعنى الظلام،و لكنّ الراغب فى مفرداته يقول:

و أصله من«الأغطش»و هو الذى فى عينه شبه عمش.

«الضحى»:انبساط الشمس و امتداد النهار (۱) .

و تنتقل بنا الآيه الاخرى من السماء إلى الأرض،فتقول: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰاهٰا .

«دحاها»:من«الدحو»بمعنى الانبساط،و فسّرها بعضهم: وَ الْأَرْضَ بَعْدَ ذٰلِكَ دَحٰاهٰا .

و للمعنيين أصل واحد،لوجود التلازم بينهما.

و يقصد بدحو الأرض،إنّها كانت فى البدايه مغطاه بمياه الأمطار الغزيره التى انهمرت عليها من مدّه طويله،ثمّ استقرت تلك المياه تدريجيا فى منخفضات الأرض،فشكلت البحار و المحيطات،فيما علت اليابسه على أطرافها،و توسعت

۱- ۱) -يرجع ضميرا«ليلها»و«ضحاها»إلى السماء،فنسبه النور و الظلمه إلى السماء باعتبار أنّ لهما منشأ سماويا.

تدريجيا،حتى وصلت لما هى عليه الآن من شكل،(و حدث ذلک بعد خلق السماء و الأرض) (۱) .

و بعد دحو الأرض،و إتمام صلاحيتها لسکنى و حياه الإنسان،يأتى الحديث فى الآيه التاليه عن الماء و النبات معا: أَخْرَجَ مِنْهٰا مٰاءَهٰا وَ مَرْعٰاهٰا .

و يظهر من التعبير القرآنى،إنّ الماء قد نفذ إلى دخل الأرض بادئ ذى بدء، ثمّ خرج على شکل عيون و أنهار،حتى تشکلت منهما البحيرات و البحار و المحيطات.

«المرعى»:اسم مکان من(الرعى) (۲) ،و هو حفظ و مراقبه امور الحيوان من حيث التغذيه و ما شابهها.

و لهذا،تستعمل کلمه(المراعاه)بمعنى المحافظه و المراقبه و تدبير الأمور، و کلّ من يسوس نفسه أو غيره يسمّى(راعيا)،و لذا جاء فى الحديث الشريف:

«کلکم راع و کلکم مسئول عن رعيته».

ثمّ ينتقل البيان القرآنى إلى«الجبال»،حيث ثمّه عوامل تلعب الدور المؤثر فى استقرار و سکون الأرض،مثل:الفيضانات،العواصف العاتيه،المدّ و الجزر، و الزلازل..فکل هذه العوامل تعمل على خلخله استقرار الأرض،فجعل اللّه عزّ و جلّ«الجبال»تثبيتا للأرض،و لهذا تقول الآيه: وَ الْجِبٰالَ أَرْسٰاهٰا (۳) .

«أرسى»:من(رسو)،بمعنى الثبات،و أرسى:فعل متعد،أى،ثبّت الجبال فى مواقعها.

و تلخص الآيه التاليه ما جاء فى الآيات السابقه: مَتٰاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعٰامِکُمْ .

---

۱ - ۱) -فسّر بعض المفسّرين«بعد ذلک»فى الآيه،بمعنى(إضافه لهذا)،فيکون معنى الآيه:(إضافه إلى ما فى الآيات السابقه فالأرض دحاها).

۲- ۲) -و اعتبره البعض:مصدرا ميميا،بمعنى الحيوانات السائمه،و لکنّ المعنى المذکر أعلاه أقرب.

۳- ۳) -بحثنا مفصلا موضوع الجبال و أهميتها فى حياه الإنسان و فى تثبيت الأرض،فى ذيل الآيه(۳)من سوره الرعد-فراجع.

نعم..فالسماء رفعها.

خلق نظام النور و الظلمه.

دحی الأرض.

أخرج من الأرض ماء و نباتا.

أرسی الجبال لحفظ الأرض.

هیأ مستلزمات عیش الإنسان،و سخر له کلّ شیء.

کلّ ذلک،لیغرف الإنسان من نعم اللّه،و لکی لا یغفل عن طاعه اللّه و الوصول لساحه رضوانه جلّ شأنه.

و ما جاء فی الآیات یبرز قدرته سبحانه علی المعاد من جهه،و یدلل من جهه اخری علی وجود اللّه تعالی و عظمه شأنه،لیدفع المخلوق إلی الإذعان بسلامه سلک طریق معرفه اللّه و توحیده.

***

ص :۳۹۴

الآيات [سوره النازعات (٧٩): الآيات ٣۴ الی ۴١]

اشاره

فَإِذٰا جٰاءَتِ اَلطَّامَّهُ اَلْكُبْرىٰ (٣۴) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ اَلْإِنْسٰانُ مٰا سَعىٰ (٣۵) وَ بُرِّزَتِ اَلْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ (٣۶) فَأَمّٰا مَنْ طَغىٰ (٣٧) وَ آثَرَ اَلْحَيٰاهَ اَلدُّنْيٰا (٣٨) فَإِنَّ اَلْجَحِيمَ هِيَ اَلْمَأْوىٰ (٣٩) وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ وَ نَهَى اَلنَّفْسَ عَنِ اَلْهَوىٰ (۴٠) فَإِنَّ اَلْجَنَّهَ هِيَ اَلْمَأْوىٰ (۴١)

التّفسير

اشاره

التنزّه عن الهوى:

و تتجه عدسه آيات القرآن الكريم لتعرض لنا جوانبا من صور عالم القيامه، و تبدأ بتصوير تلك الداهيه المذهله التى تصيب من عبد أهواءه فى الحياه الدنيا:

فَإِذٰا جٰاءَتِ الطَّامَّهُ الْكُبْرىٰ

(١)

.

«الطامه»:من(الطم)-على زنه فنّ-و هو فى الأصل بمعنى ملء الفراغ

١- ١) -يقول بعض المفسّرين،إنّ جواب الشرط فى«إذا»الشرطيه،يأتى فى الآيات فَأَمّٰا مَنْ طَغىٰ... وَ أَمّٰا مَنْ خٰافَ مَقٰامَ رَبِّهِ... و لكن الأفضل أن نقول:إنّ الجزاء محذوف يدل عليه ما فى الآيات التاليه،و التقدير:(فإذا جاءت الطامه الكبرى،يجز كلّ إنسان بما عمل)،و قيل:يستفاد جزاء الشرط من« يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسٰانُ »-و لكنّه بعيد.

و الحفر،و يطلق بالطامه على كلّ شـيء بلغ حدّه الأعلى،و لهذا فقد أطلقت على الحوادث المرّه و الصـعاب الكبار،و هى فى الآيه تشـير إلى يوم القيـامه لما فيها من دواهى تغطى بهولها كلّ هول،و اتبعت ب«الكبرى»زياده فى التأكيـد على أهميه و خطوره يوم القيامه.

و يضيف:حال حلول الحدث...سيفلت الجميع من نياط غفلتهم،و يتذكروا ما زرعوا لحياتهم: يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسٰانُ مٰا سَعىٰ .

و أنى للتذكر بعد فوات الأوان! و إذا طلبوا الرجوع إلى الدنيا لإصلاح ما أفسدوا و يتداركوا الأمر، فسيقرعون ب كَلاّٰ .

و إذا ما اعتذروا تائبين،فلا محيص عن ردّهم،بعد أن أوصدت أبواب التوبه بأمر الجبّار الحكيم.

و عندها:لا يبقى لهم إلاّ الحسره و الندامه،و الهم و الغم،و كما تقول الآيه(٢٧) من سوره الفرقان: يَوْمَ يَعَضُّ الظّٰالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ .

و ثمّه نكته فى الآيه ترتبط بصـيغه الفعل«يتذكر»،فقد جاء الفعل مضارعا ليدل على اسـتمراريه التذكر،فالإنسان أمام ذلك المنظر الرهيب،و قد أزيلت الحجب عن قلبه و روحه،سيرى الحقائق بعينها شاخصه أمامه،و لا ينسى حينها ما اكتسبت يداه من أعمال.

و تشخص الآيه التاليه ما سيقع: وَ بُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرىٰ .

فالجحيم موجوده،كما تشـير إلى ذلك الآيه(٥۴)من سوره العنكبوت: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكٰافِرِينَ ،و لكن حجب الـدنيا تمنعنا من رؤيتها،و أمّا فى يوم الفصل،يوم البروز،فسيبرز كلّ شيء و لا يستثنى من ذلك جهنّم.

و جمله«لمن يرى»،تشير إلى رؤيه جهنّم من قبل الجميع بلا استثناء (الصالح و الطالح)،فهى غير خافيه عن الأنظار.

ص :٣٩۶

و قیل:إنّها لمن سیکون له نظر فی یوم القیامه،لأنّ الآیه(۱۲۴)من سوره طه قد صرّحت بأنّ البعض سیحشر أعمی: وَ نَحْشُرُهُ یَوْمَ الْقِیٰامَهِ أَعْمیٰ ،و یعتمد ستکون أکثر المفسّرین علی التّفسیر الأوّل لمناسبته للمقام،لأنّ رؤیه جهنّم من قبل العاصین ستکون أکثر إیلاما لهم،إضافه إلی أنّ العمی المشار إلیه،ربّما یکون فی موقف معین من مواقف یوم القیامه،و لیس دائما (۱) .

و فی الآیات الثلاثه التالیه،یشیر القرآن إلی حال المجرمین و الطغاه یوم القیامه: فَأَمّٰا مَنْ طَغیٰ وَ آثَرَ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا فَإِنَّ الْجَحِیمَ هِیَ الْمَأْویٰ (۲) .

و الآیه الاولی تشیر إلی فساد عقائد الطغاه،لأنّ الطغیان ینشأ من الغرور، و الغرور من نتائج عدم معرفه الباری جّل شأنه.

و بمعرفه عظمه و جلال اللّه یتصاغر الإنسان و یتصاغر حتی یکاد لا یری لنفسه أثرا،و عندها سوف لن تزل قدمه عن جاده العبودیه الحقه،ما دام سلوکه یصب فی رافد معرفه اللّه.

و الآیه الثانیه تشیر إلی فسادهم العملی،لأنّ الطغیان یوقع الإنسان فی شراک اللذائذ الوقتیه الفانیه ذروه الطموح و منتهی الأمل،فینساق واهما لأنّ یجعلها فوق کلّ شیء! و الأمران فی واقعهما کالعله و المعلول،فالطغیان و فساد العقده مفتاح فساد العمل و حبّ الدنیا المفرط،و لا یجران إلاّ إلی سوء عقبی الدار،نار جهنّم خالدین فیها أبدا.

و

عن أمیر المؤمنین علی علیه السّلام،أنّه قال: «و من طغی ضل علی عمل بلا حجّه» (۳) ،فالغرور یری صاحبه الهوی حقّ:علی الرغم من عدم امتلاکه الدلیل أو

۱- ۱) -لزیاده التوضیح،راجع ذیل الآیه(۱۲۴)من سوره طه.

۲- ۲) -تقدیر الآیه الثالثه مع محذوفها:(هی المأوی له)أو(هی مأواه)،و حذف الضمیر لوضوحه.

۳- ۳) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۰۶،الحدیث ۴۳.

الحجّه،و بالرغم من مخالفه المنطق له!.

و يأتی الدور فی الآيتين التاليتين لوصف أهل الجنّه: وَ أَمّا مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَ نَهَی النَّفْسَ عَنِ الْهَویٰ فَإِنَّ الْجَنَّهَ هِیَ الْمَأْویٰ .

فالشرط الأوّل للحصول على نعم الجنّه و الاستقرار بها هو الخوف من اللّه من خلال معرفته(معرفه اللّه و الخوف من التمرد و العصيان على أوامره)، و الشرط الثانی هو ثمره و نتيجه الشرط الأوّل أی الخوف و المعرفه و يتمثل فی السيطره على هوى النفس و كبح جماحها،فهوى النفس من أقبح الأصنام المعبوده من دون اللّه،لأنّه المنفذ الرئيسی لدخول معترک الذنوب و المفاسد،و لذا ف«أبغض إله عبد على وجه الأرض:الهوى».

و هوى النفس هو الطابور الخامس فی قلب الإنسان،نعم...فالشيطان الخارجی لا يتمكن من النفوذ إلى داخل الإنسان ما لم يوافقه الشيطان الداخلی فی منحاه،و يفتح له أبواب الدخول،كما تشير إلى ذلک الآيه(۴۲)من سوره الحجر: إِنَّ عِبادِی لَيْسَ لَکَ عَلَيْهِمْ سُلْطانٌ إِلاّ مَنِ اتَّبَعَکَ مِنَ الْغاوِينَ .

***

ملاحظات

اشاره

۱-مقام الرّب؟

جاء فی الآيه(۴۰) ...مَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ.. ،و لم يقل(من خاف ربّه)،، فما ذا يقصد بهذا المقام؟ طرحت احتمالات عديده فی جواب السؤال المذكور:

۱-المقام:مواقف القيامه،و هی المقامات التی سيقف فيها الإنسان بين يدی ربّه للحساب،فسيكون«مقام ربّه»-على ضوء هذا الاحتمال-بمعنى(مقامه عند ربّه).

ص :۳۹۸

۲-المقام:علم اللّه و مقام مراقبته للإنسان،بدلاله الآیه(۳۳)من سوره الرعد: أَ فَمَنْ هُوَ قٰائِمٌ عَلیٰ کُلِّ نَفْسٍ بِمٰا کَسَبَتْ .

و بدلاله ما

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام:قوله: «من علم أنّ اللّه یراه،و یسمع ما یقول،و یعلم من خیر أو شرّ فیحجزه ذلک عن القبیح من الأعمال فذلک الذی خاف مقام ربّه و نهی النفس عن الهوی» (۱) .

۳-مقام العداله الإلهیه،لأنّ العبد لا یخاف من ذات اللّه المقدّسه بل خوفه من عدل اللّه حسابه و فی الحقیقه إنّ هذا الخوف ناشئ من قیاس أعماله بمیزان العدل،فالمجرمون ترتعد فرائصهم و تهتزّ دواخلهم حین رؤیه القاضی العادل،و لا یتحملون سماع اسم المحکمه و المحاکمه،بعکس من لم یقم بأی ذنب،فرؤیته للقاضی ستکون مغایره لما داخل المجرم من إحساسات...و لا تباین بین هذه التفسیرات الثلاثه،و یمکن ادغامها فی معنی الآیه.

۲-علاقه الطغیان بعباده الدنیا

رسمت الآیات المبحوثه و بأسلوب رائع اصول سعاده و شقاء الإنسانیه، فجسدت بریشتها البیانیه زبده تعالیم الأنبیاء و الأولیاء علیهم السلام.

فشقاء الإنسان یکمن فی طغیانه و عبادته لجواذب الدنیا،و سعادته فی خوفه من اللّه و ترکه ما یبعد عن ساحه رضوانه سبحانه و تعالی.

روی عن أمیر المؤمنین علیه السّلام،أنّه قال: «إنّ أخوف ما أخاف علیکم اثنان:إتّباع الهوی و طول الأمل،فأمّا اتّباع الهوی فیصد عن الحقّ،و أمّا طول الأمل فینسی الآخره» (۲) .

و...هوی النفس:یضع حجابا علی عقل الإنسان،یزیّن له الأعمال القبیحه،

۱- ۱) -نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۹۷.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۴۲.

يشغل الإنسان بنفسه،يسلبه قدره التمييز بين الصالح و الطالح و التى هى أعظم نعمه على الإنسان،و بها يتميزّ الإنسان عن الحيوان،و هذا هو ما أشارت إليه الآيه (١٨)من سوره يوسف فى و قول نبيّ اللّه يعقوب عليه السّلام لأولاده: بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً .

و باب الحديث أوسع بكثير من أن يلخص بوريقات،و لكننا سنكتفى بذكر حديثين عن أئمّه الهدى من أهل البيت عليهم السّلام،لتناولهما مختلف جوانب الموضوع:

فعن الإمام الباقر عليه السّلام،أنّه قال: «الجنّه محفوفه بالمكاره و الصبر،فمن صبر على المكاره فى الدنيا دخل الجنّه،و جهنّم محفوفه باللذات و الشهوات،فمن أعطى نفسه لذتها و شهوتها دخل النّار» (١) .

و

عن الإمام الصادق،أنّه قال: «لا تدع النفس و هواها،فإنّ هواها فى رداها، و ترك النفس و ما تهوى داؤها،و كفّ النفس عمّا تهوى دواؤها» (٢) .

و لا يدخل اتباع الهوى جهنّم فقط،فله من الآثار السلبيه حتى فى الحياه الدنيا،و من نتائجه: فقدان الأمن،و تخلخل النظام،و نشوب الحروب،و سفك الدماء،و إثاره النزاعات و الأحقاد...

٣-فريقان لا ثالث لهما

تحدثت الآيات محل البحث عن فريقين من الناس،أمّا من طغى و عبد هواه فمأواه جهنّم خالدا فيها،و أمّا من اتقى و خاف مقام ربّه فالجنّه مأواه أبدا.

و ثمّه فريق ثالث لم تتطرق له الآيات،و هو المؤمنين الذين قصروا فى أداء بعض الأعمال و الوظائف،أو أصابهم بعض تلوثات هوى النفس الأماره بالسوء، فهؤلاء و إن كانوا فريقا ثالثا-حسب لظاهر-إلاّ أنّهم سرعان ما يلتحقون بأحد

۱- ۱) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۰۷،الحديث ۴۵.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحديث ۴۶.

الفريقين،فأمّا من يحمل أرضيه شموله بالعفو الإلهى فسيلتحق بركب المتقين، و أمّا من ثقلت كفه ذنوبه فسيحشر مع القابعين فى أوديه النّار،و لكنها لا تكون مكانهم و مأواهم الأبدى.

***

الآيات [سوره النازعات (۷۹): الآيات ۴۲ الی ۴۶]

اشاره

يَسْئَلُونَکَ عَنِ اَلسّاعَهِ أَيّانَ مُرْساها (۴۲) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْراها (۴۳) إِلى رَبِّكَ مُنْتَهاها (۴۴) إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشاها (۴۵) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلاّ عَشِيَّهً أَوْ ضُحاها (۴۶)

التّفسير

اشاره

يوما لقيامه:الوقت المجهول!

تتعرض الآيات أعلاه لإجابه المشركين و منكرى المعاد حول سؤالهم الدائم عن وقت قيام الساعه(يوم القيامه): فتقول أوّلا: يَسْئَلُونَکَ عَنِ السّاعَهِ أَيّانَ مُرْساها (۱) .

و القرآن فى مقام الجواب يسعى إلى إفهامهم بأنّه لا أحد يعلم بوقت وقوع

ص: ۴۰۲

۱- ۱) -جاءت كلمه«المرسى»بهذا الموضع مصدرا،على مالها من استعمال اخرى،فتأتى تاره اسم زمان و مكان،و تاره اخرى اسم مفعول من«الإرساء»،معناها المصدرى هو:الوقوع و الثبات،و يستخدم المرسى كمكان لتوقف السفن،و فى تثبيت الجبال على سطح الأرض،و كقوله تعالى فى الآيه(۴۱)من سوره هود: وَ قالَ ارْكَبُوا فِيها بِسْمِ اللّهِ مَجْراها وَ مُرْساها ،و الآيه(۳۲) من سوره النازعات: وَ الْجِبالَ أَرْساها .

القیامه،و یوجه الباری خطابه إلی حبیبه الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،بأنّک لا تعلم وقت وقوعها، و یقول: فِیمَ أَنْتَ مِنْ ذِکْرٰاهٰا .

فما خفّی علیک(یا محمّد)،فمن باب أولی أن یخفی علی الآخرین،و العلم بوقت قیام القیامه من الغیب الذی اختصه اللّه لنفسه،و لا سبیل لمعرفه ذلک سواه إطلاقا! و کما قلنا،فسّر خفاء موعد الحق یرجع لأسباب تربویه،فإذا کان ساعه قیام القیامه معلومه فستحل الغفله علی جمیع إذا کانت بعیده،و بالمقابل ستکون التقوی اضطرارا و الورع بعیدا عن الحریه و الإختیار إذا کانت قریبه،و الأمران بطبیعتهما سیقتلان کلّ أثر تربوی مرجو.

و ثمّه احتمالات اخری قد عرضها بعض المفسّرین،و منها:إنّک لم تبعث لبیان وقت وقوع یوم القیامه،و إنّما لتعلن و تبیّن وجودها(و لیس لحظه وقوعها).

و منها أیضا:إنّ قیامک و ظهورک مبیّن و کاشف عن قرب وقوع یوم القیامه بدلاله ما

روی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم حینما جمع بین سبابتیه و قال: «بعثت أنا و القیامه کهاتین» (۱) و لکنّ التّفسیر الأوّل أنسب من غیره و أقرب.

و تقول الآیه التالیه: إِلیٰ رَبِّکَ مُنْتَهٰاهٰا .

فاللّه وحده هو العالم بوقت موعدها دون غیره و لا فائده من الخوض فی معرفه ذلک.

و یؤکّد القرآن هذا المعنی فی الآیتین:(۳۴)من سوره لقمان: إِنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّٰاعَهِ ،و فی الآیه(۱۸۷)من سوره الأعراف: قُلْ إِنَّمٰا عِلْمُهٰا عِنْدَ رَبِّی .

و قیل:المراد بالآیه،تحقق القیامه بأمر اللّه،و یشیر هذا القول إلی بیان علّه ما

---

۱ – ۱) -تفسیر الفخر الرازی،ج ۲۹، ص ۲۹،و ذکرت ذات الموضوع فی:تفاسیر(مجمع البیان)،(القرطبی)،(فی ظلال القرآن) بالإضافه لتفسیر اخری،فی ذیل الآیه(۱۸)من سوره محمّد.

ورد فی الآیه السابقه،و لا مانع من الجمع بین التّفسیرین.

و تسهم الآیه التالیه فی التوضیح: إِنَّمٰا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ یَخْشٰاهٰا .

إنّما تکلیفک هو دعوه الناس إلی الدین الحقّ،و إنذار من لا یأبی بعقاب أخروی ألیم،و ما علیک تعیین وقت قیام الساعه.

مع ملاحظه،أنّ الإنذار الموجه فی الآیه فیمن یخاف و یخشی و عقاب اللّه، هو یشابه الموضوع الذی تناولته الآیه(۲)من سوره البقره: ذٰلِکَ الْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ .

و یشیر البیان القرآنی إلی أثر الدافع الذاتی فی طلب الحقیقه و تحسس المسؤولیه الملقاه علی عاتق الإنسان أمام خالقه،فإذا افتقد الإنسان إلی الدافع المحرک فسوف لا یبحث فیما جاءت به کتب السماء،و لا یستقر له شأن فی أمر المعاد،بل و حتی لا یستمع لإنذارات الأنبیاء و الأولیاء علیهم السّلام.

و تأتی آخر آیه من السوره لتبیّن أنّ ما تبقی من الوقت لحلول الوعد الحق لیس إلاّ قلیلا: کَأَنَّهُمْ یَوْمَ یَرَوْنَهٰا لَمْ یَلْبَثُوا إِلاّٰ عَشِیَّةً أَوْ ضُحٰاهٰا .

فعمر الدنیا و حیاه البرزخ من السرعه فی الانقضاء لیکاد یعتقد الناس عند وقوع القیامه،بأنّ کلّ عمر الدنیا و البرزخ ما هو إلاّ سویعات معدوده! و لیس ببعید..لأنّ عمر الدنیا قصیر بذاته،و لیس من الصواب أن نقایس بین زمنی الدنیا و الآخره،لأنّ الفانی لیس کالباقی.

«عشیّه»:العصر.و«الضحی»:وقت انبساط الشمس و امتداد النهار.

و قد نقلت الآیات القرآنیه بعض أحادیث المجرمین فی یوم القیامه،فیما یختص بمدّه لبثهم فی عالم البرزخ..

فتقول الآیه(۱۰۳)من سوره طه: یَتَخٰافَتُونَ بَیْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ عَشْراً ، و یَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِیقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاّٰ یَوْماً .

و تقول الآیه(۵۵)من سوره الروم: وَ یَوْمَ تَقُومُ السّٰاعَةُ یُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مٰا

لَبِثُوا غَيْرَ ساعَهٍ .

و اختلاف تقـديرات مدّه اللبث،يرجع لاختلاف القائلين،و كلّ منهم قد عبّر عن قصـر المدّه حسب ما يتصور،و القاسم المشترک لکلّ التقديرات هو أنّ المدّه قصيره جدّا و يكفى طرق باب هذا الموضوع بإيقاظ الغافل من خدره.

اللّهمّ!هب لنا الأمن و السلامه فى العوالم الثلاث،الدنيا و البرزخ و القيامه...

يا ربّ!لا ينجو من عقاب و شدائد يوم القيامه إلّا من رحمته بلطفک، فاشملنا بخاصه لطفک و رحمتک..

إلهى!اجعلنا ممن يخاف مقامک و ينهى نفسه عن الهوى،و لا تجعل لنا غير الجنّه مأوى..

آمين ربّ العالمين نهايه سوره النّازعات ***

سوره عبس

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها اثنتان و أربعون آیه

ص :۴۰۷

محتوى السوره:

تبحث هذه السوره على قصرها مسائل مختلفه مهمّه تدور بشكل خاص حول محور المعاد،و يمكن ادراج محتويات السوره فى خمسه مواضيع أساسيه.

۱-عتاب إلهى شديد لمن واجه الأعمى الباحث عن الحقّ بأسلوب غير لائق.

۲-أهميه القرآن الكريم.

۳-كفران الإنسان للنعم و المواهب الإلهيه.

۴-بيان جانب من النعم الإلهيه فى مجال تغذيه الإنسان و الحيوان لاثاره حسّ الشكر فى الإنسان.

۵-الإشاره إلى بعض الوقائع و الحوادث الرهيبه و مصير المؤمنين و الكفّار ذلك اليوم العظيم.

و تسميه هذه السوره بهذا الاسم بمناسبه الآيه الاولى منها.

فضيله السوره:

ورد فى الحديث النّبوى الشريف أنّ: «من قرأ سوره«عبس»جاء يوم القيامه و وجهه ضاحك مستبشر» (۱) ***

۱- ۱) -تفسير مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۳۵.

الآیات [سوره عبس (۸۰): الآیات ۱ الی ۱۰]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ عَبَسَ وَ تَوَلّٰی (۱) أَنْ جٰاءَهُ اَلْأَعْمیٰ (۲) وَ مٰا یُدْرِیکَ لَعَلَّهُ یَزَّکّٰی (۳) أَوْ یَذَّکَّرُ فَتَنْفَعَهُ اَلذِّکْریٰ (۴) أَمّٰا مَنِ اِسْتَغْنیٰ (۵) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّٰی (۶) وَ مٰا عَلَیْکَ أَلاّٰ یَزَّکّٰی (۷) وَ أَمّٰا مَنْ جٰاءَکَ یَسْعیٰ (۸) وَ هُوَ یَخْشیٰ (۹) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰی (۱۰)

سبب النّزول

تبیّن الآیات المبارکه عتاب اللّه تعالی بشکل إجمالی،عتابه لشخص قدّم المال و المکانه الاجتماعیه علی طلب الحق...أمّا من هو المعاتب؟فقد اختلف فیه المفسّرون،لکنّ المشهور بین عامّه المفسّرین و خاصتهم،ما یلی:

إنّها نزلت فی عبد اللّه بن ام مکتوم،إنّه أتی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و هو یناجی عتبه بن ربیعه و أبا جهل بن هشام و العباس بن عبد المطلب و أبی و امیّه بن خلف یدعوهم إلی اللّه و یرجو إسلامهم(فإنّ فی إسلامهم إسلام جمع من أتباعهم، و کذلک توقف عدائهم و محاربتهم للإسلام و المسلمین)، فقال:یا رسول اللّه، أقرئنی و علمنی ممّا علمک اللّه،فجعل ینادیه و یکرر النداء و لا یدری أنّه مشتغل مقبل علی غیره،حتی ظهرت الکراهه فی وجه رسول اللّه لقطعه کلامه،و قال فی

نفسه:یقول هؤلاء الصنادید،إنّما أتباعه العمیان و العبید،فأعرض عنه و أقبل علی القوم الذین یکلمهم،فنزلت الآیه.

و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم بعد ذلک یکرمه،و إذا رآه

قال: «مرحبا بمن عاتبنی فیه ربّی»،و یقول له:«هل لک من حاجه».

و استخلفه علی المدینه مرّتین فی غزوتین (۱) .

و الرأی الثّانی فی شأن نزولها:ما

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام: «إنّها نزلت فی رجل من بنی امیّه،کان عند النّبی،فجاء ابن ام مکتوم،فلما رآه تقذر منه و جمع نفسه عبس و أعرض بوجهه عنه،فحکی اللّه سبحانه ذلک،و أنکره علیه» (۲) .

و قد أیّد المحقق الإسلامی الکبیر الشریف المرتضی الرأی الثّانی.

و الآیه لم تدل صراحه علی أنّ المخاطب هو شخص النّبی الکریم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و لکنّ الآیات(۸-۱۰)فی السوره یمکن أن تکون قرینه،حیث تقول: وَ أَمّٰا مَنْ جٰاءَکَ یَسْعیٰ وَ هُوَ یَخْشیٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰی ،و النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم خیر من ینطبق علیه هذا الخطاب الربّانی.

و یحتجّ الشریف المرتضی علی الرأی الأوّل،بأنّ ما فی آیه عَبَسَ وَ تَوَلّٰی لا یدل علی أنّ المخاطب هو النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،حیث أنّ العبوس لیس من صفاته مع أعدائه،فکیف به مع المؤمنین المسترشدین!و وصف التصدّی للأغنیاء و التلهی عن الفقراء ممّا یزید البون سعه،و هو لیس من أخلاقه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم الکریمه،بدلاله قول اللّه تعالی فی الآیه(۴)من سوره(ن)،و التی نزلت قبل سوره عبس،حیث وصفه الباری: وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ .

و علی فرض صحه الرأی الأوّل فی شأن النزول،فإنّ فعل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و الحال هذه لا یخرج من کونه(ترکا للأولی)،و هذا ما لا ینافی العصمه،

۱- ۱) -تفسیر مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۳۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

و للأسباب التاليه:

أوّلا:على فرض صحه ما نسب إلى النّبى فى إعراضه عن الأعمى و إقباله على شخصيات قريش،فإنّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بفعله ذلك لم يقصد سوى الإسراع فى نشر الإسلام عن هذا الطريق،و تحطيم صف أعدائه.

ثانيا:إنّ العبوس أو الانبساط مع الأعمى سواء،لأنّه لا يدرك ذلك، و بالإضافه إلى ذلك فإنّ«عبد اللّه بن ام مكتوم»لم يراع آداب المجلس حينها، حيث أنّه قاطع النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم مرارا فى مجلسه و هو يسمعه يتكلم مع الآخرين، و لكن بما أنّ اللّه تعالى يهتم بشكل كبير بأمر المؤمنين المستضعفين و ضروره اللطف معهم و احترامهم فإنّه لم يقبل من رسوله هذا المقدار القليل من الجفاء و عاتبه من خلال تنبيهه على ضروره الاعتناء بالمستضعفين و معاملتهم بكل لطف و محبّه.

و يمثل هذا السياق دليلا على عظمه شأن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فالقرآن المعجز قد حدد لنبيّ الإسلام الصادق الأمين أرفع مستويات المسؤوليه،حتى عاتبه على أقل ترك للأولى(عدم اعتنائه اليسير برجل أعمى)،و هو ما يدلل على أنّ القرآن الكريم كتاب إلهى و أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم صادق فيه،حيث لو كان الكتاب من عنده (فرضا)فلا داعى لاستعتاب نفسه...

و من مكارم خلقه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم-كما ورد فى الروايه المذكوره-إنّه كان يحترم عبد اللّه بن ام مكتوم،و كلما رآه تذكر العتاب الرّبانى له.

و قد ساقت لنا الآيات حقيقه أساسيه فى الحياه للعبره و التربيه و الاستهداء بها فى صياغه مفاهيمنا و ممارستنا،فالرجل الأعمى الفقير المؤمن أفضل من الغنى المتنفذ المشرك،و أنّ الإسلام يحمى المستضعفين و لا يعبأ بالمستكبرين.

و نأتى لنقول ثانيه:إنّ المشهور بين المفسّرين فى شأن النّزول،هو نزولها فى شخص النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،و لكن ليس فى الآيه ما يدل بصراحه على هذا المعنى.

***

التّفسير

اشاره

عتاب ربّانی!

بعد أن تحدثنا حول شأن نزول الآيات،ننتقل إلى تفسيرها:

يقول القرآن أولا: عَبَسَ وَ تَوَلّی .

لماذا؟: أَنْ جٰاءَهُ الْأَعْمیٰ .

وَ مٰا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكّی

،و يطلب الإيمان و التقوی و التزكيه.

أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْریٰ

،فإن لم يحصل على التقوى،فلا أقل من أن يتذكر و يستيقظ من الغفله،فتنفعه ذلك (۱) .

و يستمر العتاب...: أَمّٰا مَنِ اسْتَغْنیٰ ،من اعتبر نفسه غنيا و لا يحتاج لأحد.

فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّی

،تتوجّه إليه،و تسعى فی هدايته،فی حين أنّه مغرور لما أصابه من الثروه و الغرور يولد الطغيان و التكبر،كما أشارت لهذا الآيتان(۶ و ۷) من سوره العلق: ...إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَيَطْغیٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنیٰ . (۲)

وَ مٰا عَلَيْكَ أَلاّٰ يَزَّكّی

،أی فی حين لو لم يسلك سبيل التقوى و الإيمان، فليس عليك شیء.

فوظيفتك البلاغ،سواء أمن السامع أم لم يؤمن،و ليس لك أن تهمل الأعمى الذی يطلب الحقّ،و إن كان هدفك أوسع ليشمل هدايه كلّ أولئك الأغنياء المتحجرين.

ص:۴۱۳

۱- ۱) -و الفرق بين الآيه و التی قبلها،هو أنّ الحديث قد جری حول التزكيه و التقوى الكامله،فی حين أنّ الحديث فی الآيه المبحوثه يتناول تأثير التذكر الإجمالی،و إن لم يصل إلى مقام التقوى الكامله،و ستكون النتيجه استفاده الأعمى المستهدی من

التذكير،سواء كانت الفائده تامّه أم مختصره. و قيل:إنّ الفرق بين الآيتين،هو أنّ الأولى تشير إلى التطهير من المعاصى،و الثانيه تشير إلى كسب الطاعات و إطاعه أمر اللّه عزّ و جلّ. و الأوّل يبدو أقرب للصحه.

٢ - ٢) -يقول الراغب فى مفرداته:(غنى و استغنى و تغنى و تغانى)بمعنى واحد،و يقول فى(تصدّى):إنّها من(الصدى)،أى الصوت الراجع من الجبل.

و تأتی العتاب مرّه اخری تأکیدا: وَ أَمّٰا مَنْ جٰاءَکَ یَسْعیٰ ،فی طلب الهدایه...

وَ هُوَ یَخْشیٰ

(۱)

،فخشیته من اللّه هی التی دفعته للوصول إلیک،کی یستمع إلی الحقائق لیزکّی نفسه فیها،و یعمل علی مقتضاها.

فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهّٰی

(۲)

.

و یشیر التعبیر ب«أنت»إلی أنّ التغافل عن طالبی الحقیقه،و مهما کان یسیرا، فهو لیس من شأن من مثلک، و إن کان هدفک هدایه الآخرین،فبلحاظ الأولویات،فإنّ المستضعف الظاهر القلب و المتوجه بکلّه إلی الحقّ،هو أولی من کلّ ذلک الجمع المشرک.

و علی أیّه حال:فالعتاب سواء کان موجه إلی النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و سلّم أو إلی غیره،فقد جاء لیکشف عن اهتمام الإسلام أو القرآن بطالبی الحق،و المستضعفین منهم بالذات.

و علی العکس من ذلک حدّه و صرامه موقف الإسلام و القرآن من الأثریاء المغرورین إلی درجه أنّ اللّه لا یرضی بإیذاء رجل مؤمن مستضعف.

و علّه ذلک،إنّ الطبقه المحرومه من الناس تمثل:السند المخلص للإسلام دائما...الأتباع الأوفیاء لأئمّه دین الحق،المجاهدین الصابرین فی میدان القتال و الشهاده،کما تشیر إلی هذا المعنی

رساله أمیر المؤمنین علیه السّلام لمالک الأشتر: «و إنّما عماد الدین و جماع المسلمین و العدّه للأعداء العامّه من الأئمّه،فلیکن صغوک لهم و میلک معهم» (۳) .

***

۱- ۱) -یراد بالخشیه هنا:الخوف من اللّه تعالی،الذی یدفع الإنسان لیتحقق بعمق وصولا لمعرفته جلّ اسمه،و کما یعبر المتکلمون عنه ب..وجوب معرفه اللّه بدلیل دفع الضرر المحتمل. و احتمل الفخر الرازی:یقصد بالخشیه،الخوف من الکفّار،أو الخوف من السقوط علی الأرض لفقدانه البصر.و هذا بعید جدّا.

۲- ۲) -«التلهی»:من(اللهو).و یأتی هنا بمعنی الغفله عنه و الاستغفال بغیره،لیقف فی قبال«التّصدی».

۳- ۳) -نهج البلاغه،الرساله ۵۳.

الآيات [سوره عبس (۸۰): الآیات ۱۱ الی ۲۳]

اشاره

كَلاّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ (۱۱) فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (۱۲) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (۱۳) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (۱۴) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (۱۵) كِرامٍ بَرَرَةٍ (۱۶) قُتِلَ اَلْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ (۱۷) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (۱۸) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (۱۹) ثُمَّ اَلسَّبِيلَ يَسَّرَهُ (۲۰) ثُمَّ أَماتَهُ فَأَقْبَرَهُ (۲۱) ثُمَّ إِذا شاءَ أَنْشَرَهُ (۲۲) كَلاّ لَمّا يَقْضِ ما أَمَرَهُ (۲۳)

التّفسير

تـأتی هـذه الآیات المبارکه لتشـیر إلی أهمیه القرآن و طهارته و تـأثیره فی النفوس،بعـد أن تناولت الآیات التی سـبقتها موضوع(الإعراض عن الأعمی الذی جاء لطلب الحق)،،فتقول كَلاّ فلا ینبغی لک أن تعید الکرّه ثانیه.

إِنَّها تَذْكِرَةٌ

،إنّمـا الآیـات القرآنیه تـذکره للعباد،فلا ینبغی الإعراض عن المستضـعفین مـن ذوی القلوب النقیه الصافیه و التوجه إلی المستکبرین،أولئک الذین ملأ الغرور نفوسهم المریضه.

و یحتمل أیضا،کون الآیات، كَلاّ إِنَّها تَذْكِرَةٌ جواب لجمیع التهم الموجهه ضد القرآن من قبل المشرکین و أعداء الإسلام.

ص: ۴۱۵

و فتقول الآيه:إنّ الأباطيل و التهم الزائفه التی افتریتم بها علی القرآن من کونه شعر أو سحر أو نوع من الکهانه،لا یمتلک من الصحه شیئا،و إنّما الآیات القرآنیه آیات تذکره و إیمان،و دلیلها فیها،و کلّ من اقترب منها سیجد أثر ذلک فی نفسه(ما عدا المعاندین).

و تشیر الآیه التالیه إلی اختیاریه الهدایه و التذکّر: فَمَنْ شٰاءَ ذَکَرَهُ (۱) .

نعم،فلا إجبار و لا إکراه فی تقبل الهدی الرّبانی،فالآیات القرآنیه مطروحه و أسمعت کلّ الآذان،و ما علی الإنسان إلاّ أن یستفید منها أو لا یستفید.

ثمّ یضیف:أنّ هذه الکلمات الإلهیه الشریفه مکتوبه فی صحف(ألواح و أوراق): فِی صُحُفٍ مُکَرَّمَهٍ .

«الصحف»:جمع(صحیفه)بمعنی اللوح أو الورقه،أو أیّ شیء یکتب علیه.

فالآیه تشیر إلی أنّ القرآن قد کتب علی ألواح من قبل أن ینزّل علی النبیّ الأکرم صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و وصلت إلیه بطریق ملائکه الوحی،و الألواح بطبیعتها جلیله القدر و عظیمه الشأن.

و سیاق الآیه و ارتباطها مع ما سبقها من آیات و ما سیلیها:لا ینسجم مع ما قیل من أنّ المقصود بالصحف هنا هو،کتب الأنبیاء السابقین.

و کذا الحال بالنسبه لما قیل من کون«اللوح المحفوظ»،لأنّ«اللوح و المحفوظ»لا یعبر عنه بصیغه الجمع،کما جاء فی الآیه:«صحف».

و هذه الصحف المکرمه: مَرْفُوعَهٍ مُطَهَّرَهٍ .

فهی مرفوعه القدر عند اللّه،و أجلّ من أن تمتد إلیها أیدی العابثین و ممارسات المحرّفین،و لکونها خالیه من قذاره الباطل،فهی أطهر من أن تجد فیها أثرا لأیّ تناقض أو تضاد أو شک أو شبهه.

۱- ۱) -یعود ضمیر:«ذکره»إلی ما یعود إلیه ضمیر«إنّها»،و سبب اختلاف الصیغه بین الضمیرین هو أنّ ضمیر«إنّها»یرجع إلی الآیات القرآنیه،و«ذکره»إلی القرآن،فجاء الأوّل مؤنثا و الثّانی مذکرا.

و هی کذلک: بِأَیْدِی سَفَرَهٍ ،سفراء من الملائکه.

و هؤلاء السفراء: کِرٰامٍ بَرَرَهٍ .

«سفره»:جمع(سافر)من(سفر)علی وزن(قمر)،و لغه:بمعنی کشف الغطاء عن الشیء،و لذا یطلق علی الرسول ما بین الأقوام (السفیر)لأنّه یزیل و یکشف الوحشه فیما بینهم،و یطلق علی الکاتب اسم(السافر)،و علی الکتاب(سفر)لما یقوم به من کشف موضوع ما و علیه...فالسفره هنا،بمعنی:الملائکه الموکلین بإیصال الوحی الإلهی إلی النّبی،أو الکاتبین لآیاته.

و قیل:هم حفّاظ و قرّاء و کتّاب القرآن و العلماء،الذین یحافظون علی القرآن من أیدی العابثین و تلاعب الشیاطین فی کلّ عصر و مصر.

و یبدو هذا القول بعیدا،لأنّ الحدیث فی الآیات کان یدور حول زمان نزول الوحی علی صدر الحبیب المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و لیس عن المستقبل.

و ما

ورد عن الإمام الصادق علیه السّلام،فی و قوله: «الحافظ للقرآن العامل به مع السفره الکرام البرره» (1) . بجعل الحافظین للقرآن العاملین به فی درجه السفره الکرام البرره،فلیسوا هم السفره بل فی مصافهم،لأنّ جلاله مقام حفظهم و عملهم،یماثل ما یؤدیه حمله الوحی الإلهی.

و نستنتج من کلّ ما تقدم:بأنّ من یسعی فی حفظ القرآن و إحیاء مفاهیمه و أحکامه ممارسه،فله من المقام ما للکرام البرره.

«کرام»:جمع(کریم)،بمعنی العزیز المحترم،و تشیر کلمه«کرام»فی الآیه إلی عظمه ملائکه الوحی عند اللّه و علو منزلتهم.

و قیل:«کرام»:إشاره إلی طهارتهم من کلّ ذنب،بدلاله الآیتین(۲۶ و ۲۷) من سوره الأنبیاء: بَلْ عِبٰادٌ مُکْرَمُونَ لاٰ یَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَ هُمْ بِأَمْرِهِ یَعْمَلُونَ .

ص: ۴۱۷

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۳۸.

«برره»:جمع(بار)،من(البرّ)،بمعنی التوسع،و لذا یطلق علی الصحراء الواسعه اسم(البر)،کما یطلق علی الفرد الصالح اسم(البار)لوسعه خیر و شمول برکاته علی الآخرین.

و«البرره»:فی الآیه،بمعنی:إطاعه الأمر الإلهی،و الطهاره من الذنوب.

و من خلال ما تقدم تتوضح لنا ثلاث صفات للملائکه.

الاولی:إنّهم«سفره»حاملین وحیه جلّ شأنه.

الثّانیه:إنّهم أعزاء و مکرمون.

الثالثه:طهره أعمالهم عن کلّ تقاعس أو مفسده.

و علی الرغم من توفیر مختلف وسائل الهدایه إلی اللّه،و منها ما فی صحف المکرمه من تذکیر و توجیه..و لکنّ الإنسان یبقی عنیدا متمردا: قُتِلَ الْإِنْسٰانُ مٰا أَکْفَرَهُ (۱) .

«الکفر»:فی هذا الموضوع قد یحتمل علی ثلاثه معان...عدم الإیمان، الکفران و عدم الشکر...جحود الحق و ستره بأیّ غطاء کان و علی کلّ المستویات،و هو المعنی الجامع و المناسب للآیه،لأنّها تعرضت لأسباب الهدایه و الإیمان،فیما تتحدث الآیات التی تلیها عن بیان النعم الإلهیه التی لا تعد و لا تحصی.

قُتِلَ الْإِنْسٰانُ

:کنایه عن شدّه غضب الباری جلّ و علا،و زجره لمن یکفر بآیاته.

ثمّ یتعرض البیان القرآنی إلی غرور الإنسان الواهی،و الذی غالبا ما یوقع صاحبه فی هاویه الکفر و الجحود السحیقه: مِنْ أَیِّ شَیْءٍ خَلَقَهُ ؟

۱- ۱) -«قتل الإنسان»:نوع من اللعن،و هو أشدّها عن الزمخشری فی(الکشاف).«ما»،فی«ما أکفره»:للتعجب،التعجب من السیر فی متاهات الکفر و الضلال،مع ما للحق من سبیل واضحه،و توفیر مختلف مصادیق و اللطف و الرحمه و الرّبانیه التی توصل الإنسان إلی شاطئ النجاه.

لقد خلقه من نطفه قذره حقيره،ثمّ صنع منه مخلوقا موزونا مستويا قدّر فيه جميع أموره فى مختلف مراحل حياته: مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ .

فلم لا يتفكر الإنسان بأصل خلقته؟! لم ينسى تفاهه مبدأه؟! ألّا يجدر به أن يتأمل فى قدره البارى سبحانه،و كيف جعله موجودا بديع الهيئه و الهيكل من تلك النطفه الحقيره القذره!!ألا يتأمل!!..

فالنظره الفاحصه الممعنه فى خلق الإنسان من نطفه قذره و تحويله إلى هيئته التامّه المقدره من كافه الجهات،و مع ما منحه اللّه من مواهب و استعدادات...لأفضل دليل يقودنا بيسر إلى معرفته جلّ اسمه.

«قدّره»:من(التقدير)،و هو الحساب فى الشيء...و كما بات معلوما أنّ أكثر من عشرين نوعا من الفلزات و أشباه الفلزات داخله فى التركيب(البيولوجى) للإنسان،و لكلّ منها مقدارا معينا و محسوبا بدقّه متناهيه من حيث الكميه الكيفيه،بل و يتجاوز التقدير حدّ البناء الطبيعى للبدن ليشمل حتى الاستعدادات و الغرائز و الميول المودعه فى الإنسان الفرد،بل و فى المجموع العام للبشريه، و قد وضع الحساب فى مواصفات تكوينيه ليتمكن الإنسان بواسطتها من الوصول إلى السعاده الإنسانيه المرجوه.

و تتجلّى عظمه تقدير الخالق سبحانه فى تلك النطفه الحقيره القذره التى تتجلّى بأبهى صورها جمالا و جلالا،حيث لو جمعنا الخلايا الأصليه للإنسان (الحيامن)لجميع البشر،و وضعناها فى مكان واحد،لكانت بمقدار حمصه!نعم...

فقد أودعت فى هذا المخلوق العاقل الصغير كلّ هذه البدائع و القابليات.

و قيل:التقدير بمعنى التهيئه.

و ثمّه احتمال آخر،يقول التقدير بمعنى إيجاد القدره فى هذه النطفه المتناهيه فى الصغر.

ص :۴۱۹

فما أجلّ الإله الذی الذی جعل فی موجود ضعیف کلّ هذه القدره و الاستطاعه،فتری النطفه بعد أن تتحول إلی الإنسان تسیر و تتحرک بین أقطار السماوات و الأرض،و تغوص فی أعماق البحار و قد سخرت لها کلّ ما یحیط بها من قوی (۱) .

و لا مانع من الأخذ بالتفاسیر الثلاث جمله واحده.

و یستمر القرآن فی مشوار المقال: ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ ...یسّر له طریق تکامله حینما کان جنینا فی بطن امّه،یسّر له سبیل خروجه إلی الحیاه من ذلک العالم المظلم.

و من عجیب خلق الإنسان أنّه قبل خروجه من بطن امّه یکون علی الهیئه التالیه: رأسه إلی الأعلی و رجلیه إلی الأسفل،و وجهه متجها صوب ظهر امّه،و ما أن تحین ساعه الولاده حتی تنقلب هیئه فیصبح رأسه إلی الأسفل کی تسهل و تتیسّر ولادته!و قد تشذ بعض حالات لولاده،بحیث یکون الطفل فی بطن امّه فی هیئه مغایره للطبیعه،ممّا تسبب کثیر من السلبیات علی وضع الام عموما.

و بعد ولادته:یمرّ الإنسان فی مرحله الطفوله التی تتمیز بنموه الجسمی،ثمّ مرحله نمو الغرائز،فالرشد فی مسیر الهدایه الایمانیه و الروحیه،و یساهم العقل و دعوه الأنبیاء و الأوصیاء علیهم السّلام فی ترکیز معالم شخصیه و بناء الإنسان و رحیا و إیمانیا.

و بلاغه بیان القرآن قد جمعت کلّ ذلک فی جمله واحده: ثُمَّ السَّبِیلَ یَسَّرَهُ .

و الملفت للنظر أنّ الآیه المبارکه تؤکّد علی حریه اختیار الإنسان حین قالت أنّ اللّه تعالی یسّر و سهّل له الطریق الی الحق،و لم تقل أنّه تعالی أجبره علی

۱- ۱) -یقول الراغب فی مفردات:«قدّره»(بالتشدید):أعطاه القدره،و یقال:قدّرنی اللّه علی کذا و قوانی علیه».

سلوک ذلک الطریق.

و تشیر الآیه التالیه إلی الأمر الحتمی الذی به تطوی آخر صفحات مشوار الحیاه الدنیا: ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ .

و من المعلوم أنّ«الإماته»من اللّه تعالی و الدفن علی ظاهره من عمل الإنسان،و لمّا کانت عملیه الدفن تحتاج إلی نسبه من الذکاء و العقل بالإضافه إلی توفر بعض المستلزمات الضروریه لذلک،فقد نسب الدفن«فأقبره»إلی اللّه تعالی.

و قیل:نسب اللّه ذلک إلیه،باعتبار تهیئه الأرض قبرا للإنسان.

قیل:تمثل الآیه حکما شرعیا،و أمرا إلهیا فی دفن الأموات.

و علی أیّه حال،فالدفن من عنایه و لطف و تکریم اللّه للإنسان،فلولا أمره سبحانه بالدفن لبقیت أجساد الإنسان المیته علی الأرض و تکون عرضه للتعفن و التفسخ و طعما للحیوانات الضاریه و الطیور الجارحه،فیکون الإنسان و الحال هذه فی موضع الذّله و المهانه،و لکنّ لطف الباری عزّ و جلّ علی الإنسان فی حیاته و بعد مماته أوسع ممّا یلتفت فیه الإنسان لنفسه أیضا.

و حکم دفن الأموات(بعد الغسل و التکفین و الصلاه)،یبیّن لنا...إنّه ینبغی علی الإنسان أن یکون طاهرا محترما فی موته،فکیف به یا تری و هو حیّ؟! و ذکر الموت فی الآیه باعتباره نعمه ربّانیه،أضفی بها الباری علی الإنسان..

و بنظره تأملیه فاحصه سنجد حقیقه ذلک،فالموت فی حقیقه عباره عن:

أوّلا:مقدمه للخلاص من أتعاب و صعاب هذا العالم،و الانتقال إلی عالم أوسع.

ثانیا:فسح المجال لتعاقب الأجیال علی الحیاه الدنیا لمتابعه مشوار التکامل البشری بصوره عامّه،و لولا الموت لضاقت الأرض بأهلها،و لما کان ممکنا أن تستمر عجله الحیاه علی الأرض.

و أشارت الآيات(۲۶-۲۸)من سوره الرحمن إلی نعمه الموت،بالقول:

كُلُّ مَنْ عَلَيْهٰا فٰانٍ وَ يَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِكْرٰامِ فَبِأَيِّ آلاٰءِ رَبِّكُمٰا تُكَذِّبٰانِ ؟! فالموت علی ضوء الآیه المبارکه من مفردات النعم الکبیره للباری جلّ شأنه علی البشریه.

نعم..فالدنیا و جمیع ما تحویه من نعم ربّانیه لا تتعدی کونها سجن المؤمن، و الخروج منها إطلاق سراح من هذا السجن الکئیب.

و إذا کانت النعم سببا لوقوع الإنسان فی غفله عن اللّه،فالموت خیر رادع لا یقاظه و تحذیره من الوقوع فی ذلک الشرک،فهو و الحال هذه نعمه جلیله الشأن.

أضف إلی ذلک کلّه،إنّ الحیاه لو دامت فسوف لا یجنی الإنسان منها سوی الملل و التعب،فهی لیست کالآخره التی تحمل بین ثنایاها النشاط و السعاده الأبدیه.

و ینتقل البیان القرآنی إلی یوم القیامه: ثُمَّ إِذٰا شٰاءَ أَنْشَرَهُ .

«أنشره»:من(النشر)،بمعنی الانبساط بعد الجمع،فالکلمه تشیر بأسلوب بلاغی رائع إلی جمع کلّ حیاه الإنسان عند الموت لتنشر فی محیط أکبر و أعلی (یوم القیامه).

و مع أنّ الآیه السابقه لم تشر إلی مشیئه اللّه فی عملیتی الموت و الإقبار ثُمَّ أَمٰاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ،إلاّ أنّ«النشر»قد اقترن بمشیئته سبحانه فی الآیه المبحوثه ثُمَّ إِذٰا شٰاءَ أَنْشَرَهُ ..یمکن حمل ذلک علی کون إشاره لعدم معرفه أیّ مخلوق بوقت حدوث یوم القیامه،و أمّا الموت فهو معروف إجمالا،حیث کلّ إنسان یموت بعد عمر طبیعی.

و تأتی الآیه الأخیره من الآیات المبحوثه لتبیّن لنا ما یؤول إلیه الإنسان من ضیاع فی حال عدم اعتباره بکلّ ما أعطاه اللّه من المواهب،فالرغم من حتمیه

تسلسل حياه الإنسان من نطفه حقيره، مرورا بما يطويه من صفحات الزمن العابره،حتى يموت و يقبر،لكنّه.. كَلاّ لَمّا يَقْضِ مٰا أَمَرَهُ (۱) .

جاءت«لمّا»،-التی عاده ما يستعمل للنفی المصاحب لما ينتظر و يتوقع- كإشاره إلى ما وضع تحت اختيار و عين الإنسان من نعم إلهيه و هدايه ربّانيه و أسباب التذكير،لأجل أن يرجع الإنسان إلى ما فطر عليه و يؤدی ما عليه من مسئوليه و تكاليف،و لكنّه مع كلّ ذلك فلا زال غير مؤد لما عليه! و ثمّه احتمالات فيمن عنتهم الآيه:

الأوّل:إنّهم السائرون فی طريق الكفر و النفاق،إنكار الحق،الظلم و العصيان، بقرينه الآيه(۳۴)من سوره إبراهيم: إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَظَلُومٌ كَفّٰارٌ .

الثّانی:إنّهم جميع البشر..لأنّ المؤمن و الكافر يلتقون معا فی عدم بلوغهما لدرجه العبوديه الحقه و الطاعه الكامله التی تليق بجلاله و عظمه و لطف الباری جلّ شأنه.

***

---

۱ - ۱) -قيل:أتت«كلاّ»هنا بمعنى(حقّا)...إلاّ أنّ سياق الآيه و ظاهر الكلمه لا يؤيدان ذلك و لعل المعنى المشهور(الردع)هو المطلوب،لوجود الكثير ممن يعتقد مغرورا و مدعيّا بأنّه قد أدّى وظائفه الشرعيه على أتمّ أداء،فتأتی الآيه لتقول رادعه بأنّه لم يؤد وظائفه بعد.

الآيات [سوره عبس (٨٠): الآيات ٢۴ الى ٣٢]

اشاره

فَلْيَنْظُرِ اَلْإِنْسٰانُ إِلىٰ طَعٰامِهِ (٢۴) أَنّٰا صَبَبْنَا اَلْمٰاءَ صَبًّا (٢۵) ثُمَّ شَقَقْنَا اَلْأَرْضَ شَقًّا (٢۶) فَأَنْبَتْنٰا فِيهٰا حَبًّا (٢٧) وَ عِنَباً وَ قَضْباً (٢٨) وَ
زَيْتُوناً وَ نَخْلاً (٢٩) وَ حَدٰائِقَ غُلْباً (٣٠) وَ فٰاكِهَةً وَ أَبًّا (٣١) مَتٰاعاً لَكُمْ وَ لِأَنْعٰامِكُمْ (٣٢)

التّفسير

اشاره

فلينظر الإنسان إلى طعامه:

تحدثت الآيات السابقه حول مسأله المعاد،و الآيات القادمه تتناول نفس الموضوع بشكل أوضح،و يبدو أنّ الآيات المبحوثه-و انسياقا مع ما قبلها و ما بعدها-تتطرق لذات لبحث تبيّن مفردات قدره البارى جلّ شأنه على كلّ شىء كدليل على إمكان تحقق المعاد،فما يقرّب إمكانيه القيامه إلى الأذهان هو إحياء الأراضى الميته بإنزال المطر عليها،العمليه تمثل إحياء بعد موت مختصه فى عالم النبات.

ثمّ إنّ البيان القرآنى فى الآيات أعلاه قد طرح بعض مفردات الأغذيه التى جعلها اللّه تحت تصرف الإنسان و الحيوان،لتثير عند الإنسان الإحساس

ص:۴٢۴

بضروره شكر المنعم الواهب،و هذا الإحساس بدوره سيدفع الإنسان ليتقرب فى معرفه بارئه و مصوّره.

و شرعت الآيات بقولها: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ إِلىٰ طَعامِهِ (۱) كيف خلقه اللّه تعالى؟! الغذاء من أقرب الأشياء الخارجيه من الإنسان و أحد العوامل الرئيسيه فى بناء بدنه،و لولاه لتقطّعت أنفاس الإنسان و أسدلت ستاره نصيبه من الحياه، و لذلك جاء التأكيد القرآنى على الغذاء و بالذات النباتى منه من دون بقيه العوامل المسخره لخدمه هذا المخلوق الصغير فى حجمه.

و من الجلى أنّ«النظر»المأمور به فى الآيه جاء بصيغه المجاز،و أريد به التأمل و التفكير فى بناء هذه المواد الغذائيه،و ما تحويه من تركيبات حياتيه،و ما لها من تأثيرات مهمّه و فاعله فى وجود الإنسان،وصولا إلى حال التأمل فى أمر خالقها جلّ و علا.

أمّا ما احتمله البعض،من كون«النظر»فى الآيه هو النظر الظاهرى(أى المعنى الحقيقى للكلمه)،و على أساس طبى،حيث أنّ النظر إلى الغذاء يثير إلى الغدد الموجوده فى الفم لإفراز موادها كى تساعد عمليه هضمه فى المعده،فيبدو هذا الاحتمال بعيدا جدّا،لأنّ سياق الآيه و بربطها بما قبلها و ما بعدها من الآيات لا ينسجم مع هذا الاحتمال.

و بطبيعه الحال إنّ الذين يميلون إلى هذا الاحتمال هم علماء التغذيه الذين ينظرون إلى القرآن الكريم من زاويه تخصصهم لا غير.

و قيل أيضا:نظر الإنسان إلى غذاءه فى حال جلوسه حول مائده الطعام، النظر إلى كيفيه حصوله...فهل كان من حلال أم من حرام؟هل هو مشروع أم غير

۱- ۱) -يمكن اعتبار جمله«فلينظر»:جزاء شرط مقدّر،و التقدير:(إن كان الإنسان فى شك من ربّه و من البعث فلينظر إلى طعامه).

مشروع؟أی ینظر إلی طعامه من جانبیه الأخلاقی و التشریعی.

و قد ذکر فی بعض روایات أهل البیت علیهم السّلام،إنّ المراد ب«الطعام»فی الآیه هو (العلم)لأنّه غذاء الروح الإنسانیه.

و من هذه الروایات ما

روی عن الإمام الباقر علیه السّلام فی تفسیر الآیه،إنّه قال:

«علمه الذی یأخذه عمن یأخذه» (۱) .

و قد روی عن الإمام الصادق علیه السّلام ما یشابه معنی الروایه أعلاه (۲) .

و إذا کان المستفاد من ظاهر الآیه هو الطعام الذی یدخل فی عملیه بناء الجسم،فلا یمنع من تعمیمه لیشمل الغذاء الروحی أیضا،لأنّ الإنسان فی ترکیبته مکوّن من جسم و روح،فکما أنّ الجسم یحتاج إلی الغذاء المادی فکذا الروح بحاجه إلی الغذاء المعنوی.

و فی الوقت الذی ینبغی علی الإنسان أن یکون فیه دقیقا متابعا لأمر غذائه و باحثا عن منبعه:و هو المطر المحیی الأرض بعد موتها(کما سیأتی فی الآیات التالیه)،فعلیه أیضا أن یهتم فی أمر غذاءه الروحی و باحثا فی منشئه،و هو غیث الوحی الإلهی النازل علی قلب الحبیب المصطفی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و الذی خزن فی صدور المعصومین علیه السّلام من بعده،حیث ینبع من صفحات قلوبهم الطاهره لیسقی الموات عسی أن تثمر ألوان الثمار الإیمانیه اللذیذه من فضائل أخلاقیه و عقائدیه.

نعم...ینبغی علی الإنسان أن یکون دقیقا فی متابعه مصدر و منبع علمه لیطمئن لغذائه الروحی،و لیأمن بالنتیجه من مدلهمات الخطوب التی تؤدی لمرض الروح أو هلاکها.

و بواسطه الدلاله الالتزامیه،یستفاد من الآیه المبارکه ضروره النظر فی حلیّه و حرمه الغذاء،و ذلک عن طریق قیاس الأولویه.

۱- ۱) -تفسیر البرهان،ج ۴،ص ۴۲۹.
۲- ۲) -المصدر السابق.

و ثمّه من يقول:إنّ المعنى كلّ من«الطعام»و«النظر»من الوسع بحيث يشمل كلّ ما ذكره أعلاه،و لكن..من المخاطب فى الآيه؟ الجميع مخاطبون،سواء كانوا مؤمنين أو كافرين،فعلى كلّ إنسان أن ينظر إلى طعامه و يتفكر فيما أودع فيه من أسرار و عجائب كما و كيفيه،و عسى الضال- و الحال هذه-أن يجد ضالته فيترك طريق الضلال و يسلك طريق الحقّ،و لكى يزداد المؤمنون إيمانا.

فالأغذيه بما تحمل و تقدم تعتبر عالما مضيئا و آيات باهره تنير درب الباحثين عن الحق فى لجج الضياع و الجهاله،و توصل الباحثين عن الأمان إلى شاطئ النجاه.

ثمّ يدخل القرآن فى شرح تفصيلى لماهيه الغذاء و مصدر تشكيله،فيقول أَنّٰا صَبَبْنَا الْمٰاءَ صَبًّا .

«الصب»:إراقه الماء من أعلى،و جاء هنا بمعنى هطول المطر.

و«صبأ»:تأكيد،و للإشاره إلى غزاره الماء.

نعم..فالماء مصدر رئيسى للحياه،و هو على الدوام ينزل من السماء و بغزاره ليجسد لطف اللّه تعالى على خلقه.

كيف لا،و كلّ العيون و الآبار و القنوات و الأنهار قد استمدت أساس وجودها من الأمطار.

و عليه..فلا بدّ للإنسان حين ينظر إلى طعامه أن يربط ذلك بنظام المطر، و يدقق النظر فى عمليه تكوين الغيوم و كيفيه حدوث الأمطار.

فالماء المتبخر من سطح البحار،يتجمع فى الفضاء على شكل غيوم، و تتحرك تلك الغيوم بفعل الرياح إلى طبقات الجو البارده،فتبدأ بعمليه التكاثف حتى تصل لدرجه الهطول،فترى ذلك البخار،و قد تحول إلى قطرات ماء زلال خال من أىّ أملاح مضره و قد تطهر عن كلّ قذاره،و ليستقر فى آخر مطافه على

الأرض ليعطيها القوّه و الحركه و الحياه.

و بعد ذكر نعمه الماء و ما له من أثر حيوى و مهم فى نمو النباتات،ينتقل البيان القرآنى إلى الأرض،فيقول: ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا
.

يذهب أكثر المفسّرين إلى أنّ الآيه تشير إلى عمليه شقّ الأرض بواسطه النباتات التى تبدأ بالظهور على سطح الأرض بعد عمليه بذر الحبوب،و العلميه بحدّ ذاتها مدعاه للتأمل،إذ كيف يمكن لهذا العشب الصغير الناعم أن يفتت سطح التربه مع مالها من صلابه و خشونه!بل و نرى فى المناطق الجبليه أنّ سويقات نباتاتها و قد ظهرت من بين حافات صخورها الصلده!فأيّه قدره هائله قد أودعت فيها،سبحانك يا ربّ و أنت الخلاق العليم.

و قيل:تشير الآيه إلى شقّ الأرض بالآيات الزرّاعه من قبل الإنسان،أو تشير إلى ما تقوم به الديدان من حرث الأرض و تشقيقها من خلال ممارساتها لنشاطاتها الحياتيه المختصه بها.

صحيح أنّ الإنسان هو الذى يقوم بعمليه الحرث،و لكنّ جميع أسبابه و وسائله من اللّه عزّ و جلّ،لذا فقد نسبت عمليه شقّ الأرض إلى البارى جلّ اسمه.

و ثمّه تفسير ثالث يقول:إنّ شقّ الأرض فى الآيه إشاره إلى تفتت الصخور التى كانت على سطح الأرض.

و لهذا التفسير مرجحات عديده...

و توضيح ذلك:كان سطح الكره الأرضيه مغطى بطبقه عظيمه من الصخور، و قد تشققت تلك الطبقه الصخريه بفعل غزاره هطول الأمطار المتتاليه عليها،ممّا جعلتها علس شكل ذرات منتشره على معظم سطح الأرض،فتحولت إلى تربه صالحه للزراعه.

و حتى يومنا المعاش...نلاحظ قسما كبيرا من الأتربه التى تحملها مياه

الأنهار أو المصحوبه مع السيول،نلاحظها و قد كونت طبقات من التربه الصالحه للزراعه بعد أن تستقر على الأرض يتبخر الماء عنها أو تمتصه الأرض.

فالآيه تمثل إحدى مفردات الإعجاز العلمى للقرآن،لأنّها تناولت موضوع الأمطار و تشقق الأرض و تهيئها للزراعه،بشكل علمى دقيق،و الآيه لم تتحدث عن شىء قد حدث،بل حدث و لا زال،يبدو أنّ هذا التفسير ينسجم مع ما تطرحه الآيه التاليه بخصوص عمليه الإنبات...مع ذلك، فلا ضير من قبول التفاسير الثلاثه للآيه و من جهات مختلفه.

و بعد ذكر ركنين أساسيين فى عمليه الإنبات-أى الماء و التراب-ينتقل القرآن بالإشاره إلى ثمانيه مصادر لغذاء الإنسان أو الحيوان: فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا .

تعتبر الحبوب من الأغذيه الرئيسيه للإنسان و الحيوان معا،و تتوضح أهميتها فيما لو عمّ الجفاف-على سبيل المثال-فمدّه عام واحد،حيث يعمّ القحط و تنتشر المجاعه فى كلّ مكان.

«حبّا»:جاءت فى الآيه نكره،لتعظيم شأنها،أو لتشير إلى تنوع أصناف الحبوب،و ذهب البعض إلى أنّ الحنطه الشعير هما المرادان دون بقيه الحبوب، و لكن ليس هناك من دليل على هذا التخصيص،و إطلاق الكلمه يدل على شمول كلّ المحبوب.

ثمّ يضيف: وَ عِنَباً وَ قَضْباً .

و قد اختارت الآيه العنب دون البقيه لما أودع فيه من مواد غذائيه غنيه بالمقويات،حتى قيل عنه بأنّه غذاء كامل.

و مع أنّ«العنب»يطلق على الشجره و الثمره،و بالرغم من ورود كلا الاستعمالين فى الآيات القرآنيه،لكنّ المناسب هنا الثمره دون الشجره.

«قضبا»:هو الخضروات التى تحصد بين فتره اخرى،و ما أريد منها بالذات، تلك الخضراوات التى تؤكل من غير طبخ(تؤكل طريه)،و قد جاء ذكرها بعد

العنب لأهميتها الغذائيه، و قد أكّد هذا المعنى علم التغذيه الحديث.

و تستعمل كلمه(القضيب)بمعنى القطف و القطع أيضا،و(القضيب):غصن الشجره،و(سيف قاضب)بمعنى:قاطع.

و روى عن ابن عباس قوله:إن«القضيب»فى هذه الآيه هو(الرطب)،و لكنّ هذا المعنى بعيد جدّا للإشاره إلى الرطب فى الآيه التاليه.

و قيل أيضا:«القضب»الوارد فى الآيه،بمعنى ثمار النباتات الزاحفه (كالخيار و البطيخ و ما شابهه)،أو النباتات الأرضيه(كالبصل و الجزر...إلخ).

و لا يبعد من إراده كلّ الخضروات التى تؤكل طريقه و النباتات الزاحفه و كذا الأرضيه فى معنى«القضب»المشار إليه فى الآيه.

ثمّ يضيف وَ زَيْتُوناً وَ نَخْلاً و من الواضح أنّ ذكر هاتين الفاكهتين لما لهما من الأهميه الغذائيه للإنسان،حيث يعتبر الزيتون و الثمر من أهم الأغذيه المقويه و الصحيه و المفيده للإنسان.

و تأتى المرحله التاليه: وَ حَدائِقَ غُلْباً .

«الحدائق»:جمع(حديقه)،و هى الأرض المزروعه و المحاطه بسور يحفظها،و هى الأصل بمعنى:قطعه الأرض التى تحتوى على الماء،و سمّيت حديقه تشبيها بحدقه العين من حيث الهيئه و حصول الماء فيها.

و يحتمل إشاره الآيه إلى أنواع الفواكه،باعتبار أنّ الحدائق غالبا ما تزرع بأشجار الفاكهه.

«غلب»:على وزن(قفل)،جمع(أغلب)و(غلباء)،بمعنى غليظ الرقبه،فلآيه إذن ترمز إلى الأشجار الشاهقه المتينه.

ثمّ يضيف: وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا .

«الأبّ»:(بتشديد الباء):هو المرعى المهيأ للرعى و الحصد،و هو فى الأصل بمعنى«التهيؤ»،اطلق على المرعى لما فيه من أعشاب يكون بها مهيئا لاستفاده

الحيوانات منه.

و ذكر جمع من المفسّرين-من كلا الفريقين-فى ذيل الآيه:إنّ عمر بن الخطاب قرأ يوما على المنبر: فَأَنْبَتْنا فِيها حَبًّا وَ عِنَباً وَ قَضْباً إلى قوله تعالى:

وَ أَبًّا

..قال:كلّ هذا قد عرفناه،فما الأبّ!ثمّ رمى عصا كانت فى يده،فقال:هذا لعمر اللّه هو التكلف،فما عليك أن لا تدرى ما الأبّ!!اتّبعوا ما تبيّن لكم هداه من الكتاب فاعملوا به،و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه! (1) .

و أغرب من ذلك،ما ورد فى(الدر المنثور)عن أبى بكر حينما سئل عن ذلك، أنّه قال:(أىّ سماء تظلنى و أىّ أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب اللّه ما لا أعلم)! و قد اتّخذ كثير من علماء السنّه من الحديثين المذكورين على أنّه:لا ينبغى لأحد التكلم فيما لا يعلم،و على الأخص فى كتاب اللّه.

و لكن،يبقى فى الذهن إشكال...إذ كيف يكون لخليفه المسلمين أن لا يفقه كلمه وردت فى القرآن الكريم،مع كونها ليست من معضلات اللغه؟!!و هذا ما يوصلنا إلى ضروره وجود قائد الإلهى فى كلّ عصر،و أن يكون عارفا بجميع المسائل الشرعيه،و منزّها عن الخطأ(معصوما).

و لذلك،

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام،إنّه حينما سمع بما قاله الخليفه..قال:

«سبحان اللّه أما علم أنّ الأبّ هو الكلأ و المرعى،و أنّ قوله تعالى: وَ فاكِهَةً وَ أَبًّا اعتداد من اللّه بإنعامه على خلقه،فيما غذّاهم به،و خلقه لهم و لأنعامهم،ممّا تحيى به أنفسهم و تقوم به أجسادهم» (2) .

و يواجهنا سؤال:إذا كانت الآيات السابقه ذكرت بعض أنواع الفاكهه،و الآيه المبحوثه تناولت الفاكهه بشكل عام،هذا بالإضافه إلى ذكر ل«حدائق»فى الآيه

1- 1) -تفسير الآيه المذكوره فى:تفسير روح المعانى،تفسير القرطبى،تفسير فى ظلال القرآن،الدر المنثور،و تفسير الميزان.

2- 2) -إرشاد المفيد،ص 107،و عنه تفسير الميزان،ج 20،ص 319.

السابقه و التی قیل أنّ ظاهرها یشیر إلی الفاکهه...فلم هذا التکرار؟ الجواب:إنّ تخصیص ذکر العنب و الزیتون و التمر(بقرینه ذکر النخل)،إنّما جاء ذکرها لأهمیتها الممیزه علی بقیه الفاکهه (۱) .

أمّا لماذا ذکرت بشکل منفصل عن الفاکهه؟فیمکن حمله علی ما للحدائق من منافع خاصّه بها،و لا-تشترک الفاکهه فیها،کجمالیه منظرها و عذوبه نسیمها و ما شابه ذلک،بالإضافه إلی استعمال أوراق الأشجار و جذورها و قشور جذوعها کمواد غذائیه(کالشای و الزنجبیل و أمثالها)،أمّا بالنسبه للحیوانات، فأوراق الأشجار المختلفه من أفضل أغذیتها عموما...فالآیات إذن کانت فی صدد الحدیث عن غذاء الإنسان و الحیوان.

و لذلک...جاءت الآیه التالیه لتوضیح هذا المعنی: مَتٰاعاً لَکُمْ وَ لِأَنْعٰامِکُمْ .

«و المتاع»:هو کلّ ما یستفید منه الإنسان و یتمتع به.

***

بحث

اشاره

الغذاء النافع:

ذکرت الآیات المبحوثه ثمانیه أنواع من المواد الغذائیه النباتیه لسد احتیاجات الإنسان و الحیوانات،و هذا التأکید علی الأغذیه النباتیه یعطی ما للنباتات و الحبوب و الفاکهه من أهمیه غذائیه تفوق فی دورها علی الأغذیه الحیوانیه التی تأتی فی نظر القرآن فی المرتبه الثّانیه من حیث الأهمیه.

و قد اهتم علماء التغذیه حدیثا بما ورد فی القرآن الکریم فیما یخصّ مجال عملهم،و یکشف هذا الاهتمام بدوره عن عظمه القرآن و قوّه ما فیه...

۱- ۱) -بحثنا مفصّلا موضوع الأهمیه الغذائیه للزیتون و العنب و التمر فی هذا التفسیر ضمن تفسیر الآیه(۱۱)من سوره النحل- فراجع.

و علی أیّه حال،فالتأمل فی هذه الأمور یزید الإنسان معرفه بعظمه و لطف الخالق جلّ شأنه،و یوسّع اطلاعه فی تحسس نعم الباری جلّ اسمه علی الخلائق أجمعین.

نعم..فالاهتمام فی مسأله غذاء الإنسان(الجسمی و الروحی)من حیث النوعیه و طریقه کسبه،یدفع الإنسان للتقرب أکثر من جاده معرفه اللّه و سلوک طریق رضوانه سبحانه،کما و یدفع إلی تهذیب و تزکیه النفس من أدران الشرک و قذاره الذنوب.

نعم.. فَلْیَنْظُرِ الْإِنْسٰانُ إِلیٰ طَعٰامِهِ ،تمثل الآیه المبارکه:أقصر تعبیر لمعنی واسع و متشعب.

***

الآیات [سوره عبس (۸۰): الآیات ۳۳ الی ۴۲]

اشاره

فَإِذٰا جٰاءَتِ اَلصّٰاخَّهُ (۳۳) یَوْمَ یَفِرُّ اَلْمَرْءُ مِنْ أَخِیهِ (۳۴) وَ أُمِّهِ وَ أَبِیهِ (۳۵) وَ صٰاحِبَتِهِ وَ بَنِیهِ (۳۶) لِکُلِّ اِمْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ یُغْنِیهِ (۳۷) وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ مُسْفِرَهٌ (۳۸) ضٰاحِکَهٌ مُسْتَبْشِرَهٌ (۳۹) وَ وُجُوهٌ یَوْمَئِذٍ عَلَیْهٰا غَبَرَهٌ (۴۰) تَرْهَقُهٰا قَتَرَهٌ (۴۱) أُولٰئِکَ هُمُ اَلْکَفَرَهُ اَلْفَجَرَهُ (۴۲)

التّفسیر

اشاره

صیحه البعث...

و ینتقل الحدیث فی هذه الآیات إلی یوم القیامه و تصویر حوادثه،و ما سیؤول فیه من أحوال المؤمنین الکافرین،کلّ بما کسبت یداه و قدّم.

فمتاع الحیاه الدنیا و إنّ طال فهو قلیل جدّا فی حساب حقیقه الزمن،و أنّ خالق کلّ شیء لعظیم فی خلقه و شأنه،و أنّ المعاد حق و لا بدّ من حتمیه وقوعه.

و یقول القرآن الکریم: فَإِذٰا جٰاءَتِ الصّٰاخَّهُ (۱)

ص: ۴۳۴

۱- ۱) -ثمّه احتمالات کثیره فی تعیین جزاء الشرط لهذه الجمله الشرطیه...الأوّل:إنّه محذوف بدلاله الآیات التالیه،التقدیر:(فإذا

«الصّيـاخه»:من(صـخّ)،و هو الصوت الشديـد الـذى يكـاد أن يأخـذ بسـمع الإنسـان،و يشـير فى الآيه إلى نفخه الصور الثّانيه،و هى الصيحه الرهيبه التى تعيد الحياه إلى الموجودات بعد موتها جميعا ليبدأ منها يوم الحشر.

نعم،فالصيحه من الشدّه بحيث تذهله عن كلّ ما كان مرتبطا به،سوى نفسه و أعماله.

و لذا،تأتى الآيه التاليه،و لتقول مباشره: يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ .

ذلك الأخ الذى ما كان يفارقه و قد ارتبط به بوشائج الاخوه الحقه! و كذلك: أُمِّهِ وَ أَبِيهِ .

حتى: وَ صٰاحِبَتِهِ وَ بَنِيهِ .

فوحشه و رهبه يوم القيامه لا تنسـى الأخ و الام و الأب و الزوجه و الأولاد فحسب،بل و تتعدى إلى الفرار منهم،و عند ما ستتقطع كلّ روابط و علاقات الإنسان الفرد مع الآخرين...فحينها سوف لا يهتم إلاّ نفسه و ما قدّم،و سينسى:

امّه التى كانت تحبّه و تفديه..

و أبو الذى ربّاه و احترمه..

و زوجته التى لا تعرف غيره..

و أولاده..ثمره كبده و قره عينه..

و قيل:إنّما يكون الفرار للتهرب من الحقوق التى لهم عليه،و هو عاجز عن أدائها.

و قيـل أيضـا:إنّمـا يفر المؤمنون خـاصّه من أقربـائهم من غير المؤمنين و غير المتقين،خوفـا من الإصـابه بمـا سيصـيب أولئك من عقاب.

(۱)

جاءت الصاخه فما أعظم أسف لكافرين)-تفسير المراعى.و الثانى:و فى(مجمع البيان)قيل:إنّه لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .و الثالث:أمّا فى(روح المعانى)،فقد احتمل:إنّه مستفاد من جمله يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ ،و التقدير:(فإذا جاءت الصاخه يفر المرء من أخيه).

و يبدو أنّ التفسير الأوّل أنسب و لا مانع من الجمع بينهما.

و لكن...ما سرّ تسلسل ذكر الأخ،ثمّ الامّ،فالأب من بعدها،و من ثمّ الزوجه و الأولاد؟ يعتقد بعض بأنّ التسلسل قد لوحظ فيه شدّه العلاقه ما بين الفار و من يرتبط بهم،و قد تسلسل الذكر من الأدنى حتى الأعلى،ليعطى لهذا التصوير بعدا بلاغيا، فهو من أخيه،ثمّ من أمّه و أبيه،ثمّ من زوجته و بنيه.

و لكن:يصعب الخروج بقاعده كليه تختص فى ترتيب العلائق بين الناس، فالناس ليسوا سواسيه فى هذا الجانب،فقد نجد من يكون مرتبطا بأخيه أكثر من أىّ إنسان الآخر،و نجد ممن لا يقرّب على علاقته بامّه شىء،و ثمّه من تكون زوجته رمز حياته،أو من يفضل ابنه حتى على نفسه...إلخ.

و ثمّه عوامل اخرى تدخل فى التأثير على علاقه الإنسان بأخيه و أبيه و زوجته و بنيه،و على ضوئها لا يمكننا ترجيح أفضليه أىّ منهم على الآخر من جميع الجهات،و عليه فلا يمكن القطع بأنّ التسلسل الوارد فى الآيه قد جاء على أثر أهميه و شده العلاقه.

و لكن...لم الفرار؟... لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ .

«يغنيه»:كنايه لطيفه عن شدّه انشغال الإنسان بنفسه فى ذلك اليوم،و لما سيرى من حوادث مذهله،تأخذه كاملا،فكرا و قلبا.

و

قد سئل رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عن الحميم،و هل يذكره الرجل يوم القيامه؟فقال:

«ثلاثه مواطن لا يذكر(فيها)أحد أحدا:عند الميزان،حتى ينظر أ يثقل ميزانه أم يخف؟..و عند الصراط،حتى ينظر أ يجوزه أم لا؟..و عند الصحف،حتى ينظر بيمينه يأخذ الصحف أم بشمال؟..فهذه ثالثه مواطن لا يذكر فيها أحد حميمه و لا حبيبه و لا قريبه و لا صديقه،و لا بنيه و لا والديه،ذلك قوله تعالى: لِكُلِّ امْرِئٍ

مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

(١)

.

و ينقل البيان القرآنی لیصور لنا حال العباد بقسمیهم فی ذلک الیوم،فتقول:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ

أی مشرقه و صبیحه.

ضٰاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ

.

وَ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهٰا غَبَرَةٌ

.

تَرْهَقُهٰا قَتَرَةٌ

أی تغطیها ظلمات و دخان.

أُولٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ

.

«مسفره»:من(الأسفار)،بمعنی الظهور بیاض الصبح بعد ظلام اللیل.

«غبره»:علی وزن(غلبه)،من(الغبار).

«قتره»:من(القتار)،و هو شبه دخان یغشی من الکذب،و قد فسّره بعض أهل اللغه ب(الغبار)أیضا،و لکن ذکرهما فی آیتین«الغبره و القتره»متتالیتین منفصلتین یشیر إلی اختلافهما فی المعنی.

«الکفره»:جمع(کافر)،و الوصف یشیر إلی فاسدی العقیده.

«الفجر»:جمع(فاجر)،و الوصف یشیر إلی فاسدی العمل.

و نستخلص من كلّ ما تقدّم،إنّ آثار فساد العقيده لدى الإنسان و أعماله السيئه ستظهر على وجهه يوم القيامه.

و قد اختير الوجه،لأنّه أكثر أجزاء الإنسان تعبيرا عمّا يخالجه من حالات الغبطه و السرور أو الحزن و الكآبه،فبإمكانك و بكلّ وضوح أن تعرف أنّ فلانا مسرورا أم حزينا من خلال رؤيتك لما انطبع على وجهه،و حالات:السرور، و الحزن،و الخوف،و الغضب،و الخجل و ما شابه،لها بصمات خاصّه على ملامح و تقاسيم الوجه.

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۴،ص ۴۲۹.

و علی أیّه حال..فالوجوه الضاحکه المستبشره،تحکی عن:الإیمان و طهاره القلب و صلاح الأعمال.

و بعکس الوجوه المقابله و الداله علی:ظلام الکفر،قبح الأعمال،و کأنّ وجوههم قد غطاها الغبار،تراها مسوده،و تحیط بها هاله من الدخان..

و تری معانی الغم و الألم و الأسف قد تجسدت علی الوجوه،کما تشیر إلی ذلک الآیه(۴۱)من و سوره الرحمن: یُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِیمٰاهُمْ ...فیکفی لمعرفه حال الإنسان فی یوم القیامه من خلال النظر إلی وجهه.

***

بحث

اشاره

أسس البناء الذاتی:

لقد حملت السوره المبارکه بین طیاتها برنامجا تربویا جامعا لنباء النفس و تزکیتها:

۱-فقد أمرت بکسر حاجز الغرور و التکبر،و التحلی بالتأمل فی بدء خلق الإنسان،فهذا الذی ابتدأ وجوده من نطفه قذره،لا ینبغی علیه أن یتطاول و یری نفسه أکبر من حجمها الطبیعی.

۲-التمسک بطرق الهدایه الرّبانیه(هدایه الوحی،تعالیم الأنبیاء و برامج الأولیاء الصالحین،و کذا الهدایه الحاصله عن العقل بدراسه قوانین و أنظمه عالم التکوین)،فهو أفضل زاد فی مشوار طریق البناء.

۳-و تأمر بالإنسان للتفکر فی طعامه-من أین جاء کیف صار،و ما سرّ اختلاف ألوانه و أنواعه-لیصل إلی عظمه الخلاق و مدی لطفه و رحمته علی عباده،و لا بدّ للإنسان من السعی فی کسب لقمه الحلال و التی تعتبر من أهم أرکان التربیه السلیمه،و ذلک لما لها من آثار نفسیه و شرعیه.

۴-و إذا ما أعطت السوره كلّ هـذه الأهميه لغذاء البدن،فهی تدفع الإنسان للتحری عن سـلامه غذاءه الروحی،لأنّ فعل التعليمات المنحرفه و التوجيهات الفاسده الباطله كفعل الغذاء المسموم،فهی تنخر فی البناء الروحی و تعرض حياه الإنسان للخطر.

و ممّا يحزّ فی نفوس المؤمنين أن يروا قسـما من الناس و قـد تكالبوا على غـذاء البـدن بكلّ دقه و اعتناء،و أهملوا الغذاء الروحی فتری(مثلا)من يقرأ أیّ كتاب و إن كان فاسـد و مفسّـِد،و يسـتمع لأیّ حديث و إن كان ضالا مضـلا،دون أن يضع لتوجيهاته أیّ ضابط بقيد أو شرط! و قد جسّد أمير المؤمنين عليه السّلام هذا المعنى

بقوله: «مـا لی أرى النـاس إذا قرب إليهم الطعـام ليلاـ تكلفوا إنـاره المصابيـح،ليبصـروا مـا يـدخلون بطونهم،و لاـ يهتمون بغـذاء النفس،بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم،ليسلموا من لواحق الجهاله و الذنوب،فی اعتقاداتهم و أعمالهم» (۱) .

و

روی شبيه هـذا القول عن الإمـام الحسن المجتبى عليه السّـِلام: «عجبت لمن يتفكر فی مـأكوله،كيف لا يتفكر فی معقوله،فيجنب بطنه ما يؤذيه،و يودع صدره ما يرديه» (۲) .

۵-ثمّ تذكّر السوره بصيحه البعث الرهيبه التی تضع الإنسان وجها لوجه أمام ما قدّمت يداه من أعمال فی الحياه الدنيا...

فعلى الإنسان أن يتفكر فی أمر آخرته،و عليه أن يعمل ليكون ضاحک الوجه مستبشـرا فی ذلک اليوم المحتوم،و أن يجهـد بكلّ ما أمكنه للتخلص ممّا يؤدی به لأن يكون عبوسا حزينا.

اللّهمّ،وفقنا لتربيه و تزكيه و أنفسنا..

۱- ۱) -سفينه البحار،ج ۲،ص ۸۴.

۲- ۲) -المصدر السابق.

اللّهم،لا تحرمنا من نعمه التوجه الصحیح الشاخص لساحه رضوانک..

اللّهم،أیقظنا من غفلتنا و اجعل عاقبتنا علی خیر...

آمین ربّ العالمین نهایه سوره عبس ***

ص :۴۴۰

سوره التّکویر

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها تسع و عشرون آیه

ص :۴۴۱

محتوى السوره:

كثير من القرائن المختلفه فى السوره تدل على أنّها مكّيه:نسبه الجنون إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من قبل أعداء الإسلام،و هذا ما كان يحدث كثيرا فى مكّه،خصوصا فى بدايه الدعوه المحمّديه،لتصور الأعداء أنّهم بافتراءاتهم تلك سيصرفون أنظار الناس عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و دعوته الإلهيه.

و على أيّه حال،فالسوره تدور حول محورين أساسيين:

المحور الأوّل:هو ما شرعت به السوره من تبيان علائم يوم القيامه،و ما يواجه العالم من تغييرات قبيل يوم القيامه.

المحور الثّاني:الحديث عن عظمه القرآن و من جاء به،و أثره على النفس الإنسانيه،بالإضافه إلى تكرار اليمين و القسم فى آيات عدّه لإيقاظ الإنسان من غفلته.

فضيله السوره:

وردت أحاديث كثيره تبيّن أهميه السوره و فضل تلاوتها،و منها:ما

روى عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنّه قال: «من قرأ سوره: إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ أعاذه اللّه تعالى أن يفضحه حين تنشر صحيفته» (1) .

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۴۱.

و

فی حدیث آخر،أنّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال: «من أحبّ أن ینظر إلیّ یوم القیامه فلیقرأ:

إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ » (۱) .

و

روی الحدیث بشکل آخر: «من سرّه أن ینظر إلی یوم القیامه(کأنّه رأی عین)فلیقرأ: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ و إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ و إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ ». (لأنّ هذه السور تعرض علائم یوم القیامه و أحداثه بشکل و کأنّ التالی لها یشاهد یوم القیامه بعینه). (۲)

و

فی حدیث آخر، سئل النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم عن ظهور آثار کبر السن علیه،فقال:

«شیبتنی هود و الواقعه و المرسلات و عمّ یتساءلون و إذا الشمس کورت». (۳)

و

عن الإمام الصّادق علیه السّلام أنّه قال: «من قرأ عبس و تولّی و إذا الشمس کوّرت کان تحت جناح اللّه من الخیانه و فی ظلّ اللّه و کرامته،و فی جنانه،و لا یعظم ذلک علی ربّه إن شاء اللّه».

و تلاوه القرآن المقصوده فی الأحادیث أعلاه،ینبغی أن یکون بشروطها من:التأمل،الإیمان،و العمل.

***

۱- ۱) -المصدر السابق.

۲- ۲) -تفسیر القرطبی،ج ۱۰،ص ۷۰۱۷،و یحتمل أن یکون معنی هذا الحدیث شامل للحدیث السابق.

۳- ۳) -تفسیر نور الثقلین،ج ۵،ص ۵۱۳.

الآیات [سوره التکویر (۸۱): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ إِذَا اَلشَّمْسُ کُوِّرَتْ (۱) وَ إِذَا اَلنُّجُومُ اِنْکَدَرَتْ (۲) وَ إِذَا اَلْجِبٰالُ سُیِّرَتْ (۳) وَ إِذَا اَلْعِشٰارُ عُطِّلَتْ (۴) وَ إِذَا اَلْوُحُوشُ حُشِرَتْ (۵) وَ إِذَا اَلْبِحٰارُ سُجِّرَتْ (۶) وَ إِذَا اَلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ (۷) وَ إِذَا اَلْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ (۸) بِأَیِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (۹)

التّفسیر

اشاره

یوم تطوی الکائنات فیه!

نواجه فی بدایه السوره،إشارات قصیره،مثیره و مرعبه لما سیجری لنهایه العالم المذهله-بدایه یوم القیامه-فتنقل الإنسان فی فکره و أحاسیسه إلی مفاجئات ذلک الیوم الرهیب،قد تحدثت تلک الإشارات عن ثمانیه علائم من و یوم القیامه.

و أول مشهد عرضته عدسه العرض القرآنی،هو: إِذَا الشَّمْسُ کُوِّرَتْ .

«کورت»:من(التکویر)،بمعنی الطی و الجمع و اللّف(مثل لف العمامه علی الرأس)،و أخذ هذا المعنی من کتب اللغه و التفسیر و المختلفه.

و استعملت کذلک بمعنی:(الرومی)أو(إطفاء شیء).. و المعنیان-کما یبدو-

ص:۴۴۵

مستمدان من المعنى الأصلى.

و على أيّه حال،فالمقصود هو:خود نور الشمس و ذهابه،و تغيّر نظام تكوينها.

و كما بات معلوما...فالشمس فى وضعها الحالى،عباره عن كره مشتعله، على هيئه غازيه ملتهبه،و تتفجر الغازات على سطحها بصوره شعلات هائله محرقه،قد يصل ارتفاعها إلى مئات الآلاف من الكيلو مترات! و لو قدّر وضع الكره الأرضيه وسط شعله منها،فإنّها تستحيل فورا إلى رماد و كتله من الغازات!! و لكن...عند حلول وقت نهايه العالم،و الاقتراب من يوم القيامه،سيخمد ذلك اللهب المروع،و ستجمع تلك الشعلات،فيطفأ نور الشمس،و يصغر جمها...و هو ما أشير إليه بالتكوير.

و جاء فى(لسان العرب):(كورت الشمس:جمع ضوءها و لف كما تلف العمامه).

و قد أيّد العلم الحديث هذه الحقيقه،من خلال اعتقاده و بعد دراسات علميه كثيره،بأنّ الشمس تسير تدريجيا نحو الظلام و الانطفاء.

و يأتى المشهد الثّانى: وَ إِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ .

«انكدرت»:من(الانكدار)،بمعنى السقوط و التناثر،و اشتق من(الكدوره)، و هى السواد و الظلام.

و يمكن جمع المعنيين فى الآيه،لأنّ النجوم فى يوم القيامه ستفقد إشعاعها و تتناثر و تسقط فى هاويه الفناء،كما تشير إلى ذلك الآيه(۲)من سوره الإنفطار:

وَ إِذَا الْكَوٰاكِبُ انْتَثَرَتْ ،و الآيه(۸)من سوره المرسلات: فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ .

و المشهد الثّالث: وَ إِذَا الْجِبٰالُ سُيِّرَتْ .

و قد ذکرنا مراحل فناء الجبال،ابتداء من السیر و الحرکه و انتهاء بتحولها إلی غبار متناثر(فراجع تفسیر الآیه(۲۰)من سوره النبأ).

و ثمّ یأتی در و المشهد الرّابع: وَ إِذَا الْعِشٰارُ عُطِّلَتْ .

«العشار»:جمع(عشراء)،و هی الناقه التی مرّ علی حملها عشره أشهر، فأضحت علی أبواب الولاده،بعد ما امتلأت أثداؤها باللبن.

و هی من أحبّ و أثمن النوق لدی العرب زمن نزول الآیه المبارکه.

«عطلت):ترکت لا راعی لها.

فهول و وحشه القیامه،سینسی الإنسان أحبّ و أثمن ما یمتلکه.

و قال العلاّمه الطبرسی فی مجمع البیان:و قیل:العشار،السحاب تعطل فلا تمطر.أی:إنّ الغیوم ستظهر فی ذلک الیوم،و لکن لا تمطر(و یمکن أن یکون الغیوم ناشئه من الغازات و المختلفه،أو تکون غیوما ذریه،أو طبقات من الغبار الناتج من تدمیر الجبال..و کلّ ذلک لا تمطر).

و یضیف الطبرسی قائلا:قال الأزهری:لا أعرف هذا فی اللغه.

و ثمّه علاقه بین ما ذهب إلی الشیخ الطریحی فی(مجمع البحرین)بقوله:

العشار:بمعنی الناقه الحامل ثمّ اطلق علی کلّ حامل،و بین إطلاقها فی الآیه.فلا غیوم غالبا ما تکون محمله بالأمطار،و لکن الغیوم التی ستظهر فی السماء علی أعتاب ذلک الیوم سوف لا تکون حامله بالمطر-فتأمل.

و قیل:«العشار»:هی البیوت أو الأراضی الزراعیه التی ستتعطل بذلک الیوم، و ستخلو من الناس و الزراعه.

و أشهر ما فسّرت به الآیه هو التفسیر الأوّل.

و ینتقل المشهد الخامس إلی الوحوش: وَ إِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ .

فالحیوانات الوحشیه التی تراها فی الحالات العادیه تبتعد الواحده عن الأخری خوفا من الافتراس و البطش، ستراها و قد جمعت فی محفل واحد،و کلّ

منهـا لاـ يلتفت إلى ما حوله لما سيطاب به من رهبه و أهوال ذلک اليوم الخطير، و كأنّها تقصـد من اجتماعها هـذا التخفيف عن شـدّه خوفهـا و فزعها!! و نقول:إذا اضـمحلت كلّ خصائص الوحشـيه للحيوانات غير الأليفه نتيجه لأهوال يوم القيامه،فما سـيكون مصـير الإنسان حينئذ؟! و يعتقد كثير من المفسّرين بأنّ الآيه تشـير إلى حشر الحيوانات الوحشيه فی عرصه يوم القيامه لمحاسبتها على قدر ما تحمل من إدراک،و يستدلون بالآيه (۳۸)من سوره الأنعام على ذلک،و التی تقول: وَ مٰا مِنْ دَابَّهٍ فِی الْأَرْضِ وَ لاٰ طٰائِرٍ يَطِيرُ بِجَنٰاحَيْهِ إِلاّٰ أُمَمٌ أَمْثٰالُكُمْ مٰا فَرَّطْنٰا فِی الْكِتٰابِ مِنْ شَیْءٍ ثُمَّ إِلىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (۱) .

و ما يمكننا قوله:إنّ الآيه تتحدث عن علائم نهايه الدنيا المهوله،و بدايه عالم الآخره،و عليه..فالتّفسير الأوّل أنسب.

و تصوّر البحار فی المشهد السادس: وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ .

«سجّرت»:من(التسجير)،بمعنى إضرام النّار.

و إذا خالـج القـدماء التعجب و الاسـتغراب لهـذا الوصف القرآنی،فقـد بات اليوم من البديهيات الكسبيه،لما يتركب منه الماء من عنصـری الأوكسـجين و الهيـدروجين،القابلاـت للاشـتعال بسـرعه،و لاـ يسـتبعد أن يوضع الماء-فی إرهاصات يوم القيامه-تحت ضغط شديد ممّا يؤدی إلى تجزئه و تفكيک عناصره،و عند ما سيتحول إلى كتله ملتهبه من النّار.

و قيـل:«سـجّرت»:بمعنى(امتلأت)،كما يقال للنور الممتلئ بالنّار (مسـجّر)،و على ضوء هـذا المعنى،يمكننا أن نتصور امتلاء البحار ممّا سيتسبب من الزلازل الحادثه و تدمير الجبال فی إرهاصات يوم القيامه،أو ستمتلئ بما

۱- ۱) -بحثنا موضوع حشر و حساب الحيوانات فی هذا التفسير ذيل الآيه(۳۸)من سوره الأنعام،فراجع.

يتساقط من أحجار و صخور سماويه،فيفيض ماؤها على اليابسه ليغرق كلّ شىء.

و يأتى درو المشهد السابع: وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ .

فتبدأ المآلفه بخلاف حال الدنيا...فالصالحون مع الصالحين،و المسيؤون مع المسيئين،و أصحاب اليمين مع أصحاب اليمين،و أصحاب الشمال مع أصحاب الشمال،فإذا ما جاور المؤمن مشركا،أو تزوج الصالح من غير الصالحه فى الحياه الدنيا،فتصنيف يوم لقيامه غير ذلک،فهو يوم الفصل الحق.

و ثمّه احتمالات اخرى،منها:

ردّ الأرواح إلى أجسادها..

زواج الصالحين بالحور العين..

قرن الضالين بالشياطين..

لحوق الإنسان بحميمه،بعد أن فرّق الموت بينهما..

قرن الإنسان بأعماله.

و التّفسير الأوّل أقرب،بدلاله الآيات(۷-۱۱)من سوره الواقعه: وَ كُنْتُمْ أَزْوٰاجاً ثَلاٰثَهً فَأَصْحٰابُ الْمَيْمَنَهِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَيْمَنَهِ، وَ أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ مٰا أَصْحٰابُ الْمَشْئَمَهِ وَ السّٰابِقُونَ السّٰابِقُونَ أُولٰئِکَ الْمُقَرَّبُونَ .

فبعد أن تحدثت الآيات السابقه لهذه الآيه عن سته تحولات،كمقدمات يوم القيامه،تأتى الآيه أعلاه لتخبر عن اولى خطوات يوم القيامه،المتمثله بالتحاق كلّ شخص بقرينه.

و نصل إلى المشهد الثّامن: وَ إِذَا الْمَوْؤُدَهُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ .

«الموءوده»:من(الوأد)على وزن(وعد)،بمعنى دفن البنت حيّه بعد ولادتها.

و قيل:الوأد بمعنى الثقل،و توسع معناه(لما ذكر)،لما فيه من دفن البنات فى

القبر و إلقاء التراب عليهن.

و أطلق الأئمّه الأطهار عليهم السّلام مفهوم الوأد،ليشمل كلّ قطع رحم و قطع مودّه...

حينما

سئل الإمام الباقر عليه السّلام عن معنى الآيه،قال:«من قتل فى مودّتنا». (۱)

و فى روايه اخرى:إنّ الدليل على ذلك هو آيه القربى: قُلْ لاٰ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبىٰ (۲) .

و لا شك أنّ التفسير الأوّل ينسجم مع ظاهر الآيه،و لكن المفهوم و الملاک قابلان للتوسع و الشمول.

***

ملاحظات

اشاره

۱-وأد البنات

تعتبر عاده(الوأد)-و التى أشار إليها القرآن الكريم مرارا-من أقبح جرائم و عادات عصر جاهليه ما قبل الإسلام.

و إذا كان البعض قد حصرها فى قبيله(كنده)أو بعض القبائل الصغيره المتناثره هنا و هناک دون بقيه القبائل العربيه الاخرى،فالمسلم به إنّها كانت من الشيوع بحيث تناول القرآن الكريم ذكرها لأكثر من مرّه و بتأكيد شديد.

و لكن،حتى مع افتراضنا لندره هذا العمل القبيح،فإنّه من القباحه و الشناعه ما يدعونا لبحثه و دراسته...

يقول المفسّرون:كانت المرأه فى الجاهليه إذا ما حان وقت ولادتها،حفرت حفره و قعدت على رأسها،فإن ولدت بنتا رمت بها فى الحفره،و إن ولدت غلاما حبسته،و قال شاعرهم مفتخرا:

۱- ۱) -تفسير البرهان،ج ۴،ص ۴۳۲،ح ۱۱.

۲- ۲) -المصدر السابق،ح ۷.

سمیتها إذا ولدت(تموت)

و القبر صهر ضامن ذمیت (۱)

و ثمّه أسباب کثیره وراء هذه الجریمه البشعه،منها:

احتقار المجتمع الجاهلی للمرأه...

وجود الفقر الشدید فی تلک الحقبه الزمنیه،و المرأه کانت مستهلکه غیر منتجه،إضافه لعدم اشتراکها فی الغارات التی تقوم بها القبیله لتوفیر لقمه العیش.

الخوف من وقع النساء أسری فی شباک الأعداء،نتیجه للمعارک التی کانت دائره علی الدوام بین القبائل،لأنّ فی هکذا أسر جرح للشرف و إذلال شدید.

و تجمعت هذه الأسباب(بالإضافه لأسباب اخری)فأدت إلی ظهور عاده (الوأد)الوحشیه بین أفراد القبائل فی ذلک العصر القابع تحت ظلام الجهل المقیت.

و ممّا یؤسف له،إنّ جاهلیه القرون الأخیره قد کررت تلک الممارسات البشعه و بصور اخری،حتی وصل ببعض الدول تدّعی التمدن و التحضر لأنّ تقنن و تقرّ(حریه)إسقاط الجنین!نعم،فالحال واحده..فإذا کان أهل الجاهلیه الاولی یقتلون البنت،فمتمدنی هذا العصر یقتلون الأطفال و هم فی بطون أمهاتهم(بنتا أو ابنا)!! و للحصول علی تفاصیل هذا الموضوع،راجع ذیل الآیه(۵۹)من سوره النحل.

۲-أهمیه المرأه فی الإسلام

بإمکان أن نستشف مدی اهتمام الإسلام بالمرأه و بالدم الإنسانی(خصوصا دم الأبریاء)،من خلال اهتمام الباری جلّ شأنه بمسأله و أد البنات،و یکفی

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۴۴.

القرآن الكريم دلاله على أن قدّم ذكر بحث مسأله الوأد فى محكمه العدل الإلهى يوم القيامه على مسأله نشر صحف الأعمال و بقيه المسائل الأخرى،لما فيها من قباحه و شناعه فى حق المرأه كإنسانه لها حقّ الحياه كما للرجل من حقّ.

۳-من الإنسان..الموءوده أم الوائد؟

لو أمعنا النظر فى أسلوب كلام الآيه،لرأينا أنّ السؤال سيوجه يوم القيامه إلى الموءوده دون الرائد على الذنب الذى قتلت من أجله،و كأنّ القاتل لا-قيمه له حتى يسأل عن قباحه جريمته،بالإضافه إلى الاكتفاء بشهاده الموءوده لإثبات جريمه الوائد عليه...فالموءوده تعامل يوم القيامه باعتبارها إنسان محترم له حقوقه،و الرائد مهمل مهان.

***

الآيات [سوره التكوير (٨١): الآيات ١٠ الى ١۴]

اشاره

وَ إِذَا اَلصُّحُفُ نُشِرَتْ (١٠) وَ إِذَا اَلسَّمٰاءُ كُشِطَتْ (١١) وَ إِذَا اَلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (١٢) وَ إِذَا اَلْجَنَّهُ أُزْلِفَتْ (١٣) عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا أَحْضَرَتْ (١۴)

التّفسير

اشاره

يوم يرى الإنسان ما قدّم!!

فبعد مرحله الفناء العام،تأتى مرحله الظهور الجديد للعالم،لتقام محكمه العدل الالهى.و من خطوط هذه المرحله: وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ .

«الصحف»:جمع(صحيفه)بمعنى المبسوط من الشيء،كصحيفه الوجه، و الصحيفه التى يكتب عليها.

فستنشر الصحف التى دوّنت فيها أعمال الناس من قبل الملائكه و كلّ سيعرف جزاءه بعد الاطلاع على صحيفه أعماله،كما تشير إلى ذلك الآيه(١۴) من سوره الإسراء: اِقْرَأْ كِتٰابَكَ كَفىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً .

و سيكون نشر الصحف أمام الملأ العام لتقرّ عيون المحسنين سرورا، و يقاسى المسيؤون العذاب النفسى.

ثمّ يضيف: وَ إِذَا السَّمٰاءُ كُشِطَتْ .

ص: ۴۵٣

«كشـطت»:من(الكشط)على وزن(كشف)،بمعنى قلع جلد الناقه،كما قال الراغب فى مفرداته،و أمّا فى(لسان العرب)فتعنى:كشـف الغطاء عن الشيء، و«تكشط السحاب»أى،تقطع و تفرّق.

و ما يراد من«كشطت»فى الآيه،هو:رفع الحجب الفاصله بين العالمين الدنيوى و العلوى،التى تمنع رؤيه الناس للملائكه أو الجنّه و النّار،فيرى الإنسـان حينهـا عـالم الوجود شـاخص أمـام نـاظريه شـخوصا حقيقيا،و كما تصور الآيات التاليه ذلك،حيث أنّ الجنّه ستقترب من الإنسان ليرى نعيمها،و تزداد النّار سعيرا لاهبه.

نعم،أو ليس يوم القيامه(يوم البروز)..فلا الحقائق ستخفى، و لا يكون للحجب أثرا.

فالآيه و ما سـبقها و سـيلحقا إذن(حسب التفسير أعلاه)قد تحدثت عن المرحله الثّانيه للقيامه-مرحله ما بعد البعث-فما ذكره كثير مـن المفسـرين،مـن كـون الآـيه تشـير إلى انهيـار و تحطـم السـماوات،و المتعلـق بحـوادث المرحله الاـولى للقيـامه(مرحله الفنـاء العام)،يبدو أنّه بعيد،لأنّه لا ينسجم مع معنى«كشطت»من جهه اخرى.

و يتأكد ذلك بوضوح من خلال الآيه: وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ .

فجهنّم موجوده في كـل الأوقـات،و لكنّ حجب الـدنيا هى المـانعه من رؤيتها، فالآيه على سـياق الآيه(۴۹)من سـوره التوبه: وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَهٌ بِالْكافِرِينَ ، و كما أنّ جهنّم موجوده فالجنّه كذلك بدلاله آيات قرآنيه كثيره (۱) .

و يبين البيان القرآنى بذات السياق السابق: وَ إِذَا الْجَنَّهُ أُزْلِفَتْ .

و هذا المعنى هو تكرار لما جاء فى الآيه(۹۰)من سوره الشعراء:

۱- ۱) -آل عمران،الآيه ۱۳۳؛و الحديد،الآيه ۲۱...إلخ.

وَ أَزْلِفَتِ الْجَنَّهُ لِلْمُتَّقِينَ .

«أزلفت»:من(زلف)على وزن(حرف)..و«زلفى»:على وزن(كبرى)، بمعنى القرب،فيمكن أن يكون المراد هو:القرب المكانى،أو القرب الزمانى، أو القرب من حيث الأسباب و المقدمات،و يمكن أيضا أن تحمل الكلمه جميع ما ذكر من معان.

فستكون الجنّه قريبه من المؤمنين من حيث:المكان،زمان دخولها،من حيث تسهيل أسبابها لهم.

و قد تجلت مكانه المؤمنين عند اللّه حينما صرحّت الآيه باقتراب الجنّه من المؤمنين،و لم تقل:اقترب المؤمنين من الجنّه.

و كما قلنا آنفا...فالجنّه و النّار موجودتان فى كلّ وقت،و لكن مع حلول يوم القيامه تكون الجنّه و النّار أشدّ اشتعالا من أى وقت مضى.

و تأتى الآيه الأخيره(من الآيات المبحوثه)لتتم ما جاء قبلها من جمل، حيث تمثل جزاء الشرط للجمل السابقه و التى وردت فى(١٢)آيه: عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا أَحْضَرَتْ .

فستحضر أعمال الإنسان كامله،و لا من محيص من العلم و الاطلاع بها فى عالم الشهود و المشاهده.

و قد ذكر القرآن الكريم هذه الحقيقه مرات عديده فى آيات مباركات،منها...

الآيه(۴٩)من سوره الكهف: وَ وَجَدُوا مٰا عَمِلُوا حٰاضِراً ،و الآيه الأخيره من سوره الزلزال: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ خَيْراً يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّهٍ شَرًّا يَرَهُ .

فالآيه إذن...تبيّن مسأله(تجسم الأعمال)فى يوم القيامه،فأعمالنا التى نتصورها قد انتهت و فنت فى عالمنا الدنيوى،هى ليست كذلك،فكل عمل قمنا به سيتجسم بصوره ما،ليحضر أمام أعيننا فى عرصه المحشر الرهيبه.

***

بحثان

اشاره

۱-تناسق الآيات

تمّت الإشاره إلی(۱۲)حادثه من حوادث یوم القیامه،فالحوادث السته الأولی قد ارتبطت بمرحله الفناء العام للعالم(المرحله الأولی)،و السته الثّانیه قد اختصت بمرحله عوده الحیاه بعد الموت من جدید.

و کان الحدیث فی السته الأولی عن:ذهاب ضوء الشمس،تساقط و تناثر النجوم،إزاله الجبال عن واقعها و تحولها إلی غبار منتشر،إضرام البحار نارا، نسیان المال و الثروه،اجتماع الحیوانات الوحشیه فی مکان واحد...

فیما کان الحدیث فی لسته الثانیه عن:حشر الناس فرادی،سؤال الموءوده عن ذنبها الذی قتلت من أجله!،و نشر الصحف،ارتفاع الحجب عن صفحه السماء،اشتعال أوار جهنّم و اقترب الجنّه،و اطلاع الإنسان علی کل أعماله مجسده.

و رغم قصر جمل الآیات إلّا أنّها حملت الکثیر من المعانی و بأسلوب مثیر یعمل علی تحریک ضمیر الإنسان و یدفعه للتوغل فی أعماق التأمل و الفکر...

و قد جسّمت الآیات نهایه العالم بتصویر رائع،بحیث قربت إلی الأذهان کیفیه حدوث القیامه،کل ذلک فی عبارات وجیزه و بألفاظ سهله،و کلّ هذا یعطی مدی قوّه بیان و بلاغه القرآن الکریم...فما أجمل و أعذب القرآنیه،و ما أغزرها بالمعانی و الإشارات!!

۲-هل ستنطفئ المنظومه الشمسیه،و هل ستخمد النجوم؟؟

قبل البدء بالإجابه لا بدّ من بیان بعض ما توصل إلیه العلم الحدیث بخصوص المنظومه الشمسیه:

إنّ الشمس(التی تعتبر مرکز المنظومه الشمسیه)متوسطه الحجم نسبه إلی

بقیه النجوم السابحه فی السماء،و لکنّها نسبه إلی الأرض کبیره جدّا،حیث قدّر العلماء حجمها بما یعادل(۱،۳۰۰،۰۰۰)مره بقدر حجم الأرض،و نظرا لبعدها عن الأرض،(حیث قدرت ب(۱۵۰،۰۰۰،۰۰۰)کیلومتر)،فتری لناظرینا بهذا الحجم المحدود...

و یکفینا أن نتلمس عظمه حجم الشمس،فیما لو فرضنا بإدخال الکره الأرضیه مع القمر فی باطن الشمس و بذات الفاصله الموجوده حالیا ما بین الأرض و القمر،ففی هذه الحال.سوف لا یواجه القمر أیه صعوبه بالدوران حول الأرض من دون أن یخرج من سطح الشمس! أمّا درجه حراره سطح الشمس فتبلغ(۶،۰۰۰)درجه مئویه،و تصل درجه حراره أعماق الشمس إلی عدّه ملایین درجه مئویه!! و إذا ما أردنا أن نزن الشمس بالأطنان،فسیواجهنا العدد(۲)و بیمینه(۲۷) صفرا،أی(ملیاری ملیار ملیار طن)! و تصل ألسنه نیران سطح الشمس فی بعض الأوقات إلی ارتفاع(۶۰،۰۰۰) کیلومتر،و بإمکان تلک الألسنه أن تلف الأرض و ما علیها و بکل یسر،لأنّ قطر الکره الأرضیه لا یتجاوز ال(۱۲،۰۰۰)کیلومتر.

و مصدر حراره و نور الشمس الخارجه منها،علی خلاف ما یتصوره البعض من کونهما ناشئین من احتراق شی ما،و کما یقول مؤلف کتاب(ولاده و موت الشمس)،أن لو کانت الشمس،عباره عن جرم من الفحم الحجری الخالص،لما استمرت لهذا الیوم،و لو قدّرنا بدأ احتراقها منذ عصر أول فراعنه مصر،لکان فی یومنا المعاش قد احتراق بأکمله و نفد،و إذا ما قیل بأیّه ماده أخری غیر الفحم الحجری،فلا تغیّر من النتیجه الحاصله.

و حقیقه الأمر،أنّ مفهوم الاحتراق لا ینطبق علی الشمس،بقدر ما ینطبق علیها مفهوم الطاقه الحاصله من التجزئه الذریّه،و لمّا کانت الطاقه عظیمه جدّا،

فذرات الشمس فی حاله تجزئه و تبدیل إلی طاقه و بشکل مستمر.

و استنادا إلی حسابات العلماء:فإنّ کلّ ثانیه تمرّ من عمر الشمس ینتقص من وزنها ما یقارب«اربعه ملایین طنا»!أمّا حجمها فلم یمسسه أیّ شی من التغییر رغم مرور السنین المدیده علی عمرها! و ینبغی التسلیم أنّ خاتمه الشمس لا بدّ منها،و عجله الزمن الدائبه ستوصل إلی ذلک الحدث،و لا بدّ من مجیء ذلک الیوم الذی سیشهد اضمحلال حجم هذا الجرم الکبیر و إخماد نوره،کما هو حال و شأن بقیه النجوم (۱) .

فالعلم الحدیث إذن،قد أثبت الحقائق العلمیه التی طرحها قبل ألف و أربعمائه سنه إلاّ دلیل قاطع علی ما نقول.

***

۱- ۱) -اقتبس هذا الکلام من ثلاثه کتب:(ولاده و موت الشمس)،(النجوم من دون تلسکوب)و(بناء الشمس).

الآیات [سوره التکویر (٨١): الآیات ١۵ الی ٢۵]

اشاره

فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١۵) اَلْجَوٰارِ اَلْکُنَّسِ (١۶) وَ اَللَّیْلِ إِذٰا عَسْعَسَ (١٧) وَ اَلصُّبْحِ إِذٰا تَنَفَّسَ (١٨) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ کَرِیمٍ (١٩) ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی اَلْعَرْشِ مَکِینٍ (٢٠) مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ (٢١) وَ مٰا صٰاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ (٢٢) وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ اَلْمُبِینِ (٢٣) وَ مٰا هُوَ عَلَی اَلْغَیْبِ بِضَنِینٍ (٢۴) وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شَیْطٰانٍ رَجِیمٍ (٢۵)

التّفسیر

اشاره

نزل به رسول کریم:

بعد أن تناولت الآیات السابقه مواضیع:المعاد،مقدمات یوم القیامه، و حوادث یوم القیامه...تأتی الآیات أعلاه لتطرق عن:أحقّیه القرآن و صدق نبوّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،و الآیات فی حقیقتها تأکید علی ما جاء فی الآیات السابقه لموضوع «المعاد»،إضافه لذکرها صور بیانیه منبهه علی هذه الحقیقه.

و تشرع الآیات ب: فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ (١) ، الْجَوٰارِ الْکُنَّسِ .

«الخنّس»:جمع(خانس)،من(خنس)و هو الانقباض و الاختفاء،و یقال

١- ١) -تعرض المفسّرون فی بحوث عدیده لکلمه«لا»،هل هی:نافیه،زائده،للتأکید...و قد تناولنا ذلک مفصلا فی أول سوره القیامه(فی نفس هذا الجزء)،فراجع.

للشيطان:«الخنّاس»،لأنّه إذا ذكر اللّه تعالى،و كما ورد فى الحديث الشريف:

«الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر اللّه خنس». (۱)

«الجوار»:جمع(جاريه)،و هى الشيء الذى تتحرك بسرعه.

«الكنّس»:جمع(كانس)،من(كنس)،على وزن(شمس)،و هو الاختفاء، و«كناس»الطير و الوحش:بيت يتخذه.

و لكن...ما هى الأشياء المقصوده بهذا القسم؟ يعتقد كثير من المفسّرين،إنّها الكواكب (۲) الخمسه السياره التى فى منظومتنا الشمسيه،و التى يمكن رؤيتها بالعين المجرّده(عطارد،الزهره،المريخ،المشترى و زحل).

و نقول توضيحا:لو تأملنا السماء عدّه ليال،لرأينا أنّ نجوم السماء أو القبه السماويه تظهر و تغيب بشكل جماعى من دون أن تتغير الفواصل و المسافات فيما بينها،و كأنّها لئالئ خيطت على قطعه قماش داكن الألوان،و هذه القطعه تتحرك من المشرق إلى المغرب،إلاّ خمسه كواكب قد خرجت عن هذه القاعده، فنراها تتحرك و ليس بينها و بين بقيه النجوم فواصل ثابته، و كأنّها لئالئ قد وضعت على تلك القطعه وضعا،من دون أن تخيّط بها! و هذه الكواكب الخمس هى المقصود فى هذا التفسير،و ما نلاحظه من حركتها إنّما تكون لقربها منّا لا نتمكن من تمييز حركات بقيه النجوم لعظم المسافه فيما بيننا و بينها.

و من جهه أخرى:ينبغى التنويه إلى أنّ علماء الفلك يطلقون على هذه الكواكب اسم(الكواكب المتحيره)،لأنّها لا تتحرك على خط مستقيم ثابت،

۱- ۱) -لسان العرب:ماده(خنس).

۲- ۲) -الفرق بين النجوم و الكواكب،إنّ الأولى شموس كشمسنا،و الثانيه عباره عن أجسام بارده كالأرض،تنعكس عليها أشعه الشمس فتضيء،و يمكن تمييزها على صفحه السماء بثبوت نورها،فى حين تكون النجوم متلألئه بالنور.

فتراهـا تسـير باتجـاه معين من الزمن ثمّ تعود قليلا و من ثمّ تتابع مسـيرها الأوّل و هكـذا...و لهؤلاء العلماء من البحوث العلميه فى تحليل هذه الظاهره.

و عليه...يمكن حمل إشاره الآيات إلى الكواكب السيّاره«الجوار»،التى فى سيرها لها رجوع«الخنس»،ثمّ تختفى عند طلوع الفجر و شروق الشـمس...فهى تشـبه غزالاـ يتصـيد طعـامه فى الليـل و مـا أن يحّل النهار حتى يختفى عن أنظار الصـيادين و الحيوانات المفترسه فيذهب إلى«كناسه»،و لذا وصفت الكواكب ب«الكنّس»،.

و ثمّه احتمال آخر:«الكنّس»:اختفاء الكواكب فى ضوء الشمس.

أى إنّها حينما تدور حول الشمس،تصل فى بعض الوقت إلى نقطه مجاوره للشمس فيختفى نورها تماما عن الأبصار،و هو ما يعبّر عنه علماء الفلك ب(الاحتراق).

و«الكنّس»:فى نظر بعض آخر:إشاره إلى دخول الكواكب فى البروج السـماويه،و ذلك الـدخول يشبه اختفاء الغزلان فى أماكن أمنها.

و كمـا هـو معروف،إنّ كـواكب مجموعتنـا الشمسـيه لاـ تنحصـر بهـذه الكـواكب الخمس،بـل ثمـه ثلاـثه كـواكب أخرى (أورانوس،بلوتون،نبتون)و لكنّها لا ترى بالعين المجرّده لبعدها عنّا،و للكثير من هذه السيّارات قمرا أو أقمارا،،فعدد كواكب هذه المجموعه بالإضافه إلى الأرض هو تسعه كواكب.

و«الجورى»:توصيف جميل لحركه الكواكب،حيث شبّه بحركه السفن على سطح البحر.

و على أيّه حـال،فكـأنّ القرآن الكريـم يريـد بهـذا القسـم الملىء بالمعـانى الممـتزجه بنـوع من الإبهـام،كـأنّه يريـد إثـاره الفكر الإنسانى،و توجيهه صوب الكواكب السيّاره ذات الوضع الخاص على القبه السماويه،ليتأمل أمرها و قدره و عظمه خالقها سبحانه و تعالى.

و ثمّه احتمالات أخرى فى هذا الموضوع أهملناها لضعفها.

و

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال فى تفسير الآيات المذكوره: «هى خمسه أنجم:زحل،و المشترى،و المريخ،و الزهره،و عطارد» (۱) .

و يعرض لنا القرآن لوحه أخرى: وَ اللَّيْلِ إِذٰا عَسْعَسَ .

«عسعس»:من(العسعسه)،و هى رقه الظلام فى طرفى الليل(أوله و آخره) و منه اطلاق لفظ«عسس»على حرّاس الليل،و بالرغم من اطلاق هذه المفرده على معنيين متفاوتين،و لكن المراد منها فى هذه الآيه هو آخر الليل فقط بقرينه الآيه التاليه لها،و هو ما يشابه القسم الوارد فى الآيه(۳۳)من سوره المدثر:

وَ اللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ .

و الليل،من النعم الإلهيه الكبيره،لأنّه:سكن للروح و الجسم،معدّل لحراره الشمس،و سبب لإدامه حياه الموجودات...أمّا التأكيد على نهايته فيمكن أن يكون بلحاظ كونه مقدمه استقبال نور الصباح،إضافه لما لهذا الوقت بالذات من فضل كبير فى حال العباده و المناجاه و الدعاء،و يمثل هذا الوقت أيضا نقطه الشروع بالحركه و العمل فى عالم الحياه.

و يأتى القسم الثّالث و الأخير من الآيات: وَ الصُّبْحِ إِذٰا تَنَفَّسَ .

فما أروع الوصف و أجمله!فالصبح كموجود حى قد بدأ أوّل أنفاسه مع طلوع الفجر،ليدّب الروح من جديد فى كلّ الموجودات،بعد أن تقطعت أنفاسه عند حلول ظلام الليل! و يأتى هذا الوصف فى سياق ما ورد فى سوره المدّثّر،فبعد القسم بإدبار الليل،قال: وَ الصُّبْحِ إِذٰا أَسْفَرَ ،فكأنّ الليل ستاره سوداء قد غطت وجه الصبح، فما أن أدبر الليل حتى رفعت تلك الستاره فبان وجه الصبح مشرقا، و أسفر

۱- ۱) -مجمع البيان:ج ۱۰،ص ۴۴۶.

للحياه من جديد.

و تجسّد الآيه التاليه جواب القسم للآيات السابقه: إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ .

فالجواب موجّه لمن اتّهم النبّى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم باختلاق القرآن و نسبته إلى البارى جلّ شأنه.

و قد تناولت و ما بعدها خمسه أوصاف لأمين وحى اللّه جبرائيل عليه السّلام،و هى الأوصاف التى ينبغى توفرها فى كلّ رسول جامع لشرائط الرساله...

فالصفه الأولى:إنّه«كريم»:إشاره إلى علو مرتبته و جلاله شأنه.

و من صفاته أيضا: ذِي قُوَّهٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (۱) .

«ذى العرش»:ذات اللّه المقدّسه.مع أنّ اللّه مالك كلّ عالم الوجود،فقد وصف«بذى العرش»لما للعرش من أهميه بالغه على غيره(سواء كان العرش بمعنى عالم ما وراء الطبيعه،أو بمعنى مقام العلم المكنون).

أمّا وصفه ب«ذى قوّه»(أى:صاحب قدره)،لما للقدره العظيمه و القوّه الفائقه من دور مهم و فعّال فى عمليه حمل و إبلاغ الرساله،و عموما...ينبغى لكل رسول أن يكون صاحب قدره معينه تتناسب و حدود رسالته،و على الإخلاص فى مجال عدم نسيان ما يرسل به.

«مكين»:صاحب منزله و مكانه،و بدون ذلك لا يتمكن الرسول من أداء رسالته على أتمّ وجه،فلا من كونه شخصا جليلا،لائقا،و مقربا للمرسل.

و ممّا لا شك فيه إنّ التعبير ب«عند»لا يراد منه الحضور المكانى،لأنّ البارى جل شأنه لا يحده مكان،و المراد هو الحضور المقامى و القرب المعنوى.

و تتناول الآيه التاليه الصفه الرابعه و الخامسه: مُطٰاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ .

«ثمّ»:إشاره إلى البعيد،و يراد بها:إنّ أمين الوحى الإلهى نافذ الكلمه فى

۱- ۱) -«مكين»:(المكانه)،و هى المقام و المنزله،و ما يستفاد من مفردات الراغب و غيره من المفسّرين،إنّه اسم مكان من (الكون)و لكثرته فى الكلام فقد استعمل على صيغه الفعل فقيل:(تمكن)و(تمسكن).

عالم الملائكه،و مطاع عندهم،و إنّه فی ذروه الأمانه فی عملیه إبلاغ الرساله.

و ما نستشفّه من الرّوایات:إنّ جبرائیل علیه السّلام ینزل أحیانا و بصحبته جمع کبیر من الملائکه فی حال إبلاغه للآیات القرآنیه المبارکه،و هو ما یوحی بأنّه مطاع بینهم،و هو ما ینبغی أن یکون فی کل أمّه تتبع رسولا،فلا بدّ من طاعتها له.

و

روی...أن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم قال لجبرائیل علیه السّلام عند نزول هذه الآیات: «ما أحسن ما أثنی علیک ربّک!:ذی قوّه عند العرش مکین،مطاع ثمّ أمین،فما کانت قوتک؟و ما کانت أمانتک؟ فقال:أمّا قوّتی فإنّی بعثت إلی مداین لوط و هی أربع مداین فی کلّ مدینه أربعمائه ألف مقاتل سوی الذراری،فحملتهم من الأرض السفلی حتی سمع أهل السماوات أصوات الدجاج و نباح الکلاب،ثم هویت بهّن فقلبتهّن.و أمّا أمانتی، فإنّی لم أؤمر بشیء فعدوته إلی غیره» (۱) .

و ینفی القرآن ما نسب إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: وَ مٰا صٰاحِبُکُمْ بِمَجْنُونٍ .

«الصاحب»:هو الملازم و الرفیق و الجلیس،و الوصف هذا مضافا الی أنّه یحکی عن تواضع النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم مع جمیع الناس...فلم یرغب یوما فی الاستعلاء علی أحد منکم،فإنّه قد عاش بینکم حقبه طویله،و جالسکم،فلمستم عن قرب رجاحه عقله و حسن درایته و أمانته،فکیف تنسبون له الجنون؟! و کلّ ما فی الأمر إنّه قد جاءکم بعد بعثته بتعالیم تخالف تعصبکم الأعمی و تحارب أهواءکم الجاهلیه،فما راق لکم الانضباط و الترابط،و حبذتم الانفلات و التراخی،فولیتم الأدبار عن تعالیمه الربانیه و نسبتم إلیه الجنون،فرارا من هدی دعوته المبارکه! و نسبه الجنون إلی النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لیس بالشیء الجدید فی مسیر دعوه السماء

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۴۶،و ورد هذا المضمون فی تفسیر(الدر المنثور)فی ذیل الآیه المبحوثه.

فقد واجه جميع أنبياء اللّه عليهم السّلام هذا الافتراء الفارغ من قبل جهله و كفره عصورهم، و قد حدثنا القرآن الكريم بتلك الوقائع: كَذٰلِكَ مٰا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّٰ قٰالُوا سٰاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (۱) .

فالعاقل فى منطق الجاهليه،من يخضع للعادات و التقاليد المعاشه و إن كانت فاسده منحطه،و من يطلق لجماح أهواءه و شهواته العنان،و من لا يفكر بأىّ إصلاح أو تغيير لأنّه خروج على السائد المتعارف عليه! و بناء على هذا المقياس الأعمى...فكلّ الأنبياء فى نظر عبده الدنيا مجانين...

و يؤكّد القرآن على الارتباط الوثيق ما بين النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جبرائيل عليه السّلام: وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ،و هو«الأفق الأعلى»الذى تظهر فيه الملائكه،حيث شاهد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم جبرائيل عليه السّلام.

و قد استدلّ بعض المفسّرين بالآيه(۷)من سوره النجم على التفسير أعلاه، و التى تقول: وَ هُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلىٰ .

و لكننا نرى أنّ الآيه مع بقيه آيات السوره تتحدث عن حقيقه أخرى،فراجع إلى ما ذكرناه فى تفسيرنا هذا.

و قال بعض:إنّ النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد رأى جبرائيل عليه السّلام فى صورته الحقيقه مرّتين، الأولى عند بدايه البعثه النبويه المباركه،حيث ظهر له فى الأفق الأعلى و قد غطى الشرق و الغرب حتى بهر النبىّ بعظمه هيئته، و الثّانيه رآه عند معراجه إلى السماوات العلى و اعتبروا الآيه المبحوثه إشاره لتلك الرؤيتين.

و ثمّه من يذهب فى تفسير الآيه من كونها تشير إلى مشاهده اللّه عزّ و جلّ بالشهود الباطنى،(و لمزيد من الإيضاح،راجع ذيل الآيات(۵-۱۳)من سوره النجم).

و تأتى الصفه الخامسه: وَ مٰا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ .

۱- ۱) -الذاريات:الآيه ۵۲.

فهو ليس ممن يقبرون فى صدورهم ممّا يوحى إليه،و لا يبخل و لا يتوانى عن الإبلاغ و يوصله إلى كلّ الناس كاملا و بأمانه.

«ضنين»:من(ضنّه)على وزن(منّه)،أى:البخل بالأشياء الثمينه و النفيسه، فالأنبياء عليهم السّلام منزّهون عن ذلك،و إذا ما بخل الآخرون بما صار فى حوزتهم من علم محدود،فالنّبى فوق ذلك و أنزه مع ماله من منبع علم إلهى.

و تقول آخر الآيات المبحوثه: وَ مٰا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطٰانٍ رَجِيمٍ .

فالآيات القرآنيه ليست كحديث الكهنه الذى يأخذوه من الشياطين،و دليلها معها،حيث أنّ حديث الكهنه محشو بالأكاذيب و التناقضات،و يدور حول محور ميولهم و رغباتهم،فى حين لا يشاهد ذلك فى الآيات القرآنيه إطلاقا.

و الآيه تجيب على إحدى افتراءات المشركين،حين اتهموا النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بأنّه كاهن و كلّ ما جاء به قد أخذه من الشياطين!فحديث الشيطان!لا يتعدى أن يكون باطلا و ضلالا فى حين أنّ الآيات الرّبانيه كلّها نور و هدايه،و هذا ما يشعر به كلّ من يواجه القرآن و منذ وهلته الأولى.

«رجيم»:من(الرجم)،و(رجام)على وزن(لجام)بمعنى أخذ الحجاره، و تطلق على رمى الحجار على الأشخاص أو الحيوانات،و يستعار الرجم للرمى ب:الظّن،التوهم،الشتم و الطرد،و«الشيطان الرجيم»بمعنى المطرود من رحمه اللّه.

***

بحث

اشاره

مؤهلات الرّسول:

الصفات الخمسه التى ذكرتها الآيات المباركه جبرائيل عليه السّلام باعتباره رسول الوحى الإلهى إلى النبىّ الكريم صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،هى ذات الصفات التى ينبغى توفرها فى كلّ رسول،و بما يناسب نوع و درجه رسالته.

ص:۴۶۶

فلكى يكون الرسول لائقا لحمل الرساله،لا بدّ من تحلّيه بركائز أخلاقيه و نفسيه عاليه،أى يكون«كريما»محترما.

و لا بـدّ من كونه قادر متمكن«ذى قوّه»،حتى يتمكن من إبلاغ رسالته بكل ما تحمل،و من دون أن يصـيبه أىّ ضـعف أو فتور أو هوان.

و ينبغى أن تكون ذو منزله رفيعه و مقام مرموق عند المرسل،«مكين»،لكى يكون طبيعيا مسـتقرا فى استلامه الرساله،و لا يناله أىّ خوف أو ارتباك فى حال إيصاله لأجوبه الرساله إلى أىّ كان.

و من المؤهلات اللازمه،أن يكون له أعوان و يطيعونه بأمر الرساله،و لا يتخاذلون عن طاعته،«مطاع».

و أخيرا،لا بـدّ من كونه«أمينا»فى النقل،ليعتمـد المرسل عليه فيما يريـد أن يوصـله إليه من الرساله،فلا بدّ من الأمانه بكلّ معناها و الابتعاد عن الخيانه و لو بأدنى زواياها.

فمتى ما توفرت المؤهلات اللازمه للرسول فيه كان جديرا بأداء حق الرساله،و لذلك نرى رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله و سلّم كان ينتخب رسله بدقه من بين أصحابه، و أفضل نموذج حى لذلك،إرساله أمير المؤمنين عليه السّلام بإيصال الآيات الأولى من سوره براءه إلى مشركى مكّه،فى ظروف قد شرحناها عند تفسيرنا لتلك السوره.

و

عن أمير المؤمنين عليه السّلام أنّه قال: «رسولك ترجمان عقلك،و كتابك أبلغ ما ينطق عنك» (۱) .

***

۱- ۱) -نهج البلاغه:الكلمات القصار(۳۰۱).

الآيات [سوره التكوير (٨١): الآيات ٢٦ الى ٢٩]

اشاره

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ (٢۶) إِنْ هُوَ إِلاّ ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ (٢٧) لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَ ما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اَللّهُ رَبُّ اَلْعالَمِينَ (٢٩)

التّفسير

اشاره

إلى اين...أيّها الغافلون؟!

أكّدت الآيات السابقه ببيان جلى حقيقه كون القرآن كلام اللّه...فمحتواه ينطق عن كونه كلاما رحمانيا و ليس شيطانيا،و قد نزل به رسول كريم مقتدر و أمين،و قام بتبليغه النّبى الصادق الأمين صلّى اللّه عليه و آله و سلّم الذى لم يبخل فى البلاغ فى شىء، و ما تهاون عن تعليم الناس فيما أرسل به.

فيما توبخ الآيات أعلاه أولئك الذين عادوا القرآن و انحرفوا عن خطّ سير الرساله الربّانيه الهاديه، فتقول لهم بصيغه الاستفهام التوبيخى: فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ .

لم تركتم طريق الهدايه؟!أو من العقل أن تصدّوا عن النور و تتجهوا صوب الظلام؟!ألا ترحمون أنفسكم؟!و كيف تعملون على هدم أركان سعادتكم و سلامتكم؟!...

و تأتی الآیه الثّانیه لتقول: إِنْ هُوَ إِلّاَ ذِکْرٌ لِلْعٰالَمِینَ فالآیه تتحدث بلسان الوعظ و التذکیر،عسی أن یستیقظ من تملکه نوم غفلته.

لا یمکن للهدایه و التربیه أن تؤدّی فعلها بوجود المرشد الناجح فقط،بل لا بدّ من توفر عنصر الاستعداد و تقبل الهدایه من قبل الطرف الآخر،و لذلک...

فبعد الوعظ و التذکیر جاءت الآیه التالیه لتبیّن هذه الحقیقه: لِمَنْ شٰاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ .

فالآیه الاولی: إِنْ هُوَ إِلّاَ ذِکْرٌ لِلْعٰالَمِینَ قد ذکرت عمومیه الفیض الإلهی فی القرآن الکریم،فیما خصصت الآیه التالیه: لِمَنْ شٰاءَ مِنْکُمْ أَنْ یَسْتَقِیمَ عملیه الاستفاده من هذا الفیض الجزیل و حددته بشرط الاستقامه.

و هذه القاعده جاریه فی جمیع النعم و المواهب الإلهیه فی العالم،فإنّها عامّه التمکین،خاصّه الاستفاده،فمن لا یملک الإراده و التصمیم علی ضوء الهدی القرآنی لا یستحق فیض رحمه اللّه و نعمه.

و الآیه الثّانیه من سوره البقره: ذٰلِکَ الْکِتٰابُ لاٰ رَیْبَ فِیهِ هُدیً لِلْمُتَّقِینَ تدخل فی سیاق هذا المعنی.

و علی أیّه حال،فالآیه تؤکّد مرّه اخری علی حریه الإنسان فی اختیاره الطریق الذی یرضاه،سواء کان طریق حقّ،أم طریق باطل.

و یفهم من«یستقیم»،أنّ طریق السعاده الحقّه،طریق مستقیم،و ما دونه لا یکون کذلک،و لولا الإفراط و التفریط و الوساوس الشیطانیه و أغشیه الضلال..

لسار الإنسان علی هذه السبل المنجیه،باستجابته لنداء الفطره و اتباعه الخط المستقیم،و الخط المستقیم هو أقصر الطرق الموصله للهدف المنشود.

و لکی لا یتصور بأنّ مشیئه و إراده الإنسان مطلقه فی سیره علی طریق المستقیم،و لکی یربط الإنسان مشیئه بمشیئه و توفیق اللّه عزّ و جلّ،و جاءت

الآـيه التـاليه و لتقول: وَ مٰا تَشٰاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشٰاءَ اللّهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ و الآيتان السابقتان تبيّنان فلسـفه«أمر بين الأمرين»التى أشار إليها الإمـام الصادق عليه السّـلام،فمن جهه،إنّ الإراده و القرار بيـدكم،و من جهه اخرى،يلزم تلك الإراده و ذلك القراره ما يشاء اللّه ربّ العالمين...و إنّ خلقتم أحرارا مختارين، فالحريه و الإختيار منه جلّ اسمه،و لولا إرادته ذلك لما كان.

فالإنسان ليس بمجبور على أعماله مطلقا،و لا هو بمختار بكلّ معنى الإختيار،و لكن...كما

روى عن الإمام الصادق عليه السّـلام: «لا جبر و لا تفويض الأمر بين الأمرين»، فكلّ ما للإنسان من:عقل،فهم قـدره بـدنيه،و قدره على اتخـاذ القرار، كـلّ ذلـك من اللّه عزّ و جلّ،فهو من جهه فى حاله الحاجه الـدائمه للاتصال به جلّ شأنه،و لو شاء اللّه لتوقف كلّ شىء و انتهى،و هو من جهه اخرى مسئول عن أعماله لما له من حريه و اختيار على تنفيذها.

و يفهم من«ربّ العالمين»،إنّ المشـيئه الإلهيه تقضـى بهـدايه و تكامل الإنسان و كلّ الموجودات،فاللّه لا يريد أن يضل أو يذنب أحد من الخلق،بل يريد أن يسعد كلّ الخلق فى جوار رحمته و رضوانه،و بمقتضى ربوبيته فهو الموفّق و المعين لكلّ من يريد أن يسلك طريق التكامل.

و الخطأ القاتـل الـذى وقع فيه المتجبره،إنّهم تمسّـكوا بالآـيه الثّـانيه دون الاـولى و ربّما كان المفوضه قـد تمسّـكوا بالآيه الاولى مفصوله عن الآـيه الثـانيه لهـا..و الفصـل فيمـا بين آيـات القرآن كثيرا ما يوقع فى هاويه الضـلال و الخروج بنتائـج خاطئه باطله،و ينبغى التعامل مع الآيات القرآنيه على كونها كلّ مترابط،لا آيات فرادى.

و قيل:إنّه لمّا نزل قوله تعالى: لِمَنْ شٰاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ،قال أبو جهل:

جعل الأمر إلينا إن شئنا استقمنا و إن شئنا لم نستقم،فأنزل اللّه تعالى: وَ مٰا

تَشٰاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشٰاءَ اللّهُ رَبُّ الْعٰالَمِينَ

(۱)

.

اللّهمّ!لا توفيق إلاّ منك،فوفقنا للسير على طريق رضوانك...

اللّهمّ!لقد رغبنا فى سلوك طريقك و منهجك،فاجعل مشيئتك أن تأخذ بأيدينا فى هذا الطريق...

اللّهمّ!إنّا نخاف أهوال الحشر و القيامه،لخلو صحائف أعمالنا من الحسنات، فعاملنا بعفوك و لطفك،و لا تشدد علينا بعدلك...

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره التّكوير ***

۱- ۱) -روح المعانى،ج ۳۰،ص ۶۲؛و فى روح البيان،ج ۱۰،ص ۳۵۴.

سوره الإنفطار

اشاره

مکیّه و عدد آیاتها تسع و عشره آیه

ص :۴۷۳

محتوى السوره:

لا تشذ السوره عن سياق سور الجزء الأخير من القرآن الكريم،و تدور حول محور المسائل المتعلقه بيوم القيامه،تتضمّن مجموع آياتها المواضيع التاليه:

۱-أشراط الساعه،و هى الحوادث الهائله التى سيشهدها العالم أواخر لحظات عمره و عند قيام الساعه.

۲-التذكير بالنعم الإلهيه الداخله فى كلّ وجود الإنسان،و كسر حاله غرور الإنسان،و تهيئته المعاد.

۳-الإشاره إلى ملائكه تسجيل أعمال الإنسان.

۴-بيان عاقبه المحسنين و المسيئين فى يوم القيامه.

۵-لمحات سريعه عمّا سيجرى فى ذلك اليوم العظيم.

فضيله السوره:

روى عن الإمام الصادق عليه السّلام أنّه قال: «من قرأ هاتين السورتين: إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ و إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ و جعلهما نصب عينه فى صلاه الفريضه و النافله، لم يحجبه من اللّه حجاب،و لم يحجزه من اللّه حاجز،و لم يزل ينظر إلى اللّه و ينظر

اللّه إليه حتى يفرغ من حساب الناس» (۱) .

و لا ـ شـك أنّ حصـول ثـواب السورتين إنّما يتمّ وضـعهما فى أعمـاق روحه، و بنى على أسسـها أركـان نفسه و عمله،و لا ـ لمن يلوكهما فى لسانه و لا غير! ***

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۴۷،نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۲۰(عن ثواب الأعمال:ص ۱۲۱).

الآيات [سوره الانفطار (٨٢): الآيات ١ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ إِذَا اَلسَّمٰاءُ اِنْفَطَرَتْ (١) وَ إِذَا اَلْكَوٰاكِبُ اِنْتَثَرَتْ (٢) وَ إِذَا اَلْبِحٰارُ فُجِّرَتْ (٣) وَ إِذَا اَلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (۴) عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ (۵)

التّفسير

اشاره

عند ما يحلّ الحدث المروع!

تقدّم لنا الآيات(مرّه اخری)مشاهدا مروعه من يوم القيامه،فتخبر عن تفطّر السماء من هول الكارثه: إِذَا السَّمٰاءُ انْفَطَرَتْ .

ثمّ تنتقل إلی ما سيصيب الكواكب و نظامها: وَ إِذَا الْكَوٰاكِبُ انْتَثَرَتْ .

فسينهدم العالم العلوی،و ستحدث الإنفجارات العظيمه المهيبه فی كلّ النجوم السماويه،و سيتخلخل نظام المنظومات الشمسيه،فتخرج النجوم من مساراتها لتصطدم الواحده بالأخری و تتلاشی...فينتهی عمر العالم،و يتناثر كلّ شیء ليبنی علی أنقاضه عالم جديد آخر.

«انفطرت»:من(الإنفطار)،بمعنی الإنشقاق،و قد ورد التعبير فی آيات اخری كالآيه الاولی من سوره الإنشقاق: إِذَا السَّمٰاءُ انْشَقَّتْ ،و الآيه(١٨)من

ص: ۴٧٧

سوره المزمل: اَلسَّمٰاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ .

«انتثرت»:من(النثر)على وزن(نصر)،بمعنى نشر الشیء و تفریقه، و«الانتثار»:هو الانتشار و التفرق.و باعتبار أنّ انتشار النجوم یؤدّی إلی تفرقها فی السماء(کحبات العقد المنفرط) فقد فسّرها الکثیر من المفسّرین ب(سقوط النجوم)،و هو من لوازم معنی الانتثار.

«الکواکب»:جمع(کوکب)،و له معان کثیره،منها:النجوم بشکل عام، و الزهره بشکل خاص،النبت إذا طال،البیاض الذی یظهر فی سواد العین،لمعان الحدید:بریقه و توقده و«غلام کوکب»:ممتلئ إذا ترعرع و حسن وجهه، و کوکب کلّ شیء:معظمه،مثل کوکب الشعب و کوکب السماء و کوکب الشمس.

و الکوکب أیضا:الماء،السیف،سید القوم...إلخ.

و علی ما یبدو أنّ المعنی الحقیقی هو(النجم المتلألئ)،و ما دون ذلک معان مجازیه استعملت لعلاقه المشابهه.

و لکن،ما هی العوامل التی ستؤدی بالکواکب إلی التناثر و التفرق فی الفضاء مع فقدانها لنظامها الذی یحکمها؟ هل بسبب فقدان التعادل الموجود فی الجاذبیه فیما بینها؟أم ثمّه قوّه هائله ستفعل ذلک؟أم بسبب التوسع المستمر الحاصل فی العالم-کما یقول ذلک العلم الحدیث؟...

لا یستطیع أیّ أحد أن یتکهن السبب بدّقه...و کلّ ما نعلمه أنّ هذه الأمور تهدف إلی تعریف الإنسان بما سیحدث بالمستقبل الآت،و تدعوه لخلاص نفسه من أهوالها،و هو الکائن الضعیف وسط تلک الحوادث الجسام؟! فالآیات تحذر الإنسان من أن یتخذ العالم الفانی هدفا لوجوده،فیتصوره محل خلوده،لأنّ ذلک سیؤول إلی تلوث قلب الإنسان(شاء أم أبی)،و ما ینتج عن التلوث سوی الذنوب المؤدّیه إلی عذاب الجحیم...

ص :۴۷۸

و ینتقل البیان القرآنی من السماء إلی الأرض،فیقول: وَ إِذَا الْبِحٰارُ فُجِّرَتْ أی اتصلت.

مع أنّ البحار متصله فیما بینها قبل حلول ذلک الیوم(ما عدا البحیرات)،لکنّ اتصالها سیکون بشکل آخر،حیث ستفیض جمیعها و تتمزق حدودها و تصیر بحرا واحدا لتشمل کلّ الأرض،بسبب الزلازل المرعبه و تحطم الجبال و سقوطها فی البحار...هذا أحد تفاسیر الآیه السادسه من سوره التکویر(الآنفه الذکر) وَ إِذَا الْبِحٰارُ سُجِّرَتْ .

و ثمّه احتمال آخر بخصوص الآیه المبحوثه و الآیه(۶)من سوره التکویر، یقول:یراد ب«فجّرت»و«سجّرت»الإنفجار و الاحتراق،لأنّ میاه البحار و المحیطات ستتحول إلی قطعه من نار لأهب.

و کما أشرنا سابقا،فالماء یتکون من عنصرین شدیدی الاشتعال (الأوکسجین و الهیدروجین)فلو تحلل الماء إلی عنصریه فسیکفیه شراره صغیره لجعله قطعه ملتهبه من النیران.

و تتناول الآیه التالیه عرضا لمرحله القیامه الثانیه،مرحله تجدید الحیاه و إحیاء الموتی،فتقول: إِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ...و اخرج الموتی للحساب.

«بعثرت»:قلب ترابها و أثیر ما فیها.

و احتمل(الراغب)فی مفرداته:إنّ«بعثرت»تکونت من کلمتین،(بعث) و(أثیرت)،فجاء المعنی منهما،کقولنا:«بسمله»من«بسم»و لفظ الجلاله«اللّه».

و علی آیّه حال،فإننا نری شبیه هذا المعنی قد ورد فی سوره الزلزال:

وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا أی الأموات(بناء علی المشهور من تفاسیرها)،و فی الآیتین(۱۳ و ۱۴)من سوره النّازعات: فَإِنَّمٰا هِیَ زَجْرَهٌ وٰاحِدَهٌ فَإِذٰا هُمْ بِالسّٰاهِرَهِ .

و توضح الآیات إنّ إحیاء الموتی و إخراجهم من القبور سیکون مفاجئا و سریعا.

و بعد ذكر كلّ تلك العلائم لما قبل البعث و لما بعده،تأتى النتيجه القاطعه:

عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ

.

نعم،فستتجلى حقائق الوجود:و سيصير كلّ شىء بارز إنّه«يوم البروز» و سيرى الإنسان كلّ أعماله محضره بخيرها و شرّها،لأنّه يوم إزاله الحجب،و رفع مبررات الغرور و الغفله،و عندها...سيعلم الإنسان ما قدّم لآخرته،و ما ترك بعده من آثار حسنها و سيئها،مثل:الصدقه الجاريه،فعل الخير،عماره الأبنيه،الكتب التى ألفها،ما سنّ من السنن...فإن كان ما خلّفه خالصا للّه فسينال حسناته،و إن كانت نيّه أفعاله غير خالصه للّه فستصل إليه سيئات تبعاته.

و هذه نماذج من الأعمال التى ستصل نتائجها إلى الإنسان بعد الموت،و هو:

المراد من«و أخّرت».

صحيح أنّ الإنسان يعلم بما عمل فى دنياه بصوره إجماليه،لكنّ حبّ الذات و الإشتغال بالشهوات و النسيان غالبا ما ينسيه ما قدّمت يداه،فيتغافل عن النظر إلى ما بدّ منه،أمّا فى ذلك اليوم الذى سيتحول و يتغير فيه كلّ شىء حتى روح الإنسان فسيلتفت إلى ما قام به من عمل بكلّ دقّه و تفصيل،كما تشير إلى ذلك الآيه(۳۰)من سوره آل عمران: يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ ،فكلّ سيرى كلّ أعماله حاضره مجسمه أمام عينه.

و قيل:«ما قدّمت»،إشاره إلى أعمال أوّل عمر الإنسان،و«أخّرت»،إشاره إلى أعمال آخر عمره.

و يبدو أنّ التّفسير الأوّل أنسب من جميع الجهات.

و يراد ب«نفس»الوارده بالآيه،كلّ نفس إنسانيه.

***

ص :۴۸۰

بحث

اشاره

ما يخلفه الإنسان بعد موته:

المستفاد من الرّوايات الشريفه،بالإضافه لما ورد فى الآيات المباركه أعلاه، إنّه ثمّه أعمال و آثار يخلفها الإنسان بعد موته،و ما ينجسم من تلك الأعمال و الآثار حتى يوم القيامه يبقى مرتبطا بذات الفاعل الأصلى،فإن كانت الأعمال خيّره فستصله حسنات تتمه العمل و استمراره،و إن كانت شريره فلا يجنى منها سوى الهون و العذاب.

فعن الإمام الصادق ٧،أنّه قال: «ليس يتبع الرجل بعد موته من الأجر إلاّ ثالث خصال:صدقه أجراها فى حياته،فهى تجرى بعد موته،و سنّه هدى سنّها،فهى تعمل بها بعد موته،و ولد صالح يستغفر له» (۱) .

و

فى روايه اخرى: «ست خصال يتنفع بها المؤمن بعد موته:ولد صالح يستغفر له،مصحف يقرأ منه،و قليب(بئر)يحفره،و غرس يغرسه،و صدقه ماء يجربه،و سنه حسنه يؤخذ بها بعده» (۲) .

فيما أكّدت بعض الرّوايات على(العلم)الذى يخلّفه بعده. (۳)

و قد حذّرت كثير من الرّوايات من أن يسنّ الإنسان سنّه سيئه،لأنّ الفاعل الأوّل ستتابع عليه آثام تلك السنه إلى يوم القيامه.

و كذلك حثت و شوقت على استنان السنن الحسنه،لينتفع الفاعل الأوّل لها بثوابها الجارى إلى يوم القيامه.

و

ذكر العلاّمه الطبرسى حديثا فى هذا المضمار.. إنّ سائلا قام على عهد النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم،فسأل،فسكت القوم،ثمّ أنّ رجلا أعطاه،فأعطاه القوم..فقال

۱- ۱) -بحار الأنوار،ج ۷۱،ص ۲۵۷.

۲- ۲) -المصدر السابق.

۳- ۳) -منيه المريد،ص ۱۱.

النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم:«من استن خیرا فاستن به فله أجره،و مثل أجور من اتبعه،غیر منتقص من أجورهم،و من استن شرّا فاستن به فعلیه وزره،مثل أوزار من اتبعه غیر منتقص من أوزارهم» فتلا حذیفه بن الیمان قوله تعالی: عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ (۱) .

و

عن أمیر المؤمنین علیه السّلام،أنّه قال: «فکیف بکم لو تناهت بکم الأمور و بعثرت القبور،هناک تبلو کلّ نفس ما أسلفت،و ردّوا إلی اللّه مولاهم الحق،و ضل عنهم ما کانوا یفترون» (۲) .

فتعکس هذه الآیات و الرّوایات أبعاد مسئولیه الإنسان أمام أعماله،و تبیّن عظم المسؤولیه،فأثار فعل الخیرات أو المنکرات یتصل إلیه و إن امتدت الآلاف السنین بعد موته! (۳) .

***

ص :۴۸۲

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۴۹.

۲- ۲) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۲۶.

۳- ۳) -لمزید من التفصیل.راجع تفسیر الآیه(۲۵)من سوره النحل.

الآیات [سوره الانفطار (۸۲): الآیات ۶ الی ۱۲]

اشاره

یٰا أَیُّهَا اَلْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّکَ بِرَبِّکَ اَلْکَرِیمِ (۶) اَلَّذِی خَلَقَکَ فَسَوّٰاکَ فَعَدَلَکَ (۷) فِی أَیِّ صُورَهٍ مٰا شٰاءَ رَکَّبَکَ (۸) کَلاّٰ بَلْ تُکَذِّبُونَ بِالدِّینِ (۹) وَ إِنَّ عَلَیْکُمْ لَحٰافِظِینَ (۱۰) کِرٰاماً کٰاتِبِینَ (۱۱) یَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ (۱۲)

التّفسیر

اشاره

لا داعی للغرور:

تنتقل الآیات أعلاه من المعاد إلی الإنسان،ببیان إیقاظی عسی أن ینتبه الإنسان من غفله ما فی عنقه من حقّ و ما علی عاتقه من مسئولیات جسام أمام خالقه سبحانه و تعالی،فتخاطب الآیه الاولی الإنسان باستفهام توبیخی محاط بالحنان و الرأفه الرّبانیه: یٰا أَیُّهَا الْإِنْسٰانُ مٰا غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ .

فالقرآن یذکّر الإنسان بإنسانیته،و ما لها من إکرام و أفضلیه،ثمّ جعله أمام «ربّ»«کریم»،فالرّب و بمقتضی ربوبیته هو الحامی و المدبّر لأمر تربیه و تکامل الإنسان،و بمقتضی کرمه أجلس الإنسان علی مائده رحمته،و رعاه بما أنعم علیه مادیا و معنویا و دون أن یطلب منه أیّ مقابل،بل و یعفو عن کثیر من ذنوب

الإنسان لفضل كرمه...

فهـل من الحكمه أن يتمرد هـذا الموجـود المكرّم على هكـذا ربّ رحيم كريم؟! و هـل يحقّ لعاقـل أن يغفـل عن ذكر ربّه و لو للحظه واحده،و لا يطيع أمر مولاه الذى يتضمن سعادته و فوزه؟! و لهذا

فقد ورد عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عند تلاوته للآيه المباركه أنّه قال: «غرّه جهله» (۱) .

و من هنا،يتقرّب لنا هدف الآيه،فهى تدعو الإنسان لكسر حاجز غروره و تجاوز حاله الغفله،و ذلك بالاستناد على مسأله الربوبيه و الكرم الإلهى،و ليس كما يحلو للبعض من أن يصور هدف الآيه،على أنّه تلقين الإنسان عذره،فيقول:

غرّنى كرمك!أو كما قيل للفضيل بن عياض:«لو أقامك اللّه و يوم القيامه بين يديه،فقال: مٰا غَرَّکَ بِرَبِّکَ الْکَرِیمِ ،ماذا كنت تقول له؟قال:أقول:غرّنى ستورك المرخاه» (۲) .

فهذا ما يخالف تماما،لأنّها فى صدد كسر حاله غرور الإنسان و إيقاظه من غفلته،و ليست فى صدد إضافه حجاب آخر على حجب الغفله! فلا ينبغى لنا أن نذهب بالآيه بما يحلو لنا و نوجهها فى خلاف ما تهدف إليه! «غرّك»:من(الغرور)،و«الغرّه»:غفله فى اليقظه،و بعباره اخرى:غفله فى وقت لا ينبغى فيه الغفله،و لما كانت الغفله أحيانا مصدرا للاستعلاء و الطغيان فقد استعملت(الغرور)بهذه المعانى.

و الغرور):كلّ ما يغرّ الإنسان من مال،جاه،شهوه و شيطان،و قد فسّر الغرور بالشيطان،لأنّه أخبث من يقوم بهذا الدور الدنىء فى الدّنيا.

ص: ۴۸۴

۱- ۱) -مجمع البيان،ج ۱۰،ص ۴۴۹؛و الدر المنثور،و روح المعانى،و روح البيان،و القرطبى،عند تفسير الآيه المبحوثه.
۲- ۲) -المصدر السابق.

و ذكر فى تفسير«الكريم»آراء كثيره،منها:إنّه المنعم الذى تكون جميع أفعاله إحسان،و هو لا ينتظر منها أىّ نفع أو دفع ضرر.

و منها:هو الذى يعطى ما يلزمه و ما لا يلزمه.

و منها:هو من يعطى الكثير بالقليل.

و لو جمعنا كلّ ما ذكر و بأعلى صوره لدخل فى كرم اللّه عزّ و جلّ،فيكفى كرم اللّه جلالا أنّه لا يكتفى عن المذنبين،بل يبدل(لمن يستحق)سيئاتهم حسنات.

و

روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام عند تلاوته لهذه الآيه،أنّه قال: (إن الإنسان)«أدحض مسئول حجّه،و أقطع مغترّ معذره،لقد أبرح(أى اغتر)جهاله بنفسه.

يا أيّها الإنسان،ما جرّأك على ذنبك،و ما غرّك بربّك،و ما أنسك بهلكه نفسك؟ أمّا من دائك بلول(أى شفاء)،أم ليس من نومتك يقظه؟أما ترحم نفسك ما ترحم من غيرك؟فلربّما ترى الضاحى من حرّ الشمس فتظلّه،أو ترى المبتلى بألم يمض جسده فتبكى رحمه له!فما صبرك على دائك،و جلدك على مصابك،و عزاك عن البكاء على نفسك و هى أعزّ الأنفس عليك،و كيف لا يوقظك خوف بيات نقمه(أى تبيت بنقمه من اللّه)و قد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته!فتداو من داء الفتره فى قلبك بعزيمه،و من كرى(أى النوم)الغفله فى ناظرك بيقظه،و كن للّه مطيعا و بذكره آنسا،و تمثل(أى تصور)فى حال توليك عنه إقباله عليك،يدعوك إلى عفوه و يتغمدك بفضله و أنت متول عنه إلى غيره،فتعالى من قوى ما أكرمه! و تواضعت من ضعيف ما أجرأك على معصيته!...» (۱) .

و تعرض لنا الآيه التاليه جانبا من كرم اللّه و لطفه على الإنسان:

۱- ۱) -نهج البلاغه،الخطبه ۲۲۳.

اَلَّذِی خَلَقَکَ فَسَوّٰاکَ فَعَدَلَکَ فِی أَیِّ صُورَهٍ مٰا (۱) شٰاءَ رَکَّبَکَ

.

فالآیه قد طرحت مراحل خلق الإنسان الأربعه..أصل الخلقه،التسویه، التعدیل،و من ثمّ الترکیب.

ففی مرحله الاولی:یبدأ خلق الإنسان و من نطفه فی ظلمات رحم الام.

و فی مرحله الثّانیه:مرحله«التسویه و التنظیم»و فیها یقدر الباری سبحانه خلق کلّ عضو من أعضاء الإنسان بمیزان متناهی الدّقه.

فلو أمعن الإنسان النظر فی تکوین عینه اذنه أو قلبه،عروقه و سائر أعضاءه، و ما أودع فیها من ألطاف و مواهب و قدرات إلهیه،لتجسم أمامه عالما من العلم و القدره و اللطف و الکرم الإلهی.

عطاء ربّانی قد شغل العلماء آلاف السنین بالتفکیر و البحث و التألیف،و لا زالوا فی أوّل الطریق...

و فی المرحله الثّالثه:یکون التعدیل بین«القوی»و«الأعضاء»و تحکیم الارتباط فیما بینها.

و بدن الإنسان قد بنی علی هذین القسمین المتقاربین،ف الیدین،الرجلین، العینین،الأذنین،العظام،العروق،الأعصاب و العضلات قد توزعت جمیعها علی هذین القسمین متجانس و مترابط.

هذا بالإضافه إلی أنّ الأعضاء فی عملها یکمل بعضها للبعض الآخر،فجهاز التنفس مثلا یساعد فی عمل الدوره الدمویه بدورها تقدم ید العون إلی عملیه التنفس،و لأجل ابتلاع لقمه غذاء،لا تصل إلی الجهاز الهضمی إلاّ بعد أن یؤدّی کلّ من:الأسنان،اللسان،الغدد و عضلات الفم دوره الموکل به،و من ثمّ تتعاضد أجزاء الجهاز الهضمی علی إتمام عملیه الهضم و امتصاص الغذاء،لینتج منه القوّه

۱- ۱) -«ما»:زائده،و احتملها البعض(شرطیه)،و لکنّ الرأی الأوّل أقرب للصواب.

اللازمه للحركه و الفعاليه...

و كلّ ما ذكر،و غيره كثير،قد جمع قصيره رائعه... فَعَدَلَكَ .

و قيل:«عدلك»إشاره إلى اعتدال قامه الإنسان،و هو ما يمتاز به عن بقيه الحيوانات،و هذا المعنى أقرب للمرحله القادمه و لكن المعنى الأوّل أجمع.

و فى المرحله الرابعه:تكون عمليه«التركيب»و إعطاء الصوره النهائيه للإنسن نسبه إلى بقيه الموجودات.

نعم،فقد تكرم البارى بإعطاء النوع الإنسانى صوره موزونه عليها مسحه جماليه بديعه قياسا مع بقيه الحيوانات،و أعطى الإنسان فطره سليمه،و ركّبه بشكلّ يكون فيه مستعدا لتلقى كلّ علم و تربيه.

و من حكمه البارى أن جعل الصور الإنسانيه مختلفه متباينه،كما أشارت إلى ذلك الآيه(٢٢)من سوره الروم: وَ مِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوَانِكُمْ ،و لولا الاختلاف المذكور لاختل توازن النظام الاجتماعى البشرى.

و مع الاختلاف فى المظهر فإنّ البارى جلّ شأنه قدّر الاختلاف و التفاوت فى القابليات و الاستعدادات و الأذواق و الرغبات،و جاء هذا النظم بمقتضى حكمته،و به يمكن تشكيل مجتمع متكامل سليم و كلّ حوائجه ستكون مؤمّنه.

و تلخص الآيه(۴)من سوره التين خلق اللّه للإنسان بصوره إجماليه: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

و الخلاصه:فالآيات المبحوثه،إضافه لآيات أخر كثيره تهدف و بشكلّ دقيق إلى تعريف الإنسان المغرور بحقيقته،منذ كان نطفه قذره،مرورا بتصويره و تكامله فى رحم امّه،حتى أشدّ حالات نموه و تكامله،و تؤكّد على أنّ حياه الإنسان فى حقيقتها مرهونه بنعم اللّه،و كلّ حيّ يفعم برحمه اللّه فى كل لحظات حياته،و لا بدّ لكلّ حى ذى لبّ و بصيره من أن يترحل من مطيه غروره و غفلته،

و يضع طوق عبوديه المعبود الأحد فى رقبته،و إلّا فالهلاك الحتمى.

و تتناول الآيه التاليه منشأ الغرور و الغفله: كَلاّٰ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ .

فالكرم الإلهى،و لطف البارى منعمه ليست بمحفز لغروركم،و لكنكم آليتم على عدم إيمانكم بالقيامه،فوقعتم بتلك الهاويه الموهمه. (۱)

و لو دققنا النظر فى حال المغرورين و الغافلين،لرأينا أنّ الشك بيوم القيامه أو إنكاره هو الذى استحوذ على قلوبهم و ما دونه مجرّد مبررات واهيه،و من هنا يأتى لتشديد على أصل المعاد،فلو قوى الإيمان بالمعاد فى القلوب لارتفع الغرور و انقشعت الغفله عن النفوس.

«الدين»:يراد به هنا،الجزاء يوم الجزاء،و ما احتمله البعض من أنّه(دين الإسلام)فبعيد عن سياق حديث الآيات،لأنّها تتحدث عن«المعاد».

و تأتى الآيات التاليه لتوضح أنّ حركات و سكنات الإنسان كلّها مراقبه و محسوبه و لا بدّ الإيمان بالمعاد و إزاله عوامل الغفله و الغرور،فتقول.. وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ (۲) .

و هؤلاء الحفظه لهم مقام كريم عند اللّه تعالى و دائبين على كتابه أعمالكم:

كِرٰاماً كٰاتِبِينَ

.

يَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ

.

و«الحافظين»:هم الملائكه المكلفون بحفظ و تسجيل أعمال الإنسان من خير أو شرّ،كما سمّتهم الآيه(۱۷)من سوره(ق)بالرقيب العتيد: مٰا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاّٰ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ،كما و ذكرتهم الآيه(۱۶)من نفس السوره:

۱- ۱) -«كلا»حرف ردع لإنكار شيء ذكر و توهم،لكن...أى إنكار قصدته الآيه؟ثمه احتمالات عديده للمفسرين فى ذلك، و أهمها ما ذكر أعلاه،أى أن«كلا»جاءت لتنفى كل أسباب و منابع الغرور و الغفله و تجعلها فى إنكار القيامه و التكذيب به فقط. و هو ما ورد بعد«بل»و هذا ما اختاره الراغب فى مفردات(فى ماده:بل)،و قال بعد ذكره للآيه:قيل ليس هاهنا ما يقتضى أن يغرهم به تعالى و لكن تكذيبهم هو الذى حملهم على ما ارتكبوه.

۲- ۲) -قیل:إن«الواو»هنا حالیه،کما فی روح المعانی و روح البیان،و لکن احتمال کونها(استئنافیه)أقرب للحال.

إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَ عَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ .

و ثمّه آيات قرآنيه اخرى تشير إلى رقابه الملائكه لما يفعله الإنسان فى حياته.

إنّ نظر و شهاده اللّه عزّ و جلّ على أعمال الإنسان،ممّا لا شک فيه،فهو الناظر لما يبدر من الإنسان قبل أىّ أحد،و أدق من كلّ شيء،و لکنّه سبحانه و لزياده التأکيد و لتحسيس الإنسان بعظم مسئوليه ما يؤديه،فقد وضع مراقبين يشهدون على الإنسان يوم الحساب،و منهم هؤلاء الملائكه الكرام.

و قد فصّلنا أقسام المراقبين الذين يحفون بالإنسان من كلّ جهه،و ذلک ذيل الآيتين(٢٠ و ٢١)من سوره فصّلت،و نوردها هنا إجمالا،و هى على سبعه أقسام.

أوّلا:ذات اللّه المقدّسه،كما فى قوله تعالى: وَ لاٰ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاّٰ كُنّٰا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ (١) .

ثانيا:الأنبياء و الأوصياء عليهم السّلام،بدلاله قوله تعالى: فَكَيْفَ إِذٰا جِئْنٰا مِنْ كُلِّ أُمَّهٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنٰا بِکَ عَلىٰ هٰؤُلاٰءِ شَهِيداً (٢) .

ثالثا:أعضاء بدن الإنسان،بدلاله قوله تعالى: يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (٣) .

رابعا:جلد الإنسان و سمعه و بصره،بدلاله قوله تعالى: حَتّٰى إِذٰا مٰا جٰاؤُهٰا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَ أَبْصٰارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ (۴) .

خامسا:الملائكه،بدلاله قوله تعالى:

١- ١) -يونس،الآيه ۶١.

٢- ٢) -النساء،الآيه ۴١.

٣- ٣) -النور،الآيه ٢۴.

۴- ۴) -فصلت،الآيه ٢١.

وَ جٰاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهٰا سٰائِقٌ وَ شَهِيدٌ

(۱)

،و بدلاله الآیه المبحوثه أیضا.

سادسا:الأرض..المکان الذی یعیش علیه الإنسان،بدلاله قوله تعالی:

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا

(۲)

.

سابعا:الزمان الذی تجری فیه أعمال الإنسان،بدلاله ما

روی عن الإمام علی علیه السّلام فی و قوله: «ما من یوم یمرّ علی ابن آدم إلاّ قال له ذلک الیوم:یا ابن آدم أنا یوم جدید و أنا علیک شهید» (۳) .

و

فی کتاب الإحتجاج للشیخ الطبرسی: إنّ شخصا سأل الإمام الصادق علیه السّلام عن علّه وضع الملائکه لتسجیل أعمال الإنسان فی حین أنّ اللّه عزّ و جلّ عالم السرّ و أخفی؟ فقال الإمام علیه السّلام:«استعبدهم بذلک،و جعلهم شهودا علی خلقه،لیکون العباد لملازمتهم إیّاهم أشدّ علی طاعه اللّه مواظبه،و عن معصیته أشدّ انقباضا،و کم من عبد یهم بمعصیه فذکر مکانهما فارعوی و کفّ،فیقول ربّی یرانی،و حفظتی علیّ بذلک یشهد،و أنّ برأفته و لطفه وکّلهم بعباده،یذبّون عنهم مرده الشیاطین،و هوام الأرض،و آفات کثیره من حیث لا یرون بإذن اللّه،إلی أن یجیء أمر اللّه عزّ و جلّ» (۴) .

و یستفاد من هذه الروایه أنّ للملائکه وظائف اخری إضافه لتسجیلهم لأعمال الإنسان کحفظ الإنسان من الحوادث و الآفات و وساوس الشیطان.

(و قد بحثنا موضوع وظائف و مهام الملائکه بتفصیل فی ذیل الآیه(۱)من سوره فاطر-فراجع).

۱- ۱) -سوره ق،الآیه ۲۱.

۲- ۲) -الزلزال،الآیه ۴.

۳- ۳) -سفینه البحار،ج ۲،ص ۷۳۹(ماده:یوم).

۴- ۴) -نور الثقلين،ج ۵،ص ۵۲۲.

و قد وصفت الآيات المبحوثه هؤلاء الملائكه بأنّهم «كرام»،ليكون الإنسان أكثر دقّه فى مراقبه نفسه و أعماله،لأنّ الناظر كلّما كان ذا شأن كبير،تحفظ الإنسان منه أكثر و أكثر و استحى من فعل المعاصى أمامه.

و علّه ذكر«كاتبين»للتأكيد على إنّهم لا يكتفون بالمراقبه و الحفظ دون تسجيل ذلك بدقّه متناهيه.

و ذكر: يَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ تأكيد آخر على كونهم مطلعين على كلّ الأعمال و بشكل تام،و استنادا إلى اطلاعهم و معرفتهم يسجلون ما يكتبونه.

فالآيات تشير إلى حريه إراده الإنسان،و تشير إلى كونه مختارا،و إلاّ فما قيمه تسجيل الأعمال؟و هل سيبقى للتحذير و الإنذار من معنى؟ و تشير أيضا إلى جدّيه و دقّه الحساب و الجزاء و الإلهى.

و يكفى فهم و استيعاب هذه الإشارات البيانيه الرّبانيه لإنقاذ الإنسان من وقوعه فى هاويه المعاصى،و تكفيه الإشارات عظه ليزكى و يعرف مسئوليته و يعمل بدروه.

***

بحث

اشاره

كتبه صحائف الأعمال:

لم تكن الآيات المبحوثه الدليل الوحيد على وجود المراقبين لأعمال الإنسان،و الكاتبين لها بخيرها و شرّها، بل ثمّه آيات كثيره و روايات عديده تناولت ذلك...و من جمله ما ورد من الأحاديث بهذا الشأن.

۱-سؤال عبد اللّه بن موسى بن جعفر عليه السّلام لأبيه عن الملكين..هل يعلمان بالذنب إذا أراد العبد أن يفعله،أو الحسنه؟

فقال الإمام عليه السّلام: «ريح الكنيف و ريح الطيب سواء؟».

قال:لا.

قال:«إنّ العبد إذا همّ بالحسنه خرج نفسه طيّب الريح،فيقول صاحب اليمين لصاحب الشمال:قم فإنّه قد همّ بالحسنه،فإذا فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده، فأثبتها له،و إذا همّ بالسيئه خرج نفسه منتن الريح،فيقول صاحب الشمال لصاحب اليمين،قف فإنّه قد همّ بالسيئه،فإذا هو فعلها كان لسانه قلمه و ريقه مداده،و أثبتها عليه» (۱) .

فالروايه تبيّن ما للنيّه من أثر على كامل وجود الإنسان،و أنّ الملائكه يسجلون ما وقع من فعل من الإنسان و لكنّهم مطلعين على فعل الواقع قبل وقوعه،و عليه فتسجيلهم لأعمال الإنسان دقيق جدّا،و لا يفوتهم شيئا إلّا و كتبوه فى صحيفته.

و الروايه أيضا،تأتى فى سياق الحديث النبوى الشريف:«إنّما الأعمال بالنيات» للتأكيد على ما لنيّه الإنسان من أثر على فعله الحسن أو السيء.

و تبيّن أيضا،بأنّ وسائل الكتابه هى جوارح الإنسان الناوى للفعل،فلسانه القلم و ريقه المداد! ۲-و ثمّه روايات تؤكّد على أنّ الملائكه مأموره بتسجيل النوايا الحسنه دون النوايا السيئه،و منها:

«إنّ تبارك و تعالى جعل لآدم فى ذريته من همّ بحسنه و لم يعملها كتبت له حسنه،و من همّ بحسنه و عملها كتبت له بها عشرا،و من همّ بسيئه و لم يعملها لم تكتب له،و من همّ بها و عملها كتبت عليه سيئه». (۲)

فالروايه تبيّن منتهى اللطف الرّبانى الفصل الإلهى على الإنسان،و تحث الإنسان على الأعمال الصالحه..فنيّته السيئه لا تسجل عليه،و فعله السيء يكتب عليه وفق موازين العدل،فى حين أنّ نيّته الحسنه و فعله الحسن يسجلان

۱- ۱) -اصول الكافى،ج ۲،ص ۴۲۹،باب«من يهمّ بالحسنه أو السيئه»الحديث ۳.

۲- ۲) -المصدر السابق،الحديث ۱-۲.

له وفق اللطف و التفضل الإلهی...

۳-و

روی عن رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم،أنّه قال: «یهمّ العبد بالحسنه فیعملها،فإن هو لم یعملها کتب اللّه له حسنه بحسن نیّته،و إن هو عملها کتب اللّه له عشرا،و یهمّ بالسیئه أن یعملها،فإن لم یعملها لم یکتب علیه شیء و إن عملها اجّل سبع ساعات، و قال صاحب الحسنات لصاحب السیئات و هو صاحب الشمال:لا تعجل عسی أن یتبعها بحسنه تمحوها،فإن اللّه عزّ و جلّ یقول: إِنَّ الْحَسَنٰاتِ یُذْهِبْنَ السَّیِّئٰاتِ ،أو الاستغفار فإنّ هو قال:استغفر اللّه الذی لا إله إلاّ هو،عالم الغیب و الشهاده،العزیز الحکیم،الغفور الرحیم،ذو الجلال و الإکرام و أتوب إلیه،لم یکتب علیه شیء،و إن مضت سبع ساعات و لم یتبعها بحسنه أو استغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السیئات:اکتب علی الشقی المحروم» (۱) .

۴-و

روی عن الإمام الصادق علیه السّلام: «إنّ المؤمنین إذا أقبلا علی المساءله قالت الملائکه بعضها لبعض: تنحوا عنهما فإنّ لهما سرّا و قد ستر اللّه علیهما»! (۲) ۵-و

فی خطبه لأمیر المؤمنین علیه السّلام،قال فیها بعد أن دعی الناس فیها لتقوی اللّه:«اعلموا عباد اللّه،إنّ علیکم رصدا من أنفسکم،و عیونا من جوارحکم، و حفّاظ صدق یحفظون أعمالکم،و عدد أنفاسکم،لا تسترکم منهم ظلمه لیل داج و لا یکنّکم منهم باب ذو رتاج«أی إحکام»،و إنّ غدا من الیوم قریب» (۳) .

***

۱- ۱) -المصدر السابق،الحدیث ۴.

۲- ۲) -اصول الکافی،ج ۲،ص ۱۸۴،الحدیث ۲؛و عنه نور الثقلین،ج ۵،ص ۱۱۰.

۳- ۳) -نهج البلاغه،الخطبه ۱۵۷.

الآیات [سوره الانفطار (۸۲): الآیات ۱۳ الی ۱۹]

اشاره

إِنَّ اَلْأَبْرارَ لَفِی نَعِیمٍ (۱۳) وَ إِنَّ اَلْفُجّارَ لَفِی جَحِیمٍ (۱۴) یَصْلَوْنَها یَوْمَ اَلدِّینِ (۱۵) وَ ما هُمْ عَنْها بِغائِبِینَ (۱۶) وَ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ اَلدِّینِ (۱۷) ثُمَّ ما أَدْراکَ ما یَوْمُ اَلدِّینِ (۱۸) یَوْمَ لا تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ اَلْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلّهِ (۱۹)

التّفسیر

اشاره

«یوم...لا تملک نفس لنفس شیئا»:

بعد ذکر الآیات السابقه لتسجیل أعمال الإنسان من قبل الملائکه،تأتی الآیات أعلاه لتتطرق إلی نتائج تلک الرقابه،و ما سیصل إلیه کلّ من المحسن و المسیء من عاقبه،فتقول الآیه الاولی: إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِی نَعِیمٍ .

و الثّانیه: وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِی جَحِیمٍ .

«الأبرار»:جمع(بار)و«برّ»علی وزن(حق)،بمعنی:المحسن،و(البرّ) بکسر الراء-کلّ عمل صالح...و الآیه ترید العقائد السلیمه،و النیات و الأعمال الصالحه.

«نعیم»:و هی مفرد بمعنی النعمه،و یراد به هنا«الجنّه»،و جاءت بصیغه

النكره لبيان أهميه و عظمه هذه النعمه،التی لا یصل لإدراک حقیقتها إلاّ اللّه سبحانه و تعالی،و اختیرت کلمه«نعیم»بصیغه الصفه المشبهه،للتأکید علی بقاء و استمرار هذه النعمه،لأنّ الصفه المشبهه عاده ما تتضمّن ذلک.

«الفجّار»:جمع(فاجر)من(فجر)،و هو الشقّ الواسع،و قیل للصبح فجر لکونه فجر اللیل،أیّ شقّه بنور الصباح،و(الفخور):شقّ ستر الدیانه و العفه، و السیر فی طریق الذنوب.

«جحیم»:من(الجحمه)،و هی تأجج النّار،و تطلق الآیات القرآنیه(الحجیم) علی جهنّم عاده.

و یمکن أن یراد بقوله تعالی: إِنَّ الْأَبْرارَ لَفِی نَعِیمٍ وَ إِنَّ الْفُجّارَ لَفِی جَحِیمٍ الحال الحاضر،أیّ:إنّ الأبرار یعیشون فی نعیم الجنّه حالیّا،و إنّ الفجّار قابعون فی أودیه النّار،کما یفهم من إشاره الآیه(۵۴)من سوره العنکبوت: إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَهٌ بِالْکافِرِینَ .

و قال بعض:المراد من الآیتین هو حتمیه الوقوع المستقبلی،لأنّ المستقبل الحتمی و المضارع المتحقق الوقوع یأتی بصیغه الحال فی اللغه العربیه،و أحیانا یأتی بصیغه الماضی.

فالمعنی الأوّل أکثر انسجاما مع ظاهر الآیه،إلاّ أنّ المعنی الثّانی أنسب للحال،و اللّه العالم.

و تدخل الآیه التالیه فی تفصیل أکثر لمصیر الفجّار: یَصْلَوْنَها یَوْمَ الدِّینِ .

فإذا کانت الآیه السابقه تشیر إلی أنّ الفجّار هم فی جهنّم حالیا،فسیکون إشاره هذه الآیه،إلی أنّ دخولهم جهنّم سیتعمق،و سیحسون بعذاب نارها، بشکل أشدّ.

«یصلون»:من(المصلی)علی وزن(سعی)،و«صلی النّار»:دخل فیها، و لکون الفعل فی الآیه قد جاء بصیغه المضارع، فإنّه یدل علی الاستمرار

و الملازمه فی ذلک الدخول.

و لزیاده التفصیل،تقول الآیه التالیه: وَ مٰا هُمْ عَنْهٰا بِغٰائِبِینَ .

اعتبر کثیر من المفسّرین کون الآیه دلیلا علی خلود الفجّار فی العذاب، و خلصوا إلی أنّ المراد ب«الفجّار»هم«الکفّار»،لکون الخلود فی العذاب یختص بهم دون غیرهم.

ف«الفجّار»:إذن:هم الذین یشقون ستر التقوی و العفه بعدم إیمانهم و تکذیبهم بیوم الدین،و لا یقصد بهم-فی هذه الآیات- أولئک الذی یشقّون الستر المذکور بغلبه هوی النفس مع وجود حاله الإیمان عندهم.

و إتیان الآیه بصیغه زمان الحال تأکیدا لما أشرنا إلیه سابقا،من کون هؤلاء یعیشون جهنّم حتّی فی حیاتهم الدنیا(الحالیه)أیضا... وَ مٰا هُمْ عَنْهٰا بِغٰائِبِینَ ، فحیاتهم بحدّ ذاتها جهنّما،و قبورهم حفره من حفر النیران(کما ورد فی الحدیث الشریف)،و علیه فجهنّم القبر و البرزخ و جهنّم الآخره...کلّها مهیأه لهم.

کما و تبیّن الآیه أیضا:إنّ عذاب أهل جهنّم عذاب دائم لیس له انقطاع،و لا یغیب عنهم و لو للحظه واحده.

و لأهمیه خطب ذلک الیوم العظیم،تقول الآیه التالیه: وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ الدِّینِ .

ثُمَّ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا یَوْمُ الدِّینِ

.

فإذا کانت وحشه و أهوال ذلک الیوم قد أخفیت عن النّبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-و هو المخاطب فی الآیه-مع کلّ ما له من علم ب القیامه،المبدأ،المعاد..فکیف یا تری حال الآخرین؟!!..

و الآیات قد بیّنت ما لأبعاد یوم القیامه من سعه و عظمه،بحیث لا یصل لحدّها أیّ وصف أو بیان،و کما نحن(السجناء فی عالم الماده)لا نتمکن من إدراک حقیقه النعم الإلهیه المودعه فی الجنّه،فکذا هو حال إدراکنا بالنسبه

لحقیقه عذاب جهنّم،و عموما لا یمکننا إدراک ما سیجری من حوادث فی ذلک الیوم الرهیب المحتوم.

و ینتقل البیان القرآنی للتعبیر عن إحدی خصائص ذلک الیوم،و بجمله وجیزه،لکنها متضمّنه لحقائق و معان کثیره: یَوْمَ لاٰ تَمْلِکُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَیْئاً وَ الْأَمْرُ یَوْمَئِذٍ لِلّٰهِ .

فستتجلّی حقیقه أنّ کلّ شیء فی هذا العالم هو بید اللّه العزیز القهّار،و ستبان حقیقه حاکمیه اللّه المطلقه و مالکیته علی کلّ من تنکر لهذه الحقیقه الحقّه، و ستنعدم تلک التصورات الساذجه التی حکمت أذهان المغفلین بکون فلان أمیرا و رئیسا أو حاکما،و سینهار أولئک البسطاء الذین اعتبروا أن قدراتهم مستقله بعد أن أکل الغرور نفوسهم و تکالب التکبر علی تصرفاتهم فی الحیاه الدنیا الفانیه.

و تشهد علی الحقیقه-بالإضافه إلی الآیه المذکوره-الآیه(۱۶)من سوره المؤمن حیث تقول: لِمَنِ الْمُلْکُ الْیَوْمَ لِلّٰهِ الْوٰاحِدِ الْقَهّٰارِ .

و تشیر الآیه(۳۷)من سوره عبس إلی انشغال الإنسان بنفسه فی ذلک الیوم دون کلّ الأشیاء الاخری،و لو قدّر أن یمنح قدرا معینا من القدره،لما نفع بها أحد دون نفسه!،حیث تقول الآیه: لِکُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ یَوْمَئِذٍ شَأْنٌ یُغْنِیهِ .

حتّی

روی عن الإمام الباقر علیه السّلام،أنّه تناول ذلک الموقف بقوله: (إن الأمر یومئذ و الیوم کله لله،...)و إذا کان یوم القیامه بادت الحکام فلم یبق حاکم إلاّ اللّه» (۱) و هنا...یواجهنا السؤال التالی:هل یعنی ذلک،إنّ الآیه تتعارض و شفاعه الأنبیاء و الأوصیاء و الملائکه؟ و یتّضح جواب السؤال المذکور من خلال البحوث التی قدمناها بخصوص موضوع(الشفاعه)فقد صرّح الحکیم فی بیانه الکریم،إنّ الشّفاعه لن تکون إلاّ

۱- ۱) -مجمع البیان،ج ۱۰،ص ۴۵۰.

بإذنه،و إنّ الشّفاعه غير مطلقه،حسب ما تشير إليه الآيه(٢٨)من سوره الأنبياء لاٰ يَشْفَعُونَ إِلاّ لِمَنِ ارْتَضىٰ اللّهم!إنّ الخلائق تنتظر رحمتك و لطفك فى ذلك اليوم الرهيب،و نحن الآن نتوقع لطفك.

إلهنا!لا تحرمنا من الطافك و عناياتك فى هذا العالم و العالم الآخر.

ربّنا!أنت الحاكم المطلق فى كلّ مكان و زمان،فاحفظنا من التورط فى شباك الذنوب و السقوط فى وادى الشرك و اللجوء الى الغير...

آمين يا ربّ العالمين نهايه سوره الإنفطار انتهى المجلد التاسع عشر ***

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

ص :

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١٤٢٦ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولیهٔ العمل.

نشاطات المؤسسهٔ:
طبع الکتب والملزمات والدوريات
إقامهٔ المسابقات فی مطالعهٔ الکتب
إقامهٔ المعارض الالکترونیهٔ: المعارض الثلاثیهٔ الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنهٔ الدينیهٔ والسیاحیهٔ
إنتاج الأفلام الکرتونیهٔ والألعاب الکمبیوتریهٔ
افتتاح موقع القائمیهٔ الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافیهٔ وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلهٔ والاستفسارات الدينیهٔ والأخلاقیهٔ والاعتقاديهٔ والردّ علیها
تصمیم الأجهزهٔ الخاصهٔ بالمحاسبهٔ، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب کیوسک kiosk، الرسالهٔ القصیرهٔ ((sms
إقامهٔ الدورات التعلیمیهٔ الالکترونیهٔ لعموم الناس
إقامهٔ الدورات الالکترونیهٔ لتدريب المعلمین
إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسهٔ وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمکن تحمیلها علی ۸ أنظمهٔ؛

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیهٔ للکتاب علی موقع القائمیهٔ ويمکن تحمیلها علی الأنظمهٔ التالیهٔ

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیهٔ والانجلیزيهٔ والفارسیهٔ

الکلمهٔ الأخیرهٔ

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقیق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزی
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹